بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة القاهرة
كلية الآداب
قسم المكتبات والوثائق وتقنية المعلومات
شعبة المكتبات

المكتبات الوقفية بالمدينة المنورة: تاريخها وحاضرها ومستقبلها

Al Waqf (The Endowment) Libraries in AL-Madinah: Its History, Present Status, and Future Prospects

إعداد

محمد سيد محمد عمر الشنقيطي

إشراف

أ.د محمد فتحي عبد الهادي

أستاذ علم المكتبات والمعلومات

كلية الآداب - جامعة القاهرة

بحث مقدم للحصول على درجة الدكتوراه في المكتبات والمعلومات

القاهرة - (يناير ٢٠١٥)

إهـــــــداء

أهدي ثواب هذا العمل والجهد إلى والديَّ

رحمهما الله

والدتي التي صبرت وتحملت قسوة الحياة وكابدت

في سبيل تهيئة كل ما يمكن لي ولإخوتي لنواصل طلب العلم.

ووالدي الذي كان يصحبني معه إلى المسجد النبوي يومياً

وهناك تعرفت على مكتبة المدينة العامة، ومكتبة الشيخ عارف حكمت

المجاورتين له، فأَلِفت نفسي الكتب والمكتبات. وتشرّبت حبها.

وإهداء ودعاء خاص لأولئك المحسنين الذين سَخّروا علمهم وأموالهم

ووهبوها طيبة بها نفوسهم لفائدة ا العلم والعلماء وطلبته،

رحم الله الجميع وجزاهم خير الجزاء. وجعلنا من بعدهم خير خلف لذلك السلف

شكر وتقديــر

بمزيد الشكر والتقدير والعرفان بالجميل، أتقدم للأستاذ الدكتور محمد فتحي عبد الهادي على تفضله بقبول الإشراف على موضوع هذا البحث المقدم للحصول على درجة الدكتوراه. لقد كان لكريم عنايته وتوجيهه أكبر الأثر في إخراج هذا البحث إلى النور. ولصبره وكريم خُلُقه الدور الأبرز في مساعدتي على خوض غمار هذا البحث الجديد في عنوانه والقديم في تاريخه. وكنت كلما خرجت عن دائرة مشكلة الدراسة وذهب بي البحث والتفكير إلى نواحٍ أخرى، أعادني أستاذي الكريم إلى الوجهة الفعلية لموضوع الدراسة، وذلك بعميق علمه وثاقب خبرته، فله مني الشكر الذي لا أستطيع أن أوفيه حقه فيه، وأدعو الله أن يجزيه خير الجزاء وأن يسبغ عليه دائم الصحة والعافية وأن ينفع بعلمه الجميع.

كما أتقدم بجزيل الشكر والثناء لأستاذي الأستاذ الدكتور عبد الستار عبد الحق الحلوجي الذي كان لي شرف الدراسة على يديه في مرحلة الماجستير بجامعة الملك عبد العزيز بجدة، والذي طالما أشعل في طلبته الحماس لمواصلة البحث العلمي والتحصيل الدراسي ولمواصلة الدراسات العليا. والذي تفضل مشكورا بقبول مناقشة هذه الرسالة، الأمر الذي سيضفي عليها من علمه، ويصحح أخطاءها بواسع فهمه، فالله أسأل أن يثيبه أحسن الثواب.

والشكر موصول لسعادة الأستاذ الدكتور محمد جلال غندور على كريم فضله بقبول مناقشة هذه الرسالة، والتي ستستفيد من غزير علمه، وواسع اطلاعه، وله الشكر مرة أخرى على الجهد والوقت الذي بذله في مراجعة هذا البحث، الأمر الذي سيفيد هذه الدراسة ويثريها، اسأل الله الكريم أن يجزيه خير الجزاء.

ومن مصر المحروسة انتقل إلى المدينة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، لأزجي جميل التحيات مقرونة بالشكر والامتنان لكوكبة من العلماء والباحثين، وكذلك المسئولين والعاملين في مجال المكتبات، والذين ساعدوا في تزويدي بالمصادر والمعلومات التي دعمت هذا البحث في جوانبه الفقهية والتاريخية، وإن كان المجال لا يتسع لذكر الجميع جزاهم الله خيرا، فلابد من الاعتراف بفضل المسئولين في مكتبة المسجد النبوي الشريف، ومكتبة المصحف، ومكتبة الملك عبد العزيز بالمدينة المنورة، وأخص بالشكر معالي الشيخ الدكتور عبد العزيز الفالح نائب الرئيس العام لشئون المسجد النبوي، على توجيهه للمسئولين في مختلف قطاعات المسجد النبوي لتقديم العون والمساعدة لإنجاز هذا البحث، والشيخ سليمان العبيد مدير عام التوجيه والإرشاد بالمسجد النبوي المشرف على تطوير مكتبة المسجد النبوي عبر سنوات خلت. وكذلك الدكتور عبد الرحمن المزيني مدير عام مكتبة الملك عبد العزيز لدعمه وتزويد الباحث بالمعلومات القيمة التي أثرت موضوع البحث.

والشكر موصول للدكتور طارق حجار الأستاذ بالجامعة الإسلامية، والشيخ خالد النعمان صاحب الندوة الأدبية الأسبوعية بالمدينة، وذلك لما أمدوني به من مصادر ومعلومات كان لها أثر واضح في إنجاز هذه الدراسة، والشكر لكل من ساهم في إنجاز هذه الدراسة على أي وجه كان، وأكرر اعتذاري الشديد لكل من لم يسعفني الحال عن ذكر فضله ومساعدته وذلك لضيق حيز المقال، واسأل الله الكريم أن يثيبهم بما هو أفضل من شكري وتقديري لهم.

وشكرٌ جزيل لأسرتي الكريمة بالمدينة المنورة زوجتي أم أحمد وابني وأخواته على دعمهم ومساندتهم لي في استكمال مسيرة طلب العلم، وأخص بالشكر زوجتي العزيزة على صبرها وتحملها أعباء الأسرة ومسئولياتها أثناء سفري للدراسة خلال السنوات الماضية، الأمر الذي ساعدني على استكمال مشوار البحث، وهيأ لي الظروف المناسبة لمواصلة طلب العلم.

الملخــــــص

كانت المكتبات الوقفية عنصراً أساسيا من المكونات التي قامت عليها الحضارة العلمية للأمة العربية الإسلامية ولسنوات طويلة. وكان الحرص على إنشاء المكتبات الوقفية واضحا بين مختلف فئات المجتمع من حكام ومحكومين، وعلماء وأدباء وأثرياء، حتى الأفراد كانوا يساهمون بوقف مصحف أو كتاب في مسجد، وأحياناً بمكتبة كاملة ابتغاء الأجر والمثوبة من الله، ونتيجة لذلك تنوعت المكتبات الوقفية، فلم تعد حكرا على المساجد والكتاتيب والمدارس، بل امتدت إلى الأربطة والمشافي والمراصد والزوايا حتى وصلت إلى الترب (المقابر)، الأمر الذي ميز الحضارة الإسلامية بكثرة المكتبات الوقفية، ولم يوجد له نظير في الحضارات السابقة.

وسعيا للتعريف بدور أولئك المحسنين الذين حبَّسوا أموالهم وعلمهم لفائدة الأجيال القادمة، وكذلك لتحفيز المحسنين الجدد للمساهمة في خدمة العلم والعلماء والطلبة أسوة بما فعله الأجداد، وللمساهمة في النهضة العلمية للأمة الإسلامية كليا، جاءت فكرة هذه الدراسة للتعريف بالمكتبات الوقفية، وبعض الأحكام الفقهية المتعلقة بها، واستعراض شيء من تاريخها، ومعرفة أنواعها وميزاتها وسلبياتها. وصولا إلى دراسة نموذج شاهد على ذلك من خلال حصر المكتبات الوقفية القائمة حاليا بالمدينة المنورة، وإجراء دراسة مسحية لمحتوياتها ومقتنياتها.

والمدينة المنورة عَرَفت الكتب والمكتبات منذ زمن الصحابة، واستمرت حافلة بها على مدى قرون. وقد قامت المكتبات الوقفية بالمدينة بدور رائد مثل قريناتها في العالم الإسلامي في حفظ مصادر التراث والفكر بما تحويه من كنوز ونوادر المخطوطات، والتي يشار إليها بين جموع الباحثين، كما هو الحال في محتويات مكتبة المصحف الشريف، ومكتبة المسجد النبوي، ومكتبة عارف حكمت، والمحمودية، وبشير أغا، وغيرها من المكتبات الوقفية بالمدينة.

وقد غطت الدراسات والأبحاث السابقة بعض جوانب المكتبات الوقفية، ولكن لم تحظ هذه المكتبات بدراسة وافية عن مجمل تاريخها، وأنواعها، وواقعها تمهيدا لاستشراف مستقبلها، في سعي لأن تعود للقيام بدورها الرائد في خدمة العلم والعلماء، ولتحقيق أفضل فائدة منها.

واعتمد البحث على **المنهج التاريخي** لدراسة ماضي المكتبات الوقفية، وأنواعها، بدءا من العصر العباسي ومرورا بعصور المماليك والعثمانيين وانتهاء بزماننا الحاضر. كما اعتمد **المنهج الوصفي المسحي** كمنهج أساس للتعرف على واقع المكتبات الوقفية بالمدينة المنورة في الوقت الحاضر.

وبالنسبة للأدوات المستخدمة في البحث فكانت بشكل أساس معتمدة على الاطلاع على مصادر المعلومات والدراسات المعنية بموضوع البحث، إضافة إلى إجراء عدد من المقابلات الشخصية للحصول على المعلومات اللازمة للدراسة، وكذلك القيام بزيارات ميدانية للاطلاع على واقع المكتبات الوقفية الحالي، وذلك تمهيدا للوصول إلى نتائج وتوصيات تفيد مستقبل هذه المكتبات والمستفيدين منها.

Abstract:

Al Waqf (The Endowment) libraries have been one of the most basic and prominent pioneers of science and education in Islamic civilization for centuries, and have spread in the East and West of the Arab and Muslim world to provide science books for learners and provide scientists and scholars with valuable sources in various kinds of arts and sciences. In fact, it was the foundation of the scientific civilization of the Islamic nation for many years.

The competition to set up AlWaqf libraries(endowment libraries) was clear among various categories of the community of rulers, ruled, scientists, writers and wealthy, even ordinary people even by the endowment of the Qur'an or a book in a mosque or a library in order to be rewarded by Allah. A thing that resulted in a variety of AlWaqf libraries where are no longer limited to mosques, madrassas, and schools, but spread out in the castles, hospitals and small mosques until they reached to grave a thing that characterized the Islamic civilization and did not match in previous civilizations.

In a quest to document the endowment of the philanthropists who endowed their monies and knowledge for future generations as well as stimulating the newcomers to contribute in the service of science, scientists and scholars like what has been done by the ancestors and to contribute to scientific renaissance of the nation as a whole ,came the idea of this study to identify AlWaqf libraries: Its concept, Jurisprudence related to them, historical review and types up to studying witness models through limiting existing AlWaqf libraries in Al Madinah and making survey for its contents. Al Madinah has known the books and libraries since the time of companions and continued to keep them over many centuries. AlWaqf libraries in Al Madinah have a leading role like its peers in the Muslim world in keeping sources of heritage and thought with all its treasures and rare manuscripts, referred to among groups of researchers as is the case in the contents of the library of the Holy Qur'an, the Library of the Prophet's Mosque, ArefHikmat Library, Mahmudiya, Bashir Agha and other Waqf libraries in Al Madinah.

Previous studies and research have covered certain aspects of AlWaqf libraries, but these libraries did not receive adequate study for their overall history, types and reality in preparation for exploring their future and in order to come back to do their leading role in the service of science and scientists, and to achieve the best interest of them.

This dissertation adopted the historical approach to study the past of AlWaqf libraries, their types starting from Abbasid time and passing by Mamluks and the Ottomans and ending by our present era in the Saudi state, as it also adopted the field survey method as a basic method to identify the present state of AlWaqf libraries in Al Madinah and making recommendations that benefit the future of these libraries and their beneficiaries.

Research instruments include: Interviews, field visit, and literature review to gain more insights for the study. The purpose of the field visit are to examine the reality of services in the AlWaqf libraries and to provide recommendations that will help those libraries offer better services to their users.

قائمة المواضيـع

قائمـــة الجداول

قائمـــة الرسوم والأشكال والصور

./ - المقدمة

بعد وصول النبي الكريم صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنورة، واستراحته من حصار قريش ومضايقتهم له في تبليغ الدعوة عن ربه، بدأ العمل حثيثا في تأسيس القاعدة العلمية للأمة، فانتخب عدداً من الصحابة لكتابة القرآن المنزل عليه من ربه، مستخدمين في ذلك وسائل بدائية بالكتابة على اللخاف والألواح والجلود ... الخ. إذ كان المهم هو تسجيل النصوص التي تلقوها مشافهة من النبي الكريم عليه الصلاة والسلام، وفي موازاة كتابة الوحي كانت هناك مجالس العلم التي يقيمها الرسول عليه السلام للصحابة في مسجده، وفي مساجد أخرى بالمدينة كما هو الحال في عقده لدروس خاصة بالنساء أيضا. وتصدر عدد من علماء الصحابة للتدريس في مساجد المدينة وأقرهم على ذلك في حياته صلى الله عليه وسلم، بل وأجاز بعضهم في علوم القرآن والحديث والفرائض. الأمر الذي نتج عنه تدوين بعض الصحابة للعلوم التي أتقنوها ليكون بداية عصر التدوين في الحضارة الإسلامية في زمن الصحابة وستأتي شواهده لاحقا. وليمتد بعد ذلك تاريخ طويل للمساجد في مشارق الأرض ومغاربها كواحدة من أعرق مواطن العلم في التاريخ الإنساني.

كما فادى صلى الله عليه وسلم المتعلمين من أسرى موقعة بدر، بفك أسرهم مقابل تعليمهم القراءة والكتابة للأطفال بالمدينة المنورة لتظهر الكتاتيب في المدينة المنورة كأول مؤسسة تعليمية للأطفال في التاريخ الإسلامي، والتي بنى على إثرها السلاجقة المدارس النظامية في وقت متأخر، حيث كان لهم في الكتاتيب نموذج يمكن القياس عليه وتطويره.

وبعد أشهر وجيزة من وفاة النبي صلى الله عليه وسلم أنجز الصحابة جمع أول نسخة من القرآن الكريم في عهد الخليفة الصديق أبي بكر رضي الله عنه خوفا من ضياعه بالرغم من حفظ جمع كبير من الصحابة للقرآن في صدورهم، إذ لم يكن قد جُمع بعد بين دفتين، وكان متناثرا بين تلك الجلود والألواح، فكانت أول نسخة من كتاب الله يخطها جنس البشر على الأرض، وبعدها بسنوات جمع الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه أئمة القراء والحفاظ من كتبة الوحي ليقوموا بنسخ القرآن الكريم من تلك النسخة على رسم واحد، وأرسل نسخا من هذا المصحف للأقاليم الإسلامية في مكة المكرمة والشام والعراق وغيرها واحتفظ لنفسه بنسخة، ونسخة أخرى هي المصحف الإمام للمدينة المنورة . والتي نقلها الأتراك من الروضة الشريفة مع بعض نوادر الحرم والمخطوطات في القرن الماضي ولا زالت في متحف (توب قابي) في اسطنبول والذي سيتم توضيحه لاحقا. ومنذ ذلك الوقت سمي رسم المصحف بالرسم العثماني. وينقل حماد زين العابدين عن رابح دفرور قوله: "وقد جمع الصديق رضي الله عنه سور القرآن في مصحف واحد بين دفتين بعدما كان مفرقا في الألواح والأكتاف والأخشاب، ثم جمع ذو النورين الخليفة عثمان رضي الله عنه القرآن في رسم واحد، فلم يعد مختلفا في رسمه المؤسس على لغة العرب وحرف قريش"(١).

ويمتد تاريخٌ طويلٌ لهذه المدينة الطيبة في مجال العلم، بدأ بالكتاب المقدس (القرآن الكريم) الذي تدارسه الصحابة والعلماء في المدينة المنورة وشرحوا وأسهبوا في توضيحه وتبيينه للأمة، إضافة إلى علوم أخرى تلقوها

من الرسول الخاتم صلى الله عليه وسلم مثل علوم القراءات والحديث والتفسير، ولتظهر تبعا لذلك علوم جديدة كان منها الفقه وأصوله وأصول الحديث والسيرة النبوية، وغيرها من العلوم التي كانت المدينة المنورة حاضنة لها. وخرج من المدينة علماء الصحابة يبثون هذه العلوم في أرجاء الدنيا، ويحملون معهم العدل والتسامح والمساواة، كما يحملون معهم أغلى كنوز الأرض للبشر في كل مكان ألا وهو العلم، الذي ملأت مدوناته المكتبات الإسلامية عبر التاريخ وإلى يومنا هذا.

وإذا كانت المدينة المنورة شرفت باستقبال ونصرة النبي الكريم صلى الله عليه وسلم وأصبحت هي بيته وأهله، ثم حافظت على كتاب ربه الكريم لتنقله للدنيا كلها كتابةً وقراءةً وحالياً عبر النظم الإلكترونية، فقد كان لها أيضاً ميزة أخرى في خدمة أعمال البر والخير، إذ تم فيها تشريع الحبوس (الأوقاف)، وكان أهلها أول من طبق هذا التشريع الجديد على أمور كثيرة من أمور الخير والنفع العام والخاص، والذي امتدت آثاره وفوائده إلى وقف الكتب وإنشاء المكتبات الوقفية في مختلف الأقطار الإسلامية. يقول يحيى جنيد: "وقد وجد الباحث أن الوقف يمثل بؤرة النهضة العلمية والفكرية العربية والإسلامية على مدار القرون، حيث أسهم الواقفون من حكام ووزراء وعلماء وأفراد في مساندة المسيرة العلمية، وبالتالي إتاحة المعرفة لكافة طبقات المجتمع دون أدنى تمييز"(٢). ويضيف: "مع ازدهار التأليف ونشاط الحركة العلمية في العالم الإسلامي المعروف في ذلك الوقت، وكثرة الدارسين بدأ الشعور بأهمية توفير الكتب لأكبر عدد من المستفيدين يتعمق في نفوس الحكام والأثرياء، ووجد هؤلاء في الكتاب وسيلة من وسائل العمل الخيري من منطلق الرغبة في إشاعة العلم والتغلب على مصاعب الحصول على الكتب من أنحاء العالم الإسلامي لطلبة العلم من مدن ومناطق معينة فأدى ذلك إلى ظهور الوقف الخاص بالكتب والمكتبات"(٣).

وقد ساهم في وقف الكتب والمكتبات مختلف فئات المجتمع، وفي مختلف البقاع كعمل خيري تطوعي يقول عباس طاشكندي: "فالمكتبات الوقفية التي توافر توثيقها على طول تاريخ العالم الإسلامي كانت ثمرة وفاء الأفراد لمجتمعاتهم ، ومظهرا للتكامل والتكافل بين المسلمين، وخصيصة إسلامية أخذ بها الأفراد من الخلفاء والسلاطين والملوك والأفراد والعلماء والموسرين، متحملين بذلك عبء الإسهام الاجتماعي في دعم النشاطات الدينية والثقافية والتعليمية والاجتماعية. ولم يكن أمر وقف المكتبات الخاصة حسنة من الحسنات ، ومنّة يتعالى بها الخلفاء والعلماء والموسرون على المجتمع، بل كانت نمطا لسلوك راق يمليه الواجب ومطالب التكافل الذي امتازت به مجتمعات المسلمين عبر تاريخهم عما سواهم من المجتمعات الأخرى"(٤).

وكان للمدينة المنورة نصيبها من المكتبات الوقفية منذ بداية ظهورها في العصر العباسي " فتكونت في المسجد النبوي "مكتبة كبيرة كانت حصيلة ما وقفه الملوك والحكام والعلماء والأثرياء في مراحل تاريخية مختلفة، ففي عام ٥٨٠هـ كانت فيه خزانتان كبيرتان محتويتان على كتب ومصاحف موقوفة، وكانت لإبراهيم بن رجب ابن حماد الرواشي الكلابي المتوفى سنة ٧٥٥هـ كتب نفيسة وقفها بالمسجد النبوي"، ولم يقتصر إيقاف الكتب والمكتبات بالمدينة المنورة على علمائها وأهل الفضل فيها ، بل شمل العلماء والحكام من مختلف أقطار العالم الإسلامي ، فقد "أوقف سلطان بلاد فارس شاه شجاع بن محمد بن المظفر اليزدي المتوفى سنة ٧٨٧هـ خزانة

كتب بالمسجد النبوي عند زيارته للمدينة قال عنها السخاوي " له في الحرم المدني آثار ... منها الخزانة الشريفة المشتملة على محاسن الكتب ومفاخرها، فما من طالب مقتبس إلا وهو يستفيد من جواهر زواخرها"(٥).

ويطمح هذا البحث إلى المساهمة بجهد متواضع في تناول مفهوم المكتبات الوقفية، تاريخاً، وتعريفاً بها وبأنواعها، وذكر نماذج لأنواعها المختلفة في مواقع مختلفة من العالم الإسلامي وعبر أزمنة متفاوته، للتدليل على أنها إنجاز أصيل من الإنجازات التي تميزت بها الحضارة الإسلامية. ثم إجراء مسح ميداني للمكتبات الوقفية بالمدينة المنورة كنموذج فعلي يقوم بدوره، ويستمر في عطائه، وهو مثال حي للمكتبات الوقفية المنتشرة في العالم الإسلامي.

وأود أن أتقدم بالاعتذار لعدم القدرة على استكمال مختلف جوانب هذا الموضوع، وتغطية كل مواضيعه بشكل وافي، ولكنها مساهمة من باحث اجتهد في تقديم ما استطاع الوصول إليه من خلال الدراسة والبحث، وعلى أمل أن يقوم الباحثون الآخرون باستكمال مواضيعه وجوانبه الأخرى.

٠/١- موضوع الدراسة:

يقع موضوع الدراسة ضمن مواضيع علم تاريخ المكتبات، وبالذات تاريخ المكتبات الإسلامية، فبالرغم من الدور العظيم الذي قامت به المكتبات الإسلامية ومساهمتها في الحفاظ على الموروث العلمي والحضاري الإنساني، وقيام علماء الأمة بجهود جبارة لنقل علوم الأمم السابقة وترجمتها في مختلف الفنون والمعارف، وإتاحتها للإطلاع والمدارسة منذ جامع الأمويين في دمشق، ودار الحكمة في بغداد، ومرورا بالجامع الأزهر في مصر، وجوامع الزيتونة والقيروان وفاس وقرطبة وطليطلة،...الخ، بالرغم من ذلك كله نجد أن الدراسات المنجزة في تاريخ المكتبات الإسلامية قليلة، ولم تخدم كما ينبغي بما يوازي الدور العظيم الذي قامت به في هذا المجال.

وكفرع من تاريخ المكتبات نجد أن الدراسات المنجزة عن المكتبات الوقفية في الحضارة الإسلامية بأنواعها المختلفة قليلة، فهي ما بين مقالة هنا أو جزء في كتاب، أو لمحة في ندوة، وهي في الواقع تحتاج إلى دراسات متعمقة لتظهر مختلف جوانبها وتكشف الدور العظيم الذي قامت به في خدمة العلم والعلماء وطلبته، هذا فضلا عن حفظها لكنوز ونوادر الأمة، والتي بالرغم من تسرب الكثير منها إلى مكتبات عالمية تُعرض فيها كنوادر وتحف، وتَعرُّضها للكوارث الطبيعية والتعديات البشرية، إلا أنها حفظت لنا كمّاً من المخطوطات والمقتنيات لا زالت شاهدة على الدور العظيم الذي قامت به.

٠/٢- مشكلة الدراسة:

من خلال ما سبق ذكره، يلاحظ تنوع المكتبات بحسب الغرض الذي أنشئت من أجله، فهناك المكتبات العامة، والمكتبات الجامعية، والمكتبات المدرسية، والمكتبات الوطنية ... الخ، وقد ألف علماء المكتبات العديد من الكتب عن كلٍّ من هذه المكتبات، والتي غطت مختلف جوانبها. ولوحظ تكرر لفظ المكتبات الوقفية في العديد من المصادر، فما هي حقيقة هذا المصطلح؟. وهل يوجد فعلا ما يسمى بالمكتبات الوقفية على أرض الواقع؟. فمن خلال الدراسة ومراجعة الإنتاج الفكري لم يتوصل الباحث إلى مصدر يعرف بشكل شامل بهذه المكتبات، ويصفها، ويرصد نشأتها وتطورها، وأنواعها؟. والإشكال الآخر هل ما توافر من المكتبات بالمدينة المنورة على مدى القرون الماضية ولا زال بعضها قائما إلى الآن، ينطبق عليه مفهوم المكتبة الوقفية؟.

٠/٣- أهمية الدراسة:

تنبع أهمية الدراسة من كونها تسعى للكشف عن جانب مهم من جوانب تاريخ المكتبات الإسلامية المضيء، وذلك بالتعريف بالمكتبات الوقفية التي انتشرت في أرجاء العالم الإسلامي وعلى مدى قرون طويلة،

وخدمت الحضارة الإنسانية بما حفظته من ذخائر ونوادر المخطوطات والكتب والمقتنيات عبر التاريخ. وبما وفرته من خدمات لروادها بشكل خيري. يقول محمد ماهر حمادة "إن إحدى مميزات الحضارة الإسلامية أنها حضارة كتب ومكتبات ، وهذه هي إحدى الجوانب المهمة من الحضارة الإسلامية التي لما تدرس كما ينبغي"(٦).

ومن هنا جاءت فكرة هذه الدراسة لإجراء بحث علمي يعرِّف بالمكتبات الوقفية، والأحكام المتعلقة بها، ويستعرض جزءاً من تاريخها، ونماذج لأشهر أنواعها عبر التاريخ في مناطق مختلفة من العالم الإسلامي. وصولا إلى المكتبات الوقفية بالمدينة المنورة ، حيث يتناول البحث ما تم الوصول إليه من تاريخها ومحتوياتها من المخطوطات والمطبوعات والفهارس ونظم التصنيف المتبعة فيها، ومعرفة واقعها الحالي وما تتميز به من خدمات وما تعانيه من معوقات وعقبات، تمهيدا لاستشراف مستقبلها، وذلك للخروج بتوصيات يمكن أن تفيد مستقبل المكتبات الوقفية للحصول على أفضل عائد منها بما يخدم العلم والعلماء، والبحث العلمي.

٠/٤- أهداف الدراسة :

تهدف هذه الدراسة إلى الاطلاع على نشأة المكتبات الوقفية وتاريخها عموما، وأهم التشريعات الفقهية الخاصة بها، ومعرفة أنواعها، وتقصي واقعها بالمدينة المنورة، للوصول إلى توصيات تفيد مستقبلها. وينقسم هذا الهدف إلى الأهداف التالية:

. التعرف على أنواع المكتبات الوقفية، مع الاستشهاد بنماذج لأشهرها.

. رصد بعض القوانين التي تحكم إنشاء المكتبات الوقفية، وإيجاد تعريف لها.

. تقصي تاريخ المكتبات الوقفية عبر التاريخ في أقاليم إسلامية مختلفة.

. حصر المكتبات الوقفية المندثرة وتلك التي لا تزال قائمة بالمدينة المنورة .

. الكشف عن محتويات ومقتنيات المكتبات الوقفية بالمدينة في الوقت الحاضر.

. وصف فهارسها ونظم تصنيفها تقليدية كانت أو آلية. والخدمات التي تقدمها.

. وضع تصور للتطوير المستقبلي للمكتبات الوقفية.

٠/٥- تساؤلات الدراسة :

في ضوء ما سبق ذكره في مشكلة الدراسة يسعى هذا البحث للإجابة عن التساؤلات الآتية :

. هل توجد نظم وقوانين تحكم إنشاء المكتبات الوقفية؟. وما هو تعريف المكتبات الوقفية؟.

. هل تم رصد المكتبات الوقفية عبر التاريخ الإسلامي، وما هي أنواعها؟.

. منذ متى نشأت المكتبات الوقفية بالمدينة المنورة، وما هي محتوياتها والموجود منها حاليا؟.

. ما أنواع الفهارس المستخدمة؟، ونظم التصنيف المتبعة؟

. كيف يمكن تطوير المكتبات الوقفية في المستقبل ؟.

٠/٦- حدود الدراسة :

٠/٦/١- الحدود الزمنية:تغطي هذه الدراسة تاريخ المكتبات الوقفية بالمدينة المنورة منذ العصر العباسي إلى زماننا الحاضر، مستشرفة المستقبل وما يمكن أن تقدمه من خدمات للمستفيدين.

٠/٦/٢. الحدود الموضوعية : تتناول الدراسة المكتبات الوقفية مفهوما وتعريفا، كما تستعرض تاريخها عموما، وأشهر أنواعها. ومكتبات المدينة المنورة خصوصا من حيث النشأة والتطور، ومحتوياتها من المخطوطات والكتب، وأنواع الفهارس، ونظم التصنيف المتبعة فيها.

٠/٦/٣. **الحدود المكانية:** الدراسة تغطي المكتبات الوقفية بالمدينة المنورة، وهي مكتبات المسجد النبوي الشريف، المكتبات الوقفية المودعة في مكتبة الملك عبد العزيز ويتجاوز عددها ٣٠ مكتبة وقفية، المكتبات الوقفية الخاصة. ولا تشمل الدراسة المحافظات والقرى التابعة للمدينة.

٠/٧- منهج الدراسة:

تقع هذه الدراسة ضمن الدراسات الاستطلاعية واعتمدت على المنهجين **المنهج التاريخي** لتغطية الحقبة التاريخية والتي تتناول تاريخ إنشاء المكتبات الوقفية، وأنواعها. مع إفراد دراسة لأهم الأحكام الفقهية المتعلقة بها، كما اعتمدت **المنهج الوصفي المسحي** لرصد محتويات المكتبات الوقفية الموجودة حاليا بالمدينة المنورة، من حيث المخطوطات والكتب المطبوعة وغيرها من المقتنيات، والتعريف بفهارسها ونظم التصنيف المتبعة.

٠/٨- أداة الدراسة:

تعتمد الدراسة على الأدوات التالية لجمع البيانات والمعلومات اللازمة للبحث:

. استخدام البحث الوثائقي للوصول إلى معلومات عن تاريخ المكتبات الوقفية عموما، والمدينة المنورة خصوصا. وذلك لمعرفة أنواعها المختلفة، ونماذج لها في مواقع مختلفة، عبر الحقب الزمنية المتعاقبة. إضافة إلى المصادر عن التشريعات الفقهية الخاصة بالمكتبات الوقفية. والإبحار التفاعلي للحصول على المعلومات اللازمة للبحث.

- القيام بمسح ميداني على المكتبات الوقفية بالمدينة، للحصول على معلومات عن محتوياتها من المخطوطات والكتب، وعن فهارسها، ونظم التصنيف المتبعة.

. إجراء مقابلات شخصية غير مقننة مع المسئولين عن المكتبات الوقفية بالمدينة المنورة، وكذلك المعنيين بتاريخ المدينة المنورة للحصول على المعلومات المتوافرة لديهم والتي تفيد موضوع البحث.

٠/٩- المصطلحات المستخدمة في الدراسة:

٠/٩/١. الوقف :

انتشر لفظ الوقف والأوقاف في العالم العربي والإسلامي منذ قرون، ووجد للوقف وزارات في معظم الدول الإسلامية. يقول صالح السعد: "الوقف لغة: الحبس والمنع وهو مصدر الشيء إذا حبسته وأوقفته، والوقف شرعا: حبس العين عن أن تملك لأحد من العباد.والتصدق بمنفعتها إبتداء وانتهاء. أو انتهاء فقط. واختلف العلماء في معنى الوقف اصطلاحا ولعل أقرب تعريف هو ذلك الذي ذهب إليه ابن قدامه . يرحمه الله . حيث قال :"" والوقف مستحب ومعناه تحبيس الأصل وتسبيل الثمرة"(٧). والباحث يميل إلى تعريف محمد أبو زهرة " الوقف : حبس العين ، والتصدق بمنفعتها"(٨).

٠/٩/٢. الواقف :

الواقف هو الشخص الذي يوقف ماله أو جزءاً من ماله لأعمال الخير والبر. وحتى يكون الوقف صحيحا يلزم توافر عدة شروط فيه، لأن: "الوقف كما يقول الفقهاء عقد من عقود التبرعات ، لذلك يلزم أن يكون الواقف ممن تتوفر فيهم أهلية التبرع ، وهي أهلية الأداء الكاملة ، بأن يكون بالغا ، عاقلا ، حرا ، غير محجوز عليه لسفه أو غفلة"(٩).

٠/٩/٣. شرط الواقف:

للواقف أن يشترط شروطا للوقف الذي أوقفه وهي ملزمة لمن بعده. يقول عبد الجليل عشوب: "وهكذا كل شرط لا يضر بمصلحة الوقف ولا يخالف حكم الشرع فإنه يجب إتباعه والعمل به"(١٠)، ويلزم أن تكون الشروط موافقة للشرع وغير مضرة بالوقف، لتكون نافذة وملزم بتنفيذها من يتولى مسئولية إدارة الوقف، قال صالح السعد: "قال

ابن تيمية: وقد اتفق المسلمون على أن شروط الواقف تنقسم إلى صحيح وفاسد كالشروط في سائر العقود" وعليه يمكن تقسيم اشتراطات الواقفين إلى نوعين:

أ. اشتراطات صحيحة: وهي ما يشترطه الواقف مما لا يخالف الشرع، و لا ينافي مقتضى العقد، و لا يتعارض مع مصلحة الوقف والمستحقين له ، وهذه لا حرج فيها.

ب . اشتراطات غير صحيحة (فاسدة) وهي التي تخالف الشرع، أو تنافي مقتضى العقد، أو تتعارض مع مصلحة الوقف أو المستحقين له"(١١).

٤/٩/٠. المكتبة الوقفية :

يعرفها هذا البحث بأنها: **المكتبة التي أنشئت بشكل قانوني عن طريق الأفراد أو الجهات الاعتبارية، بغرض تقديم خدماتها لأفراد المجتمع بشكل خيري حسب شروط الواقف.**

١٠/٠ـ الدراسات السابقة :

من خلال مراجعة الإنتاج الفكري تم رصد العديد من الدراسات والأبحاث التي تناولت موضوع المكتبات الوقفية ، وتبين أن تناول الباحثين للمكتبات الوقفية بالمدينة المنورة كان جزئيا في كتبهم وأبحاثهم، ومن خلال مراجعة للدراسات السابقة لم يتم الوصول إلى ما يفيد بتغطية موضوع البحث بالشكل الذي تهدف هذه الدراسة إلى إنجازه. وقسم الباحث الإنتاج الفكري إلى مجموعتين: الأولى تلك التي تتعلق بالمواضيع البحثية مثل الرسائل العلمية والندوات والدراسات المعنية بالوقف على المكتبات وأنواعها، والمجموعة الثانية المصادر المطبوعة التي تناولت الموضوع من جوانبه المختلفة:

ـ المجموعة الأولى (مصادر بحثية عن الأوقاف والمكتبات الوقفية بالمدينة)

ـ وتناول عباس صالح طاشكندي في رسالته للدكتوراه من جامعة University of Pittsburgh بعنوان **(A Descriptive Catalogue of the Historical Collection of the Scientific Manuscripts at the Library of 'Arif Hikmat in Medina, Saudi Arabia) فهرس وصفي للمجموعات التاريخية من المخطوطات العلمية بمكتبة الشيخ عارف حكمت** بالمدينة المنورة، تناول العناصر الرئيسة المؤثرة في تاريخ تجميع الكتب في العالم الإسلامي وقال في هذا الصدد: "بدأ تاريخ جمع الكتب في العالم الإسلامي من خلال ثلاثة عوامل رئيسية هي:

١. انتشار القرآن المكتوب والأحاديث النبوية الشريفة بين المسلمين.

٢. التراجم، المدعمة من قبل الإسهامات الأصلية للأعمال الفلسفية والعلمية إلى اللغة العربية من الثقافات العريقة المحيطة.

٣. تطور المدارس المتنوعة للفكر الإسلامي.

ويضيف عن المصادر التي وفرت للمكتبات هذا الكم من الذخائر قوله: "التجميع الثري (للكتب) بالمسجد الحرام بمكة المكرمة والمسجد النبوي بالمدينة المنورة، والذي ظهر من خلال قنوات مختلفة:

١. تبرعات العلماء وكبار الحجاج.

٢. الأوقاف، وغيرها"(١٢).

و في الفقرة الثانية يعتبر الباحث أن الوقف أحد المصادر الهامة التي وفرت هذا الكم من الكتب للمكتبات في العالم الإسلامي. وهذه الدراسة تناولت موضوعا من المواضيع المتعلقة بمكتبة عارف حكمت وهي إحدى المكتبات الوقفية بالمدينة المنورة والتي سيتناولها هذا البحث.

- ومن المقالات المنشورة في مجال البحث مقالة بعنوان (**مكتبات المدينة المنورة في العهد العثماني**) لعبد اللطيف عبد الله بن دهيش تحوي معلومات عن بعض المكتبات الوقفية وخاصة تأسيس بعضها مثل المكتبة المحمودية والعثمانية ودور مكتبة عارف حكمت في حفظ النوادر، وبعض المكتبات الخاصة في عهد الأشراف، يقول الكاتب: "وفي هذا البحث القصير سوف نستعرض تاريخ أهم المكتبات العامة والخاصة في المدينة المنورة خلال العهد العثماني فقط، وذلك على ضوء المعلومات التي أمكننا الحصول عليها، على أن تتبع تاريخ المكتبات في هذه المدينة المقدسة أمر فيه بعض الصعوبة وذلك لقلة المراجع المتخصصة التي تبحث في هذا الموضوع"(١٣).

- رسالة الماجستير التي أعدها حمادي علي التونسي بعنوان: (**المكتبات العامة بالمدينة المنورة، ماضيها وحاضرها**) **من** الدراسات العلمية التي تناولت المكتبات بالمدينة المنورة وغطت أربعا من المكتبات العامة بها ، وتعرضت لذكر بعض المكتبات الوقفية لكنها لم تشمل جميع المكتبات الوقفية، ذلك أن هدف الدراسة كان مقصورا على أربع مكتبات رئيسة بالمدينة. يقول الباحث في مقدمة رسالته: "يبحث الباب الأول منها في تاريخ المكتبات العامة بالمدينة المنورة وهي: المكتبة المحمودية ، ومكتبة عارف حكمت ، ومكتبة الحرم النبوي الشريف، ثم مكتبة المدينة العامة ، مرتبة على هذا النسق نظرا لأقدمية إنشاء كل منها ، كما يبحث الباب الثاني عن واقع هذه المكتبات الأربع، مضافا إليها المكتبة العامة التابعة لوزارة المعارف"(١٤). ويتضح مما سبق أن موضوع الرسالة كان عن المكتبات العامة بالمدينة المنورة وان كان بعضها مكتبات وقفية ، ولكن الدراسة وفرت كما من المعلومات عن المكتبات الوقفية بالمدينة المنورة سوف يساعد الباحثين في دراساتهم المتعلقة بهذا الموضوع.

- تعد البحوث التي قدمت لندوة (**المكتبات الوقفية في المملكة العربية السعودية**) من المصادر التي ساعدت في إنجاز هذه الدراسة. وهذه الندوة أشرف على إنجازها وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية، وعقدت في المدينة المنورة في مكتبة الملك عبد العزيز خلال الفترة من ٢٥ إلى ١٤٢٠/١/٢٧هـ وقد تضمنت سبعة عشر بحثا منها بحوث تتعلق بموضوع المكتبات الوقفية مباشرة وهي:

- (**أوقاف الكتب والمكتبات: مدى استمرارها ومعوقات دوام الإفادة منها**) بحث أعده: علي بن إبراهيم النملة ، تناول فيه الصعوبات والمشاكل التي تعترض وقف الكتب والمكتبات، وقال في مقدمة البحث: "يواجه وقف الكتب والمكتبات في الوقت الراهن مشكلات عديدة، منها المشكلات الفنية التي تتعلق بالتعامل مع الكتاب الموقوف ، من حيث فهرسته وتصنيفه وترفيفه، ومنها المشكلات الإدارية التي تتعلق بإدخال هذه الكتب الموقوفة إلى المكتبة والإنفاق عليها وصيانتها وترميمها وتجليدها إن لم تكن مجلدة، ووضعها في المكتبة، وإتاحتها للإفادة بالقراءة والبحث. . ويضيف . أنه مع هذه الصعوبات التي تعترض وقف الكتب والمكتبات ، يظل هذا الأسلوب الحضاري من أهم الموارد التي تعين على بناء المكتبات في المجتمع المسلم، أخذا في الحسبان أنه قد يوقف على المكتبات مشروعات استثمارية تدر عليها ريعا يعينها على تصريف أمورها"(١٥).

- بحث قدمه عباس صالح طاشكندي بعنوان: (**دور القطاع الخاص في دعم المكتبات الوقفية في المملكة العربية السعودية**) تناول مفهوم الدور المميز للقطاع الخاص في دعم ورعاية الأنشطة العلمية والثقافية في المجتمعات العربية والإسلامية عبر العصور ، وأنه كان له الدور الحاسم في ذلك ، يقول الباحث: "لم يعرف عبر التاريخ الإسلامي منذ نشوء الدولتين الأموية والعباسية أن تعمير المساجد وبناء المدارس وإقامة دور الأيتام والمشافي وتشييد المكتبات العامة والخاصة بأنها من مسؤوليات الدولة بقدر ما كانت من مسؤوليات الأفراد تجاه

مجتمعهم ، حيث حفلت مصادر التأريخ بالأمثلة العديدة لما قام به الأفراد من وقف للمكتبات الخاصة لصالح العامة من طلبة العلم"(١٦).

- بحث لراشد بن سعد القحطاني بعنوان: **(وقفية مكتبة شيخ الإسلام عارف حكمت)** وهي إحدى المكتبات الوقفية بالمدينة المنورة التي سيتناولها البحث. وموضوع هذا البحث دراسة وتحليل لوثيقة واقف المكتبة الشيخ عارف حكمت. يقول الباحث في ملخص بحثه: "تتناول هذه الدراسة وثيقة وقف شيخ الإسلام عارف حكمت على مكتبته العامة بالمدينة المنورة، دراسة وتحقيق. وتشتمل الوثيقة على مجموعة الأعيان الموقوفة مثل بعض العقارات والدكاكين والحدائق إلى غير ذلك من الأوقاف سواء في تركيا أو في المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام"(١٧). وتعرض الباحث في تناوله للجوانب المختلفة للوثيقة لكل ما يتصل بأعمال المكتبة مثل تطوير بناء المجموعات وصيانتها، وكذلك الخدمة المكتبية، وخدمات المستفيدين. كما استعرض الباحث مجموعة البحوث والدراسات التي تناولت وقفية مكتبة شيخ الإسلام من جوانبها المتعددة، وذلك فيما يتصل بالمكتبة وخدماتها.

- بحث بعنوان: **(من وثائق وقف الكتب بالمدينة المنورة في القرن العاشر الهجري)** أعده عبد الرحمن بن سليمان المزيني يتناول بالتحليل الحجج (الصكوك الشرعية) لاستنباط واستخراج معلومات توضح بعضا من صور الحياة في العصور السابقة. يقول الباحث في ثنايا بحثه: "وبدراسة حجج الأوقاف دراسة متأنية يمكن للباحث أن يخرج بقدر من المعلومات الجديدة التي لا نظير لها في كتب التاريخ ومصادره المألوفة، عن أحوال الناس الدينية والثقافة والاجتماعية والاقتصادية. وهذه محاولة للوقوف على بعض نصوص وقفيات الكتب في المدينة المنورة - عاصمة الإسلام الأولى - التي اشتهرت بكثرة مكتباتها الخاصة بالعلماء والمدارس والأربطة التي تزخر بالمخطوطات الكثيرة المتنوعة في فنونها تنوع معارف علمائها وحبهم للكتب، وإدراكهم لأهميتها في الدرس والتحصيل"(١٨).

- ومن الدراسات **(فهرس مخطوطات الحديث الشريف وعلومه)** في مكتبة الملك عبد العزيز، والذي قام بإعداده عمار بن سعيد تالمت وذلك في ٧٣٢ صفحة وذكر في المقدمة أن هذا الفهرس: "حوى بين دفتيه تعريفا بما يقارب الألفي مخطوط مما يتصل بعلم الحديث النبوي الشريف ... ومما يميز هذه المخطوطات كون كثير منها كتب بخط مؤلفيها"(١٩).

- ندوة **(مكانة الوقف وأثره في الدعوة والتنمية)** التي عقدت في ١٨-١٩ شوال ١٤٢٠هـ بمكة المكرمة (٢٠) ورعتها وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية.

- **(مؤتمر الأوقاف الأول في المملكة العربية السعودية)** الذي نظمته جامعة أم القرى (٢١) في مكة المكرمة في شعبان ١٤٢٢هـ.

- ندوة **(الوقف في الشريعة الإسلامية ومجالاته)** عقد في الرياض عام ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م برعاية (٢٢) وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية.

- ومن الدراسات التي تتعلق بموضوع البحث دراسة بعنوان **(أثر الوقف الإسلامي في الحياة العلمية بالمدينة المنورة)** أعدتها سحر بنت عبد الرحمن الصديقي. وطبعها مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، وتقع في ٥٠٠ صفحة وتناولت فيه ثلاثا من المكتبات الوقفية إضافة إلى معلومات عن بعض مكتبات الأربطة والمدارس، وتناولت الدراسة بقية المكتبات بالمدينة المنورة سردا حسب ذكر بعض المصادر لها، ذلك أن هدف هذه الدراسة معرفة أثر الوقف على الحياة العلمية والتعليمية بالمدينة المنورة . وفي معرض حديث المؤلفة عن المكتبات الوقفية بالمدينة المنورة تقول: "تجمع في المدينة في العهد العثماني مكتبات عظيمة، ألحق معظمها بالمسجد أو

خارجه، والتي تكون في الغالب موقوفة لمصلحة الطلاب الذين يدرسون بالمسجد، مما جعل المدينة بجانب دورها الديني وقداستها تلعب دورا هاما في مجال العلم والتعلم، بما احتوته مكتباتها من كنوز المخطوطات ونفائسها، التي توسعت وتطورت من خلال الوقف وتبرعات السلاطين والملوك والعلماء والأثرياء ، وتنوعت هذه المكتبات إلى مكتبات عامة كمكتبات المساجد والجوامع والأربطة والمدارس ، أو المكتبات التي أنشأها الخليفة أو الحاكم أو الأثرياء، ومكتبات خاصة يملكها العلماء والفقهاء وغيرهم"(٢٣).

- وتم إنجاز دراسة بعنوان **(مكتبات المساجد دراسة تاريخية)** لمكي نسيب السباعي(٢٤)، وهي دراسة تاريخية لمكتبات المساجد في العالم الإسلامي وقد تناول ضمن عرضه التاريخي مكتبة المسجد النبوي الشريف وصولا إلى الحريق الذي ألمّ بالمسجد وبالمكتبة عام ٨٨٧هـ وتعويض السلطان الأشرف قايتباي المسجد بمكتبة عوضا عنها، كما تناول تاريخ بعض المكتبات الوقفية بالمدينة المنورة والتي يستفاد منها في موضعه عند رصد المراحل التاريخية للمكتبات الوقفية بالمدينة المنورة.

- واستفاد البحث من كتاب **(أحكام الكتب في الفقه الإسلامي)** الذي أعده ياسين بن كرامة الله مخدوم ، وتناول فيه بالبحث الأحكام الفقهية المختصة بالكتب ، ودرسها من خلال الأدلة الشرعية ، وفي الفصل الثاني من هذا الكتاب بسط البحث في أحكام الكتب الموقوفة من حيث الرهن ، وطرق ثبوت وقفية الكتب إضافة إلى الإعارة والرهن ، وقال في مقدمة كتابه مبررا تأليفه هذا الكتاب: "وقد ظلت الكتب المدونة أعظم عامل في حفظ العلوم والمعارف ونقلها للأجيال اللاحقة ، وظلت الكتب المعلم الأبرز في تطور الحضارات الإنسانية ... أما علماؤنا وفقهاؤنا رحمهم الله فقد كان منهم الاهتمام الأكيد بالكتب ، فقرروا أحكامها الفقهية في أكثر من باب من أبواب الفقه ... ولهذا فإن المتأمل في المدونات الفقهية وكتب الفروع يلاحظ الحاجة إلى جمع الأحكام الفقهية المختصة بالكتب ، ودراستها من خلال الأدلة الشرعية ، ومن خلال ما ذكر في كتب الفروع الفقهية ، وعرض آراء العلماء فيها"(٢٥).

- **(مؤتمر الأوقاف الرابع في المملكة العربية السعودية)** الذي نظمته الجامعة الإسلامية (٢٦) بالمدينة المنورة بالتعاون مع وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية في جمادى الأولى ١٣٣٤هـ .

- المجموعة الثانية (مصادر أخرى مطبوعة عن أحكام الوقف والمكتبات بشكل عام)

لعل من أوائل من كتب عن وقف الكتب والمكتبات عبد اللطيف إبراهيم علي في كتابه **(دراسات في تاريخ الكتب والمكتبات الإسلامية)** الذي نشر عام ١٩٦٢م بالقاهرة، وما يميز كتابه اعتماده على نصوص وثائقية قام بنشرها، كما تعرض في كتابه لعدد من المباحث في مجال وقف المكتبات منها (المكتبة المملوكية) وسرد واقع المكتبات في العصر المملوكي ، كما وضح بعضا من العمليات الإجرائية التي كانت تتم في ذلك العهد مثل عملية اختيار الكتب وتزويد المكتبة بها وتزويدها بالأدوات، إضافة إلى وقف منزل ومكتبة خاصة بما فيها كما ورد في وثيقة علي بن سليمان الابشادي المسجلة في عام ٩١٩هـ. ومن الوثائق التي أوردها وثيقة وقف الأمير محمد بك أبو الذهب بتاريخ ١١٨٨هـ والتي نص فيها على: "وقف مكتبته على طلبة العلم بجامعه"(٢٧).

- وتناول محمد ماهر حمادة تاريخ المكتبات الإسلامية (٢٨) في كتابه **(المكتبات في الإسلام: نشأتها وتطورها ومصائرها)** وذكر عدداً من المكتبات الوقفية مؤكدا أن الوقف كان يعد مصدرا هاما من مصادر تزويد الكتب وحبسها على المكتبات ، وكان للمكتبات نصيب موفور من حسنات المحسنين وأوقاف الواقفين، حيث درج الخلفاء والحكام والأغنياء وأهل الخير على أن يوقفوا أشياء كثيرة على المساجد والمدارس ولذا كان الوقف يعد مصدرا مهما من مصادر تزويد المكتبات بالكتب.

ـ وفي مقدمته لكتاب (**التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة**) يورد الناشر(٢٩) السيد أسعد طرابزوني معلومات قيمة عن الصعوبات والمشاكل التي تعرضت لها مكتبات المدينة المنورة في أواخر زمن الدولة العثمانية، والمعاناة التي لقيها في سبيل الحصول على نسخة هذا الكتاب لنشره، ومحاولة والده مع العثمانيين لاسترجاع ما نهبه الجنود الأتراك من مكتبات المدينة.

ـ وفي دراسة تاريخية وثائقية عن الأوقاف في مصر ألف محمد محمد أمين(٣٠) كتابه (**الأوقاف والحياة الاجتماعية**) ويتوسع شرح نظام الأوقاف في مصر قبل الإسلام وبالتفصيل خلال العصر المملوكي للفترة (٦٤٨ـ٩٢٣هـ) وتعرض للعلاقة بين الأوقاف واستخدام السلطان صلاح الدين الأيوبي لها في الحياة الدينية، والحياة الثقافية، والحياة الاقتصادية. وفي الفصل الخامس تناول المدارس الوقفية ومكتباتها، والوقف على زوايا العلم بالمساجد.

ـ وفي كتابه (**الوقف وبنية المكتبة العربية**) تناول يحيى محمود بن جنيد عددا كبيرا من المكتبات الوقفية في العالم الإسلامي شرقا وغربا، ومنها مكتبة المسجد النبوي ومكتبة عارف حكمت ، وتناول عددا من المكتبات الوقفية بالمدينة المنورة ولكنه لم يشملها جميعا ، وخاصة المكتبات الوقفية التي دمجت فيما بعد في مكتبة الملك عبد العزيز ، وقد أورد البحث معلومات جد قيمة في موضوع المكتبات الوقفية. يقول المؤلف: "وتهدف هذه الدراسة إلى توضيح نشأة ومسار المكتبة العربية التي اعتمدت على الوقف أو قامت عليه ، دون تناول المكتبات الخاصة أو تلك التي لم يثبت ما يؤيد وقفها كل ذلك اعتمادا على الشواهد التراثية طالما توفرت ، مع الاستعانة بأعمال حديثة عند عدم توفر النص التراثي ... وتنطلق الدراسة من مجموعة من المسلمات التي تتمحور حول التالي:

١ـ أن وقف الكتب عند المسلمين كان العامل الأساسي في توفير المعرفة لطلاب العلم على مدى قرون طويلة.

٢ـ أن هذا النمط من الوقف أسهم في انتشار المكتبات بأنواعها المختلفة في التاريخ الإسلامي.

٣ـ أن الكتب الوقفية تبددت وفقد منها الكثير نتيجة للإهمال وتعرضها للسرقة والنهب.

٤ـ أن أغلب التراث العربي الإسلامي الذي تضمه المكتبات في العالم كان نتيجة لتجميع المكتبات الوقفية في العصر الحديث ، أو التصرف في المكتبة الوقفية بالبيع وبالتالي قيام أفراد أو هيئات بشرائها ووضعها في مكتبات من جديد"(٣١).

ـ ومن المصادر كتاب (**صور من الحياة الاجتماعية بالمدينة المنورة**) لياسين أحمد الخياري (٣٢) ذلك أن والده كُلِّف من قبل الدولة السعودية بإدارة مكتبة المسجد النبوي الشريف في عام ١٣٥٩هـ حيث ضم والده مجموعته الخاصة إلى ١٣ مصدراً آخر تم تجميع الكتب منها لتكون نواة لإعادة مكتبة الحرم النبوي لدورها الريادي.

ـ وفي كتابه (**فصول من تاريخ المدينة المنورة**) أورد علي حافظ معلومات عن عدد من مكتبات المدينة العامة والخاصة، بعضها اندثر والبعض لا زال قائما، وأهم ما تناوله من المكتبات تلك التي كونت مجموعاتها المكتبة العامة التي أنشئت بقرار من الملك سعود بهدف الحفاظ على المكتبات الوقفية المتناثرة حول المسجد النبوي عندما بدأت عملية الإزالة للأحياء المجاورة له بهدف توسعته(٣٣).

ـ وتناول حمد الجاسر في كتابه (**رسائل في تاريخ المدينة**) وصفا للمكتبات بالمدينة المنورة واستعرض حادثة حريق الحرم النبوي الشريف عام ٨٨٦هـ وبالذات ما أصاب الكتب والمصاحف والربعات من ذلك الحريق(٣٤).

ـ وفي كتابه (**علم المكتبات والمعلومات ، دراسات في المؤسسات والإنتاج الفكري**) يقدم محمد فتحي عبد الهادي شرحا وافيا لمعالجة فهرسة المخطوطات العربية، فيقول: " إذا كان رصيد المخطوطات يمثل ثروة وطنية ـ بما يضمه هذا الرصيد من فكر يجب الحفاظ عليه وصونه والانتفاع به ـ فإنه من الضروري الكشف عن هذا

الرصيد وإتاحته للباحثين بالطريقة التي تمكن الاستفادة منها ومن هنا تبدو أهمية فهرسة المخطوطات وتصنيفها"(٣٥). وهذا البحث يعرض فيه المؤلف نموذج بطاقة لفهرسة المخطوطات يمكن الاستفادة منها، يقول عنها: " وقد اعتمدت اللجنة لإتمام عملية الفهرسة نموذجا لبطاقة الفهرسة، تتضمن خلاصة التجارب السابقة في فهرسة المخطوطات العربية ، مع الإفادة بما يلائم طبيعة المخطوطات العربية من قواعد الفهرسة الأنجلو - أمريكية"(٣٦).

- يعتبر كتاب (**مكتبة الملك عبد العزيز بين الماضي والحاضر**) لعبد الرحمن سليمان المزيني من المصادر المهمة التي تتحدث عن مجموعة من المكتبات الوقفية الموجودة حاليا بالمدينة المنورة، فالكاتب مدير للمكتبة لسنوات طويلة عايش نموها وتطورها، وفضلا عن تخصصه في مجال المكتبات والمعلومات فقد ساهم في تنفيذ واحدة من أهم الندوات عن المكتبات الوقفية والتي عقدت في نفس المكتبة خلال الفترة من ٢٥ إلى ١٤٢٠/١٠/٢٧هـ. يقول عبد الله عبد المحسن التركي في مقدمة الكتاب: "وهذا الكتاب يعد مصدرا للمعلومات عن المكتبة ، فقد تناولت فصوله: نشأة مكتبة الملك عبد العزيز وقاعاتها والتنظيم الإداري فيها، والمجموعات العامة والخاصة بها، وفصّل القول عن المكتبات الموقوفة والتعريف بأصحابها، والتعريف بالإجراءات الفنية من تنمية للمجموعات وفهرستها وتصنيفها، إلى جانب إيضاح الخدمات التي تقدمها المكتبة للمستفيدين، واستخدام الحاسب الآلي"(٣٧). ويلقي هذا المصدر الضوء على أنواع من المكتبات الوقفية، هي أربع مكتبات عامة ، وسبع مكتبات مدرسية وقفية، وثلاث مكتبات أربطة، وتسع مكتبات وقفية خاصة تقع جميعا تحت مظلة مكتبة الملك عبد العزيز. ولا يعني هذا أنَّ هذه هي جميع المكتبات الوقفية بالمدينة ذلك أن كلا من مكتبة المصحف ومكتبة المسجد النبوي الشريف مستقلة بذاتها في داخل المسجد، إضافة إلى عدد من المكتبات الوقفية الخاصة التي يحتفظ بها أهلها، وأخرى تقع ضمن مدارس وقفية.

- والمصدر الثاني كتاب (**نثر القلم في تاريخ مكتبة الحرم**) لمؤلفه محمد عبد الله باجوده وقد تناول فيه تاريخ إنشاء مكتبة الحرم المكي الشريف منذ القدم والى زماننا الحاضر حيث يقول: "كانت هذه البلاد (مكة المكرمة والمدينة المنورة) أعظم بلاد الإسلام قاطبة ازدحاما بالكتب ودور الكتب، لأن قداسة هذه البقاع الطاهرة دفعت الملوك والأمراء والنجباء الموسرين إلى التقرب إلى الله بما يهدونه إليها وأن يجعلوها منار علم وهدى وذلك من خلال إهدائهم للمكتبات وما تتضمنه من أنفس كتب التراث، ويحبسون عليها الأوقاف العظيمة ينفق من ريع تلك الأوقاف على القائمين بأمر الكتب"(٣٨). كما يورد مقارنة هامة يؤيد فيها ما ذهب إليه أحمد عبد الغفور عطار من كون ما حوته مكتبات المدينة المنورة يفوق ما توافر في مكة المكرمة والمدن السعودية الأخرى يقول: "وتعتبر المدينة المنورة أكثر المدن السعودية ازدحاما بالكتب ... حتى أصبحت رقعة المدينة الضيقة مزدحمة بالمكتبات ونفائس المخطوطات والنوادر والذخائر، ويضيف العطار في مؤلفه: أن المدينة المنورة تعرضت لفتن وأحداث أرهقت المكتبات إرهاقا وضاع منها عشرات الآلاف من المخطوطات النفيسة احتوتها المكتبات العالمية"(٣٩).

- ويؤكد سليمان عبد الله أبا الخيل في كتابه (**الوقف وأثره في تنمية موارد الجامعات**) الدور الفاعل للوقف في العملية التعليمية قديما وحديثا، يقول المؤلف: "الوقف يعتبر موردا ثابتا، والموارد الثابتة تمثل حلا نموذجيا يسند عمليات التعليم بتخطيطاتها المستقبلية، وهي الطريقة الأمثل والتطبيق الواعي لما دعا إليه الإسلام من التعلم والتعليم، ونشر المعرفة، وإتاحته لجميع أبناء المجتمع"(٤٠). وتناول الكاتب في المبحث الثالث من الفصل الأول وقف الكتب والمكتبات وقسمه إلى موضوعين: وقف كتب العلم الشرعية، ووقف الكتب المحرمة. وأورد في المطلب الثالث من الفصل الثاني موضوعا عن أثر الوقف في إنشاء المكتبات وتطويرها.

- وعن أوقاف الكتب والمكتبات في المغرب يطالعنا كتاب (**تاريخ الأوقاف الإسلامية في عصر السعديين**) لمؤلفه مصطفى بنعلة والذي يتناول في الباب الخامس من الجزء الثاني الخزانة العلية بمدينة فاس باعتبارها من أهم آثار الوقف العلمي بالمغرب منذ عصر السعديين ومما ورد في كتابه حول هذا الموضوع قوله: "وإذا أردنا أن نقدم لهذا الموضوع تجد أن السعديين لم يخرجوا عن السنة المتبعة في بناء الخزانات والوقف عليها"(٤١).

- وألف عبد العزيز كعكي موسوعة (**المدينة المنورة قديما وحديثا**) (٤٢) أورد في الجزء السادس منها معلومات عن بعض مكتبات المدينة، تميزت بالرسومات الهندسية التي تصف بناء مكتبة الشيخ عارف حكمت، وكذلك مكتبة المدينة العامة، بحكم التخصص الهندسي للمؤلف.

- وصدر حديثاً عن الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي كتاب بعنوان (**مكتبة المسجد النبوي بين النشأة والتطوير**)(٤٣) يحتوي على كثير من المعلومات عن تاريخ المكتبة ونشأتها، والمراحل التي مرت بها.

٠/١١. فصول الدراسة :

تحتوي هذه الدراسة على مقدمة وخمسة فصول وخاتمة وهي كالتالي :

٠/١١/١. المقدمة وتشتمل على:

موضوع الدراسة، ومشكلتها، وتساؤلاتها، وأهميتها، وأهدافها، وحدودها، ومنهجها، وأدوات جمع البيانات، والمصطلحات المستخدمة في الدراسة، والدراسات السابقة، وفصول الدراسة.

٠/١١/٢. الفصل الأول: الوقف: تعريفه وأحكامه، وأثره على الكتب والمكتبات الوقفية:

ويعرف بالوقف: نشأته، مفهومه، أحكامه الشرعية، وتأثيره في المكتبات، وبعض الأحكام الفقهية الخاصة بالكتب والمكتبات، وحكم وقف الكتب على مدرسة، وحكم الإعارة، وتعريف المكتبة الوقفية، ثم مزايا وسلبيات وقف المكتبات.

٠/١١/٣. الفصل الثاني: أنواع المكتبات الوقفية، ونماذجها في الحضارة الإسلامية

يتم في هذا الفصل سرد أنواع المكتبات الوقفية حسبما توصلت إليه هذه الدراسة، ثم يذكر نماذج لها في الحضارة الإسلامية في الأقاليم المختلفة، وذلك بدءاً من المكتبات الوقفية في الحرمين الشريفين، ثم العراق وبلاد ما وراء النهر، وفلسطين وبلاد الشام، ثم مصر وبلاد المغرب والأندلس، ويختم باليمن.

٠/١١/٤. الفصل الثالث: تاريخ المكتبات الوقفية بالمدينة المنورة:

يرصد هذا الفصل بداية الكتب والمكتبات في المدينة المنورة منذ زمن الصحابة، ثم أنواع المكتبات الوقفية بالمدينة المنورة منذ الخلافة العباسية، وزمن دولة المماليك، إلى سلاطين العثمانيين. وذلك باستعراض تاريخ المصاحف التي تحولت إلى مكتبة المصحف، ثم مكتبة المسجد النبوي الشريف، ثم المكتبات الوقفية المختلفة، ويختم بإحصائية ميدانية للمصاحف والمخطوطات الموجودة حاليا في المكتبات الوقفية بالمدينة المنورة.

٠/١١/٥. الفصل الرابع: المكتبات الوقفية بالمدينة المنورة في العصر السعودي:

يستعرض هذا الفصل اهتمام الدولة السعودية بالمكتبات الوقفية عموماً، والمكتبات الوقفية بالمدينة المنورة خصوصا. ويصف محتوياتها من المخطوطات والكتب والمقتنيات، وفهارسها ونظم التصنيف المعمول بها، والخدمات التي تقدمها حاليا ممثلة في: مكتبة المصحف، ومكتبة المسجد النبوي الشريف، ثم مكتبة المدينة المنورة العامة، وبعد ذلك مكتبة الملك عبد العزيز والمكتبات الوقفية المدمجة بها، ثم المكتبات الوقفية الخاصة.

٦/١١/٠. الفصل الخامس: مستقبل المكتبات الوقفية بالمدينة المنورة في البيئة الرقمية:

يعرف بعصر صناعة المعلومات، والمكتبات الرقمية خصوصا، ويتناول أفق مستقبل المكتبات الرقمية الوقفية، ويرصد دخول المكتبات الوقفية بالمدينة المنورة في عصر تقنية المعلومات، من خلال المكتبات الرقمية في المسجد النبوي الشريف وغيره. ويتناول المستقبل المأمول لهذه المكتبات.

١٢/٠. الخاتمة:

١/١٢/٠. النتائج

٢/١٢/٠. التوصيات

٣/١٢/٠. المصادر العربية والأجنبية

٤/١٢/٠. الملاحـــق

هوامش المقدمـــة

١. حماد، سامي زين العابدين. **مصادر التشريع ونظم الحكم والإدارة في الإسلام: موسوعة الإدارة في الإسلام. مصادر التشريع ونظم الحكم** .- جدة: دار العلم للطباعة والنشر، ص ٣٢.

٢ـ جنيد، يحيى محمود ساعاتي. **الوقف وبنية المكتبة العربية** .- الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م، ص ٩.

٣ـ المرجع السابق، ص٣٢.

٤ـ طاشكندي، عباس صالح . **دور القطاع الخاص في دعم المكتبات الوقفية في المملكة العربية السعودية**.- بحوث ندوة المكتبات الوقفية في المملكة العربية السعودية، المدينة المنورة ٢٥ـ٢٧محرم ١٤٢٠هـ، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الرياض: مطابع الحميضي ، ص ٦٣٧.

٥. جنيد...، **الوقف وبنية المكتبة العربية**، ص٦٩.

٦. حمادة، محمد ماهر . **المكتبات في الإسلام: نشأتها وتطورها ومصائرها** .- ط٢ .- بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٣٨٩هـ ١٩٧٨م ، ص ١٠.

٧. السعد، صالح بن عبد الرحمن . **الوقف في الإسلام ودوره في تنمية المجتمع** . - ط١.- جدة: دار الأندلس الخضراء، ١٤٢٠هـ ، ص ٩ـ١٠.

٨. المرجع السابق، ص ١٠.

٩. المرجع السابق، ص ٢٩.

١٠. عشوب، عبد الجليل عبد الرحمن . **كتاب الوقف** .- ط١.- القاهرة: دار الآفاق العربية، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ص٤٦.

١١. السعد...، **الوقف في الإسلام**، ص ٣٠.٣١.

١٢. Tashkandy, Abbas Saleh. "**A Descriptive Catalogue of the Historical Collection of the Scientific Manuscripts at the Library of 'Arif Hikmat in Medina**", Saudi Arabia.- Unpublished Doctoral Dissertation Submitted to University of Pittsburgh: 1974. P.1,6.

١٣ـ ابن دهيش، عبد اللطيف عبد الله. "مكتبات المدينة المنورة في العهد العثماني". **مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية**، جامعة الملك عبد العزيز، س٣، ع٣، مكة المكرمة: فرع جامعة الملك عبد العزيز، ١٣٩٨/٩٧هـ، ص١٤.٧.

١٤ـ التونسي، حمادي علي محمد . **المكتبات العامة بالمدينة المنورة، ماضيها وحاضرها**.- (رسالة ماجستير) إشراف عباس صالح طاشكندي، كلية الآداب، قسم المكتبات والمعلومات، جامعة الملك عبد العزيز، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

١٥ـ النملة، علي ابن إبراهيم . **أوقاف الكتب والمكتبات: مدى استمرارها ومعوقات دوام الإفادة منها**.- بحوث ندوة المكتبات الوقفية في المملكة العربية السعودية، المدينة المنورة ٢٥ـ٢٧محرم ١٤٢٠هـ، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الرياض: مطابع الحميضي ، ص٥٥٢ـ٥٦٦.

١٦ ـ طاشكندي، عباس صالح. "**دور القطاع الخاص في دعم المكتبات الوقفية في المملكة العربية السعودية. بحوث ندوة المكتبات الوقفية في المملكة العربية السعودية**". بحوث ندوة المكتبات الوقفية في المملكة العربية السعودية، المدينة المنورة ٢٥ـ٢٧محرم ١٤٢٠هـ، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الرياض: مطابع الحميضي، ص٦٣٧ـ٦٣٨.

١٧ـ القحطاني، راشد بن سعد. **وقفية مكتبة شيخ الإسلام: عارف حكمت**. - بحوث ندوة المكتبات الوقفية في المملكة العربية السعودية، المدينة المنورة ٢٥ـ٢٧محرم ١٤٢٠هـ، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الرياض: مطابع الحميضي، ص٧٥٥.

١٨ـ المزيني، عبد الرحمن ابن سليمان المزيني. "**من وثائق وقف الكتب بالمدينة المنورة في القرن العاشر الهجري**". بحوث ندوة المكتبات الوقفية في المملكة العربية السعودية، المدينة المنورة ٢٥ـ٢٧محرم ١٤٢٠هـ، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الرياض: مطابع الحميضي ، ص٦.

١٩ـ وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، مكتبة الملك عبد العزيز، **فهرس مخطوطات الحديث الشريف وعلومه**.– الرياض: مطابع الحميضي،١٤٢٠هـ.

٢٠ـ وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد،المملكة العربية السعودية. **ندوة مكانة الوقف وأثره في الدعوة والتنمية**.– مكة المكرمة: ١٨ـ١٩ شوال ١٤٢٠هـ

٢١ـ جامعة أم القرى. **مؤتمر الأوقاف الأول في المملكة العربية السعودية**.– مكة المكرمة: شعبان ١٤٢٢هـ.

٢٢ـ وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية. **ندوة الوقف في الشريعة الإسلامية ومجالاته**.– الرياض: عام ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

٢٣ـ الصديقي، سحر عبد الرحمن . **أثر الوقف الإسلامي في الحياة العلمية بالمدينة المنورة** . – المدينة المنورة: مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، ١٤٢٤هـ /٢٠٠٣م ، ص٤٢.

٢٤ـ السباعي، مكي نسيب. **مكتبات المساجد دراسة تاريخية**.– ترجمة هاشم فرحات السيد، محمد جلال غندور، ط١.– الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٢٧/٢٠٠٦م. ص١٥١ـ١٥٣.

٢٥ـ مخدوم، ياسين بن كرامة الله . **أحكام الكتب في الفقه الإسلامي** .– ط١.– الرياض: دار كنوز إشبيليا، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م، ص ٧،٨.

٢٦ـ وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية. **مؤتمر الأوقاف الرابع في المملكة العربية السعودية**.– الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، جمادى الأولى ١٣٣٤هـ.

٢٧ـ إبراهيم، عبد اللطيف. **دراسات في تاريخ الكتب والمكتبات الإسلامية**.– القاهرة: مطابع دار الشعب،١٩٦٢م، ص٥٠.

٢٨ـ حمادة، محمد ماهر. **المكتبات في الإسلام: نشأتها وتطورها ومصائرها**.– ط٢.– بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٣٨٩هـ/١٩٧٨م، ص١٧٢.

٢٩ـ السخاوي، شمس الدين محمد. **التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة**.– القاهرة: مطبعة دار نشر الثقافة، الناشر السيد أسعد طرابزوني الحسيني، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.

٣٠ـ أمين، محمد محمد. **الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر**.– ٦٤٨ـ٩٢٣هـ/ ١٢٥٠ـ١٥١٧م دراسة تاريخية وثائقية، القاهرة: دار النهضة العربية، ١٩٨٠م، ص٢٦٠.

٣١ـ جنيد...، **الوقف وبنية المكتبة العربية**، ص٢٤.

٣٢ـ الخياري، احمد ياسين. **صور من الحياة الاجتماعية**.– ط١.– جدة: مطابع مؤسسة المدينة للصحافة، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، ص١١٣.

٣٣ـ حافظ، علي. **فصول من تاريخ المدينة المنورة**.– ط٣.– جدة: شركة المدينة للطباعة والنشر، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، ص٢٥٥.٢٦٠.

٣٤ـ الجاسر، حمد. **رسائل في تاريخ المدينة المنورة**.– الرياض: دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ص٧٢.

٣٥ـ عبد الهادي، محمد فتحي. **علم المكتبات والمعلومات دراسات في المؤسسات والإعلام والإنتاج الفكري**.– ط١، القاهرة: مكتبة الدار العربية للكتاب، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ص٢١.

٣٦ـ المرجع السابق، ص٢٧.

٣٧ـ المزيني، عبد الرحمن سليمان . **مكتبة الملك عبد العزيز بين الماضي والحاضر**.– ط١.– الرياض: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ١٤٢٠هـ ، ١٩٩٩م ، ص١١.

٣٨ـ باجوده، محمد عبد الله. **نثر القلم في تاريخ مكتبة الحرم**.ـ الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤٢٣/٢٠٠٢م. ص٥٩.

٣٩. المرجع السابق، ص٦٠.
٤٠- أبا الخيل، سليمان عبد الله. **الوقف وأثره في تنمية موارد الجامعات**.- ط١.- الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود(الإدارة العامة للثقافة والنشر)، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ص١٠.
٤١. بنعلة، مصطفى. **تاريخ الأوقاف الإسلامية بالمغرب في عصر السعديين، من خلال حوالات تارودانت وفاس**.- ط١.- منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المملكة المغربية، ج٢، الرباط: دار أبي رقراق للطباعة والنشر، ٢٠٠٧، ص٧،٨.
٤٢. كعكي، عبد العزيز. **معالم المدينة المنورة بين العمارة والتاريخ**.- ط١.- جدة: مطبعة السروات، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م، ص٦١.
٤٣. الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي. **مكتبة المسجد النبوي بين النشأة والتطوير**.- ط١.-، المدينة المنورة: مطابع السروات،١٤٣٤هـ/٢٠١٣م.

الفصل الأول

الوقف تعريفه وأحكامه، وأثره على الكتب والمكتبات الوقفية

١/٠. تمهيد:

وضع الفقهاء أحكاما وتشريعات خاصة بالوقف، ومنذ البدء مرّت تشريعات الوقف بالكثير من الآراء والاجتهادات، وتطورت من وقت إلى آخر إلى أن استقرت على ما هي عليه الآن، وذلك على مدى القرون الماضية. وكذلك الحال بالنسبة للكتب والمكتبات التي شملها ذلك الأمر، ففي حين أن المكتبات لم تتعرض لخلاف باعتبارها ذات أصول ثابتة، إلا أن الكتب باعتبارها من المنقولات ناقش الفقهاء أمر وقفها، وتم تبادل الرأي فيها إلى أن صار شبه إجماع على جواز وقفها.

وفي هذا الفصل نتناول الوقف وتعريفه وأحكامه العامة من خلال أقوال الفقهاء، وما استقر الأمر عليه في هذا الخصوص. ثم نتناول أحكام وقف الكتب والمكتبات، وبعض الأحكام الفقهية الخاصة بهما، وصولا إلى تعريف المكتبات الوقفية، ثم سرد مميزاتها وسلبياتها.

١/١. تعريف الوقف:

الوقف في لغة العرب مصدر وقف يقف، "يقال وقفت الدار حبستها في سبيل الله"(١) والوقف في اللغة يعني الحبس، نقل السعد عن الرازي:"أحبس فرسا في سبيل الله أي أوقف"(٢). ومن التعريفات الأخيرة للوقف ما ورد في كتاب (أحكام الوصية والميراث والوقف) لزكي شعبان وأحمد غندور:"الوقف: في لغة العرب معناه الحبس والمنع، تقول وقفت الدابة أو السيارة إذا حبستها أو منعتها من السير، وتقول: وقفت الدار إذا منعتها من التمليك بالبيع والهبة والإرث وغيرها، وفي القرآن الكريم "وقفوهم إنهم مسئولون" أي احبسوهم وامنعوهم من السير حتى يسألوا عما ارتكبوا من الجرائم، ولا يقال في الوقف بهذا المعنى (أوقفت) لأنها لغة رديئة أو شاذة، وإنما يقال: وقفت عن كذا بمعنى أقلعت عنه، وأوقفت فلانا عن كذا بمعنى منعته، وأوقفته على حكم كذا بمعنى أطلعته عليه، وكثيرا ما يذكر الوقف ويكون المراد منه الشيء الموقوف، فيقال هذا العقار وقف أي موقوف، ومن هنا جاز جمع الوقف على أوقاف ووقوف، ومن هذا وزارة الأوقاف"(٣).

أما في اصطلاح الفقهاء فالأموال بحسب خلقتها تتوارد عليها الأسباب الناقلة للملكية من يد إلى يد، وليس شيء منها ممنوع من التداول بأي سبب ناقل للملكية، فإذا رأى شخص أن يمنع بعض أمواله عن التداول، ويجعلها خارجة عن نطاق التصرفات الملكية ويتبرع بمنافعها لبعض الأفراد أو الجهات الخيرية، فإن هذا التصرف يسمى في اصطلاح الفقهاء بالوقف، "ويسمى في بعض الكتب بـ"الحبس" وهو عنوان الوقف في "المدونة" وعلى هذا فالوقف مبدئيا وبوجه عام هو: "حبس العين عن التمليك وصرف منفعتها على وجه من وجوه البر والخير"(٤). وقال ابن هبيرة:"هو تحبيس مال يمكن الانتفاع به مع بقاء عينه ، بقطع تصرف الواقف وغيره عن رقبته، وتُصرف منافعه وفوائده إلى وجوه الخير والبر". وقال في تعبير آخر:"أو تحبيس الأصل وتسبيل المنفعة"(٥).

٢/١. نشأة الوقف في الحضارة الإسلامية:

معظم كتب الفقه وأبوابه المعنية بالوقف والتي تتحدث عن أحكامه تستند على حديث النبي صلى الله عليه وسلم الذي رواه البخاري وغيره عن عمر بن الخطاب أنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله: أصبت أرضا بخيبر لم أصب مالا قط أنفس عندي منه فما تأمرني؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن شئت حبست أصلها ، وتصدقت بثمرتها. فجعلها عمر صدقة لا تباع ولا توهب ولا تورث في الفقراء وذوي القربى والرقاب والضعيف وابن السبيل ، لا جناح على من وليها أن يأكل منها بالمعروف ويطعم صديقا له غير متموّل مالا"(٦).

وفي تشريع الوقف (الحبوس) بيّن الرسول صلى الله عليه وسلم الفرق بين الوقف وغيره من الصدقات المندوبة بأنه لا يباع ولا يوهب ولا يورث، ليظل على مدى الدهر صدقة جارية ينتفع المعنيون بها، كما ينتفع صاحب الوقف بأجره على مدى الزمان.

وأول وقف حدث في الإسلام بعد بنائه لمسجد قباء، كان إنشاؤه مسجده صلى الله عليه وسلم بوسط المدينة المنورة، وكان أول عمل شرع فيه بعد بروك ناقته القصواء أن طلب شراء الأرض التي بركت عليها ليبني عليها مسجدا لله تعالى. وبإجماع الفقهاء أن المساجد كلها وقف ولا يجوز الرجوع فيها ولو استدعى الأمر الاستعانة بقوة السلطان. ذكر السهيلي في (الروض الأنف) عن بنيان مسجده صلى الله عليه وسلم فقال: "وذكر بنيان المسجد إلى آخر القصة، وفي الصحيح أنه قال: يا بني النجار ثامنوني بحائطكم هذا حين أراد أن يتخذه مسجدا ، فقالوا: لا والله لا نطلب ثمنه إلا إلى الله، وفي رواية أخرى في الصحيح أيضا:" ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الغلامين فساومهما بالمربد ليتخذه مسجدا، فقالا بل نهبه لك يا رسول الله ، ثم بناه مسجدا"(٧). ولكنه صلى الله عليه وسلم عوضهما عن أرضهما، ودفع قيمتها أبو بكر الصديق وبعض الأنصار.

وكان الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم قد أسس قبله بأيام أول مسجد في الإسلام وهو مسجد قباء في المدينة المنورة، إلا أ ن المصادر لا تسعفنا بالكثير من المعلومات عن هذا الموضوع بمثل الوضوح الذي ورد في بناء مسجده بالمدينة ومثامنته أ ن يدفع قيمة الأرض وامتناع بني النجار عن ذلك وجعلهم إياها صدقة في سبيل الله، وهي إحدى صيغ الوقف المتفق عليها بين العلماء. وذكر ابن هشام: "مسجد قباء "قال ابن إسحاق: فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بقباء، في بني عمرو ابن عوف، يوم الاثنين ويوم الثلاثاء ويوم الأربعاء ويوم الخميس وأسس مسجده، ثم أخرجه الله من بين أظهرهم يوم الجمعة"(٨). وفي نفس الموضوع أورد السهيلي في (الروض): "وذكر ابن إسحاق في هذا الموضع الحديث الوارد في عمار، وهو أول من بنى لله مسجدا عمار بن ياسر، فيقال: كيف أضاف إلى عمار بناء المسجد، وقد بناه معه الناس؟ فيقول إنما عنى بهذا الحديث مسجد قباء، لأن عمارا هو الذي أشار على النبي صلى الله عليه وسلم ببنيانه، وهو جمع الحجارة له فلما أسسه رسول الله صلى الله عليه وسلم استتم بنيانه عمار"(٩).

٣/١. مفهوم الوقف :

الوقف بمعنى (الحبس) من أعمال البر والخير التي ندب إليها النبي صلى الله عليه، وسلم بمعنى أنها غير واجبة على المسلم إلا إذا نواها وحددها، فعند ذلك تصبح ملزمة للواقف. ومما يستدل به على ذلك ما رواه ابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته، علما علمه ونشره، وولدا صالحا تركه، ومصحفا ورثه، أو مسجدا بناه، أو بيتا لابن السبيل بناه، أو نهرا أجراه، أو صدقة أخرجها من ماله في صحته وحياته يلحقه من بعد موته"(١٠). وأيضا ما رواه مسلم

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له"(١١).

وبناء على ما ورد آنفا نجد أن الرغبة الصادقة في الحصول على الأجر العظيم من الله والمساهمة في أعمال البر والخير ومساعدة المحتاجين سواء من الأبناء والذرية، أو فئات المجتمع الأخرى هي العامل المحفز للموقفين على التسابق في هذا الميدان، وكانت العناية بخدمة العلم والعلماء من أهم الأمور التي حض الإسلام على البذل والإنفاق فيها من بين مجالات العمل الخيري، ذلك لأن فضل العلم متعدي إلى الغير ومتعدد الفوائد ويشمل جميع نواحي الحياة وربما امتد ذلك الأثر على مدى أجيال وقرون، ولذلك كان شراء العقار وجعله مكتبة وتزويده بالكتب النافعة مطمحا وهدفا للمحسنين على مدى قرون طويلة من تاريخ الحضارة الإسلامية، يقول محمد ماهر حمادة:"فقد درج الخلفاء والحكام والعلماء والأغنياء وأهل الخير على أن يوقفوا أشياء كثيرة على المساجد والمدارس والمعاهد والمشافي ... ابتغاء ثواب الله تعالى والأجر في الآخرة ... فقد ذكرنا ابن حبان وكيف أنه عمر دارا للعلم في بلده وألحق بها مكتبة وجعلها وقفا، كذلك ذكرنا الصاحب بن عباد الذي أوقف كتبه على مدينة الري "(١٢).

وقد استفاد العلماء والباحثون وطلاب العلم من المكتبات الوقفية على مر السنين وكانت هي عدتهم في النجاح الذي حققوه في مختلف الميادين، وتوصل يحيى جنيد إلى:"أن المكتبة التي تهدف أن تخدم قطاعا واسعا ويقصد منها أن تكون معدة لاستقبال الباحثين والطلاب والدارسين عرفت عند العرب والمسلمين منذ بداية الأمر اعتمادا على الوقف"(١٣). وأكد في بداية كتابه على:"أن الوقف يمثل بؤرة النهضة العلمية والفكرية العربية والإسلامية على مدى القرون، حيث أسهم الواقفون من حكام ووزراء وعلماء وأفراد في مساندة المسيرة العلمية، وبالتالي إتاحة المعرفة لكافة طبقات المجتمع دون أدنى تمييز"(١٤).

١/٤. حكم الوقف:

الوقف ليس من الواجبات في الشرع الإسلامي، فهو من الأعمال المندوب إليها والتي حض عليها الشرع الإسلامي، وذلك لما ينطوي عليه من فضائل متعددة، فهو مساهمة في العمل الخيري للمجتمع، وذِكرٌ حسنٌ لصاحبه ليكون قدوة للغير، فضلا عن الوعد بالأجر والمثوبة من الله عز وجل. إذا فهو من الأعمال الاختيارية للأفراد بمعنى أنه لا يدخل في الواجبات ، يقول صالح السعد:" ومع أن الإسلام لم يفرض الوقف كما فرض الزكاة ، إلا أنه اعتبره نوعا من أنواع الصدقات التي يقصد منها التقرب إلى الله تعالى، ولذلك حث عليه الشارع الحكيم ، ورغب فيه تنمية لروابط الصلة العامة بين المسلمين"(١٥).

ولكن لا يجوز للواقف أن يعود فيه أو أن يلغيه بعد أن يمضيه، لا هو ولا ورثته من بعده، إذ أن الوقف تنتقل منفعته إلى الأشخاص مثل الأبناء أو القرابة الذين حدّدهم الواقف. أو إلى أعمال الخير والبر التي نواها وحددها مثل المساجد والمستشفيات والأربطة والمدارس والمكتبات وغيرها. قال ابن هبيرة عن الأئمة الأربعة: "واتفقوا على جواز الوقف. ويصح الوقف من غير أن يتصل بحكم حاكم أو أن يخرجه مخرج الوصايا"(١٦). وقال ابن قدامة:" والوقف مستحب ومعناه تحبيس الأصل وتسبيل الثمرة"(١٧).

١/٥. الأدلة على لزوم الوقف:

أجمع العلماء على أن الوقف بعد أن يمضيه الواقف وتتوافر فيه الشروط اللازمة لصحته يصبح نافذا ولا يجوز لصاحبه أن يرجع فيه، ولا أيّ من ورثته يحق لهم الرجوع فيه، وقال عن هذا المعنى في كتاب (أحكام الوصية والميراث والوقف): "وإن سائر الأئمة ومن بينهم صاحبا أبي حنيفة "أبو يوسف ومحمد" يرون أن الوقف تصرف لازم لا يجوز للواقف الرجوع عنه ولا أن يتصرف في العين الموقوفة بالبيع والهبة، وإذا مات لا تورث

عنه"(١٨). وبناء على هذا فالوقف لازم لصاحبه فلا يجوز له الرجوع عنه، وهو قول جمهور الفقهاء. ويمكننا الاستدلال على لزومه بما يأتي:

١/٥/١. تشريع النبي صلى الله عليه وسلم له في حديث عمر المشهور، وهو ما رواه البخاري وغيره عن عمر بن الخطاب أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله: أصبت أرضا بخيبر لم أصب مالا قط أنفس عندي منه فما تأمرني؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن شئت حبست أصلها، وتصدقت بثمرتها. فجعلها عمر صدقة لا تباع ولا توهب ولا تورث في الفقراء وذوي القربى والرقاب والضعيف وابن السبيل لا جناح على من وليها أن يأكل منها بالمعروف ويطعم صديقا له غير متمول مالا" وفي بعض روايات هذا الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمر " تصدق بأصله لا يباع ولا يوهب ولا يورث ولكن ينفق ثمره"(١٩). فهذا الحديث يدل دلالة واضحة على أن الموقوف لا يجوز التصرف فيه بالبيع أو الهبة وغيرهما وهذا معنى لزوم الوقف. لأنه لو كان الوقف غير لازم لأبيح للواقف التصرف فيه بعد الرجوع عنه.

٢/٥/١. فعل النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة رضي الله تعالى عنهم بأن حبسوا بعض أموالهم على وجوه البر والخير ومنهم من جعل منافعها في عقبه، وكان ذلك على سبيل التأبيد، ومنع التصرف في الموقوف بالبيع والهبة والإرث، قال صالح السعد:" وقد تصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبعة حوائط (مزارع) بالمدينة، وتصدق أبو بكر رضي الله عنه بداره على ولده من بعده ، وعمر بربعه عند المروة، وعثمان ببئر رومه، وعلي بأرضه بينبع ، والزبير بداره بمكة وداره بمصر وأمواله بالمدينة على ولده وولد ولده وعلى أعقابهم لا تباع ولا توهب ولا تورث، وعائشة اشترت دارا وأوقفتها صدقة، وأسماء بنت أبي بكر تصدقت بدارها وقفا لا يباع ولا يوهب ولا يورث"(٢٠). وإجماع الصحابة يكون دائما موافقا للشرع ولو كان غير موافق لوصلنا ما يفيد باعتراضهم، وما ذكر سابقا من كثرة أوقاف الصحابة هو الذي أشار إليه الإمام مالك موضحا بمشروعية الوقف ولزومه في الرد على الإمام أبوحنيفة النعمان وكان من أثر ذلك أخذ العالمين الحنفيين (أبو يوسف ومحمد) بقول جمهور العلماء وموافقتهم في ذلك فصار إجماع من علماء الأمة عليه. قال السعد:"قال الخصاف:" وقد جاءت هذه الآثار في الوقوف، والذي أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم في أرضه أن يحبس أصلها ويسبل ثمرتها سنة قائمة، وفعل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك وما وقفوه في عقاراتهم وأموالهم إجماع منهم على أن الوقوف جائزة مرضية" وقال ابن قدامة:"وقال جابر: لم يكن أحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ذو مقدرة إلا وقف، وهذا إجماع منهم"(٢١). وقد تبع هؤلاء الصحابة من جاء بعدهم، ولم ينقل إلينا أن أحدا منهم رجع عن وقفه ، فكان ذلك إجماعا عمليا على لزوم الوقف وعدم جواز الرجوع عنه بعد تمامه.

٣/٥/١. إجماع علماء الأمة على لزوم الوقف وانه لا يجوز الرجوع فيه "وقال النووي: بعد أن ذكر حديث عمر رضي الله عنه: "وفي هذا الحديث دليل على صحة أصل الوقف، وأنه مخالف لشوائب الجاهلية ، وهذا مذهبنا ومذهب الجماهير، ويدل عليه إجماع المسلمين على صحة وقف المساجد والسقايات" وقال الصنعاني:" قال القرطبي ردُّ الوقف مخالف للإجماع فلا يلتفت إليه"(٢٢). وقال زكي شعبان:"وإن سائر الأئمة ومن بينهم صاحبا أبي حنيفة (أبو يوسف ومحمد) يرون أن الوقف تصرف لازم لا يجوز للواقف الرجوع عنه ولا أن يتصرف في العين الموقوفة بالبيع والهبة، وإذا مات لا تورث عنه ... ولم يخالف إجماع الأئمة هذا إلا أبو حنيفة النعمان وقد رجع صاحباه أبو يوسف ومحمد بن الحسن وهما من أئمة المذهب الحنفي عن هذا الخلاف، وذلك عندما التقى أبو يوسف بالإمام مالك في المدينة وتكلم معه في لزوم الوقف وقال له مالك: هذه أحباس أهل المدينة خلفهم عن سلفهم، فرجع أبو يوسف عن رأيه الذي كان يراه أولا وهو عدم لزوم الوقف. وكذلك فعل محمد بن الحسن لما ذهب إلى الإمام مالك في المدينة ومكث معه ثلاث سنين وروى عنه الموطأ وقال بلزوم الوقف"(٢٣).

وقد استقر هذا المعنى بالاتفاق على لزوم الوقف بين الفقهاء على مختلف المذاهب، وهو ما عليه العمل إلى يومنا هذا يقول محمد أمين: "ويبدو من هذا أن حجج الذين أجازوا الوقف، كانت أقوى بدليل استمرار نظام الوقف، وأصبح معترفا به من الكافة، ولا يخطر ببال أحد أن يقاومه أو يتشكك فيه. ومهما يكن من أمر، فالأصل في نظام الوقف الإسلامي هو حبس العين عن أن تملك لأحد من العباد، والتصدق بمنفعتها ابتداء على جهة بر لا تنقطع كالفقراء والمساجد، وهو ((الوقف الخيري)) أو التصدق بمنفعتها على من يحتمل الانقطاع واحدا أو أكثر، مما لا يعتبر الصرف إليه صدقة، ثم يجعلها من بعدهم لجهة بر لا تنقطع، كما إذا وقف الواقف على نفسه وذريته، ومن بعدهم للمساكين، ويسمى هذا الوقف ((الوقف الأهلي)) فإذا آل إلى جهة برٍّ صار خيريا"(٢٤).

وبناء عليه شهد العالم الإسلامي كثرة في الأوقاف شملت مختلف أنواع العمل الخيري من رعاية للفقراء والمساكين، والأرامل والأيتام، وكفالة لطلاب العلم الفقراء، وإنشاء للمساجد، والأربطة، والخوانق، والمستشفيات، والكتاتيب، والمدارس، والمكتبات ...الخ. مما أغنى مختلف فئات المجتمع عن الحاجة والعوز. وبلغت من كثرتها أنه لا تكاد توجد دولة في العالم العربي والإسلامي في زماننا الحاضر، إلا وفيها وزارة أو على الأقل إدارة للأوقاف، وهو الأمر الذي يؤكد على عظم البذل والسخاء الذي قام به الأولون تجاه المساهمة الخيرية لمجتمعاتهم.

٦/١. الأحكام الفقهية اللازمة لصحة الوقف :

حرصت الشريعة الإسلامية أشد الحرص على الحفاظ على حقوق الأفراد والجماعات سواء كان ذلك فيما يخص العرض أو المال أو العقل أو غيرها من الضرورات الأساسية، وسدت جميع أبواب الغش والخداع والتحايل الموصلة إلى استباحة حقوق الناس بغير رضاهم أو رغباتهم المشروعة. وفي نفس الوقت حض الإسلام على أعمال الخير والبر المقدمة من الشخص لمنفعة نفسه أو قرابته أو المجتمع، خاصة أنه سيثاب بالأجر المستمر والعظيم في حياته وبعد موته، هذا فضلا عن السمعة الحسنة له على الدوام.

وقد بذل العلماء جهدهم عبر القرون لتوضيح دلالات الشرع والأطر التي وضعها لكل حكم أو حالة من الحالات لتوضيح أحكامها وحدودها، حتى في أعمال البر كانت هناك ضوابط لا بد من توافرها ليكون العمل مقبولا، فبذلك تتم المنفعة ويتم الوصول للهدف بطريقة سليمة وواضحة وبقناعة تامة لجميع الأطراف المعنية بالموضوع، وفي هذا الموضوع أسهب العلماء في دراسة وشرح جميع ما يتعلق بالوقف من حيث التعريف والأحكام والمبررات الشرعية لذلك، الأمر الذي زال معه اللبس في المفاهيم والأحكام، وهي ميزة أخرى للحضارة الإسلامية قلّ أن يوجد لها نظير في الحضارات الأخرى. وفيما يلي جملة من الأحكام المتعلقة بالوقف باعتبارها الأساس الذي يقوم عليه مفهوم الوقف وكيفية تنفيذه ليكون مدخلا لنا لتناول أحكامه في وقف الكتب والمكتبات.

١/٦/١. الشروط اللازمة للواقف:

حدد الفقهاء أربعة شروط يلزم توافرها في الواقف ليكون التبرع بالوقف صحيحا وبالتالي نافذا ولا يجوز الرجوع فيه، يقول السعد:" الوقف كما يقول الفقهاء عقد من عقود التبرعات لذلك يلزم لصحته أن يكون الواقف ممن تتوافر فيهم أهلية التبرع، وهي أهلية الأداء الكاملة بأن يكون بالغا، عاقلا، حرا، غير محجوز عليه لسفه أو غفلة، وهو قول جمهور الفقهاء"(٢٥). ومن خلال التعريف يتضح لنا اتفاق الفقهاء فيما يخص الشروط اللازمة للواقف ، فشرط البالغ يخرج الصغير فلا يقبل منه التصرف لجهله، وشرط العقل يخرج المجنون ومن في حكمه، وشرط الحرية وإن لم يكن متوفرا في زماننا هذا. يعفي المملوك من التصرف في مال سيده. والمحجور عليه لسوء تصرفه، أو مرضه، فيحفظ له ماله من شبهة التبذير أو ما شابه ذلك، والمدين يلزمه إيفاء حقوق الآخرين قبل

التبرع لأمور الخير، وبناء عليه ليكون الوقف نافذا لابد أن يكون الموقف صاحب أهلية لذلك التصرف، وأن يكون له كامل الحرية في التصرف في ماله بناء على الشروط المذكورة أعلاه.

٢/٦/١. الشروط اللازمة في العين الموقفة:

اشترط الفقهاء فيما سيتم إيقافه أربعة شروط ليكون الوقف صحيحا، وبناء على هذه الشروط التي سيرد ذكرها، نجد أنها تنطبق على وقف المكتبات، إذ أنها في حقيقتها عقار معلوم ولا بد أن تكون مملوكة لصاحبها ويمكن فرزها. وأما الكتب فهي من المنقولات إلا أنها استثنيت منها في جواز وقفها، الأمر الذي سيأتي شرحه لاحقا.

٣/٦/١. شروط الواقف

بما أن الواقف هو صاحب القرار في إنشاء الوقف وجعله منجزا، فقد سمح له الشرع أن يشترط ما شاء من الشروط المقبولة لما يرى أن فيه منفعة للوقف، وهذه الشروط محترمة ويجب العمل بها، وينبغي أن يتم تحديد هذه الشروط عند الرغبة في إنفاذ الوقف لا بعده. يقول عبد الجليل عشوب:" وينبغي أ ن يعلم أن المعتبر من الشروط ما اشترط حين الوقف لا ما اشترط بعده، فإذا تم الوقف فليس للواقف بعد ذلك أن يشترط فيه شرطا ما، وإن شروط الواقف كأصله لا يصح الرجوع عنها إلا إذا شرط الواقف أن يغير فيها ما يشاء، ثم إذا غير مرة فليس له أن يغير أخرى إلا إذا اشترط أن يفعل ذلك مرارا وتكرارا"(٢٩). ومثال ذلك ما أورده عن وقف مكتبة مدرسية والمعبر عنها بالخزانة فقال:" وإن وقف مكتبة على مدرسة بعينها وأعد لها خزانة كان الانتفاع بها قاصرا على أهل هذه المدرسة وليس لهم ولا لغيرهم نقلها من محلها. وإن وقفها على طلبة العلم وعين لها مكانا وضعها فيه فلكل طالب علم أن ينتفع بها فقيرا كان أو غنيا لاستوائهما في الحاجة إلى الانتفاع بالكتب، إذ ليس كل غني يجد كل كتاب خصوصا في وقت الحاجة إليه. لكن إن شرط الواقف ألا تخرج من ذلك المكان صح واتبع شرطه، وإن لم يشرط فقد تردد بعضهم في جواز النقل، والأقرب جواز إعارتها لمن لا يخشى منه الضياع من الطلاب لينتفع بها ثم يردها إلى مكانها. ويد مستعير الكتب يد أمانة فلا يضمن ما تلف في يده إلا بالتعدي أو بالتفريط والإهمال. وإن شرط واقف الكتب ألا تعار إلا بتذكرة صح شرطه واتبع لأن فيه منفعة للوقف. وإن شرط ألا تخرج إلا برهن لا يصح شرطه لأنه في يد المستعير أمانة والرهن بالأمانات باطل وإذا أخذ خازن الكتب الرهن فهلك في يده لا ضمان عليه لأن الرهن الباطل أمانة في يد المرتهن"(٢٧).

٧/١. أنواع الوقف:

١/٧/١. الوقف المؤبد في العقارات(كالمساجد،والأربطة،والمكتبات):

الأصل في الوقف التأبيد بمعنى الدوام على مدى الزمن القادم، وهذا يتأتي في العقار وكان منه إيقاف المساجد والمدارس والمارستانات والأربطة والمكتبات، وهذا النوع مجمع على جوازه بين الفقهاء ولا خلاف فيه. ولذلك انتشرت الأوقاف الخيرية والأهلية بأنواعها، في مشرق العالم الإسلامي ومغربه، وعلى مدى قرون متتالية، ولا زالت قائمة ومستمرة إلى الآن.

٢/٧/١. وقف المنقولات(مثل الكتب):

اتفق العلماء على جواز وقف العقار وما في حكمه مثل الأربطة والمستشفيات والمكتبات، واختلفوا في حكم المنقولات، ولكنهم استثنوا منها الكتب بعد فترة من الزمن وأجازوا أن توقف. يقول أحمد بنين في كتابه (تاريخ خزائن الكتب بالمغرب) عن وقف الكتب: "لقد كان وقف المخطوطات ولعدم (وجود) أساس له في سنة الرسول صلى الله عليه وسلم موضوع أخذ ورد بين فقهاء الإسلام، فكان يجب أن يمر قرنان من الزمان لكي يتم هناك اتفاق بهذا الشأن، ويتفق الجميع على العمل به. ولعل أوائل المخطوطات المفروض أنها وقفت حتى وإن كانت المصادر لم تعينها هي المصاحف التي أودعها الخليفة الراشدي عثمان بن عفان في المساجد الكبرى في

العالم الإسلامي. وهكذا فممارسة تحبيس المصاحف منذ عثمان شرعت فيما بعد وقف المخطوطات ... ولم يكن كل الفقهاء على ما سبق ذكره. فبعضهم سمح بوقف المصاحف بدون أن يسمح لذلك بوقف الكتب الأخرى التي لم تكن تعتبر في نفس مكانة النص القرآني الذي تقرر فيه استعمال الوقف ... وذهب آخرون إلى أنه يجري على الكتب ما يجري على المصاحف لأنها تدعو إلى الدين وتساعد على فهمه ... إن وقف المصاحف حسب رأي أبي حنيفة هو جائز ولكنه محدود. فهو يتعلق بالرغبة الكلية للواقف، وبعده برغبة ورثته. فهذا التسامح عند أبي حنيفة مرتبط بالمرونة الذهنية التي اشتهر بها المذهب. وفيما يخص المذاهب الأخرى فالفقهاء الثلاثة الكبار مالك بن أنس المتوفى سنة (١٧٩هـ/٧٩٥م) ومحمد بن إدريس الشافعي المتوفى سنة (٢٠٤هـ/٨١٩م) وأحمد بن حنبل المتوفى سنة (٢٤١هـ/٨٥٥م) قبلوا ضمنيا وقف الكتب إلا أن العمل بذلك لم يتم في ذاك الزمان. فكان يجب أن ننتظر حتى القرن الثالث من الهجرة لكي يتفق الفقهاء على وقف المخطوطات ويشرعونه"(٢٨).

ويذهب ياسين مخدوم في كتابه (أحكام الكتب في الفقه الإسلامي) إلى أن: "الصحيح أن الكتب تحبس ليقرأ فيها لا فرق بينها وبين الخيل تحبس ليغزو عليها، فيتحقق في الكتب معنى الوقف وهو تحبيس الأصل وتسبيل المنفعة كالعقار والأراضي والدور وكل ما يجوز الانتفاع به مع بقاء عينه وكان أصلا يبقى بقاء متصلا. ويضيف: "الخلاف في المسألة يكاد أن يكون مرتفعا؛ فالمعتمد الذي استقرت عليه الفتوى عند الحنفية هو صحة وقفها وهو ما اعتمده المالكية، وهو ما جرى عليه عمل الفقهاء والعلماء في مختلف الأعصار"(٢٩).

وبناء على ما تقدم نصل إلى نتيجة مفادها أن وقف المكتبات وما تحويه من كتب ومقتنيات وأجهزة ومعدات داخل مبناها، قد انعقد عليه الإجماع بين الفقهاء على نفاذه، وذلك لأن صورة الأصول الثابتة واضحة فيها. وبالنسبة لوقف الكتب منفردة فقد مرت بمراحل ليؤصل الفقهاء لها الأحكام، وكان شبه إجماع للفقهاء على جواز وقفها، وخالفهم فيه الحنفية، ولكن منذ القرن الرابع صار الإجماع واضحا ومتفقا عليه بين المشرعين بنفاذ وقفها ومضيه.

٨/١- بعض الأحكام الفقهية الخاصة بوقف الكتب والمكتبات :

من خلال ما سبق يتضح لنا أن وقف المكتبات هو أمر مندوب شرعا، وشائع عرفا بين العلماء عبر عصور التاريخ الإسلامي المتعاقبة، وهو من الأمور التي حرص الخلفاء والأثرياء والأفراد على التنافس فيها، ذلك أن أثرها متعدٍ للآخرين، بانتقالها عبر العصور إلى أجيال قادمة. وفيه تخليد للذكر وتمجيد لسمعة الأشخاص، فضلا عن الأجر المرجو من الله تعالى بسبب بذل المال في خدمة العلم وطلابه. يقول محمد مختار الشنقيطي في شرحه لزاد المستقنع: "كذلك يفضل الوقف بحسب الغايات الموجودة فيه، ولذلك قرر العز بن عبدالسلام رحمه الله في كتابه النفيس **(قواعد الأحكام)** في مسألة الفضائل أن الأعمال تتفاضل بحسب المقاصد والوسائل، فإذا نظرت إلى الوقف على طلبة العلم، من بناء البيوت لهم، أو إعانتهم على الكتب، كإيقاف المكتبات للقراءة والمراجعة والمذاكرة ، وكذلك شراء الكتب وتحبيسها عليهم، ونحو ذلك من الأمور التي تعين طالب العلم على طب العلم، فإن الوقف عليها أفضل، لأنه ليس هناك أحب إلى الله عز وجل من ذكره سبحانه وتعالى، وليس هناك أفضل من طلب العلم، والعلم أفضل من العبادة، كما أخبر صلى الله عليه وسلم عن ذلك بقوله: "وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب" فدل ذلك أن الوقف على العلم أفضل من الوقف على غيره"(٣٠).

وبناء على ذلك صار من المألوف إيقاف الكتب والمكتبات في المساجد والكتاتيب والأربطة والمارستانات وربما كانت مستقلة بذاتها كمكتبات وقفية خاصة أو عامة، ويلزم لذلك مراعاة عدة شروط هي:

١/٨/١. الشروط اللازمة لصحة وقف الواقف للمكتبة:

الشروط الشرعية لوقف المكتبات حددها الفقهاء بأربعة شروط، يلزم توافرها في الواقف ليكون التبرع بوقف المكتبة صحيحا، وبالتالي نافذا ولا يجوز الرجوع فيه، قال في (كتاب الوقف):" لما كان الوقف من التبرعات اشترط في الواقف أن يكون أهلا للتبرع بأن يكون (١) حرا (٢) عاقلا (٣) بالغا (٤) غير محجوز عليه لسفه أو غفلة أو دين"(٣١). فإذا توافرت هذه الشروط كان إيقاف المكتبة سليما وماضيا ولا يجوز الرجوع فيه.

٢/٨/١. الشروط اللازمة في المكتبة التي سيتم وقفها:

اشترط الفقهاء فيما سيتم إيقافه أربعة شروط ليكون الوقف صحيحا الأمر الذي ينطبق أيضاً على المكتبات:

"الأول: أن يكون مالا متقوما سواء كان عقارا أم منقولا.

الثاني: أن يكون معلوما للواقف.

الثالث: أن يكون مملوكا للواقف وقت الوقف ملكا باتا.

الرابع: أن يكون الموقوف مفرزا"(٣٢).

وبناء على هذا فإنه يلزم أن تكون المكتبة في صفة عقار معلوم سواء كان منفصلا أو متصلا، بمعنى آخر أن تكون المكتبة مستقلة بذاتها في مبنى مستقل أو أن تكون ضمن عقار معين مثل شقة في عمارة كما هو حادث الآن في زمننا في شقق التمليك، أو مبنى متصل بمسجد أو بساحته كما هو منتشر في كثير من المدن الإسلامية، ويلزم أن يكون معلوما للواقف ما هو الذي سيتم وقفه لنفي الجهالة، وأيضا أن يكون مملوكا له ملكا باتا في ذلك الوقت.

٣/٨/١. وقف الكتب أو خزانة على مدرسة :

من المعلوم أن الفقهاء اثبتوا صحة الوقف للأصول الثابتة كالعقارات وما في حكمها كالمكتبات، بينما اختلفوا في وقف المنقولات ، ولكنهم استثنوا الكتب من ذلك فصار إجماعا على جواز إيقاف كتاب أو كتب أو خزانة على مسجد أو مدرسة أو مستشفى وغيرها من الأماكن، وقد أورد جنيد قول عبد الله الجبوري:" أن حب المسلمين للعلم وأهله وحث الإسلام على العلم كان وراء استثناء الفقهاء لجواز وقف المنقول الذي جرى بوقفه كالكتب من الأصل العام في الوقف، وهو أن يكون الوقف مؤبدا فلا يصح إلا في العقار لا في المنقول، وجعلوه من باب الاستحسان، وسنده المعروف، ومن هنا نشأ وقف الكتب، وطفق المسلمون، وأهل الخير والإحسان يوقفون الكتب نفعا للناس وحب الخير"(٣٣). وإن كان هذا الرأي جيدا في معناه، فإن أساسه النصوص التي استنبط منها العلماء هذه التشريعات.

ومن خلال هذا يتضح أن التأكيد على تعليم العلم ونشره وتوريث المصحف هو أساس استثناء الفقهاء لجواز إيقاف الكتب من بين المنقولات إذ من المعلوم أن وسيلة العلم هي الكتاب. والمصحف أول كتاب في الحضارة الإسلامية، ويقاس عليه أي كتاب آخر يحمل علما ينتفع به الناس، وبناء على هذا يتضح أن أساس استثناء الفقهاء لجواز إيقاف الكتب من بين المنقولات لم يكن من باب المعروف فقط بل له أصل شرعي مستنبط من تشريع النبي صلى الله عليه وسلم الوارد في الأحاديث النبوية مثله في ذلك مثل السلاح.

وخلاصة الرأي في هذا الموضوع ما ذكره عبد الجليل عشوب عن وقف المنقول استقلالا فقال:"اعلم وفقك الله أن القياس يقتضي عدم صحة وقف المنقول مطلقا، أي سواء وقف تبعا للعقار أم قصدا، وسواء جرى العرف بوقفه أم لا، لأنه لا يتأبد والشرط في الوقف التأبيد. وبالقياس أخذ أبو حنيفة رحمه الله واتفق الصاحبان

على صحة وقف المنقول تبعا للعقار كما قدمنا، وعلى جوازه استقلالا في السلاح والكراع لورود النص بصحة وقفهما. فإن خالد بن الوليد رضي الله عنه وقف دروعا له في سبيل الله وحبس طلحة رضي الله عنه سلاحه وكراعه في سبيل الله، فأجاز النبي صلى الله عليه وسلم ذلك والنص مما يترك به القياس ... ويجوز أيضا وقف المصاحف والكتب على المساجد والمدارس وطلبة العلم عند محمد لجريان العرف بذلك، فإن وقف مصاحف للقراءة في مسجد معين جاز للغني والفقير من أهل هذا المسجد المترددين عليه أن يقرأ فيه، ولا يجوز نقلها منه إلا إذا تخرب وأنفض الناس من حوله"(٣٤).

٤/٨/١. شرط الواقف للمكتبة:

يحق للواقف أ ن يشترط ما يشاء من الشروط التي تفيد المكتبة في حد ذاتها بأن تحافظ على مقتنياتها، وهي ملزمة لناظر المكتبة والقائمين عليها، ويلزم الأخذ بها والحرص على تنفيذها.

وشروط الواقف كما مر بنا محترمة ويلزم تنفيذها ما لم تكن مخالفة للشرع أو مضرة بالمنشأة وهي هنا المكتبة الوقفية. فبالنسبة للإعارة فهي وإن كانت عرفا في مجال المكتبات معمولا بها فإنها تتبع شرط الواقف. فإذا منع الواقف إعارتها يلزم اتباع شرطه. وإن لم يشترط فقد اختلف في هذا الأمر كما مر إيضاحه سابقا، قال عشوب في هذا الموضوع:" لكن إن شرط الواقف ألا تخرج من ذلك المكان صح واتبع شرطه، وإن لم يشرط فقد تردد بعضهم في جواز النقل والأقرب جواز إعارتها لمن لا يخشى منه الضياع من الطلاب لينتفع بها ثم يردها إلى مكانها، ويد مستعير الكتب يد أمانة فلا يضمن ما تلف في يده إلا بالتعدي أو بالتفريط والإهمال وإن شرط واقف الكتب ألا تعار إلا بتذكرة صح شرطه واتبع لأن فيه منفعة للوقف"(٣٥).

وخلاصة الموضوع أن العبرة بشرط الواقف فهو الأساس في هذا الأمر، وهو الذي يجب إتباعه وتنفيذه، فإن لم يكن هناك شرط واضح بخصوص الإعارة تم الأخذ بما هو متعارف عليه في مجال عمل المكتبات مع الحرص على أن لا يضر ذلك بمحتويات ومقتنيات المكتبة ويعرضها للتلف والضياع.

ونورد فيما يلي أمثلة على بعض شروط الواقف وذلك فيما يخص عمل المكتبات في بعض جوانبها مثل اختيار الأمناء أو إعارة الكتب، وذلك لتوضيح أهمية شرط الواقف ومدى حرصهم على أن يكون بيناً ومفهوما. فعن اختيار أمين المكتبة يقول محمد أمين: "وأشرف على خزانة الكتب من أطلق عليه في ذلك العصر اسم (خازن الكتب) أو (شاهد خزانة الكتب) أو (خازن الكتب والربعات الشريفة) وكان يشترط فيه أن يكون ثقة خيرا أمينا يقظا، ذكيا فطنا عاقلا مأمونا، بالغا في الأمانة، والثقة، ونزاهة النفس، وقلة الطمع، قادرا على القيام بخدمة الكتب وترتيبها. وقد حرص الواقفون على أن يتولى هذه الوظيفة أحد العلماء أو الأدباء ليكون عونا للطلبة والباحثين في إرشادهم إلى ما يحتاجون إليه من مراجع. ومن أمثلة ذلك ما نص عليه السلطان المؤيد شيخ في وثيقة وقفه من أن يتولى هذه الوظيفة مع وظيفة الخطابة أبو عبد الله محمد بن البازي، ومن بعده لمن يصلح من ذريته"(٣٦).

وعن مهامه والواجبات المناطة به يقول: "وقد حددت وثائق الوقف مهمة أمين المكتبة في العصر المملوكي بالتفصيل. وتبدأ هذه المهمة بأن يقوم الناظر بتسليم الكتب إلى أمين المكتبة، ويشهد عليه بتسلمها، فجاء في وثيقة السلطان الغوري: ويسلمه جميع ما فيها من الكتب من تفسير وحديث وفقه ولغة ومعان وبيان وبديع وأصول فقه وأصول دين ومنطق وغير ذلك من نحو وصرف وغيرها. ثم يتولى خازن الكتب بعد ذلك حسب ما جاء بوثائق الوقف، إحراز الكتب المذكورة بالخزانة المذكورة، ونفضها من الغبار، وتعهدها على العادة. أو كما جاء في وثيقة السلطان فرج: حفظها ونفضها، ويتفقد أحوالها بالإصلاح ووضعها بمواضعها بالخزانة المرصدة لها"(٣٧).

ولأهمية الاطلاع والإعارة فقد شرط الواقفون شروطا لتنظيم ذلك، "أما نظام الاطلاع والاستعارة، فقد حدده الواقفون بدقة تامة، محافظة على الكتب من الضياع، فمن الواقفين من حرم خروج الكتب نهائيا خارج مؤسسته، بل حرم الاطلاع الداخلي على من يعرف عنه التفريط، فنصت وثيقة الابشادي على أن لا يخرج من ذلك شيئا عن الجامع الأزهر برهن ولا بغيره ولا يعطى من ذلك شيئا لمن يعرف فيه التفريط. ورغم ذلك شرط نفس الواقف، زيادة في الحرص على الكتب، وخوفا عليها من الضياع، أن يقوم الخازن بكتابة أسماء من يطلب منه كراسا ويأخذه منه، ثم إذا أعاده مسح اسمه. كما نص على ذلك أيضا السلطان الغوري في وثيقة وقفه"(٣٨).

وشروط الواقفين ليست كلها متساوية فإذا كان هناك من منع الإعارة مثلا، فهناك من سمح بها، وكل حسب نظرته ورؤيته الشخصية. يقول محمد أمين: "ومن الواقفين من سمح لطلبة العلم من أهل الخانقاه استعارة الكتب لمدة شهر على الأكثر للانتفاع بها، وسمح لهم أن يأخذوها معهم إلى مساكنهم بالخانقاه، وبشرط أن يكونوا ثقة، وألا يخرجوا الكتب إلى خارج الخانقاه. فجاء في وثيقة وقف جمال الدين الاستا دار: ومن حضر إليه من طلبة العلم الشريف من أهل الخانقاه المذكورة لاستعارة شيء من الكتب المذكورة يشتغل فيه سلم إليه إن كان ثقة، وان كان ممن يخشى منه منعه إلا أن يضمنه نفر من أهل الخانقاه ... وإذا كان المستعير من غير أهل الخانقاه المذكورة سلم إليه ما يريد استعارته يطالع فيه نهارا بالخانقاه المذكورة فيه ثم يبيتها عند الخازن ثم يستعيرها منه نهارا"(٣٩).

١/٨/٥. حكم إعارة الكتب الموقوفة:

اختلف الفقهاء في حكم إعارة الكتب على أربعة أقوال، ما بين الندب، والجواز ، والوجوب، والكراهة. ونورد باختصار ما ذكره ياسين مخدوم في هذا المبحث يقول: "وقد اختلف الفقهاء في هذه المسألة على أربعة أقوال:

القول الأول: تندب إعارة الكتب لمن لا ضرر عليه في ذلك. وهذا القول هو قول جمع من أهل العلم؛ فهو اختيار بعض الحنفية، وهو مذهب المالكية، وهو ما اختاره النووي وابن حجر ... وسعد بن معاذ حيث قال: "أول بركة العلم إعارة الكتب".

القول الثاني: بجواز إعارة الكتب. وهو مقتضى القول بأن العارية عقد جائز ، فتجوز إعارة كل عين فيها نفع مباح ، كما صرح به الحنفية، وبهذا علل ابن قدامة من الحنابلة جواز الإجارة كما في المغني.

القول الثالث: تجب إعارة الكتب لمن يحتاج إلى النظر فيها. وهو قول طائفة من أهل العلم، فهو ظاهر قول الزهري فيما روي عنه: "إياك وغلول الكتب. قال: قلت: وما غلول الكتب؟ قال: حبسها عن أهلها" ... وخرج ابن عقيل الحنبلي القول بوجوب الإعارة في كتب العلم للمحتاج إليها من القضاة والحكام والمفتين لاستخراج الأحكام الشرعية إذا خفيت عليه ... وقال ابن حزم في المحلى بفرض العارية على المالك لمن احتاج إليها إذا وثق بوفائه.

القول الرابع: تكره إعارة الكتب. نسبه ابن جماعة إلى قوم من أهل العلم، ومن ذلك ما رواه الخطيب عن سفيان قوله: "لا تُعر أحداً كتاباً" ... علل القائلون بالكراهة بما عبر عنه الخطيب بقوله: "ولأجل حبس الكتب امتنع غير واحد من إعارتها، واستحسن آخرون أخذ الرهون عليها... وقد يمتحن المستعير ويختبره خشية أن يعطي الكتاب لمن ليس أهلاً فيضيع عليه الكتاب أو يعبث فيه العابث"(٤٠).

وقد رجح ياسين مخدوم بين الأقوال السابقة واختار القول الأول وهو الندب وبرر لذلك بقوله: "يترجح . والله أعلم . القول الأول، وهو أنه تندب إعارة الكتب لمن لا ضرر عليه في ذلك للأمور الآتية:

الأول: أن الأصل عدم الوجوب إلا بالدليل الصريح، وأما الآية التي استدل بها على الوجوب فغير صريحة، بل غاية دلالتها على الذم أما الوجوب فيحتاج إلى دليل قوي.

الثاني: أن الأصل بقاء ما كان عليه، ومن ذلك بقاء العارية على أصل الندب حتى يدل الدليل على الوجوب، ولذلك رد الزركشي على القول بالوجوب بقوله: "والقياس أن العارية لا تجب عيناً بل هي أو النقل إذا كان الناقل ثقة" أي أن المحتاج إلى الكتب قد يستغني عن إعارتها بالناقل الثقة الذي ينقل ما في الكتب فيكتفي بالنقل.

وبناء على هذا يترجح القول بندب إعارة الكتب ويبقى الأمر على ذلك، إلا إذا توقف بيان الحق أو الفتوى على نظر القاضي أو المفتي أو الحاكم على الكتاب ، وتعذر النظر من الطرق الأخرى فالقول بوجوب العارية هو المتوجه"(٤١).

وهناك العديد من المواضيع الفقهية التي تتعلق بأحكام الكتب الموقوفة، مثل رهن الكتب الموقوفة، وكيفية ضمانها من التلف، وحالة عدم الانتفاع بها، والكتابة عليها (التهميش على صفحاتها). وكذلك المكتبات الوقفية مثل نقلها من مكانها أو بلدها، والعقارات الموقوفة عليها، ومواضيع فقهية أخرى، يوصي الباحث بدراستها، وعرض آراء العلماء فيها للوصول إلى نتائج تفيد الوقف عليها وبما ينعكس إيجابا على تنميتها وتطويرها.

<u>٩/١ . تعريف المكتبة الوقفية:</u>

يتكون مصطلح المكتبة الوقفية من جزءين، لفظ مكتبة ولفظ وقف، وللوصول إلى تعريف يشمل مفهوم اللفظين نتعرف أولا على معنى كل لفظ، فالمعجم الموسوعي يعرف المكتبة (Library): "١- مجموعة من الكتب والمواد الأخرى المحفوظة للقراءة والدراسة والاستشارة. ٢- مكان أو مبنى أو حجرة أو حجرات معدة لحفظ واستعمال مجموعات من الكتب الخ"(٤٢). وعن مفهوم المكتبة يقول محمد ماهر حمادة بأنها: "مؤسسة ثقافية اجتماعية توجد في مجتمع من المجتمعات، وتهدف لخدمة ذلك المجتمع عن طريق جمع المواد الثقافية التي تساعد ذلك المجتمع أفرادا وجماعات، على زيادة حصيلته الحضارية وتحقيق متعته وتسليم تلك المواد للأجيال القادمة سليمة متطورة وتنظيمها تنظيما يتضمن الاستفادة منها"(٤٣). ويقول ربحي عليان في تعريفه للمكتبة: "المكتبة هي تلك المؤسسة الثقافية التربوية الاجتماعية التي وجدت لتجمع وتحفظ مجموعات معينة من مصادر المعرفة بحيث ترتب وفق طرق معينة وتحت إشراف فرد أو مجموعة أفراد متدربين على القيام بأعمال المكتبة وخدمة روادها"(٤٤).

ويعرف قاموس Longman contomparary dictionary المكتبة بأنها(٤٥):

١. الغرفة أو المبنى الذي يحتوي على الكتب التي يمكن البحث عنها أو استعارتها.

٢. مجموعة من الكتب والأقراص المدمجة ...الخ، التي تم جمعها من قبل أحد الأشخاص.

٣. غرفة في منزل كبير يتم فيها حفظ الكتب.

وبالنسبة للوقف سبق أن مرت تعريفاته وهي متقاربة وقوام هذه التعريفات أن الوقف حبس للعين فلا يتصرف فيها بالبيع، ولا الرهن، ولا الهبة، ولا تنتقل بالميراث. وكلمة الوقف والحبس لها نفس المعنى.

وبالنسبة للغة الإنجليزية نجد أن كلمة (Endowment) هي المرادفة لمعنى الوقف، ورد في قاموس Webster's Third New International Dictionary أن معنى هذه الكلمة(٤٦):

١. عملية منح الهبات، أو التمويل أو الإمداد الدائم بالدعم.

٢. شيء ما يتم منحه (وقفه) نسبة من دخل إحدى المؤسسات، على هيئة حصص من التمويلات التي يتم استثمارها والتي يتم جمعها من خلال التبرعات.

ولم ينتشر مصطلح الوقف بلفظه العربي في المصادر الأجنبية وإن ورد في بعضها مثل: القانون الإسلامي للأحوال الشخصية (The Islamic Law of Personal Status) حيث ذكر(٤٧) في الفصل ١٤:مصطلح وقف (حبس) يعني منع، تقييد، وبالمصطلحات القانونية تعني ((حماية شيء لمنعه أن يكون ملكية لشخص آخر)).

هذا بالرغم من أن المصادر الأخرى استخدمت كلمة (Endowment) للتعبير عن مفهوم ومعنى الوقف ومن أمثلة ذلك استخدام عباس صالح طاشكندي لهذا المصطلح في رسالة الدكتوراه التي أنجزها بعنوان: **(A Descriptive Catalogue of the Historical Collection of the Scientific Manuscripts at the Library of 'Arif Hikmat in Medina, Saudi Arabia)** حيث ذكر أن من المصادر التي تعتمد عليها المكتبات الوقفية لتنمية مجموعاتها ما نصه:".(2) Endowments, and so on" (٤٨).

تعريف المكتبة الوقفية:

ومن خلال ما سبق ذكره يمكن تعريف المكتبة الوقفية بأنها: **المكتبة التي أنشئت بشكل قانوني، عن طريق الأفراد أو الجهات الاعتبارية، بغرض تقديم خدماتها لأفراد المجتمع بشكل خيري حسب شروط الواقف.**

وهذه المكتبة تكون عادة مستقلة في مباني خاصة بها، وقد يلحقها البعض بالجوامع أو المدارس أو الأربطة وغيرها من الأماكن، وقد ينشئها بعض الحكام والوجهاء في منازلهم وتكون متاحة للإفادة منها، حسب شروط واقفها.

١٠/١. مزايا المكتبات الوقفية وسلبياتها :

كان للوقف الإسلامي أكبر الأثر في إنماء الحياة العلمية والاجتماعية لدى المسلمين عبر قرون طويلة، وكان يعتمد في مصادره على جهود وهبات المحسنين، فكان رافدا آخر يساند جهود الدولة في البناء والتنمية، وربما تفوق عليها في بعض الأحيان عند نضوب موارد الدولة أو تعرضها للانهيار أو الزوال بسبب ظروف الحروب والفتن. فظل الوقف مستمرا في عطائه للأفراد وللمجتمع بالرغم من كل الظروف، ومع تعرضه لبعض العقبات أحيانا إلا أنه إجمالا يمثل واحدة من أجمل صور التكافل الاجتماعي الإنساني في خدمة الفرد للمجتمع، والبذل من أجل تعليمه وتنميته والإحسان إلى أفراده ومختلف فئاته. وبالرغم من كل المزايا والكثيرة للوقف وخاصة في مجال العلم والتعليم والكتب والمكتبات، إلا أن هناك بعض السلبيات التي قد يتعرض لها الوقف وربما كانت سببا مانعا في حصول المنفعة المرجوة منه، وإن كانت هذه السلبيات لا توازي في حجمها المنافع الجمة لحقيقة وواقع الوقف. وسيتم التعرض لها بغرض معرفتها وذلك حتى يمكن التعامل معها ودراستها تمهيدا لمعالجتها.

١/١٠/١. مـزايـا المكتبات الوقفية:

١/١٠/١. أ. حفظ الكثير من المصادر والمراجع العلمية للحضارة العربية الإسلامية:

لقد كان لنظام الوقف الإسلامي وخاصة في مجال الكتب والمكتبات أكبر الأثر في المحافظة على تراث الحضارة العربية الإسلامية إبان ازدهارها في العصور الأولى، وأكبر شاهد على ذلك عشرات الألوف من المخطوطات العربية والإسلامية في مختلف العلوم والفنون التي تزخر بها المكتبات العامة والخاصة في مكة المكرمة، والمدينة المنورة، والقاهرة ودمشق، وبغداد، وفاس، وتونس، واسطانبول وغيرها. هذا فضلا عما تم نقله أو بيعه للمكتبات الغربية في باريس ولندن ومدريد ومدن أخرى كثيرة. وربما كان طريق الحصول عليها النهب أو السرقة، الأمر الذي أدى في أحيان معينة إلى تولي الدولة مسئولية هذه المكتبات للمحافظة على محتوياتها باعتبارها إرثا قوميا للأمة وللإنسانية جمعاء، واكبر مثال على ذلك دار الكتب القومية بمصر، يقول حسن رشاد:

"يرجع الفضل في تأسيس هذه الدار رسميا إلى جهود المرحوم علي مبارك وزير المعارف فإنه لما رأى أكثر المخطوطات النفيسة التي حبسها المؤلفون والعلماء ووقفها السلاطين والمماليك والأمراء على المدارس والمساجد والأضرحة وغيرها يتسرب إلى أوروبا وأمريكا، عرض على إسماعيل باشا أن يجمع هذه الكتب المتفرقة في الجهات الأميرية والمساجد وغيرها في مكان واحد، فوافق الخديوي على ذلك سنة ١٨٧٠ وأسست الكتبخانة الخديوية فبلغ عدد ما جمع فيها من الكتب نحو ثلاثين ألف مجلد. وجعل مقرها بالطابق الأرضي تجاه السلاملك بسراي مصطفى باشا فاضل بدرب الجماميز بجوار المدارس وقتئذ. وكان هذا الجمع بدء تأسيس دار الكتب وأبيح للجمهور في ديسمبر سنة ١٨٧٠ القراءة فيها والاستعارة منها. ولما توفي مصطفى فاضل سنة ١٨٧٦ وجد عنده خزانة نفيسة بها أكثر من ثلاثة آلاف كتاب عربي بخلاف نحو ألف كتاب أخرى بالتركية والفارسية فضمت هذه الكتب للدار"(٤٩).

ومن خلال ما ذكره حسن رشاد في النص السابق يتضح أن واحدة من أكبر المكتبات القومية كان مبدؤها وأساسها الوقف والحرص على المحافظة على الإرث الحضاري والعلمي الذي خلفه الأوائل وحمايته من الضياع عبر التسرب للخارج بالبيع أو السرقة والنهب.

ويماثل هذا أيضا تجميع المكتبات الوقفية المتناثرة بالمدينة المنورة خوفا عليها من الضياع عند إزالة الأحياء القديمة بغرض توسعة المسجد النبوي الشريف، لتكون أساسا للمكتبة العامة بالمدينة المنورة التي أنشأها الملك سعود بن عبد العزيز، ومن بعدها مكتبة الملك عبد العزيز بالمدينة المنورة أيضا، وهو ما سيرد ذكره تفصيلا عند تناولنا لتاريخ المكتبات بالمدينة المنورة.

١/١٠/١. ب . دعم الحركة العلمية :

لقد كان وقف الكتب والمكتبات على الكتاتيب والمدارس وحلق التعليم في المساجد ومعاهد التعليم، من أهم الأسباب لدعم حركة العلم والتعليم في مختلف الحقب التاريخية، وفي مختلف الأقطار الإسلامية، بما وفرته من كتب ومصادر للمعلومات ومراجع تقدم العلم مجانا للمعلمين والمتعلمين على حد سواء، يقول يحيى جنيد:

"أسهم الوقف في إرساء دعائم ثقافية متنوعة في المجتمعات الإسلامية من بينها:

. تشييد المدارس، وتعيين المدرسين فيها، والإنفاق على طلبة العلم.

. الاستفادة من المساجد في التعليم بإيجاد زوايا العلم وحلقات الدرس.

. العناية بتوفير مصادر للمعلومات في المدارس والمساجد والربط والمارستانات.

وقد شارك في هذه الأنماط الوقفية قطاع عريض من المجتمع خلفاء وسلاطين وحكام وأمراء وأثرياء وعلماء ووزراء، وبعض من عامة الناس، والمتتبع للتاريخ الإسلامي يدرك عظم العناية المولاة لإنشاء المدارس الوقفية التي انتشرت في أرجاء العالم الإسلامي المعروف، إذ كان التسابق نحو إنشائها وإقامتها ظاهرة واضحة للعيان حتى إن القرى النائية لم تخلو منها، فما بالك بالمدن الكبيرة التي كانت تعج بالمدارس المتنوعة"(٥٠).

ويقول محمد محمد أمين عن تأثير الوقف في العصر المملوكي على الحركة التعليمية: "وهذا يؤكد لنا أن ريع الأوقاف هو المصدر المالي الأساسي والوحيد لغالبية مدارس ومكاتب الأيتام في العصر المملوكي، وبالتالي فإن الحركة العلمية الواسعة التي شهدتها مصر في ذلك العصر، والتي تدين بوجودها إلى إنشاء المدارس واستمرار التعليم بها إنما هي في الحقيقة نتاج طبيعي لازدهار الوقف وانتشاره في العصر المملوكي"(٥١).

وقد بدأ الوقف على المؤسسات التعليمية كما تشير معظم المصادر منذ العصر العباسي وكان في مبدئه معتمدا على جهود الواقفين الشخصية وفي مختلف المدن الإسلامية. يقول سليمان عبد الله أبا الخيل: "ثم بدأ التوسع في إنشاء المدارس معتمدا على الأموال الموقوفة، ففي عهد الدولة العباسية رغم كثرة الدواوين التي وصلت إلى

ثلاثين ديوانا لم يكن بينها ديوان يختص بالتعليم، وذلك لأن النشاط التعليمي كان يعتمد أساسا على الأموال الموقوفة، بل يذهب بعض الباحثين إلى أن كل مؤسسات التعليم التي أنشئت في ذلك الوقت كانت قائمة على الوقف"(٥٢). ثم يورد أباالخيل أمثلة عدة لذلك لأزمنة وأماكن مختلفة فيقول: "ومن أمثلة هذه المدارس المدرسة المستنصرية التي أسسها المستنصر بالله العباسي سنة ٦٣١هـ وأوقف عليها وقفا جليلا من مال وعقار... ومن النماذج على انتشار المدارس والوقف عليها في عصور الإسلام ما حصل في الدولة الرسولية التي حكمت اليمن، حيث إن المدارس في عهد من سبقهم أصابها الركود، وبعد ظهورها أصبحت مشاعل هداية ومقصدا لطلاب العلم والمعرفة من أنحاء البلاد اليمنية وغيرها من البلدان المجاورة حتى أصبحت زبيد ثالث المدن العلمية في الجزيرة بعد مكة والمدينة، مما جعل العلماء يفدون إليها بعد فراغهم من الأخذ عن علماء مكة والمدينة ... ومن النماذج على انتشار المدارس القائمة على الوقف ما أورده بعض المؤرخين أنه في عام ٩٢٧هـ وقف بدمشق ما يقرب من ثمانمائة من دور القرآن الكريم والحديث والمدارس، وما يتعلق بها من الربط والمساجد والجوامع من الأوقاف. وسبق نقل كلام ابن خلدون عن أمراء الترك في دولتهم وأنهم استكثروا من بناء المدارس والزوايا والربط، وأوقفوا عليها الأوقاف المغلة، وذلك لما فيها من الجنوح إلى الخير والتماس الأجور في المقاصد والأفعال، فكثرت الأوقاف وعظمت الغلات، وكثر طلاب العلم ومعلموه بكثرة جرايتهم منها، وارتحل إليها الناس في طلب العلم وزخرت بحارها. وفي المغرب كثير من المدارس التي كانت أوقافا خاصة وفيها مساكن معدة لسكنى الوافدين من طلبة العلم ... هذا ما يتعلق بوقف دور العلم ومؤسسات التعليم، ويدل انتشارها على عناية بالحركة العلمية ومؤسساتها في العصور السابقة"(٥٣).

ولقد كان للمكتبات دورها الرئيس في دعم هذه الحركة العلمية وصنع تلك الحضارة الإسلامية الشامخة وخاصة في زمن الدولة العباسية، فقد كانت هي الأساس الذي مد العلماء والطلبة بما يحتاجون إليه من معارف ومعلومات، حيث بلغت محتوياتها حدا كبيرا بمقاييس ذلك العصر، وكانت تقدم خدماتها للمستفيدين بأرقى وأكمل وجه ممكن حيث كانت تعتمد على معونات وهبات المحسنين التي تمثل جلها في الوقف. يقول ديورانت في كتابه قصة الحضارة: "وكانت في معظم المساجد مكتبات، كما كان في معظم المدن دور عامة للكتب تضم عددا كبيرا منها، وكانت مفتحة الأبواب لطلاب العلم. وكان في مدينة الموصل عام ٩٥٠ (ميلادي) مكتبة عامة أنشأها بعض المحسنين، يجد فيها من يؤمونها حاجتهم من الكتب والورق. وبلغت فهارس الكتب التي اشتملت عليها مكتبة الري العامة عشر مجلدات. وكانت مكتبة البصرة تعطي رواتب وإعانات لمن يشتغلون فيها من الطلاب، وقضى ياقوت الجغرافي في مكتبتي مرو وخوارزم ثلاث سنين يجمع المعلومات التي يتطلبها كتابه ((معجم البلدان)). ولما أن دمر المغول بغداد كان فيها ست وثلاثون مكتبة عامة، فضلا عن عدد لا يحصى من المكتبات الخاصة، ذلك أنه كان من العادات المألوفة عند الأغنياء أن يقتني الواحد منهم مجموعة كبيرة من الكتب ... وكان عند بعض الأمراء كالصاحب بن عباد من الكتب بقدر ما في دور الكتب الأوروبية مجتمعة. ولم يبلغ الشغف باقتناء الكتب في بلد آخر من بلاد العالم - اللهم إلا في بلاد الصين في عهد منج هوانج - ما بلغه في بلاد الإسلام في القرون الثامن والتاسع والعاشر والحادي عشر (الميلادي). ففي هذه القرون الأربعة بلغ الإسلام ذروة حياته الثقافية"(٥٤).

١/١٠/١. ج - توفير الجهد والوقت والمال للباحثين:

كان للوقف وللمكتبات الوقفية دور كبير في مساندة ودعم جهود الباحثين سواء كان ذلك عبر توفير المصادر من كتب ومعلومات، وأحيانا من خلال الدروس والمناقشات العلمية كما يحدث في مكتبات المساجد، أو عبر المساندة المادية بتوفير السكن والمعيشة لهم ليتفرغوا لطلب العلم، يقول يحيى جنيد: "وقد انتشرت خزائن

الكتب الوقفية في أرجاء العالم الإسلامي منذ القرن الرابع الهجري، لدرجة أننا قلما نجد مدينة تخلو من كتب موقوفة وأصبحت هذه المكتبات بما فيها من كتب وقفية قبلة لطلاب العلم تعينهم على التزود بكل جديد وتوفر لهم فرص مواكبة الأفكار والآراء المدونة لمؤلفين من أصقاع العالم الإسلامي، وقد بلغ من انتشارها وتوافرها في الأندلس أن أبا حيان النحوي كان يعيب على مشتري الكتب ويقول: الله يرزقك عقلا تعيش به، أنا أي كتاب أردته استعرته من خزائن الأوقاف، وللتدليل على ضخامة عدد المكتبات الوقفية وشيوعها نشير إلى أنه كانت في مدينة مرو الشاهجان عشرة خزائن للوقف، وذلك في القرن السابع الهجري"(٥٥). ويضيف: "ويبدو أن كثيرا من الأعمال المشهورة التي كانت في حوزة علماء كبار كانت تستقر بشكل أو بآخر في مكتبات الوقف ... وكانت مكتبات الخلفاء والأمراء والوزراء والعلماء وراء حركة الازدهار الفكري والثقافي التي شهدها العالم الإسلامي على مدى قرون طويلة، فقد اعتمد عليها علماء مشاهير في وضع مصنفاتهم، مثل ياقوت الحموي الذي يشير إلى استفادته من خزائن كتب مرو الشاهجان حيث يقول: "وأكثر فوائد هذا الكتاب (يقصد معجم البلدان) وغيره مما جمعته فهو من تلك الخزائن"(٥٦).

وقد كان الإنفاق على العلم والكتب والمكتبات، وسيلة لنشر مذهب معين أو تغييره وأوضح الأمثلة على ذلك نشر الفاطميين للمذهب الشيعي في شمال أفريقيا، وجعلهم مصر منارة لذلك، ومن بعدهم كانت جهود الأيوبيين لاستعادة المذهب السني يقول ربحي عليان: "وإذا أتينا إلى مصر زمن الخلافة الفاطمية وجدنا اهتماما منقطع النظير بالعلم والكتب والمكتبات ذلك أن الدعوة الفاطمية قامت على العلم"(٥٧).

وعن الطريقة التي قضى بها صلاح الدين الأيوبي على المذهب الشيعي واستعادة المذهب السني نجد أن الوقف لعب دورا رئيسا في ذلك يقول محمد أمين: "ويتفق هذا الاستنتاج مع الحكم العام الذي يمكن أن نطلقه بصفة عامة على أوقاف صلاح الدين، وهو القول بأن صلاح الدين اتخذ من نظام الأوقاف سبيلا لتدعيم حكمه السياسي، بعد أن قضى على حكم الفاطميين الشيعة وأعاد مصر إلى حظيرة المذهب السني، وكان هدف صلاح الدين الأساسي من إنشاء المدارس في مصر هو تدعيم المذاهب السنية ونشرها في مصر، والبعد عن المذهب الشيعي، ووجد صلاح الدين أن الوقف على هذه المدارس وعلى عمارتها، وفقهائها، وطلبة العلم بها، فيه ضمان لاستمرار هذه المدارس في أداء رسالتها، وتحقيق الهدف من إنشائها"(٥٨).

ولا يقتصر اهتمام الوقف على النواحي المادية لطلبة العلم بل تعدى ذلك إلى النواحي الاجتماعية بالاعتناء بسكنهم ومعيشتهم، ويرقى ذلك إلى تحقيق رغباتهم الشخصية سواء في المعيشة أو طريقة الدراسة سعيا وراء تفرغهم للدراسة والبحث والإبداع، تقول سحر الصديقي: "وبذلك فتح الوقف الباب أمام كل الفئات مهما كان المستوى الاجتماعي والاقتصادي للتزود من العلم والمعرفة، فوفر نفقات كبيرة ومتنوعة لا يقدر على تحملها إلا فئة قليلة في المجتمع؛ فهناك نفقات التعليم والحصول على الكتب، ونفقات السفر، ونفقات الإقامة، ونفقات الأكل والشرب واللبس والعلاج لطالب العلم. ومن مظاهر العدالة الاجتماعية في التعليم التي وفرتها الأوقاف أن اشتملت الدراسة فيها على قسمين: قسم داخلي للغرباء اللذين لا تساعدهم أحوالهم المادية أن يعيشوا على نفقات آبائهم، وهو بالمجان، فيهيأ للطالب الطعام، والنوم والاستذكار، والعبادة. وقسم خارجي لمن يريد أن يعود في المساء إلى بيت أهله وذويه . وتضيف . ومن مظاهر الرعاية ما توفره تلك المؤسسات من الإرشاد النفسي، والأكاديمي لطلاب العلم على أيدي علماء تلك المؤسسات مشتملة على الأخلاق، والواجبات، والجوانب الخاصة باختيار العلوم التي يدرسها الطالب، وأيضا اختيار الشيخ الذي يتعلم على يديه، وبالتالي يؤدي ذلك إلى مزيد من الترغيب للمقتدر، ومزيد من التمكين والدعم لغير المقتدر"(٥٩).

١/١٠/١. د ـ من صور التكافل الاجتماعي الراقي بين المسلمين:

حفلت قصة الحضارة الإسلامية عبر تاريخها بنماذج رائعة من صور التعاون والتكافل بمساعدة المعوزين والمحتاجين، وكانت تلك الصور عبارة عن عربون وفاء للمدن أو المجتمع، وأحيانا تنبع من الإحساس بالمسئولية ولسد الخلل والنقص الحادث فيه، وربما شحذ تلك الهمم عنصر التنافس مع المدن والأمم المجاورة للتقدم عليها وحيازة قصب السبق في مجال العلم والتعلم، فسخت أنفسهم ببذل الأموال طيبة بها نفوسهم ينشئون الأوقاف للفقراء والمساكين، وأبناء السبيل والمرضى، وفي مجال العلم يتبرعون بذخائرهم لفائدة الفرد والمجتمع فيوقفون الكتب وينشئون المكتبات، ومن الملاحظ أن الأوقاف في الحضارة الإسلامية كان معظمها بمبادرات فردية.

يقول عباس طاشكندي: "ولم نعرف عبر تاريخ العالم الإسلامي منذ نشوء دولة بني أمية وبني العباس حتى عهد متأخر أن تعمير المساجد وبناء المدارس والمعاهد وإقامة الأربطة ودور الأيتام والمشافي وتشييد المكتبات العامة والخاصة هي من مسؤوليات الدولة بقدر ما كانت مسؤولية إقامة تلك الهيئات جزءا من مسؤوليات الأفراد تجاه مجتمعاتهم، يثرون بتلك الالتزامات روابطهم بالمجتمع، وتعمق تحقيق التكافل المطلوب بين الأفراد القادرين والأفراد المحتاجين من شرائح المجتمع، يبتغون مرضاة الله ورضوانه، وعملا صالحا متواصلا يسري مسرى الصدقة الجارية"(٦٠). والمقصود بالصدقة الجارية هنا الوقف. ويمثل عباس طاشكندي لواحدة من تلك الصور بواقع المكتبات الوقفية في الحرمين الشريفين فيقول: "والمكتبات الوقفية في المملكة العربية السعودية هي جزء من الصورة التي سادت المجتمعات الإسلامية بعامة والعربية بخاصة، إذ استأثرت المدن المقدسة في مكة المكرمة والمدينة المنورة وبخاصة الحرمين الشريفين حين ظلا طوال التاريخ الإسلامي وسيظلان إلى حين يرث الله الأرض ومن عليها مركز إشعاع واستقطاب، لاهتمام الخلفاء والسلاطين والملوك والأمراء ورجال العلم والأثرياء من مناطق العالم الإسلامي كافة. وتوافرت نتيجة ذلك الاهتمام عدد من المكتبات الوقفية الملحقة بالحرمين الشريفين أو بالمدارس المحيطة بهما أو الربط المجاورة لهما، فضلا عن توافر العديد من المجموعات الخاصة التي أوقفت ضمن مجموعات المكتبات الوقفية في سائر أنحاء المملكة العربية السعودية"(٦١). وعن مدى تأثير الوقف في المجتمع وعلى أصعدة مختلفة يقول عبد الله العويسي: "كما أن الوقف خلف آثارا نظرية، كذلك ظهرت آثاره العملية من خلال المجالات المتنوعة، والمتعددة، التي شملت جوانب الحياة الاجتماعية، فقد نهض الوقف برسالة ضخمة في إقامة المؤسسات الخيرية ورعايتها، وبرزت أهميته بوجه خاص في توفر الرعاية الاجتماعية للطبقات الضعيفة والفقيرة، ولكل محتاج إلى العون والرعاية، كابن السبيل، وطالب العلم، والمريض، بل اتسع نطاقه ليشمل أوجه الحياة الاجتماعية. وتكاثرت الأوقاف وتنوعت تعبيرا عن أحساس الواقفين بأن هناك ثغرة في المجتمع لا بد أن تستر، أو منكرا يجب أن يزول، أو معروفا مهملا يحب أن يراعى"(٦٢). ويذهب عبد الله العويسي إلى أن الهدف من إنشاء الوقف هو لدوافع معينة تنتهي بتحقيق النفع للفرد عن طريق خدمة مجتمعه فيقول: "أما ما يهدف إليه بصفة خاصة فهو استثمار الدوافع الذاتية لدى الإنسان بناء على ما جبل عليه، كالرغبة في الثواب، أو التكفير عن الخطأ، أو الشعور بالمسئولية، أو علاقة الرحم والقرابة، أو بناء على ما يعرض له من كعدم وجود الوارث، أو الاغتراب، أو الرغبة في الحفاظ على ما يملك والإبقاء عليه في ذريته فيكون الواقف محققا لما يطمح إليه الإنسان بوجود الحافز، أو الدافع الذاتي، وإتاحة الفرصة له للتعبير عن ذلك الدافع بطريقة بر صحيحة تعود عليه بالنفع في آخرته، وتنفع مجتمعه"(٦٣). ويضيف: "فتنوعت الأوقاف بحسب الحوائج الناشئة في المجتمع، وأدى دورا رئيسا في نشر التربية والتعليم والتقدم العلمي، وكان السبب الرئيس لأغلب الإنجازات العلمية والحضارية في تاريخ الإسلام، وكان لمؤسساته أثرها الفعال في عملية التطور والنمو

الاقتصادي في مختلف عصور الإسلام ... فأمد المؤسسات الاجتماعية بالموارد المالية التي تعينها على أداء رسالته الإنسانية النبيلة، بحيث تحقق أهدافها المباشرة، وتحقق بها التنمية الاقتصادية، إذ هي نتيجة غير مباشرة لكل هدف اجتماعي أقيم له وقف. لقد كانت الأوقاف حجر الأساس الذي قامت عليه كل المؤسسات الخيرية التي ظهرت في ديار المسلمين"(٦٤).

١/١٠/١. هـ . طريق للعمل الخيري وتخليد للذكر الحسن:

أتاحت الشريعة الإسلامية طرقا ووسائل متعددة للمساهمة في العمل الخيري ومساعدة المعوزين والمحتاجين، فتم فرض الزكاة وهي من أركان الإسلام وواجبة على الأغنياء وذلك بهدف سد حاجة الفقراء، وفرض الكفارات تعطى للفقراء والمساكين أيضا، ثم رغب في الصدقات بأنواعها المادية والمعنوية للجميع أغنياء وفقراء، وهي غير إلزامية وغير محددة بزمن أو مبلغ معين، ووعد بالجزاء الجميل عليها عاجلا وآجلا. وبناء عليه تسابق المسلمون في هذا المضمار على مدى القرون كل بحسب رغبته وقدرته. وكان من ضمن هذه المجالات مجال الوقف، الذي كان للجميع شرف المساهمة فيه سواء كانوا حكاما أو محكومين، أفرادا وجماعات، رجالا ونساء، وفي الشواهد التي مرت سابقا ما يغني عن إيراد المزيد.

ومن الجميل في الوقف أنه يخلد اسم صاحبه على مدى قرون طويلة، ويظل ذكر صاحب الوقف قائما على مدى السنين ولا يذكر منه إلا الجميل من صنعه ومعروفه، فبئر عثمان رضي الله عنه التي تصدق بها على المسلمين في المدينة المنورة لا زالت حاضرة إلى يومنا هذا معروفة باسمه، ومكتبة شيخ الإسلام عارف حكمت كذلك، ومكتبة مظهر خلدت اسم الأسرة، وفي دمشق جامع الأمويين شاهد على ذلك، وفي فاس جامع القرويين، وفي مصر الأزهر خلد اسم الفاطميين وغير ذلك كثير جدا.

٢/١٠/١. سلبيات المكتبات الوقفية:

لا يخلو عمل ولا مجال مهما تعددت حسناته من السلبيات، هذا بالرغم من أن وقف الكتب والمكتبات مجمعٌ على أنه من أفضل أعمال البر والخير، والسلبيات حقيقة لا تقارن بالفوائد والمزايا التي يحققها هذا العمل. ويؤكد على هذا المعنى علي النملة بعد سرده لعدد من الصعوبات التي تعترض وقف الكتب والمكتبات: "والملحوظ أن هذه الصعوبات التي تعترض وقف الكتب أو الوقف عليها لا ترقى إلى أن تحول دون الاستمرار في هذا النهج الحضاري المطلوب دائما في سبيل نشر الكتاب بين مريديه والمستفيدين منه، مما ينعكس إيجابا على العلم والفكر والثقافة ... ذلك أنه مع الصعوبات التي تعترض وقف الكتب والمكتبات، يظل هذا الأسلوب الحضاري من أهم الموارد التي تعين على بناء المكتبات"(٦٥). وقد أورد في مقالة نشرت له ضمن فعاليات (ندوة المكتبات الوقفية في المملكة العربية السعودية) إحدى عشرة مشكلة اعتبرها المعوقات السلبية التي تواجه وقف المكتبات وهي إجمالا:

١- الوعي بالوقف. ٢- الإعراض عن الوقف. ٣- الجهل العلمي. ٤- شرط الواقف ٥-الاجراءات الفنية. ٦- النظم والضوابط ٧. عزل الكتب. ٨. السرقة. ٩. البيع. ١٠. الكوارث. ١١. التقانة.(٦٦).

ويعزو يحيى جنيد السلبيات التي تواجه الكتب والمكتبات الوقفية إلى ثلاثة أسباب هي:

"**١- الفتن والقلاقل والتغيرات السياسية:** ولعلها كانت أكبر عنصر شر استغل في القضاء على البنية الثقافية العربية، وعلى رأسها تدمير المكتبات فكان النهب والسلب والسرقة والحرق من الطرق التي كان المشاركون في الفتن أو عامة الناس من الجهلاء يلجأون إليها في التعامل مع الكتب والمكتبات.

٢ـ استغلال الكتب الموقوفة ونهبها من قبل بعض العلماء: والمؤسف في الأمر أن بعض رجال العلم قد ساهموا في تدمير بنية المكتبة العربية التي شيدت على الوقف العام، ونهبوا نفائسها للاستئثار بها لأنفسهم وحجبها عن عامة القراء.

٣ـ تفريط المشرفين على المكتبات وسوء إدارتهم: "وكان لبعض المشرفين على المكتبات والكتب الوقفية دور مباشر في خلخلة بنيتها والإساءة إلى هدفها السامي، وذلك عن طريق التهاون في أداء الرسالة الموكلة إليهم، أو المشاركة في استغلال محتوياتها عن طريق تسهيل سطوها ونهبها أو إعارتها دون ضمان لبعض المتنفذين رغبة في الوصول إلى أغراض دنيوية عن طريقهم"(٦٧).

ويذهب هذا البحث إلى أن أهم السلبيات التي تواجه المكتبات الوقفية يمكن إجمالها تحت ثلاثة عناصر أساسية هي:

١/١٠/٢. أ ـ شرط الواقف بين السلبية والإيجابية: إذ قد يضع الواقف شرطا أو شروطا لا تتماشى مع النظام أو بيئة العمل، مما قد يؤثر في حصول المنفعة المرجوة من هذا المشروع الخيري، وهذه يمكن معالجتها بالرجوع إلى الجهات المختصة بالإشراف على الأوقاف، ذلك لأن فقه الشريعة الإسلامية حافل بالأحكام والتشريعات التي تجيز تعديل الشروط والأحكام بما يحقق الفائدة المرجوة من الوقف وبما يتماشى مع شروط الواقف، ولذلك أجاز الفقهاء نقل الوقف عند خراب الحي أو البلدة إلى مكان آخر تتحقق المنفعة فيه، وتم استحداث الحكر وغيره من الأحكام بما يخدم استمرار الوقف وعطاءه.

ويعبر علي النملة عن ذلك فيقول: "وشرط الواقف، وهو معتبر شرعا قد يكون عقبة في الإفادة من الكتاب أو الكتب الموقوفة، ولاسيما إذا كان الشرط يتعارض مع النظرة الفنية لتنظيم المجموعات، إذ قد يشترط الواقف عزل الكتب عن بقية المجموعات الأخرى، وإفراد المكتبة الموقوفة بزاوية خاصة، وربما شرط أن يكون الإطلاع عليها مقصورا على فئة علمية محددة، إما بالعمر أو الجنس، أو الانتماء الثقافي. وهذا يحد من الإفادة منها إفادة فاعلة، ولاسيما إذا علمنا أن وقف الكتب يمكن أن ينظر إليه على أنه من العلم الذي ينتفع به. وهذا هو مراد الواقف منه، إذ أنه يبحث عمن يستفيد من هذه الكتب التي أفاد منها هو في حياته، أو في فترة من فترات إقباله على القراءة فلما أحس أنه أعرض عنها لأي سبب، لم ينس أن هناك من يقبل عليها، فأتاحها للآخرين بوقفها عليهم"(٦٨).

وما يعتبره البعض من أن شرط الواقف قد يكون عنصرا سلبيا في حق الوقف، قد يكون عنصرا إيجابيا في الحفاظ على الوقف واستمرار المنفعة منه، إذ أن الواقف عندما تصدق بهذا المال وحبسه في سبيل الله وخدمة الأفراد والمجتمع كان حريصا على الاستفادة الكاملة منه، وهو أدرى بالهدف والمقصود من حبس هذا المال والمنافع المرجوة من وراء ذلك. وبناء عليه فإن شرط الواقف غالبا يخدم الوقف والمنفعة المرجوة منه، وفي أحيان أخرى قد يكون عقبة في سبيل تحقيق المنفعة المرجوة منه وهذه يمكن معالجتها عبر اللجوء للفقهاء أو القضاة لإيجاد حل للتوفيق بين شرط الواقف وكيفية تحقيق المنفعة المرجوة من وقفه.

١/١٠/٢ـ ب ـ الكوارث الطبيعية: وهي سنة كونية تحدث على مر الأزمان وفي مختلف البلدان "تتعرض المكتبات الوقفية، مثلما تتعرض غيرها من المكتبات، للعوارض الكونية والكوارث الطبيعية ، كالزلازل التي تتعرض لها بعض بلاد المسلمين بين الفينة والأخرى. وقد تعرضت مصر ، وهي غنية بالمكتبات الوقفية، إلى هذه الكوارث أكثر من مرة. ويذكر السيد النشار أن المكتبات قد تأثرت بالزلازل التي مرت على مصر في العصر المملوكي سنة ٧٠٢هـ/ ١٣٠٢م ، وما تبعها من فيضانات أتت على المساجد والمدارس والبيوت، وفيها جميعا مكتبات"(٦٩).

إلا أن هذه الكوارث قد يكون لها جانب إيجابي آخر، فهي جعلت العلماء والفقهاء يدرسونها ليجدوا حلولا للمشاكل والنوازل التي تحدث وينتج عنها تعطل مصالح الوقف في مثل حالات الكوارث، أو الكساد فلا يوجد من يستأجر الوقف فينضب مصدر الدخل، ولذلك وجدت حلول عبر استحداث أحكام مثل الحكر وعقد الإجارتين، يقول محمد الفاتح المغربي: "وقد تم اللجوء إلى هذا العقد إثر الحرائق التي شملت العقارات التابعة للأوقاف في القسطنطينية بعد عام١٢٢٠هـ، حيث عجزت غلاتها عن تجديدها، وتشوه منظر البلدة ولا يوجد من يقوم باستثمارها بإجارة واحدة بحيث يتم تعميرها، ولذ اهتمت الدولة العثمانية في ذلك الوقت بالبحث عن طريقة تكفل بها المؤسسات الخيرية (الأوقاف) واستمرار عملها من أجل تحديد ما خرب منها والطريقة هي عقد الإجارتين، فاستحدثت هذه الطريقة ووضعت لها أحكاما وضوابط مستندة في ذلك إلى القاعدتين الفقهيتين: تنزل الحالة العامة منزلة الضرورة (والضرورات تبيح المحظورات). وبذلك أجازت الإجارة الطويلة في الأوقاف خلافا للقياس لزيادة الحاجة. وتحديد وتخصيص الأجرة السنوية هو لإعلام الناس بأن العقار المؤجر هو عائد للوقف فلا تكن هناك أي فرصة للمستأجر للادعاء بملكيته للوقف من ناحية، وكذا لاعتبار تجديد العقد سنويا بدفع هذه الإجارة، فلا يكن هناك مجال للاعتراض على صحة عقد الإجارة، كونها طويلة الأجل"(٨٨).

١/١٠/٢. ج - الأخطاء والتعديات البشرية: تتعرض المكتبات الوقفية مثل غيرها من المشاريع الخيرية للتعديات البشرية، سواء كانت مقصودة أو غير مقصودة عبر التفسير أو الفهم الخاطئ لشروط الواقف، وذلك نظرا لاختلاف الزمان، أو تغير معاني ومفاهيم الكلمات والتعبير بها، وهذه أخطاء يمكن تلافيها من خلال الدراسة والبحث. وذلك بتوضيح وتفسير المقصود من شرط الواقف فعلا، والعمل على تنفيذه.

وقد تكون التعديات مقصودة مثل النهب والسرقة، كما حصل من قبل عدد من الأشخاص ذكرت سيرهم في بعض المصادر، أو الحرق مثلما حدث في القسطنطينية عام ١٢٢٠هـ كما ذكر سابقا، وكالحريقين اللذين تعرض لهما المسجد النبوي وكان من أثرهما حرق المكتبة الموجودة فيه ونهب الكثير من المخطوطات من ممتلكات المسجد في ذلك الوقت، كما سيأتي ذكره لاحقا بإذن الله. وقد تتجاوز أعمال النهب الأفراد إلى الدول مثلما فعل المغول من إغراق المكتبات في العراق إثر غزوهم لها، وسلب الكثير منها. "ومثلما حدث من أسبانيا باستيلائها على حمولة سفينة من الكتب تابعة للمغرب ولم يتم استرجاعها إلى اليوم"(٨٩)، كما يذكر بنعلة.

١/١١- خلاصة:

من خلال ما تم تناوله في هذا الفصل يتأكد أن المكتبات الوقفية في الحضارة الإسلامية حظيت بالتشريعات اللازمة لحفظها وصيانتها لتتمكن من أداء دورها. وأن التشريعات الفقهية نظمت عملها بدءاً بمرحلة الإنشاء، ومرورا بمراحل الاستفادة منها، وإلى دوام المحافظة عليها.وكما أن لكل عمل ميزاته وسلبياته، فكذلك للمكتبات الوقفية إيجابياتها وسلبياتها، ولكن الإيجابيات تتفوق على السلبيات. وهو ما يدفعنا إلى ضرورة العمل على إحياء هذا المنهج الراقي للمساهمة في خدمة الحركة العلمية في المجتمع، والتعريف بهذا النهج الذي سار عليه الأجداد، الأمر الذي سيدعم العلم والتعليم وحركة البحث العلمي.

هوامـــش الفصل الأول

١. البغدادي، ابومظفر يحيى بن محمد بن هبيرة. **إجماع الأئمة الأربعة واختلافهم**.- ط١.- تحقيق محمد حسين الأزهري، القاهرة: دار العلا للنشر والتوزيع،١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، ٨٧/٢.

٢ـ السعد، صالح بن عبد الرحمن. **الوقف في الإسلام ودوره في تنمية المجتمع**.- ط١.- جدة: دار الأندلس الخضراء،١٤٢٠هـ، ص٩.

٣. شعبان، زكي غندور، أحمد. **أحكام الوصية والميراث والوقف**.ـ ط١.- الكويت: مكتبة الفلاح،١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ص ٩.

٤. المرجع السابق، ص ٤٥٥.

٥. البغدادي،... **إجماع الأئمة الأربعة واختلافهم**، ص٨٧.

٦. العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر. **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**.- القاهرة: دار التراث،١٤٠٧هـ، ٤١٨/٥.

٧. السهيلي، عبد الرحمن. **الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام**.- تحقيق عبد الرحمن الوكيل، القاهرة: مكتبة ابن تيمية، ٢٦٢/٤-٢٦٣.

٨. ابن هشام، محمد بن عبد الملك. **السيرة النبوية لابن هشام**.- قدم لها طه عبد الرعوف سعد، بيروت: دار الجيل، ١٠٠/٢.

٩. السهيلي...، **الروض الأنف**، ٢٦٦/٤.

١٠. الألباني، محمد ناصر. **صحيح سنن ابن ماجه**.- بيروت: المكتب الإسلامي،١٤٠٧هـ، ص٤٦.

١١. النووي، يحيى بن شرف. **صحيح مسلم بشرح النووي**.- بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ ٨٥/١١.

١٢. حمادة، محمد ماهر. **المكتبات في الإسلام: نشأتها وتطورها ومصائرها**.- ط٢.- بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٣٨٩هـ ١٩٧٨م.

١٣ـ جنيد، يحيى محمود ساعاتي. **الوقف وبنية المكتبة العربية**.- الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ص١٩١.

١٤. المرجع السابق، ص٩.

١٥. السعد...، **الوقف في الإسلام ودوره في تنمية المجتمع**، ص ٢٥.

١٦. البغدادي...، **إجماع الأئمة الأربعة واختلافهم** ص٨٧/٢.

١٧. السعد...، **الوقف في الإسلام ودوره في تنمية المجتمع**، ص١٠.

١٨. شعبان...، **أحكام الوصية والميراث والوقف**، ص٤٥٩.

١٩. العسقلاني...، **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**،ص٤١٨.

٢٠. السعد...، **الوقف في الإسلام ودوره في تنمية المجتمع**، ص١٦-١٧.

٢١. المرجع السابق، ص١٧-١٨.

٢٢. المرجع السابق، ص١٨.

٢٣. شعبان...، **أحكام الوصية والميراث والوقف**، ص٤٥٩.

٢٤. أمين...، **الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر**، ص٢٩-٣٠.

٢٥. السعد...، **الوقف في الإسلام ودوره في تنمية المجتمع**، ص٢٩.

٢٦. المرجع السابق، ص٤٨.

٢٧. المرجع السابق، ص٣١-٣٢.

٢٨ـ بنين، أحمد شوق. **تاريخ خزائن الكتب بالمغرب**.- ترجمة مصطفى طوبي، مراكش: المطبعة والوراقة الوطنية، ١٤٢٤/٢٠٠٣م، ص ١٩٥.

٢٩ـ مخدوم، ياسين بن كرامة الله . **أحكام الكتب في الفقه الإسلامي** .- ط١.- الرياض: دار كنوز إشبيليا، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م، ص ١٨.

٣٠. الشنقيطي، محمد مختار. **شرح زاد المستقنع** .- ج٦، جدة: الأندلس، ١٤١٧هـ، ص٢٤٦.

٣١. عشوب...، **كتاب الوقف**، ص١٥.

٣٢. المرجع السابق، ص١٦.

٣٣. جنيد...، **الوقف وبنية المكتبة العربية**، ص٣١.

٣٤. عشوب...، **كتاب الوقف**، ص٣٠،٣١.

٣٥. المرجع السابق، ص٣٣.

٣٦. أمين...، **الأوقاف والحياة الإجتماعية في مصر**، ص٢٥٦.

٣٧. المرجع السابق، ص٢٥٦.

٣٨. المرجع السابق، ص٢٥٦.٢٥٧.

٣٩. المرجع السابق، ص٢٥٧.٢٥٨.

٤٠. مخدوم...، **أحكام الكتب في الفقه الإسلامي**، ص ٧،٨.

٤١. المرجع السابق، ص٣١،٣٢.

٤٢ـ الشامي، احمد محمد. **المعجم الموسوعي لمصطلحات المكتبات والمعلومات** .- الرياض: دار المريخ، ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م، ص٦٥٢.

٤٣. حمادة...، **علم المكتبات والمعلومات**، ص١٦.

٤٤ـ عليان، ربحي. **المكتبات في الحضارة العربية الإسلامية**.- ط١.-، عمان: دار صفاء للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ص١١٣.

٤٥. Longman contemporary dictionary/ P. 959.

٤٦- Webster's Third new International Dictionary/ vI,p.745.

٤٧. Nasir J. Jamal.**The Islamic Law of Personal Status**).- London.Graham&Trotman.p.29.

٤٨. Tashkandy, Abbas Saleh. **A Descriptive Catalogue of the Historical Collection of the Scientific Manuscripts at the Library of 'Arif Hikmat in Medina, Saudi Arabia**...p.6.

٤٩. رشاد، حسن/ **المكتبات ورسالتها**.- ط٣.-، القاهرة: دار الفكر العربي، ص ٣٤ـ٣٥.

٥٠. جنيد...، **الوقف وبنية المكتبة العربية**، ص١٦.

٥١. أمين...، **الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر**، ص٢٤٢.

٥٢. أبا الخيل...، **الوقف وأثره في تنمية موارد الجامعات**، ص٤٧.

٥٣. المرجع السابق ...، ص ٤٨.٥٠.

٥٤. ديورانت، ول وايريل. **قصة الحضارة**.- ترجمة محمد بدران، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم،ج٢،مج٤. بيروت: دار الجيل، ص ١٧٠.١٧١.

٥٥. جنيد...، **الوقف وبنية المكتبة العربية**، ص٣٣.

٥٦. المرجع السابق...، ص٣٤.

٥٧. عليان...، **المكتبات في الحضارة العربية الإسلامية**، ص١٢٢.

٥٨. أمين...، **الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر**، ص ٦٥ـ٦٦.

٥٩. الصديقي...،**أثر الوقف الإسلامي في الحياة العلمية بالمدينة المنورة**، ص ١٦ـ١٧.

٦٠. طاشكندي...، **دور القطاع الخاص في دعم المكتبات الوقفية**، ص ٦٣٨.

٦١. المرجع السابق... ص٦٤٢.

٦٢. العويسي...، **الوقف مكانته وأهميته الحضارية**، ص١٤.

٦٣. المرجع السابق...، ص١٠.

٦٤. المرجع السابق...، ص ٣-٤.

٦٥. النملة...، **أوقاف الكتب والمكتبات مدى استمرارها ومعوقات دوام الإفادة منها**، ص٥٦٦.

٦٦. المرجع السابق...، ص٥٥٢ - ٥٦٤.

٦٧. جنيد...، **الوقف وبنية المكتبة العربية**، ص ١٧٢.١٧٩.

٦٨. النملة...،**أوقاف الكتب والمكتبات مدى استمرارها ومعوقات الإفادة منها**، ص٥٥٦ - ٥٥٧.

٦٩. النملة...، **أوقاف الكتب والمكتبات مدى استمرارها ومعوقات دوام الإفادة منها**، ص ٥٦٣.

٧٠. المغربي، محمد الفاتح، **تمويل الوقف واستثماراته** -.أم درمان: الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوريدات، ٢٠١١م. ص١٥٢.

٧١- بنعلة، مصطفى، **تاريخ الأوقاف الإسلامية بالمغرب في عصر السعديين، من خلال حوالات تارودانت وفاس**.- ط١.- منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المملكة المغربية. الرباط: دار أبي رقراق للطباعة والنشر،ج٢، ٢٠٠٧م، ص٢٨.

الفصل الثاني

أنواع المكتبات الوقفية، ونماذجها في الحضارة الإسلامية.

٢/٠. تمهيد:

تميزت الحضارة الإسلامية بأنها حضارة العلم والعلماء، ولقد كان البذل عليهما سخيا من كل فئات المجتمع، الأمر الذي نتج عنه إبداع علمي راقٍ في جميع التخصصات، ولم يكن هذا حكرا على إقليم معين بذاته بل شمل معظم الأقاليم وعلى مدى قرون متعاقبة. ونتيجة للتنافس والتسابق في ذلك بين الحكام والعلماء والأثرياء، وحتى الأفراد العاديين الذين ساهموا في أبواب ومجالات البر المختلفة، وخاصة في مجال العلم والتعليم تم إنشاء الكثير من المكتبات بأنواعها في المساجد والمدارس والكتاتيب ...الخ، لخدمة العملية التعليمية. ولم يقتصر إنشاء المكتبات الوقفية على مرافق العبادة والتعليم، بل تعدى ذلك إلى الأربطة، والزوايا، والبيمارستانات (المستشفيات) وغيرها.

٢/١. أنواع المكتبات الوقفية:

٢/١/أ . المكتبات الوقفية العامة: وهي التي تقدم خدماتها لعموم الجمهور، مثل: مكتبات المساجد، والمكتبات الوقفية العامة بالمدن، وكذلك التي يشترط موقفها أن تكون متاحة للجميع حتى وإن كانت تبدو أنها خاصة لأن العبرة بشرط الواقف.

٢/١/ب . المكتبات الوقفية الخاصة: وهي التي يتم إنشاؤها لخدمة فئة معينة أو ضمن مكان محدد لأشخاص معينين، ومن أمثلتها: مكتبات المدارس، والكتاتيب، والأربطة، والزوايا، والبيمارستانات (المستشفيات)، والخانقاهات، والمكتبات الخاصة.

٢/١/ج . المكتبات الوقفية المدمجة: وهي مكتبة وقفية تم دمجها ضمن مكتبة أخرى، سواء كانت التي تم الدمج فيها وقفية، أم غير وقفية. ويتم الدمج لأسباب مختلفة، مثل الخوف من ضياع محتوياتها، أو الخوف عليها من السرقة والنهب، أو لعدم تمكن القائمين عليها من الوفاء بمستلزمات العمل بها...الخ. ومن أمثلتها المكتبات التي دمجت في مكتبة عارف حكمت زمن الأشراف أواخر الدولة العثمانية، وتلك التي دمجت في مكتبة المدينة العامة بتوجيه من الملك سعود، كما دمجت في مكتبة الملك عبد العزيز بالمدينة المنورة.

وفيما يلي نستعرض أبرز أنواع المكتبات الوقفية التي مرت عبر تاريخ الحضارة الإسلامية، ثم نورد بعد ذلك نماذج لأشهر تلك المكتبات في مناطق جغرافية مختلفة من العالم الإسلامي. وبنوع من التفصيل فيما يخص المكتبات الوقفية بالمدينة المنورة.

٢/١/١. مكتبات المساجد:

مكتبات المساجد أول وأقدم أنواع المكتبات الوقفية في الحضارة الإسلامية، فالمساجد وما تحويه وقف لعموم المسلمين. وكانت البداية من مكتبة المسجد النبوي في المدينة المنورة، فعند تدوين القرآن الكريم تم إيداع أول نسخة من تلك المصاحف التي خطها الصحابة الكرام في زمن الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه بالمسجد النبوي، "وقد روى ابن شبة عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة قال: إن أول من جمع القرآن في مصحف وكتبه عثمان بن عفان رضي الله عنه، ثم وضعه في المسجد فأمر به أن يقرأ كل غداة"(١).

ومن خلال هذا النص يتضح لنا أن أول المكتبات الوقفية ظهورا في الحضارة الإسلامية هي مكتبات المساجد، وأولها إنشاء هي مكتبة المسجد النبوي، وأول كتاب أودع في مكتبات المساجد هو نسخة من القرآن الكريم التي خصصها الخليفة عثمان بن عفان للمسجد النبوي بالمدينة المنورة. وقد نمت مكتبة المصحف هذه عبر القرون وأصبحت تضم مئات من نوادر المخطوطات للقرآن الكريم من شرق وغرب العالم الإسلامي وهو ما سيتم شرحه في الجزء الخاص بها لاحقا.

ولعل مبادرة الخليفة أبو بكر الصديق بتدوين القرآن الكريم، والخليفة عثمان بنسخه، أسهمت في تحفيز عدد من علماء الصحابة في بدايات القرن الأول إلى تدوين مؤلفاتهم، التي نتج عنها بدايات المكتبات الخاصة التي ظهرت في المدينة المنورة، فكان المسجد النبوي ملتقى الصحابة يتعلمون ويعلمون طلبة العلم من المسلمين، ومادة العلم كما نعلم تعتمد على التدريس الذي يعتمد بدوره على الكتب وأدوات الكتابة التي من المفترض أن تكون متوافرة آنذاك في المسجد النبوي، وبالتالي تعزز وجود مكتبة فيه تدعم حركة التعليم هذه. يقول عبد اللطيف بن دهيش: "ويتفق الكثير من مفكري العالم الإسلامي على أن نشأة المكتبة في الإسلام كانت وليدة المسجد ومتصلة به اتصالاً وثيقاً. ففي المسجد تأسست المكتبة الإسلامية حيث كانت تعقد فيه حلقات الدرس في مختلف العلوم الإسلامية، وذلك منذ ظهور الإسلام فكان المسجد الحرام بمكة المكرمة والمدينة المنورة وكذلك المساجد الأخرى في البلدان المفتوحة ملتقى الأفراد والجماعات لمعرفة الدين الإسلامي وخصائصه، ودراسة القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة والفقه الإسلامي، وخاصة بعد أن تم جمع القرآن الكريم في مصحف واحد في عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه. وكان العالم يجلس في المسجد الحرام بمكة المكرمة أو المسجد النبوي الشريف بالمدينة المنورة ... ويجلس من حوله تلاميذه، يقوم بتدريس علوم الشريعة الإسلامية، وأحيانا يملي عليهم ما يفتح الله عليه من علوم الدين والدنيا، وهم يكتبون عنه بالطريقة وحسب المواد المتوفرة لهم في ذلك العصر، ثم يجمعون تلك الأمالي فتصير كتبا ومؤلفات. وبذلك انتشرت حلقات الدرس ومجالس الإملاء في جميع المساجد. وقد كان من ثمار مجالس الإملاء ظهور كتب كثيرة باسم الأمالي، أفرد لها حاجي خليفة فصلا خاصا بها في كتابه كشف الظنون، ومن أشهر تلك الكتب كتب الأمالي للقالي، وثعلب، والزجاج، وابن دريد، وبديع الزمان الهمداني"(٢). ويضيف عبد اللطيف بن دهيش: "ويظهر أن مكتبات المساجد كانت أول المكتبات

نشوءا في الإسلام، فلقد جرت العادة في العصور الإسلامية الأولى أن يودع الناس في المساجد نسخا من القرآن الكريم، وغيره من كتب الحديث والفقه ليستفيد منها المصلون والمطالعون والدارسون"(٣).

ويقول مكي السباعي: "وبمرور الوقت أصبح هؤلاء الصحابة (رضوان الله عليهم) أول معلمين في الإسلام، وأضحى المسجد قاعة كبرى لدروسهم. وفعلا ترسخ المسجد منذ ذلك الوقت كمركز للعلم والتحصيل، بجانب كونه دارا للعبادة، واستمر هذا الدور المزدوج للمسجد بدون أي عوائق خلال فترة الحكم الأموي، والعباسي، وما أعقبهما من عصور الحكم الإسلامي"(٤).

وينقل السباعي عن روث ماكينسين التي كرست الكثير من الوقت والجهد لدراسة الجوانب المختلفة للمكتبات العربية الإسلامية قولها: "قدمت الكتب كهدايا، ووهب العديد من العلماء مجموعات مكتباتهم للمساجد، كرغبة جماعية لتدعيم مكتبات المساجد والحفاظ عليها، وذلك حتى تتمكن المساجد من القيام بدورها في تزويد الدارسين المترددين عليها بالعلم والمعرفة. وقد تنامت الجامعات العظيمة في قرطبة وطليطلة لتصبح قبلة علمية لجموع الدارسين من مسلمين ومسيحيين على حد سواء. كما تنامت حلقات العلم في الجوامع، ومن ذلك الجامع الأزهر الذي لا يزال، وبعد إنشائه منذ أكثر من ألف عام يعد من أشهر المراكز الفكرية والتعليمية في العالم الإسلامي"(٥). وتضيف ماكينسين قولها: "إن المسلمين الذين بذلوا الكثير من الجهد والمثابرة في استنساخ الكتب، وصرفوا الأموال الطائلة في سبيل البحث عنها واقتنائها وحفظها، لم يتوانوا أو يترددوا أبدا في وهبها والتنازل عنها برضاء تام وطيب خاطر، إلى المساجد والمدارس، لكي يتمكن العلماء والدارسين وطلاب العلم من تداولها والاطلاع عليها، ولتتمكن الأجيال التالية من الاستفادة منها"(٦).

وقد حفظت مكتبات المساجد رصيدا ضخما من تراث الأمة وعلومها، ودعمت المسيرة العلمية، وذلك بالرغم من كل ما تعرضت له من كوارث طبيعية، وتعديات بشرية. "وللتعرف على ضخامة ما كانت تحويه مكتبات الجوامع والمساجد في أنحاء العالم الإسلامي فإن في إمكان المرء الرجوع إلى كتاب سزكين حين أورد أسماء بعض الجوامع التي تضم مخطوطات، ووضع لها فهارس تنم عن محتوياتها، وكذلك أطروحة محمد مكي السباعي التي قدمها إلى قسم المكتبات بجامعة أنديانا عام ١٩٨٤م، وحصل بها على درجة الدكتوراه"(٧). ويقول محمد أمين: "بدأت الحياة العلمية في مصر بعد تحريرها من السيطرة البيزنطية، في مسجد عمرو بن العاص، ولم تلبث أن أصبحت مساجد مصر الكبرى مثل جامع أحمد بن طولون، والجامع الأزهر من أشهر مراكز الحركة العلمية ليس في مصر وحدها بل في أنحاء الدولة الإسلامية"(٨).

وقد سبق المسجد النبوي بالمدينة المنورة جميع مساجد الدنيا في الاهتمام بالعملية التعليمية، ذلك لأن الإسلام ظل محاصرا بها لعدة أعوام إلى أن فتحت مكة المكرمة في العام الثامن للهجرة.

وفي هذه السنوات كان المسجد النبوي ومسجد قباء بالمدينة محط العملية التعليمية، يقول علي الجهني: "ويعد المسجد النبوي في المدينة المنورة، أول معاهد الإسلام الذي وضعت فيه اللبنات الأولى للتعليم، حيث كان المسلمون يعقدون حلقاتهم حول علماء المدينة وفقهائها، يتلقون عليهم علوم الدين والفقه واللغة"(٩). وعن مسجد قباء يقول: "فقد روي أن بعض الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، كانوا يعلِّمون في مسجد قباء زمن الرسول صلى الله عليه وسلم. وقد جاء في بعض النصوص التاريخية أن عبد الله بن أم مكتوم قدم مهاجرا إلى المدينة مع مصعب بن عمير- رضي الله عنهما- بعد بدر بيسير فنزل دار القراء، وهذا يعني أن بالمدينة على عهد المصطفى صلى الله عليه وسلم دارا مخصصة للقراءة والدرس"(١٠).

وكنتيجة لهذا الحراك العلمي بالمدينة كان من الطبيعي أن تكون بدايات ظهور الكتب والمكتبات في زمن الصحابة، الأمر الذي سنورد شواهده لاحقا لتأكيد صحة هذه المقولة، التي من آثارها الواضحة الأحاديث المعنعنة، التي تم رصدها في كتب الحديث. فليس هناك من حديث إلا ويروى عن صحابي. ومن أبرز كتب ذلك العصر تفسير ابن عباس الذي لا زال يطبع إلى يومنا هذا.

٢/١/٢. مكتبات الكتاتيب:

ومفردها كُتَّاب وفي محيط المحيط: "الكُتَّاب جمع الكاتب، وموضع التعليم وقيل الكُتّاب الصبيان وجمعه كتاتيب"(١١). وظهرت الكتاتيب بداية في المدينة المنورة، وكانت نواتها تتمثل في تأسيس الرسول صلى الله عليه وسلم لأول مؤسسة تعليمية بالمدينة، وذلك باتفاقه مع أسرى بدر- في السنة الثانية من الهجرة - أن يكون عتقهم بتعليم الواحد منهم عددا من صبيان المدينة القراءة والكتابة، ومن هنا كانت بداية الكتاتيب في تاريخ الحضارة الإسلامية ومن بعدها جاء إنشاء المدارس على نفس النهج. يقول محمد باشميل عن موضوع أسرى بدر: "وأطلق سراح بعض الأسرى من غير فداء لفقرهم، كما اتفق مع المثقفين من الأسرى على إطلاق سراحهم مقابل قيامهم بتعليم أطفال المسلمين القراءة والكتابة"(١٢). ولعل هذا العمل، هو الأساس الذي أنشأت على نهجه الكتاتيب في الحضارة الإسلامية، والتي ظهرت أولاً في المدينة المنورة ثم انتشرت في أرجاء العالم الإسلامي. تقول سحر الصديقي: "عرف المسلمون الكتاتيب على الأرجح في عهد عمر بن الخطاب، وقد أشار ابن حزم إلى ذلك في قوله: "مات أبو بكر وولي عمر، ففتحت بلاد فارس طولا وعرضا، وفتحت الشام كلها، والجزيرة، ومصر كلها، ولم يبق بلد إلا وبنيت فيه المساجد وقرأ الأئمة القرآن، وعلمه الصبيان في المكاتب شرقا وغربا" فيعد أمير المؤمنين عمر أول من اهتم بالكتاتيب، ورتب لها أوقات الدراسة وخصص في ديوانه ثلاثة معلمين ووفر لهم مرتبات. وكان الكتَّاب في بدايته في رحبة المسجد ، ثم خصِّص له مكان مستقل ، وقد اختلف حجمه من حجرة صغيرة إلى مكان أوسع يتسع لأعداد كبيرة

من الطلاب ، ولم يقتصر التعليم فيه على حفظ القرآن الكريم واستظهاره ، وإنما كان يتعلم فيه التلاميذ القراءة والكتابة، وقدرا من الحساب"(١٣).

والكُتّاب يعتبر رديفا للمسجد في العملية التعليمية ومساندا له منذ البداية، وقد نشأ الاثنان معا في المدينة المنورة، ثم انتشرا مع الفتوحات الإسلامية، يقول سليمان أبا الخيل: "وأول ظهور لمؤسسة تعليمية غير المساجد كان لما يسمى بالكُتّاب، وهو مرفق تعليمي يُرادف المدرسة الابتدائية، يدرس فيه حفظ القرآن وقراءته، وربما يضاف إليه بعض المهارات كالخط والكتابة. وهو خاص بالصغار دون الكبار على العموم، وهذه الكتاتيب ظهرت في مرحلة مبكرة جدا، فقد ورد أن ابن عمر ـ رضي الله عنهما. كان يسلم على الصبيان في الكُتّاب"(١٤).

والكتاتيب من أعمال الوقف ذلك أنها كانت جزأ من المساجد، ثم أصبحت مجاورة له. "ومن هنا كثرت الأوقاف على الكتاتيب التي اهتمت بتعليم الأطفال في العصور الإسلامية المختلفة خاصة في عهد الأيوبيين، ثم المماليك حيث كان الاهتمام بحبس الأوقاف لإنشاء الكتاتيب"(١٥). ولازال المسجد النبوي الشريف عامر بالكتاتيب إلى يومنا هذا، ويتم استقبال الطلاب فيه يوميا حسب الأوقات المقررة لهم حيث تقع أماكن الدراسة فيه شمالي المسجد في آخر الصفوف.

٣/١/٢. مكتبات المدارس الوقفية:

ويعرفها البستاني: "المدرسة: الموضع الذي يدرس فيه القرآن وغيره، وتتعلم فيه الطلبة. سميت به لكثرة الدّرس فيها. وجمعها مدارس"(١٦). واختلف المؤرخون في تاريخ تأسيس أول مدرسة نظامية في الحضارة الإسلامية، ولكن فيما يخص أول مدرسة احتوت على مكتبة وقفية، يقول يحيى جنيد: " وإذا كان من الصعب أن نحدد بشكل دقيق أول مدرسة في تاريخ الإسلام احتوت على مكتبة، إلا أن من الممكن أن نقول: إن من أقدمها ما كان في المدرسة البيهقية في نيسابور. فهذه المدرسة يعود تاريخها التقريبي إلى القرن الرابع الهجري والتي كانت متخصصة في علم الحديث ضمت مكتبة وقفت عليها"(١٧).

وقد انتشرت المكتبات بالمدارس الوقفية في طول وعرض الخلافة الإسلامية، من الجزيرة العربية إلى ما وراء النهر، إلى بلاد الرافدين، والشام ومصر والمغرب والأندلس. يقول محمد أمين: " حرص الواقفون في العصر المملوكي على أن يلحقوا بكل مدرسة خزانة كتب يرجع إليها المدرسون والطلاب، ولاسيما الفقراء.منهم. مثال ذلك ما نصت عليه وثيقة السلطان الغوري، وبها خلوة كبرى معدة لخزن الكتب بها ... معدة لحفظ ما فيها من كتب العلم الشريف الموقوفة على طلبة العلم الشريف لانتفاعهم بها في المدرسة المذكورة"(١٨).

وقد جاءت المكتبات الوقفية المدرسية تالية لمكتبات المساجد والكتاتيب، وكانت معينا لا ينضب للمدرسين والدارسين جميعا. وقد ساهم الوقف بدور فعال؛ بتوفيره مخصصات مالية للطلاب لمساعدتهم على العيش والتفرغ لطلب العلم، ومنحهم السكن المناسب، وغالباً ما يوفر لكل طالب فيها الفرش واللوازم الأساسية في المعيشة في غرفته، ويوفر الوقف ماء الشرب، وكذلك الطعام للطالب في بعض منها، كما يوفر أغلبها مكتبة

ليتمكن ساكنها من الاستفادة من محتوياتها، ووضعت لوائح فيها من المرونة ما يكفي لتنظيم عملية الإعارة لساكنيها، ووفرت أحياناً غرف واسعة للمحاضرات والدرس، ولم تشترط أغلبها سكنى الإقامة، وإنما ترك الأمر للطلاب ورغبتهم، وعادة ما تبدأ الدراسة بعد صلاة الصبح مع طلوع الشمس، وفي الأربطة بالمدينة المنورة، كان على جميع الطلاب الساكنين في الرباط المشاركة في محاضرات مدرسهم، ثم بعدها لهم الحرية في استغلال وقتهم، ويسعى المجتهدون من الطلبة إلى المسجد النبوي لتحصيل العلم، حيث يُلقي علماء المدينة الدروس في ساعات معينة من النهار كل منهم في موضوعه، وعندما يجد الطالب أنه يملك ما يكفي من المعارف في موضوع ما، ينتقل إلى عالم آخر وهكذا، ولا زال موضوع التدريس في المسجد النبوي قائم إلى يومنا هذا، نهارا ومساء. بل تطور ليشمل التدريس بعدد من اللغات الأخرى غير العربية.

٢/١/٤. مكتبات الأربطة:

يقول البستاني: "الرباط: ربط الشيء يربطه، ويربطه ربطا أوثقه وشدّه أي ضد حله، ورابط الجيش لازم ثغر العدوّ، والرجل فرسا اتخذه للرباط"(١٩). ينقل يحيى جنيد عن المقريزي في المواعظ والاعتبار قوله: الرباط "هو بيت الصوفية ومنزلهم ولكل قوم دارهم والرباط دارهم"(٢٠). ويضيف نقلا عن محمد عبد الرحيم غنيمة قوله: "أن الربط والخانقاهات كانتا تعمل جنبا إلى جنب مع المدارس على رعاية شؤون الطلبة الفقراء وإيوائهم ... ومن هنا فقد أنشئت بداخلها مكتبات كي يلجأ إليها الطلاب عند الرغبة في البحث والمطالعة خارج أوقات الدراسة الرسمية"(٢١).

وقد انتشرت الأربطة في العالم الإسلامي على مدى قرون طويلة، ولا زال بعضها قائم إلى يومنا هذا. وقد تتوع مستحقوها بحسب ما يشترطه الواقف، وكثير منها كان يحتوي على مدرسة، وبعضها على مكتبة، أو الاثنين معاً، أو على كتّاب لتعليم الصبيان القرآن الكريم، وأسهم الوقف إسهاماً مهماً بتوفيره مخصصات لساكني الأربطة ولما يحتاجه أهلها في معيشتهم وتعليمهم، وقد سكن الأربطة وتخرج منها علماء كبار.

٢/١/٥. مكتبات الخوانق(الخانقاهات):

الخانقاهات: عرفت بالتكايا في العهد العثماني، وكان الغرض الشائع من إنشائها، هو إيواء الدراويش المنقطعين للنسك والعبادة، ولتدريس العلوم الدينية، أو توفير مكتبة يرتادها من يشاء من طلاب العلم، أو تطبيب المرضى وعلاجهم. وتعريفها: "الخانقاهات ومفردها خانقاه، كما أنها تستخدم في بعض الأوقات لإيواء الصوفية، ويذكر المقريزي أن الخانقاهات "حدثت في الإسلام في حدود الأربعمائة من سني الهجرة لتخلي الصوفية فيها لعبادة الله تعالى"(٢٢). ويقول طارق حجار: "الخوانق: كلمة فارسية الأصل بمعنى البيت، وتبنى على هيئة مسجد بدون مئذنة، يحيط بها عدد من الغرف، مخصصة لاستقبال الفقراء وعابري السبيل لإقامتهم بها، وقد رتب فيها العلماء والمشايخ دروسا في مختلف العلوم، وخصوصا القرآن والسنة والفقه الإسلامي"(٢٣).

ويقول يحيى جنيد: "وكانت الربط والخانقاهات، التي كانت تأوي الفقراء والغرباء والطلاب، وتعتمد اعتمادا كليا على الوقف، مسرحا لنشاط علمي مكثف، ولا يستبعد المرء أن بعضها استغل في التعليم وإقامة حلقات الدرس نظرا لمجاورة مجموعة كبيرة منها للمساجد والمدارس، إضافة إلى احتوائها خزائن للكتب، وإقامة أعلام مشاهير الفقهاء والعلماء فيها"(٢٤).

٦/١/٢. مكتبات الزوايا:

قد يخلط البعض بين الأربطة والخوانق والزوايا، إلا أن محمد محمد أمين يرى أن هناك فارقا بين كل منها فيقول عن الرباط: "فلا يشترط فيمن ينزل به أن يكون متبعا لأحد طرق التصوف؛ إذ هو عبارة عن ملجأ ومأوى لفقراء المسلمين، أو عتقاء الوقف ... والخانقاه "هو مسجد وبيت الصوفية، يتسع لعدد كبير قد يصل إلى أربعمائة ... ويشترط فيمن يقيم بالخانقاه أن يكون متبعا لإحدى الطرق الصوفية ... أما الزوايا فهي في الغالب تنشأ برسم شخص معين ينقطع فيها للعبادة، ويلتف حوله محبوه ومريدوه الذين يأخذون عنه الطريقة"(٢٥). وقد شاعت الزوايا في المدينة المنورة بسبب قدوم عدد من شيوخ الطرق الصوفية إليها وإقامتهم بها، أو قدوم بعض أتباعهم، وكان المترددون عليها يمارسون الأعمال المقررة في طريقتهم، ويستمعون إلى دروس مختلفة يلقيها شيوخهم، ويقرءون في الكتب التي ألفها الشيوخ الأوائل، وفي الغالب كان لكل منها مكتبة محددة، فيها نسخ من القرآن الكريم وبعض التفاسير وبعض الكتب الصوفية، ومنها ما أنشئ للتربية الروحية للحياة الصوفية، ومنها ما أنشئ بهدف التعليم، ويغلب ذلك على زوايا العلماء، ومنها ما كان فردياً يقيم به شيخ يقصده الناس والمريدون في أوقات معينة، ومنها ما كان جماعياً يقيم فيه المريدون مع الشيخ.

٧/١/٢. مكتبات المشافي (البيمارستانات):

في صورة معبرة عن مدى الرقي العلمي في الحضارة العربية الإسلامية والحرص عليه، نرى بشكل واضح وجلي تعدد أشكال المكتبات وانتشارها في مختلف المواقع، حتى في مواطن المرض حيث الأسباب الداعية للخلود للراحة قوية نجد أن المكتبات قد غزتها أيضا. "والمارستان أو البيمارستان كلمة فارسية الأصل تعني بمفهومنا المعاصر المستشفيات، وكانت معروفة ومنتشرة على مدى قرون طويلة في أرجاء العالم الإسلامي، وكان بعضها مخصصا للعلاج والدراسة في الوقت نفسه، وهو ما دفع بأحد الباحثين المعاصرين إلى اعتبارها مدارس طبية. والعجيب في الأمر أن تكون مكتبات البيمارستانات من أقدم ما عرف في تاريخ المكتبة العربية رغم التخصص الدقيق للمارستان أو البيمارستان"(٢٦). ومن أشهر البيمارستانات:

. بيمارستان نور الدين زنكي في دمشق.

. = = العضدي في بغداد.

. = = أحمد بن طولون في القاهرة.

٨/١/٢ . مكتبات المراصد:

لم تنتشر المراصد كما هو الحال بالنسبة للمدارس والأربطة، ولكنها وجدت في مواقع مختلفة من العالم الإسلامي في الشرق وفي مصر. وتعريفها في محيط المحيط: "المرصد: موضع الرصد. رَصَد: رصد حركاته: راقبها. رصد النجوم: لاحظ حركاتها ومواقعها"(٢٧). ومن أشهر هذه المراصد:

. مرصد مراغة في أذربيجان.

. المرصد الحاكمي في القاهرة.

. مرصد ملكشاه في نيسابور.

٩/١/٢ . مكتبات الخَلَوات:

يفضل بعض العلماء الانزواء عن الناس والبعد عنهم، وذلك بهدف الاشتغال بطلب العلم أو العبادة، لما يرون في مخالطة الناس من ضياع الوقت وإهداره فيما لا فائدة فيه، ومن هنا نشأت الخلوات عند أهل الديانات والعلماء أيضا. ويعرفها البستاني: "الخَلوَة: مصدر، والمكان الذي يختلي فيه الرجل. جمعها خَلَوات، ومن هذا القبيل خَلوات الدروز وهي أبنية في صوامع معتزلة عن القرى تنفرد بها العقال منهم للعبادة. الواحدة منها خَلوة"(٢٨).

وقد انتشرت الخلوات في العديد من المساجد، وخاصة الحرمين الشريفين وكانت عادة لعالم بعينه، وضم بعضها مكتبات خاصة بهؤلاء العلماء، ومنها خلوة الإمام السمهودي بالمسجد النبوي الشريف والتي كانت تضم أكثر من ثلاثمائة كتاب وكانت ضمن ما احترق يوم شبت النار في المسجد النبوي.

١٠/١/٢ . مكتبات التُّرَب:

ويعبر بها عن المقابر، قال في محيط المحيط: "تربة: جمعها ترب، "واراه في تربته" في قبره"(٢٩). وقد اهتمت بها بعض الأقطار الإسلامية، وأولتها عناية خاصة باعتبار أنها مكان تستجلب فيه الرحمة للأموات عبر الذكر والدعاء لهم. بينما أنكرها فريق آخر ورأوا فيها نوعا من البدع المنهي عنها، وقد ضمت بعض هذه الترب مكتبات من أشهرها:

. تربة أم الخليفة في بغداد.

. القبة المنصورية بالقاهرة.

. تربة أحمد باشا الكويري في استانبول.

١١/١/٢. المكتبات الوقفية العامة:

يتم إنشاء المكتبات العامة عادة لخدمة الجمهور بمختلف فئاته، وقد ظهرت نماذج لها في الحضارات القديمة، واستمر إنشاؤها عبر القرون وإلى يومنا هذا حيث لا تكاد تخلو مدينة منها في مختلف الدول المتقدمة. وقد انتشرت المكتبات الوقفية العامة في العالم الإسلامي، وإن كان مسمى بعضها لا يوحي بأنها عامة، إذ تكون ضمن رباط أو تحمل اسم شخص معين مثل مكتبة عارف حكمت، أو بشير أغا، أو المحمودية وغيرها من المكتبات، إلا أن العبرة بشرط الواقف الذي ينص على استفادة الجميع منها.

١٢/١/٢. المكتبات الوقفية الخاصة:

وهي مكتبات ينشئها البعض في داره ويخصصها لنفسه وعائلته، أو لفائدة فئة معينة من المستفيدين، وبالتالي فهي غير متاحة لعموم الجمهور. وقد انتشرت في مواطن عدة في مكة المكرمة والمدينة المنورة، ومصر والشام والأندلس. ومع ظهور الدول الحديثة بعد عصر الاستعمار، قامت الدول بجمع محتوياتها ووضعها ضمن مكتبات قومية أو عامة مثل دار الكتب في مصر، والمكتبة العامة بالمدينة المنورة.

ومن المهم ملاحظة أنه رغم تنوع المكتبات الوقفية إلا أن دلالة المسمى قد تختلف أحيانا تبعا لشرط الواقف، فمثلا مكتبة الرباط أو الزاوية من المعلوم أنها خاصة بالمجموعة المقيمة في ذلك الرباط أو تلك الزاوية، إلا أن شرط الواقف قد يتيح استفادة الآخرين من مكتبتها، وقد يتوسع في ذلك فيسمح لأهل الحي أو ربما المدينة جميعا بالاستفادة من هذه المكتبة فتتحول من مكتبة وقفية خاصة كما يدل المسمى، إلى مكتبة وقفية عامة حسب

شرط الواقف. وفي هذا المعنى يقول محمد ماهر حمادة: "فمن الناس من يوقف كتبه على المسلمين عامة دون تعين فتوضع كتبه في خزانة الجامع، ومنهم من يخصص فيقول أوقفتها على المكان الفلاني أو البلد الفلانية أو أو... الخ. ومنهم من يترك استعمالها حرا، على حين يضع آخرون شروطا لاستعمالها وإعارتها كما فعل القاضي ابن حبان الذي منع إعارة الكتب خارج المبنى، وكما فعل ابن خلدون الذي منع إعارة كتابه العبر إعارة خارجية إلا لقاء رهن ولمدة لا تزيد على الشهرين، وبعضهم وقف كتبه على أهل العلم كما فعل ابن الخشاب"(٣٠).

ويقول يحيى جنيد : "واعتمادا على المصادر التي اطلعنا عليها نجد أن وقف دور الكتب أو خزائن الكتب المستقلة هو أقدم أنواع وقف الكتب والمكتبات عند المسلمين، ومن الطبيعي أن يكون أوائل المساهمين في هذا النوع من الوقف هم الخلفاء والحكام والوزراء والأثرياء نظرا لتوفر المال لديهم، ووجود الحافز نحو المشاركة في عمل خيري عن طريق استغلال جزء من ثرواتهم للصالح العام رغبة في الثواب"(٣١). ومن المعلوم أن مكتبات المساجد والكتاتيب هي أقدم أنواع المكتبات الوقفية كما ورد ذكره سابقا عند الحديث عن مكتبات المساجد.

٢/٢/٠. نماذج للمكتبات الوقفية في الحضارة الإسلامية:

نستعرض في هذا الجزء من الدراسة نماذج من المكتبات الوقفية التي انتشرت في العالم الإسلامي وعلى مدى قرون متعاقبة، والهدف من هذا العرض هو الدلالة على انتشار مختلف أنواع المكتبات الوقفية شرقا وغربا، وعلى مدى قرون متعاقبة، وليس بالضرورة أن جميع الأنواع وجدت في مختلف الأقطار والمدن، فنوع منها قد يوجد في مكان ولا يوجد في آخر، مثل مكتبات المراصد، أو المشافي (الباريمستانات). والهدف من هذا العرض، هو تأكيد وجود هذه المكتبات، وانتشارها في العالم الإسلامي وعلى مدى حقب من الزمن متتابعة.

٢/٢/١. المكتبات الوقفية في الحرم المكي:

من أقدم الأماكن التي شهدت إنشاء المكتبات الوقفية الحرمان الشريفان في مكة المكرمة والمدينة المنورة. ونستعرض هنا بعضاً من تاريخ المكتبات الوقفية بمكة المكرمة، وأما بالنسبة للمدينة المنورة فسيأتي تفصيل تاريخ مكتباتها الوقفية لاحقا في الفصل التالي باعتبار أنها من مواضيع الدراسة الرئيسية.

فبالرغم من انتقال مقر الخلافة من المدينة إلى الشام ثم العراق، فقد ظلت سوق العلم ومادته الكتب رائجة في بلاد الحرمين، الأمر الذي يبرر وجود المكتبات بأنواعها وتوافرها في الحرمين يقول الجابري: "أما تجارة الكتب، فقد كانت سوقها رائجة في بلاد الحرمين الشريفين، وساعد على ذلك المجاورون والقادمون للزيارة والحج، كانوا يصطحبون معهم جلّ كتبهم؛ إما للاستفادة منها، أو إهدائها لعلماء الحرمين الشريفين، أو بيعها في سوق الكتب إذا ضاقت بهم سبل العيش"(٣٢).

وقد توفرت الكتب الموقوفة في الحرمين منذ القرون الأولى ولكنها تعرضت للعديد من الكوارث يضيف الجابري: "فقد نشأت خزائن الكتب على مر العصور الإسلامية في أنحاء متفرقة من الحرم ولقد تعرضت خزائن الكتب في الحرم المكي الشريف لكوارث عدة ... فقد جاء في الملحق الثالث من ملاحق كتاب أخبار مكة للأزرقي: ((أن سيلا دخل الحرم المكي عام ٤١٧هـ وصل خزائن الكتب وأتلف منها الشيء الكثير)) وأكد ذلك البتنوني في ((الحلة الحجازية)) بأن في الحرم المكي كتبا كثيرة مهمة وضعت في دواليب سرق بعضها والبعض

أفسدته السيول التي أغرقت المسجد الحرام وشوارع المدينة المقدسة ومن أهمها سيل ٤١٧هـ/١٠٢٦م الذي صعد هذه الخزائن وأتلف منها الشيء الكثير، وأشار إلى أن ذلك أكبر مصيبة على العلم والعلماء لما فقدوه من كتب التراث وأمهات الكتب ونوادرها"(٣٣). ويضيف: "وأيضا روى النجم ابن فهد: "أنه في سنة ٤٨٨هـ/١٠٩٥م ولي الجمال ابو عبد الله محمد بن فتوح المكناسي المالكي إمامة مقام المالكية بالمسجد الحرام، ووقف المكناسي المذكور كتاب ((المقرب)) في ست مجلدات لابن زمنين المالكي على المالكية والشافعية والحنفية الذين يكونون بمكة وجعله بخزانة المالكية بمكة" مما يعني أن أئمة المذاهب بالحرم المكي الشريف كان لكل منهم خزانة كتب خاصة، وهو دليل كذلك على ترتيب الكتب وتنظيمها في مكان معين؛ مما يساعد على سهولة الاطلاع ... وأكد ذلك ابن بطوطة في ((رحلته)) أن قبة الشراب تخزن فيها المصاحف الكريمة والكتب التي للحرم الشريف، وبها خزانة تحتوي على تابوت مبسوط متسع فيه مصحف كريم بخط زيد بن ثابت رضي الله عنه، منسوخ ستة ثمانية عشرة من وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم"(٣٤).

ونلاحظ من خلال الوصف التاريخي السابق أن طريقة حفظ الكتب في الصناديق ووضعها في القباب كانت السمة الواضحة لكيفية حفظ الكتب في الحرمين الشريفين، وكذلك الحال في المدينة المنورة ويضيف الجابري: "أما المسجد النبوي، فإنه لم يسلم من الكوارث، فقد تعرض لحريق في سنة ٦٥٤هـ/١٢٥٦م، وكان من نتائج هذا الحريق أن التهم المنبر النبوي، والأبواب والخزائن والصناديق والمصاحف وكسوة الحجرة النبوية، وكل النفائس التي كانت فيه، ولم يسلم سوى القبة التي أحدثها الناصر لدين الله سنة ٥٧٦هـ/١١٨٠م لحفظ ذخائر الحرم، وبذلك نجا من الحريق المصحف العثماني وعدة صناديق كبار حديثة عهد، صنعت بعد الثلاثمائة من الهجرة"(٣٥).

وظلت المكتبات الوقفية بالمدينة المنورة الأكثر عددا ومقتنيات من تلك التي كانت بمكة المكرمة. يقول محمد باجودة مدير مكتبة الحرم المكي الشريف نقلا عن أحمد العطار: "وتعتبر المدينة المنورة أكثر المدن ازدحاما بالمكتبات بل هي المدينة السعودية الوحيدة التي تحتشد فيها المكتبات العظيمة باتفاق معظم المؤرخين،وكانت المدينة المنورة موضع اهتمام الخلفاء والأمراء وشيوخ الإسلام وغيرهم من المسلمين فنقلوا إليها مكتبات كثيرة وأضافوا إليها مع مرور الأيام مكتبات ضخمة، حتى أصبحت رقعة المدينة الضيقة مزدحمة بالمكتبات ونفائس المخطوطات والنوادر والذخائر"(٣٦).

وقد أدت وفرة الكتب هذه إلى إرسال السلاطين والوجهاء مندوبيهم لشراء الكتب لهم من الحرمين "فقد أرسل السلطان عامر إلى مكة يطلب أن يشترى له كتاب (فتح الباري) لابن حجر، فاشتري له بمال جزيل، وأرسل إليه. كما وصل إلى مكة في سنة ٨٨٨هـ / ١٤٨٣هـ الشيخ العالم محمد الخلجي قادما من الهند، وذلك لشراء بعض الكتب لسلطانه. وكان يجلس بهذا السوق الدلالون (المنادون) والنساخون مثل: أحمد بن محمد الحريري (ت.٨٦٠هـ/١٤٥٥م) كما احترف بعض المجاورين بيع الكتب وشراءها مثل: أحمد بن محمد المقدسي

الشهير بابن شريفة ... ومحمد بن عمر التميمي التونسي وكان يعمل بتجارة الكتب والتجليد ما بين القاهرة ومكة"(٣٧).

وقد نتج عن ذلك أن أصبحت سوق الكتب بالحرمين أشبه بالمنتدى الثقافي والمعرض الدائم للكتب يؤمها الأعلام من علماء الأمة.يقول الجابري: "كان سوق الكتب مجمعا للعلماء والأدباء، وأحياناً كانت تدور بينهم مناقشات جادة عند شراء كتاب معين فيه إشكالات؛ فهذا الحافظ زين الدين العراقي، وهو أشهر علماء هذا العصر، يحضر هذا السوق، ويقول: "اجتمعت مع الضياء في بيع تركة كتب بمكة، فعرض منها كتاب من تأليف الخطيب البغدادي، فزدت في ثمنه، فقال الضياء: أتشتري هذا الكتاب وتزيد منه، فإن الخطيب تكلم في أبي حنيفة. فقلت: ما تكلم فيه، بل ذكر كلام الناس. ثم عقب ابن طولون على ذلك بقوله: وأي تعصب أقوى من كلام العراقي"(٣٨). وقد اهتم الخلفاء العباسيين بإنشاء المكتبات سواء كانت عامة أو وقفية كما هو مشهور من أعمالهم في بغداد وغيرها من حواضر العالم الإسلامي، وشمل ذلك الحجاز حيث "أمر الخليفة المستنصر العباسي في سنة ٦٤٢هـ/١٢٤٤م بإنشاء مكتبة في المدرسة المنصورية بمكة، وأرسل الأموال إليها من بغداد وبعدها أصبحت مقرا للملك المنصور وزوجته حينما يتوجهان للحج"(٣٩).

وقد بدأ وقف الكتب والمكتبات في الحرم المكي منذ القدم "حيث إن مكة المكرمة كانت مركز هذه الرسالة، فلا عجب إذا أن يصبح الحرم المكي مركزاً روحياً، ونقطة التقاء العلماء وطلاب العلم من مشارق الأرض ومغاربها منذ الأيام الأولى للإسلام. ولا عجب، مرة أخرى، أن يحتوي هذا الحرم على مجموعات من الكتب، تدعم العملية التعليمية وتساندها، وقد وزعت هذه المجموعات وحفظت في أماكن متفرقة من أروقته المتعددة وفنائه الواسع. "فقد وجد في الحرم المكي أكثر من مكتبة واحدة. وتعد مكتبة المقام المالكي من أقدم هذه المكتبات، حيث يرجع تاريخها إلى القرن الخامس الهجري. ويقال أنها كانت تحتوي على العديد من دواليب الكتب. هذا وقد ذكر عبد الجبار واقعة إهداء إمام المقام المالكي، محمد بن عبد الله المكناسي، لمؤلف ضخم يتكون من ستة أجزاء إلى خزانة المقام المالكي عام ٤٨٨هـ/١٠٩٥م. كما ذكر عبد الجبار خزانة الكتب التي كانت بالمدرسة الشرابية، تلك المدرسة التي كانت تقع على يمين " باب السلام" وملاصقة تماماً للحرم، بحيث عُدّت جزءاً منه. وقد احتوت هذه المكتبة – التي يعزي إنشاؤها هي والمدرسة إلى الأمير العباسي شرف الدين الشرابي عام ٦٤١هـ/١٢٤٣م ، على مجموعات قيمة من الكتب في شتى المجالات العلمية والأدبية، وقد ذكر قطب الدين الحنفي، المتوفى عام ٩٨٨هـ/١٥٨٠م، أنه على الرغم من استمرار نشاط المدرسة الشرابية حتى نهاية القرن العاشر الهجري، إلا أن معظم كتبها القيمة كانت قد فقدت ولم يعد لها وجود في ذلك الوقت"(٤٠). هذا فيما يخص مكتبة المسجد الحرام أما المكتبات الوقفية الأخرى بمكة فمن أشهرها:

خزانة المالكية: "وتأسست في فتره قريبة من فترة دار الكتب في ساوة، وهى مكتبة وقفية في مكة المكرمة يبدوا أنها كانت تهتم بالدرجة الأولى بمصنفات أهل المذهب المالكي، ولا نملك معلومات عن مؤسسها، ولكنها فيما يبدو كانت تزود بين فترة وأخرى بكتب يوقفها علماء وأشخاص من المالكية، ففي عام ٥٥٨هـ وقف محمد بن

عبد الله بن الفتوح بن محمد المكناسي إمام المالكية بالحرم الشريف نسخة من المقرب لابن زمنين المالكي بست مجلدات على المالكية والشافعية والحنفية الذين يكونون بمكة وجعل مقره خزانة المالكي بمكة. ولا نعتقد أن هذه الخزانة كانت داخل الحرم الشريف إذ أنها لو كانت كذلك لنص عليه صراحة، بل كانت مستقلة في مكان خاص بها في مكة المكرمة"(٤١).

مكتبة مدرسة قايتباي: "وتعد مكتبة مدرسة قايتباي إحدى أهم مكتبات الحرم المكي. وقد أشار إليها معروف – نقلاً عن قطب الدين الحنفي – قائلاً : " في سنة ٨٨٢هـ أمر السلطان قايتباي وكيله وتاجره الخواجة شمس الدين محمد بن عمر الشهير بابن الزمن وشادّ عمائره الأمير سُنقر الجمالي أن يحصل له موضعاً مشرفاً على الحرم الشريف ليبني له مدرسة يدرس فيها علماء المذاهب الأربعة، ورباطاً يسكنه الفقراء... فاستبدل وكيله رباط السدرة ورباط المراغي وكانا متصلين.وكان إلى جانب رباط المراغي دار للشريفة شمسية من أشراف بني حسن اشتراها منها وهدم ذلك جميعه وجعل فيها اثنين وسبعين خلوة، ومجمعاً كبيراً، مشرفاً على الحرم وعلى المسعى الشريف ومكتباً ومئذنة. وصيَّر المجمع المذكور مدرسة بناها بالرخام الملون، والسقف المذهب. وقرر فيه أربعة مدرسين على المذاهب الأربعة، وأربعين طالباً. وأرسل خزانة كتب وقفها على طلبة العلم، وجعل مقرها المدرسة المذكورة، وجعل لها خازناً عين له مبلغاً. وبجانب المجموعات الثلاث سابقة الذكر، تحدثنا المصادر عن مكتبة الشرواني، التي أنشئت في أواخر القرن الثالث عشر الهجري بالقرب من بوابة أم هانئ. ويعزي بناؤها إلى والي الحجاز العثماني شرواني زاده محمد رشدي. وقد احتوت هذه المكتبة على كتب في شتى المعارف كالنحو والشريعة والآداب، والتاريخ، وغيرها. ويقال إن عدداً من مؤلفاتها كتب باللغات الفارسية، والتركية والأردية والجاوية"(٤٢).

المكتبة المجيدية: أما أشهر مكتبات الحرم المكي، وأكبرها حجماً، فهي المكتبة المجيدية، التي أمر السلطان العثماني عبد المجيد بإنشائها في موقع قريب من بئر زمزم. "وقد احتوت هذه المكتبة على عدة آلاف من الكتب، أرسلت إليها من إستانبول عاصمة الدولة العثمانية. كهدية من السلطان عبد المجيد، إلا أن معظم هذه الكتب. تلفت نتيجة السيول والفيضانات التي اجتاحت منطقة الحرم عام ١٢٧٨هـ/١٨٦١م. وفي عام ١٢٩٩هـ/١٨٨١م، تم اختيار موقع جديد أكثر أمناً وسلامة، وكان ذلك عبارة عن قاعة كبيرة تقع فوق باب دريبة، أحد أبواب الحرم. لذا فقد عرفت لفترة من الزمن بمكتبة باب دريبة، إلى جانب المكتبة السليمانية. كما بدأ البعض يطلق عليها اسم " مكتبة الحرم" وتدريجياً، وبمرور الوقت، بدأت مقتنياتها في النمو مرة ثانية. وقد أودع في هذه المكتبة العديد من مجموعات الكتب والمخطوطات القيمة التي أوقفها أو وهبها عدد من أفاضل المسلمين، مثل الشريف عبد المطلب، والشيخ صالح عطرجي، والشيخ عبد الحق الهندي، وغيرهم. وقد نقلت فيما بعد أكثر مجموعات وخزائن الكتب الموجودة بداخل أو في أطراف الحرم وأودعت في تلك المكتبة"(٤٣).

رباط الشرابي في مكة المكرمة: "ورغب الأمير شريف الدين إقبال بن عبد الله الشرابي المستنصري العباسي المتوفى سنة ٦٣٥هـ ببغداد في إقامة مشاريع خيرية في مكة المكرمة، فعزم على إنشاء رباط فيها غير أن ذلك لم يتحقق إلا بعد وفاته حيث تولى عمارته في سنة ٦٤١هـ نيابة عنه أبي الشهاب ريحان، وكان موقعه عند باب

بني شيبة، ووقفه عن موكله شرف الدين إقبال، ووقف عليه أوقافاً بمكة، ووقف عليه كتباً في فنون العلم نفيسة"(٤٤).

رباط الأبرقوهي في مكة: "وصاحب هذه الرباط هو شاه شجاع اليزدي سلطان فارس المتوفى سنة ٧٨٧هـ، وقد أسند عمارته إلى غياث الدين الأبرقوهي فنسب إليه، وقد وقف فيه السلطان مجموعة من الكتب ضمن أعمال خيرية أخرى نفذها بمكة"(٤٥).

رباط الخوزي في مكة: "وأسسه الأمير قرامر بن محمود الأقدري الفارسي حوالي عام ٦١٧هـ وضم مكتبة تكونت من مجموعات وقفية جعلت فيه على مر السنين، من بينها مجموعة محمود بن جمال الدين أبي طاهر الهروي الناسخ المتوفى سنة ٧٩٦هـ، والذي كان يسكن في هذا الرباط، و كتب بخطه الكثير، ووقف كتباً في الحديث والفقه وجعل مقرها برباط الخوزة بمكة، ومجموعة أحمد الشهاب المصري التروجي المتوفى سنة ٨١٢هـ وقد أشار إليها الفاسي فقال: بلغني أنه وقف عدة كتب وجعل مقرها برباط الخوزي من مكة، وبه كان يسكن وقد نقل النص السخاوي وأضاف: وفيه توفي"(٤٦). وغيرها من الأربطة بمكة مثل رباط الصفا والموفق وغيرها.

ولم يقتصر وجود المكتبات الوقفية على مكة المكرمة. والمدينة المنورة فحسب، بل انتشرت في أرجاء شبه الجزيرة العربية. وقد وجدت هذه المكتبات في العديد من المدن. الكبيرة منها والصغيرة. مثل: المكتبات الملحقة بمسجد ابن عباس بمدينة الطائف، وهي لا تزال موجودة إلى الآن، وقد كانت تحتوي – في وقت من الأوقات – على مجموعة ثمينة من الكتب، إلا أن معظمها فقد، ولم يبق إلا القليل. وهناك مكتبات وقفية أيضا في القصيم وعسير.

٢/٢/٢. المكتبات الوقفية في العراق وبلاد ما وراء النهر:

مع نشأة الدولة العباسية بدأت المكتبات الخاصة والعامة في الظهور، وقد تنوعت هذه المكتبات ما بين الخاصة والعامة، وتجاوزت العراق لتنتشر في بلاد ما وراء النهر، وكان أول ظهور فعلي منظم وموثق لمكتبة وقفية خاصة كان في مدينة الموصل وهي:

دار العلم في الموصل : يقول عنها يحيى جنيد "وتعتبر هذه الدار، أو حسب مفهومنا المعاصر هذه المكتبة أول مكتبة وقفية في الإسلام اعتماداً على ما ورد في النصوص التراثية المتوفرة بين أيدينا وقد اعتبرها أحد الباحثين أول دار علم في الإسلام. وصاحب الفضل في إنشاء هذه المكتبة هو أبو القاسم جعفر بن محمد بن حمدان الموصلي الفقيه الشافعي الذي يقول عنه ياقوت نقلاً عن محمد بن إسحاق النديم: هو حسن التأليف، عجيب التصنيف، شاعر أديب فاضل، ناقد للشعر كثير الرواية مات سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة ومولده سنة أربعين ومائتين، له عدة كتب ... وقد كان ابن حمدان صاحب رئاسة وجاه في الموصل متقدماً في أصناف من المعارف مثل الفقه والنحو الكلام والجدل، وكانت له علاقات جيدة بكبار رجالات عصره من الوزراء والأدباء والشعراء مثل البحتري والمبرد وثعلب. ويبدو أن تنوع اهتماماته وحبه للعلم وصدقه وإخلاصه قد دفع به إلى التفكير في إنشاء مكتبة يوفر فيها ما يساعد طلبة العلم والباحثين في مدينته الموصل على الدراسة والبحث

والإطلاع، ولعله كان على درجة من الثراء تساعده على تحقيق مثل هذا المشروع ويلمح إلى ذلك ياقوت نقلاً عن أبي علي بن أبي الزمزام حيث يقول: كان ابن حمدان كبير المحل في أهل الرياسات بالموصل... وكان صديقاً لكل وزراء عصره مداحاً لهم... مفضلاً عندهم، وكانت له ببلده دار علم قد جعل فيها خزانة كتب من جميع العلوم وقفاً على كل طالب للعلم لا يمنع أحد من دخولها إذا جاءها غريب يطلب الأدب وإن كان معسراً أعطاه ورقاً وورقاً تفتح في كل يوم، ويجلس فيها إذا عاد من ركوبه ويجتمع إليه الناس فيملي عليهم من شعره وشعر غيره ومصنفاته.

ولم تحدد المصادر تاريخ إنشاء المكتبة ولكن من المحتمل أن ذلك كان في فترة تمتد ما بين أواخر القرن الثالث الهجري، وأوائل القرن الرابع الهجري اعتماداً على الفترة التي عاش فيها من ٢٤٠ إلى ٣٢٣ هجرية،أما محتوياتها من الكتب فهي دون شك كانت تضم معارف شتى نظراً لتنوع اهتمامات ابن حمدان نفسه والذي كان كما تشير المصادر مهتما بالفقه والشعر والأدب والتاريخ والنجوم. ولا يعرف مصير هذه المكتبة التي نكب صاحبها بوشاية جماعة من أهل الموصل إذ حسدوه على علمه وجاهه عند الخلفاء والوزراء والعلماء وكتبوا فيه محضراً وشهدوا فيه بكل قبيح عظيم ونفوه عن الموصل فانحدر هارباً إلى بغداد وبعد هذا الحدث تنقطع عنا أخبار الدار التي خدمت الموصل ويسرت لأهلها سبل العلم والأدب"(٤٧).

دار العلم في بغداد: هي واحدة من أكبر وأشهر المكتبات الوقفية في تاريخ العراق في الحقبة العباسية. ويتحدث محمد ماهر حمادة عن هذه المكتبة بشكل مستفيض معتمداً على مصادر متنوعة مثل الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري لآدم ميتز وغيره فيقول: "وهي ترد في رسائل أبي العلاء المعري باسم دار العلم وقد وقف الوزير أوقافاً كثيرة غنية مجزية على الدار كفت للإنفاق على المكتبة طوال مدة حياتها ولم تحتج لأحد طوال هذه الفترة، وقد بلغت عدة كتبها (١٠،٤٠٠) مجلداً من أصناف العلوم، منها مائة مصحف بخطوط بنى مقلة، وفيها عدد كبير من الكتب التي امتلكها رجال مشهورون وأغلب الكتب بخطوط أصحابها. وقد ازدهرت هذه المكتبة ازدهاراً رائعاً وارتفع صيتها وطارت سمعتها في الآفاق وقصدها الأدباء والعلماء والشعراء من الآفاق... هذا ويعتبر أبو العلاء المعري الشاعر المشهور، أشهر من قصد بغداد لزيارة دار العلم هذه والتعرف إلى محتوياتها، وعلى الأدباء والعلماء الذين كانوا يرتادونها... وقد أقام أبو العلاء في بغداد يتردد على دار العلم عاماً وبعض العام وعقدت بينه وبين أبي منصور الخازن وعبد السلام البصري الخازن الآخر في دار العلم صداقة ومحبة، وقد وجه أبو العلاء الرسالة التاسعة عشرة من رسائله إلى أبي منصور هذا... وقد ظلت هذه المكتبة حية في الوجود حتى سنة ٤٥١هـ حيث شبت نار هائلة في محلة الكرخ وبين السورين، واحترقت دار العلم هذه ونهبت بعض كتبها"(٤٨).

المكتبة الحيدرية بالنجف: وهي من أقدم مكتبات المساجد بالعراق وكانت من أثراها بالكتب، يقول السباعي: "إلا أن من أقدم مكتبات مساجد العراق وأكبرها وأكثرها شهرة، كانت بلا منازع المكتبة الحيدرية، التي ألحقت بالجامع الكبير لمدينة النجف. وقد عرفت بأسماء متعددة، منها الخزانة الغروية، ومكتبة الصحن الشريف، وخزانة كتب

الإمام علي. ويبدو أن المكتبة الحيدرية لم تكتمل وتبلغ ذروتها إلا بحلول القرن الرابع الهجري. ويقال إنها حظيت بدعم من ولاة الأمر، من سلاطين وأمراء ووزراء، كما حظيت برعاية واهتمام العلماء والعامة على حد سواء. ويعد عضد الدولة البويهي من أبرز الملوك الذين ارتبطت أسماؤهم بها. وتذكر المصادر أن هذه المكتبة احتوت على مجموعة هائلة من المخطوطات التي وصفها أحد الكتاب أنها لا تقدر بثمن، حيث كانت ممهورة بتوقيعات مؤلفيها، أو أنها مكتوبة بخط المؤلف نفسه. كما احتوت على مجموعة كبيرة من المصاحف الرائعة، التي يرجع تاريخ تدوين البعض منها إلى القرن الأول الهجري"(٤٩).

رباط ابن النيار في بغداد: "ويذكر ابن الفوطي أن عز الدين أبا المكارم الحسين بن أبي منصور البغدادي ابن النيار الأسدي أنشأ رباطاً في سنة تسع وأربعين وستمائة " مجاوراً لداره بقراح ابن أبي الشحم، وأسكن فيه جماعة من الصوفية وأجرى لهم الجرايات من خالص ماله وأنشأ به خزانة الكتب النفيسة والخطوط المنسوبة"(٥٠).

تربة أم الخليفة في بغداد: ويبدو أنها السيدة سلجوقي خاتون بنت الملك قليج أرسلان السلجوقي زوجة الملك الناصر لدين الله التي توفيت في عام ٥٨٤هـ، وأنشأ الخليفة عليها تربة ووقف " فيها خزانة كتب نفيسة وكانت على شاطئ دجلة بالجانب الغربي من بغداد. ثم وقف عليها خمسمائة مجلداً نجم الدين أبو اليمن نجاح بن عبد الله الشرابي الملقب بالملك الرحيم،والذي كانت له خزانة كتب وقفت بعد موته في سنة ٦١٥هـ. وهذه التربة هي التي يشير إليها ابن الفوطي عند حديثه عن عز الدين المتوفى سنة ٦٢٣هـ فذكر أنه خازن الكتب الخلاطية، وعلق المحقق بأن المقصود بها تربة السيدة سلجوقي. ولعل هذه المكتبة هي التي يقصدها ياقوت الحموي في ترجمته لعلي بن فضال المجاشعي حيث أشار إلى أنه رأى في الوقف السلجوقي ببغداد نسخة من كتابه الدول في التاريخ في ثلاثين مجلداً ويعوزه شيء آخر"(٥١).

بلاد ما وراء النهر (الشرق الإسلامي): وعن مكتبات بلاد ما وراء النهر يقول محمد حمادة: "وقد ذكر ياقوت أن عدد المكتبات في مرو في زمانه (أواخر القرن السادس وأوائل القرن السابع الهجري) بلغ عشر خزائن، بعضها في الجوامع وبعضها في الخوانق، وبعضها في أبنية خاصة أي أنها مكتبات عامة، ولكن الميزة التي تمتاز بها جميعا أن المطالعة فيها حرة والإعارة الخارجية فيها تكون في أغلب الأحيان بدون رهن. كذلك كان من عادة العلماء والوزراء والأغنياء أن يوقفوا بعد وفاتهم مكتباتهم على مدنهم، كما فعل الصاحب بن عباد إذ أوقف مكتبته على مدينة الري فأصبحت مكتبة عامة ... ووجدت في ساوة زمن ياقوت الحموي دار كتب عامة جليلة يصفها ياقوت بأنها لم يكن في الدنيا أعظم منها ... وقد أنشأ أبو علي بن سوار الكاتب أحد رجال حاشية عضد الدولة البويهي المتوفى سنة ٣٧٢هـ. دار كتب في مدينة رام هرمز على شاطئ الخليج العربي"(٥٢).

بيت الكتب بالري: "يذكر ياقوت أن صاحب خراسان الملك نوح بن منصور الساماني أرسل إلى الصاحب ابن عباد في السر يستدعيه ويرغبه في خدمته وبذل البذول السنية، فرد عليه الصاحب معتذراً بجملة أعذار من بينها أن لديه من كتب العلم ما يحمل على أربعمائة جمل أو أكثر، ثم يورد تعليقاً لأبي الحسن البيهقي نصه: وأنا

أقول: بيت الكتب الذي بالري، دليل على ذلك بعدما أحرقه السلطان محمود بن سبكتكين، فإني طالعت هذا البيت فوجدت فهرست تلك الكتب عشر مجلدات، فإن السلطان محموداً لما ورد إلى الري قيل له: إن هذه الكتب، كتب الروافض، وأهل البدع، فاستخرج منها كل ما كان في علم الكلام وأمر بحرقه ... والنص على بيت الكتب يوحي بأنها كانت مكتبة وقفية عامة، كما أن ربط البيهقي بينها وبين كتب ابن عباد يدل على أنه كان الواقف، وقد أشار محمد ماهر حمادة إلى أن الصاحب ابن عباد وقف مكتبه فأصبحت مكتبة عامة. لكنه لم يشر إلى المصدر الذي أخذ عنه هذه المعلومة، ولعله استفاد من نص ياقوت المشار إليه سابقاً، وإذا اعتبرنا بيت الكتب في الري مكتبة وقفية وأن مؤسسها الصاحب بن عباد، فقد يكون تاريخ وقفها في سنة ٣٨٥هـ وهي السنة التي توفي فيها الصاحب"(٥٣).

مكتبة ومرصد مراغة في أذربيجان: يقول عنها محمد حمادة: "هي مكتبة مراغة التي أسسها المغول بعد سقوط بغداد في مدينة مراغة من مدن أذربيجان، وعهدوا برئاستها إلى محمد بن محمد بن الحسن نصير الدين الطوسي. وقد أصبحت مراغة أيام المغول عاصمة المشرق، وقد أنشا بها المغول معهدا علميا ومرصد للدراسات الفلكية وخزانة كتب عظيمة، واستقدموا إليها أئمة العلوم الرياضية والفلكية والعقلية والطبية، وقد نظمت الدراسة في هذا المعهد طبق نظام معين أشار له ابن الفوطي في كتابه **الحوادث الجامعة**؛ وقد جمع المغول في هذه المكتبة كتبا كثيرة بلغت أربعمائة ألف مجلد، والغالب أن هذه الكتب هي مما انتهبه المغول من بغداد والشام والجزيرة كما يقول صاحب فوات الوفيات ... وقد أوقف نصير الدين عليها الأوقاف الكثيرة حتى يضمن استمرارها ... هذا وقد استمرت هذه الخزانة بالعمل فترة بعد وفات مؤسها وذلك بفضل الأوقاف السخية التي حبسها عليها نصير الدين وبفضل أولاده الذين دأبوا على السير على سنة والدهم"(٥٤).

٣/٢/٢. المكتبات الوقفية في فلسطين وبلاد الشام:

. المكتبات الوقفية بالمسجد الأقصى:

اهتم أصحاب الديانات السماوية الثلاث بشأن القدس، ومنذ استلام الخليفة عمر بن الخطاب مفاتيح المدينة من القساوسة القائمين عليها، حظيت هذه المدينة المقدسة بالعناية والرعاية من مختلف فئات المسلمين، وبالنسبة للمكتبات في المسجد الأقصى يقول علي الجهني: "وحوى هذا المسجد منذ قرون عديدة خزانة أهداها إليه الملوك والعلماء والأشراف من جميع الأقطار. لكنها أصبحت كسائر المكاتب عرضة لذوي المطامع فضاع كثير من كنوزها التي لا تقدر بثمن ... وبين محتويات تلك المكتبة نصف مصحف قديم بخط كوفي كتب عليه: ((محمد بن الحسين بن بنت رسول الله)). وفيها إحدى ثلاث نسخ من مصحف مجزأ ثلاثين جزءا كتبها أحد ملوك المغرب ابن عبد الحق على رق غزال. وهي مجلدة على الطريقة المراكشية وموضعة في صندوق مزخرف بالميناء على الطريقة الأندلسية. وفيها مصاحف كبيرة جدا وصغيرة كتبت في عهد المماليك وملوك بني عثمان وغير ذلك من المخطوطات الثمينة"(٥٥).

ومن خلال الدراسة التي أعدها مكي السباعي عن مكتبات المساجد، يلخص ما توصل إليه عن مكتبات المسجد الأقصى بما يلي: "لكونه يمثل إحدى الأكاديميات الدينية والتعليمية الإسلامية المهمة. كما يجسد أحد المراكز البحثية والعلمية المميزة في العالم الإسلامي، حيث يحتوي على مجموعة كتب ضخمة، توزعت على

المدارس العديدة التابعة له، وقد كانت المدرسة النصرية إحدى هذه المدارس ... وقد ألحق بهذه المدرسة مكتبة قيمة تبارى علية القوم في تقديم الكتب إليها. ومن هؤلاء الملك عيسى الأيوبي الذي يقال بأنه خصص جرايات مجزية للمدرسة، كما أوقف على مكتبتها مجموعة كبيرة من الكتب. وبجانب مجموعة كتب مكتبة المدرسة النصرية، احتوى المسجد الأقصى على العديد من مجموعات الكتب، يذكر منها، مجموعات مكتبة المدرسة النحوية، التي أنشأها الملك العالم عيسى الأيوبي عام ١٢٠٧/٦٠٤م. وتذكر أيضاً مكتبة المدرسة الفارسية التي أنشأها الأمير فارس البكي، وخصص لها مكاناً في الجانب الشرقي من المسجد. وتوصف المكتبة الفارسية بأنها أكثر مكتبات المسجد الأقصى التصاقاً بمفهوم مكتبة الإيداع. أما مجموعة الكتب الرابعة بالمسجد الأقصى، فقد وجدت بمكتبة المدرسة الأشرفية، التي أنشأها سلطان مصر المملوكي الأشرف قايتباي عام ٨٨٧هـ/١٤٨٢م. وكعادة هذا السلطان . الذي اتصف بالعلم والثقافة . عند بنائه المدارس التي تحمل اسمه، فقد زود هذه المكتبة بهدايا سخية، تضم مجموعات ضخمة من المصاحف والكتب، وقد أشار كرد علي إلى عدة مكتبات مدرسية أخرى، ارتبطت بشكل أو بآخر بالمسجد الأقصى"(٥٦).

ولقد تعرضت القدس لكوارث الحروب على مدى قرون، الأمر الذي ذهب بالكثير من كنوزها ونوادرها، مثل الحروب الصليبية حيث حمل الصليبيون معهم ما حوته المدينة المقدسة من النوادر. وقد عوضها صلاح الدين الأيوبي ومن بعده المماليك والعثمانيون بالكثير من المصاحف والكتب. واليوم تتعرض مكتباتها الوقفية للنهب الإسرائيلي المبرمج، وما لبث "أن تنبه المجلس الشرعي الأعلى في القدس الشريف لهذا الأمر وتولى بنفسه السهر والمحافظة على تلك الكنوز الكتابية. فأنشأ سنة ١٤٣١هـ داراً للكتب في المسجد الأقصى ضم إليها كل نادر ونفيس من الأسفار المخطوطة والمطبوعة"(٥٧).

وقد حوت بلاد الشام الكثير من المكتبات الوقفية عبر التاريخ، بأنواعها المختلفة، في دمشق وحلب وغيرها من المدن، ومن أشهرها التالي:

الجامع الأموي في دمشق: لقد كان لوقوع هذا الجامع في مدينه دمشق والتي تعتبر مركزا ثقافيا وعلميا مهما خلال فترات طويلة من تاريخ الإسلام، بدأ من العصر الأموي في القرن الأول كان له اكبر الأثر في استمرار الحركة العلمية والثقافية، واستخدامه في الأغراض التعليمية والتربوية، الأمر الذي أدى إلى أن تتكون فيه مكتبة كبيرة كانت حصيلة أوقاف العلماء والحكام والأثرياء. "ويرجع تاريخ إنشاء هذا المسجد إلى عام ٩٦هـ/٧١٤م، ... وقد تميز هذا الجامع عن باقي مساجد بلاد الشام بحجم مقتنياته وكثرتها، فبينما كانت مساجد الشام تحتوي مجموعة واحدة أو مجموعتين على أكثر تقدير، كان الجمع الأموي يحتوي على العديد من مجموعات الكتب ... ومن أوائل مجموعات الكتب التي أهديت إلى الجامع الأموي، تلك المهداة من أحمد بن الفرات، المتوفى في عام ٤٩٤هـ/١١٠٠م. وقد ذكر المؤرخ ابن عساكر، هذه الهدية وأشار إلى كونها خزانة كتب قديمة. كما ذكرت المصادر . أيضاً . إهداء علي بن طاهر السلمي، قبيل وفاته عام ٥٠٠هـ/١١٠٦م، مكتبته الخاصة إلى حلقة الدرس التي كان يلقي فيها دروسه في مجال النحو والصرف. كما يذكر عش وقفية العالم عبد الله الطويل، المتوفى عام ٥١٤هـ/١١٢٠م، التي أوقف فيها جميع ما يمتلك من كتب على الزاوية الغربية من الجامع ... وفي إشارة إلى هذه المكتبة، ذكر ابن جبير أنها كانت توجد بجوار المحراب، كما وصفها بأنها كانت مكتبة كبيرة تحتوي على العديد من المصاحف والكتب النفيسة، وأنها كانت تفتح أبوابها بعد أداء الصلاة مباشرة، حتى يتمكن الناس من الاطلاع على ما فيها من كتب، والانتفاع بما جاء فيها من علم"(٥٨).

مكتبة قبة بيت المال بدمشق: وكانت تقع وسط جامع الأمويين بدمشق وتحوي الكثير من المخطوطات القديمة منذ عصر ما قبل الإسلام. يقول عنها السباعي: "أما أكثر خزائن كتب الجامع شهرة وجدلاً فهي مكتبة " قبة بيت المال" التي كانت ملحقة ببيت المال، وتمثل موقعاً وسطاً بمسجد الأمويين، ويقال بأن هذه المكتبة اجتازت الكثير من المحن والكوارث الطبيعية والإنسانية التي ألمت بمدينة دمشق وجامعها العريق خلال فترة ثلاثة عشر قرناً، ويعزي البعض ذلك إلى أنها كانت مغلقة لفترة زمنية طويلة، امتدت حتى عام ١٣١٧هـ/١٨٩٩م. وقد أحيطت وقائع إغلاق هذه المكتبة وإعادة فتحها بالكثير من الروايات. إلا أنه من الثابت أن السلطان العثماني عبد الحميد الثاني، وبناءً على اقتراح تقدم به الإمبراطور الألماني غليوم الثاني، أمر بإعادة فتح خزانة بيت المال. وبالفعل أعيد افتتاحها عام ١٣١٧هـ، حيث وجد بها آنذاك مجموعة كبيرة من المخطوطات المصنوعة من الرق، مدون عليها أجزاء كثيرة من القرآن الكريم بجانب مخطوطات أخرى كتبت بلغات مختلفة، منها: الآرامية، واللاتينية، والإغريقية، وقد تضمنت المخطوطات كتابات تتناول الأساطير اليونانية القديمة، هذا عدا عن كتابات تناولت العقائد والأديان السماوية الأخرى، بما في ذلك النصوص الكاملة للتوراة والإنجيل. وبجانب ذلك، وجد الكثير من الوثائق الشرعية والإدارية التي تتعلق بعقود البيع والشراء والزواج والإرث والوصايا والهبات وغيرها. وللأسف قام السلطان العثماني بإهداء العديد من تلك المخطوطات القيمة والثمينة إلى الإمبراطور الألماني، كما وزع الكثير على أعيان مدينتي إستانبول ودمشق أما ما تبقى – وهو أقل القليل – فقد نقل إلى دار الآثار بدمشق"(٥٩).

الخزانة الظاهرية بدمشق: أنشأها مدحت باشا عندما عين واليا على سوريا سنة ١٨٧٨م، وضم إليها عشر مكتبات وقفية، وعن دور مدحت باشا يقول الزيات: "كان أول همه تأليف جمعية من جِلَّة علماء الحاضرة وأكابر فضلائها دعاها الجمعية الخيرية، أناط بها أمر النظر في إنشاء المدارس، وخدمة المعارف، ووكل إليها البحث عن الكتب والمكاتب، وضم شتات ما تفرق منها فأقبلت على العمل بجد ونشاط، وجمعت ما أمكنها إدراكه من الموقوفات في خزانة خاصة أقامها لها في الظاهرية ... وأحصيت المكاتب التي ضمت في هذه الخزانة وأخذ منها مجموع كتبها الموقوفة فكانت عشرا كما يأتي نقلا عن الفهرست بنصه الحرفي:

١ـ مكتبة العمرية: وهي مكتبة عظيمة قديمة، أكثر كتبها مصححة على أيدي العلماء المشاهير، وبعضها بخطوط مؤلفيها، وهي وقف أناس متفرقين من أهل الفضل، وكان مقرها بمدرسة شيخ الإسلام بالصالحية.

٢. مكتبة عبد الله باشا: وهي مركبة من كتب وقفها المشار إليه سنة ١٢١١ وكتب وقفها والده محمد باشا قبله سنة ١١٩٠ وكان مقرها مدرسته إلا أنها اشتهرت نسبتها إلى ابنه عبد الله باشا"(٦٠). ثم يستمر في سرد بقية المكتبات الوقفية العشر التي تم دمجها في هذه المكتبة.

خزانة الكتب في حلب: إحدى أقدم المكتبات بها، "والنصوص التي أشارت إليها تدلل على كبر حجمها وعظم أمرها، وبالتالي فإن مكتبة مثلها لا يمكن أن تقوم بوظائفها دون مساندة مالية جيدة، ولا يتأتى ذلك إلا من خلال الوقف. والتاريخ التقريبي للفترة التي وجدت فيها هذه المكتبة، هو أوائل القرن الخامس الهجري، إذ أن الشاعر

محمد بن نصر بن صغير القيسراني المتوفى سنة ٥٤٨هـ "سكن حلب وولي خزانة الكتب" فيها، ويذهب بنا الظن إلى أن واقفها هو الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي الذي اشتهر بحب العلم ووقف الكتب، وكان القيسراني على علاقة بهذا الملك. ويرد ذكر هذه المكتبة في ترجمة أبي الحسين ثابت بن أسلم الحلبي الفقيه الشيعي الذي قتله المستنصر الفاطمي في حدود سنة ٤٦٠هـ بسبب كتاب ألفه في كشف عوار الإسماعيلية. وأحرقت لذلك خزانة الكتب بحلب وكان فيها عشرة آلاف مجلد"(٦١).

دار العلم في طرابلس الشام: أنشأها بنو عمار حكام طرابلس والساحل السوري في القرن الخامس الهجري، يقول محمد حمادة: "وكان بنو عمار شيعة على المذهب الإسماعيلي اهتموا بنشر مذهبهم والدعاية له وبذلك أوجدوا مؤسسة تقوم بهذه المهمة هي دار العلم في طرابلس ... واهتموا جميعهم بهذه المكتبة وتغذيتها وكان لهم وكلاء يجوبون أقطار الإسلام المعمورة بحثا عن الكتب والمخطوطات النادرة ... وفيها عدد كبير جدا من الكتب بخطوط مؤلفيها وقد حوت جميع أنواع وفروع المعرفة الإنسانية من طب وفلك وتنجيم وفلسفة وأدب وتاريخ ... وقيل أن عدد كتبها بلغ ثلاثة ملايين مجلد وذلك إبان عزها ومجدها، منها خمسون ألف نسخة من القرآن الكريم وثمانون ألف نسخة تفاسير ... اختلفت الروايات حول عدد الكتب في هذه المكتبة بين مقل ومكثر، فالذي أقلّ لم ينقص عن مائة ألف مجلد والمكثر تجاوز الملايين الثلاثة عدا. ولكن هذا ليس بالمهم، إنما المهم هو النهاية الفاجعة التي انتهت إليها هذه المكتبة، ذلك أن الصليبيين أحرقوا هذه المكتبة مع محتوياتها وسورها والأرض عندما احتلوا طرابلس سنة ١٠٠٩م/٥٠٢هـ ... وقد ذكر جيبون أن الصليبيين أحرقوا هذه المكتبة كما وافق على ذلك تومبسون وشوشتري وغيرهم"(٦٢).

المارستان النوري بدمشق: أنشأه نور الدين الشهيد، "عمّر بيمارستاناً في دمشق وأطلق عليه اسمه، فلما عمر الباريمستان جعل أمر الطب فيه إلى أبي المجد بن أبي الحكم المتوفى سنة ٥٧٠هـ ... وكان نور الدين قد أوقف جملة كثيرة من الكتب الطبية، وكانت في الخزانتين اللتين في صدر الإيوان"(٦٣).

خانقة السميساطية في دمشق: "وأقدم من وقف كتباً في الخانقاه السميساطية أبو سعيد محمد بن عبد الرحمن البندهي المتوفى سنة ٥٤٨هـ، الذي حصل على مجموعة كبيرة من الكتب، أكثرها من خزائن حلب عندما سمح له صلاح الدين الأيوبي بأن يأخذ منها ما يريد، فحصل على كتب كثيرة وقفها في السميساطية. ويبدو أن مجموعة البندهي هذا جعلت لمكتبة السميساطية قيمة كبيرة فقصدها العلماء ووقف عليها آخرون كتباً كثيرة، كان من بينهم أبو البقاء التفليسي ثابت بن تاوان المتوفى سنة ٦٣١هـ الذي وقف كتبه عليها، وصفي الدين محمود بن محمد بن حامد القرافي المتوفى سنة ٧٢٣هـ "(٦٤).

مكتبة ضريح ابن عروة بدمشق: وجد العديد من المكتبات في الأضرحة بالشام، مثل خزانة ضريح التربة الأشرفية، ومكتبة مشهد أبي بكر بالجامع الأموي. "إلا أن أكبر مكتبات الأضرحة وأكثرها شهرة في بلاد الشام، تلك التي وجدت بمشهد ابن عروة، ويقال إن هذه المكتبة التي أنشأها محمد بن عروة قبيل وفاته عام

٦٢٠هـ/١٢٢٣م، كانت زاخرة بدواليب الكتب التي أهداها ابن عروة للمكتبة، وذلك بجانب ما تبرع به بعض أثرياء مدينة دمشق من كتب ومخطوطات. ويذكر المؤرخون أنه في خلال فترة حكم السلطان الأيوبي عيسى ابن العادل، المتوفى عام ٦٥٦هـ/١٢٥٨م، كانت هنالك محاولات . ولكنها باءت بالفشل . لتحويل هذه المكتبة إلى مكتبة إيداع مركزية، تحفظ فيها كل مجموعات الكتب الموجودة في الجامع الأموي"(٦٥).

٤/٢/٢. المكتبات الوقفية في مصر:

حفلت مصر بجميع أنواع المكتبات الوقفية، سواء كانت عامة أو خاصة، في المساجد والكتاتيب والمدارس والأربطة والزوايا ... الخ. حتى أنها شملت الترب (المقابر). وفاقت معظم الأقطار الإسلامية بما حوته من كتب ومكتبات عبر العصور. وهو ما جعلها مطمعاً للآخرين في محاولة الاستيلاء على ما تحويه من المخطوطات والنوادر. الأمر الذي دفع لإنشاء دار الكتب المصرية للحفاظ على ما بقي من الموروث العلمي بها، وذلك بموافقة الخديوي، على اقتراح تقدم به ناظر المعارف علي مبارك. ومن أهم المكتبات الوقفية في مصر التالي:

دار الحكمة في القاهرة: وقد جاء إنشاؤها عقب إنشاء دار العلم في بغداد بسنوات، وهي مكتبة وقفية على درجة كبيرة من الأهمية في تاريخ المكتبات الوقفية، وينقل يحيى جنيد عن المقريزي قوله: "ففي يوم السبت العاشر من جمادى الآخرة سنة خمس وتسعين وثلاثمائة: فتحت الدار الملقبة بدار الحكمة في القاهرة، وجلس فيها الفقهاء وحملت الكتب إليها من خزائن القصور المعمورة، ودخل الناس إليها، ونسخ كل من التمس نسخ شيء مما فيها ما التمسه،وكذلك من رأى قراءة شيء مما فيها، وجلس القراء والمنجمون وأصحاب النحو واللغة والأطباء بعد أن فرشت هذه الدار وزخرفت وعلقت على جميع أبوابها، وممراتها الستور وأقيم قوام وخدم وفراشون وغيرهم وسموا بخدمتها، وحصل في هذا الدار من خزائن أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله من الكتب التي أمر بحملها إليها من سائر العلوم والآداب والخطوط المنسوبة ما لم ير مثله لأحد قط من الملوك وأباح ذلك كله لسائر الناس على طبقاتهم ممن يؤثر قراءة الكتب والنظر فيها"(٦٦).

وبالنسبة لمكتبات المساجد فقد غطت هذه المكتبات معظم المدن وربما بعض القرى في مصر، وذلك على امتداد تاريخ الحضارة العربية الإسلامية فيها، بدءاً من عصور الخلافة الأولى ووصولا إلى عصر العباسيين بما شمله من تاريخ الفاطميين والأيوبيين، ثم زمن المماليك والدولة العثمانية. ونتناول فيما يلي نموذجين لأقدم مكتبات المساجد في مصر:

مكتبة جامع عمرو بن العاص: عمرو بن العاص هو الصحابي القرشي الذي فتح مصر، وكان يعتبر من أكثر العرب دهاء وحنكة، وبعد فتحه مصر ثبّته الخليفة الراشد عمر بن الخطاب والياً عليها، وأنشأ بالفسطاط في مدينة القاهرة مسجده المعروف، والذي لا يزال قائما إلى يومنا هذا. يقول السباعي: "وفي الوقت الذي احتوت فيه كل مدينة كبيرة في القطر المصري على مكتبة مسجد واحدة على الأقل، تميزت مدينة القاهرة بوجود العديد من مكتبات المساجد، التي زُوِدت بمجموعات كبيرة من الكتب القيمة يمكن من خلالها تقديم خدمات مكتبية جيدة للمواطنين على اختلاف فئاتهم. ويعد جامع عمرو، الذي أنشئ بالفسطاط حوالي عام ٢١هـ/٦٤١م، من بواكير

الجوامع المصرية التي احتضنت بين جدرانها مكتبة على قدر كبير من الأهمية. وكما ذكرنا من قبل، فقد تلقى هذا الجامع كمية ضخمة من المصاحف، أهديت إليه من قبل الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله عام ٤٠٣هـ/١٠١٢م. وسرعان ما تضخمت هذه المجموعة لتشكل في النهاية مكتبة من الطراز الأول. وقد كتب المقريزي عن هذا الجامع ومكتبته مشيراً إلى أعمال التجديد والإصلاح التي تمت فيه عام ٤٤٢هـ/١٠٥٠م، بمبادرة من القاضي أحمد بن أبي زكريا، والتي اشتملت على بناء درج يربط ما بين المكتبة وسطح الجامع.

وعلى الرغم من عدم توفر معلومات كافية عن كتب ومخطوطات مكتبة جامع عمرو، إلا إنه يمكن القول بأن مقتنيات هذه المكتبة كانت على قدر كبير من الضخامة والأهمية. وتستند هذه القناعة إلى الحقائق التاريخية التي تؤكد على وجود أكثر من أربعين حلقة درس في جامع عمرو، وذلك قبل الكوارث التي اجتاحت القطر المصري عام ٧٤٩هـ/١٣٤٨م"(٦٧).

مكتبة الجامع الأزهر: وهي من أقدم المكتبات العلمية في مصر وقد ضَمّت إضافة إلى مجموعاتها الخاصة بها، مجموعات أخرى من الكتب، "وأُلحقت بالجامع الأزهر مكتبة (تضم أكثر من ٤٠غرفة)، أنشئت في عهد الخليفة العزيز بالله، وكان أغلبها من آثار الفقه الشيعي، ثم تنوعت محتوياتها، فحوت كتباً في كل العلوم والمعارف، ويدل على ذلك ما جاء في وقفية الحاكم بأمر الله التي أوقفها على مكتبة الجامع الأزهر، التي تتضمن أن توزع بعض من كتب دار العلم ـ أكبر المكتبات حينئذ ـ على مكتبة الجامع الأزهر، وعلى مكتبة الجامع براشدة، وعلى مكتبة جامع المقص، كما غدت هذه المكتبة في القرن التاسع الهجري من أعظم المكتبات الإسلامية. ولما تطورت الظروف، وبرزت أهمية الأروقة كان لكل رواق مكتبته الخاصة به، بها مجموعة من بضعة آلاف مجلد، وكانت أهمها مكتبة رواق المغاربة"(٦٨).

"وكان الجامع الأزهر يضم مكتبة خاصة به، يدل على ذلك ما ذكره ابن ميسر في تاريخ مصر في أخبار سنة ٥١٧هـ، أنه قد أسند إلى الداعية أبي الفخر صالح منصب الخطابة بالجامع الأزهر مع خزانة الكتب. وكان مما احتوت عليه هذه المكتبة فيما بعد كتاب القواعد لمحمد بن أحمد التلمساني المقري المتوفى سنة ٧٥٩هـ وهو كتاب نادر في المشرق في تلك الفترة حتى أن الونشريسي ذكر أنه لم ير بمصر إلا نسخة واحدة عند أحد الأفراد أخذها من رواق المغاربة بالأزهر، ومن الذين وقفوا على الأزهر كتبا في القرن الثاني عشر الأمير محمد غانم"(٦٩).

خلوة الكماخي بالقاهرة: وانتشرت المكتبات الوقفية في مصر، ووصلت الخلاوي، "فقد كانت خلوة الكماخي بالقاهرة تضم مكتبة، فقد أشار السخاوي أن أحمد الشهاب الحجازي نزيل القاهرة المتوفى سنة ٨٩٣هـ " سكن بخلوة الكماخي... وتكلم في خزانة كتبها، والنص يشير إلى وجود المكتبة وإلى استخدامها مركزاً للتعليم أيضاً"(٧٠).

القبة المنصورية في القاهرة: "وكانت مقابلة للمدرسة المنصورية. وهي من أعظم المباني الملوكية وبها قبر تَضمّن الملك المنصور سيف الدين قلاوون وابنه الملك الناصر محمد قلاوون والملك الصالح عماد الدين إسماعيل بن محمد قلاوون. وفي هذه القبة دروس للفقهاء على المذاهب الأربعة وبهذه القبة خزانة جليلة كان فيها عدة أحمال من الكتب في أنواع العلوم مما وقفه الملك المنصور وغيره"(٧١).

٢/٢/٥. المكتبات الوقفية في بلاد المغرب:

مكتبة جامع الزيتونة: أحد أقدم الجوامع في تونس، وهو منارة علمية، تخرج منها كبار العلماء. "وقد أنشئ جامع الزيتونة بتونس عام ٨٠هـ/٦٩٩م، ... وقد اشتهر باحتوائه على مكتبتين، وأغلب الظن ثلاث مكتبات. وقد عرفت أولى هذه المكتبات باسم المكتبة العبدلية، ألحقت في البداية بجناحٍ ملحق بجامع الزيتونة، ثم نقلت في وقت لاحق إلى المبنى الرئيسي. وقد أنشأ هذه المكتبة، التي عرفت أيضاً باسم ((الصادقية)) الأمير الحفصي أبو عبد الله محمد بن الحسين، المتوفى في عام ٨٠٩هـ/١٤٠٦م، وقد قام مؤسسها بتزويدها بالكثير من الكتب، كما جعل لها ((نظاراً)) للحفاظ عليها والقيام بشئونها ... أما أكبر مجموعات الكتب بمسجد الزيتونة، وأكثرها أهمية، فهي التي وجدت بمكتبة الأحمدية ... وهناك إشارات عديدة على أن الغالبية العظمى من ملوك بني حفص وأمرائها كانوا يتبارون فيما بينهم ... ومن أشهر هؤلاء، الأمير أبو فارس عبد العزيز، الذي يقال بأنه أوقف على المكتبة الأحمدية كتبا بلغ عددها ستة وثلاثين ألف مجلد.

على أن الشخص الذي أعاد لهذه المكتبة حيويتها ونشاطها، كان الوالي العثماني أحمد باشا (باي) الأول ... وهو أنه اشترى سائر كتب الوزير حسين خوجة المبيعة عليه في الدّين (المتقدم ذكره بثمن له بال)، واشترى غيرها، وأضاف إليها كتب آلِهِ الموضوعة في خزانة أسلافه بجامع بيت الباشا ... ثم وضعت في خزائنها العشرين ، على يمين المحراب وشماله، ثم كتب على كل سفر منها رسم تحبيسه مصححاً بختمه، وأباح للمنتفع إخراج الكتاب من موضعه لمدة عام فقط، ورتّب لها وكيلين، وبذلك يسر طريق العلم على الفقراء بل والأغنياء"(٧٢).

مكتبة جامع القيروان: وهي أيضاً من أقدم مكتبات المساجد بالشمال الأفريقي، وقد بدأت بهبات من بعض الوجهاء والعلماء، يقول السباعي: "وقد أنشئت هذه المكتبة، والتي تعرف أيضاً باسم ((الخزانة العتيقة)) أو ((المكتبة العتيقة))، في أوائل القرن الثالث الهجري، وذلك ضمن التوسعة التي حدثت في جامع القيروان عام ٢٢١هـ/٨٣٦م، بناء على التوجيهات التي أصدرها السلطان الأغلبي زيادة الله بن إبراهيم. ولم يمض وقت طويل على إنشاء المكتبة، حتى سارع العلماء والعامة بإهدائها مجلدات قيمة من مكتباتهم الخاصة ... وقد احتوت هذه المكتبة على نوادر قلّ أن توجد في المكتبات الإسلامية الأخرى"(٧٣).

خزانة جامع القرويين بفاس: وهو من أشهر المساجد في المغرب، وقد تخرج منه كثير من العلماء، ويضم واحدة من أقدم المكتبات، يقول علي الجهني: " وفي جامع القرويين بمدينة فاس في المغرب، اهتم سلاطين المغرب من بني مرين بالكتب، ووقفوا عدة خزائن منها على طلبة العلم بهذا الجامع، ومن أقدمها: ((الخزانة العنانية)) التي أنشأها أبو عنان المديني، في عام ٧٥٠هـ وكانت شاملة لجميع العلوم والمعارف، كما وقف ابن خلدون

سنة(٨٠٨هـ)، نسخة من تاريخه بعد أن أتمه على مكتبة هذا الجامع، ولا يزال فيها مجلدان على غلاف أحدهما نص عبارة الوقفية حتى اليوم. ويعتبر هذا الجامع من أهم الجوامع في بلاد المغرب الإسلامي، وأكثرها شهرة باعتباره جامعة إسلامية قديمة، يمكن مقارنتها بجامعة الأزهر. وقد اهتم السلطان أبو عنان فارس المديني فألحق به المدارس، ومدها بخزانات الكتب"(٧٤).

خزانة ابن يوسف بمراكش: يذكرها مصطفى بنعلة باعتبارها من أهم آثار الوقف العلمي بالمغرب منذ عصر السعديين فيقول: "وإذا أردنا أن نقدم لهذا الموضوع تجد أن السعديين لم يخرجوا عن السنة المتبعة في بناء الخزانات والوقف عليها، وهكذا أسس عبد الله الغالب خزانة ابن يوسف بمراكش سنة ٩٦٥هـ ووقف عليها عدة كتب، ولما بنى أيضا مكتبة جامع الشرفاء بنفس المدينة شحنها بنفائس الكتب ووقف عليها من نوادر المخطوطات، وجعلها في مستوى خزانة القرويين بفاس، وما يدل على أهمية هذه الخزانة هو أن أحمد بابا التمبكتي (ت١٠٣٦هـ) استفاد منها كثيرا، واعتمد على مصادرها في تأليف كتبه الشهيرة في التراجم خاصة (نيل الابتهاج)"(٧٥).

الخزانة العلمية الصبيحية بسلا: ولا يخلو العصر الذي نعيش فيه من نموذج يسير على ما درج عليه الأسلاف، فقد حبس باشا سلا السابق الحاج محمد بن الحاج الطيب الصبيحي خزانته العلمية في يوم الاثنين الرابع عشر من ربيع الأول عام ١٣٧٨هـ لتكون وقفاً على العلماء وطلبة العلم وعامة القراء، وكانت تشتمل على أربعة آلاف كتاب مخطوط ومطبوع، وعين ابنه المهندس عبدالله الصبيحي ناظراً لها كما وقف عليها مبلغاً من المال ليصرف على مصالحها. وواصل ابنه الناظر المسيرة فوقف على هذه المكتبة بناية جديدة في شعبان من عام ١٣٩٦هـ تتكون من طابقين وتقع في ساحة الشهداء بمدينة سلا من المغرب لتكون مقراً للكتب التي وقفها والده، وقد جهرت المكتبة تجهيزاً عصرياً.

وتمتاز المكتبة المحبّسة بأنها كانت في ملك أسرة ... عالمة فهي تحتوي على أهم المطبوعات العربية الإسلامية القديمة والحديثة، ما طبع منها بالبلاد العربية والهندية والإيرانية والأوربية، وعدد وافر من المخطوطات الأصلية المتنوعة التي يرجع تاريخ انتساخها إلى القرون الخمسة الأخيرة... تمتاز بميزات بارزة منها التنوع الشامل لكل العلوم التي عرفها المسلمون. وقد وضع محمد حجي فهرساً لمخطوطات هذه المكتبة تعريفاً بـ ١٣٣٧ مخطوط نشره معهد المخطوطات العربية بالكويت، جاء في ٧٢٢ صفحة"(٧٦).

٦/٢/٢. المكتبات الوقفية في الأندلس:

أقام الأمويون بالأندلس حضارة عظيمة لا تقل عن ما أنجزه العباسيون في المشرق، وكانت حضارتهم مبنية على العلم الذي قطعوا فيه شوطا كبيرا. "والواقع أن أغلب حكام الأندلس وخاصة الأمويين كانوا محبين للعلوم والآداب مهتمين بنشر نور المعرفة، وقد أسسوا مكتبات رائعة سار بذكرها الركبان. يقول علي الجهني: "نهجت الأندلس نهج بغداد وبقية الحواضر الإسلامية في حب العلم، وتكريم العلماء، وإنشاء المكتبات، وقد كان الخليفة عبد الرحمن الناصر، وابنه المستنصر يقدران قيمة الكتب، فكان رجالهما يُنقّبون عن المخطوطات في حوانيت الإسكندرية ودمشق وبغداد، فيشترونها أو ينسخونها ... ولقد جمع بهذه الطريقة أربعمائة ألف مجلد، كانت أسماؤها تملأ فهرسا مكونا من أربع وأربعين مجلدا"(٧٧).

وهذا الجهد الكبير في الإنفاق على العلم والتعليم وإنشاء المكتبات، نتج عنه حركة علمية كبرى في الأندلس، استفاد منها الأوروبيون أيضا. "وقد كان جامع قرطبة أعظم جامعة حقيقية في العالم، يتم التعليم فيها

مجانا، وكان يفد إليها الطلاب من مختلف بقاع العالم، وكان الحاكم يستدعي الأساتذة من الشرق الإسلامي ليحاضروا في الجامعة . جامع قرطبة . وكانت للحلقات العلمية التي تعقد في جامع طليطلة شهرتها، وقد ضمت تلك الحلقات الدراسية طلابا نصارى، وفدوا إليها من جميع أنحاء أوروبا. وقد احتفظت طليطلة بمكانتها هذه بعد سقوطها في يد الأسبان سنة (١٠٨٥هـ)؛ حيث وجد هؤلاء مكتبة غنية عامرة حافلة بالكتب في أحد مساجدها، وقد بلغت شهرة هذه المكتبة كمركز للثقافة أقصى البلاد النصرانية في الشمال"(٧٨).

ويضيف الجهني: "وأسس عبد الرحمن الأوسط (أواسط القرن الثالث هـ) مكتبة فخمة في قرطبة ... كذلك اهتم الخليفة عبد الرحمن الناصر (٣٠٠ـ٣٥٠هـ) بالعلوم والآداب اهتماماً كبيراً وقصده العلماء من كل مكان ... وقد أسس مكتبة كبرى في قصره وخزن بها الكتب بجميع اللغات. وقد أرسل له إمبراطور القسطنطينية عددا من الكتب اليونانية ... ولكن الخليفة الذي يقرن اسمه دائما بالعلوم والكتب وتشجيعها هو الحكم الثاني المستنصر بالله (٣٥٠.٣٦٦هـ) ... ويقول دوزي واصفا الحكم الثاني "لم يسبق أن تولى حكم اسبانيا حاكم عالم بهذه الدرجة، رغم أن أسلافه كانوا رجالا مثقفين، وأحبوا أن يغنوا مكتباتهم، فإن أحدا منهم لم يبحث بشغف ونهم عن الكتب النادرة والثمينة كما فعل الحكم" ويصفه ابن خلدون بقوله " وكان محبا للعلوم مكرما لأهلها جماعة للكتب في أنواعها ما لم يجمعه أحد من الملوك قبله ... واجتمعت بالأندلس خزائن من الكتب لم تكن لأحد من قبله ولا من بعده ... وقد روى ابن خلدون نقلا عن ابن حزم ... أن عدد الفهارس التي فيها تسمية الكتب أربعة وأربعون فهرسة في كل فهرسة عشرون ورقة ليس فيها إلا ذكر أسماء الدواوين لا غير ... حتى قيل أنها كانت أربعمائة ألف مجلد"(٧٩).

٧/٢/٢. المكتبات الوقفية في اليمن:

لقد كان لليمن مهد العروبة أيضا دور في إنشاء المكتبات الوقفية، والمحافظة عليها، ومن ذلك مكتبات المساجد التي تم رصدها في عدد من المدن اليمنية ومن أهمها:

مكتبات المساجد في صنعاء، يقول السباعي: "فنجد هناك أكثر من مكتبة. ومن ذلك مكتبة قبة طلحة الموجودة في مسجد قديم بتلك المدينة. ويقال بأن هذه المكتبة . التي تعرف باسم قبة المهدي . كانت تحتوي على مجموعة قيمة من المصاحف المذهبة بعضها بخط ياقوت المستعصمي، وذلك بجانب مجموعة من المخطوطات الثمينة التي قدرها البعض بخمس مئة مخطوط، كما نقرأ عن مكتبة جامع الروضة ... إلا أن أقدم وأكبر وأشهر مكتبة من مكتبات مساجد اليمن، عي مكتبة الجامع الكبير بصنعاء ... وقد قام الإمام يحيى بجمع الكتب الموقوفة على الجامع الكبير والتي كانت مفرقة في خزائن الجامع وعند الناس، ثم أودعها في تلك المكتبة. كما قدم لها الكثير من الكتب والمخطوطات النفيسة. وعلى الرغم من حداثة مبنى المكتبة، إلا أن مجموعاتها التي كانت بخزائن الكتب القديمة داخل الجامع وبجواره، تعدّ من أندر مقتنيات المكتبات وأكثرها أهمية، ليس في اليمن فقط، وإنما على امتداد العالم الإسلامي، ويقال بأن أهم وأنفس ما فيها، مجموعة قيّمة ونادرة كلها من مخطوطات ما قبل القرن السادس الهجري، كانت في حصن ظفار ذي بين"(٨٠).

وقد عرفت اليمن أيضا مكتبات المدارس الوقفية قديما، ومنها: "في سنة ٦٧١هـ أمر السلطان المؤيد الرسولي ببناء مدرسة عرفت بالمدرسة المؤيدية في مدينة تعز، ووقف عليها من الأراضي والكروم ما يقوم بكفاية الكل منهم، ووقف عليها خزانة من الكتب النفيسة ... وأنشأ الفقيه اليمني بطال بن أحمد بن محمد بن سليمان بن بطال الركبي المتوفى سنة ٧٠٩ مدرسة في قريته بذي يعمد، ووقف فيها كتبه"(٨١).

٢/٣. خلاصة:

من خلال ما تم استعراضه في هذا الفصل يتأكد أن الحضارة العربية الإسلامية اهتمت بالعلم ومكوناته اهتماما كبيرا، ومن ضمن ذلك عنايتها بالمصادر والمراجع التي ملأت المكتبات الوقفية، والتي تنوعت وانتشرت عبر الأقاليم الإسلامية تتيح مصادر العلم مجاناً للعلماء والمتعلمين، وامتد ذلك على مدى قرون طويلة والتي لا زالت شواهدها وآثارها ممتدة إلى يومنا هذا في العديد من المدن التي تحتفظ بالمكتبات الوقفية بأنواعها المختلفة.

هوامــش الفصل الثاني

١. السمهودي، نور الدين علي بن أحمد. **وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى**.- ط٣.- مج١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ص٦٦٧.

٢. ابن دهيش، عبد اللطيف عبد الله، **المكتبات في مكة المكرمة نشأتها وتطورها عبر العصور**.- مكة المكرمة: جامعة أم القرى، ١٤٢٣هـ، ص٣.

٣ـ ابن دهيش، عبد اللطيف عبد الله. "مكتبات المدينة المنورة في العهد العثماني" **مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية**، جامعة الملك عبد العزيز، السنة٣، ع٣، مكة المكرمة: فرع جامعة الملك عبد العزيز، ١٣٩٨/٩٧هـ، ص٨.

٤ـ السباعي، مكي نسيب. **مكتبات المساجد دراسة تاريخية**.- ترجمة هاشم فرحات السيد ومحمد جلال غندور، ط١.- الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ٢٠٠٦،١٤٢٧م، ص٥٦.

٥. المرجع السابق، ص٩٣.

٦. المرجع السابق، ص٩٣.

٧ـ جنيد، يحيى محمود ساعاتي. **الوقف وبنية المكتبة العربية**.- الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م، ص٧٦.

٨. أمين، محمد محمد. **الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر ٦٤٨-٩٢٣هـ ١٢٥٠-١٥١٧م دراسة تاريخية وثائقية**.- القاهرة: دار النهضة العربية،١٩٨٠م، ص٢٥٩.

٩. الجهني، علي محمد. **المكتبات الإسلامية وأثرها في التعليم**.- ط١.- المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية، ١٤٢٥هـ، ص٢٨١.

١٠. المرجع السابق، ص٢٨١.

١١. البستاني...، **محيط المحيط**، مج٧، ص٤٤٨.

١٢ـ باشميل، محمد أحمد. **موسوعة الغزوات الكبرى (غزوة بدر الكبرى)**.- ط٨.- القاهرة: المكتبة السلفية، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ص٢٢٦.٢٢٧.

١٣ـ الصديقي، سحر عبد الرحمن. **أثر الوقف الإسلامي في الحياة العلمية بالمدينة المنورة**.- المدينة المنورة: مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ص٤٢.

١٤. أبا الخيل، سليمان عبد الله. **الوقف وأثره في تنمية موارد الجامعات**.- ط١.- الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود، الإدارة العامة للثقافة والنشر، ١٤٢٥/٢٠٠٤م، ص١٠.

١٥. الصديقي...، **أثر الوقف الإسلامي في الحياة العلمية بالمدينة المنورة**، ص٢٦.٢٧.

١٦. البستاني...، **محيط المحيط**، مج٣، ص٣١٩.

١٧. جنيد...، **الوقف وبنية المكتبة العربية**، ص٧٧.

١٨. أمين...، **الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر**، ص٢٥٥.

١٩. البستاني...، **محيط المحيط**، مج٤، ص٤٠.

٢٠. جنيد...، **الوقف وبنية المكتبة العربية**، ص١٠٧.

٢١. المرجع السابق، ص١٠٨.

٢٢. المرجع السابق، ص١٠٧.

٢٣. حجار، طارق عبد الله. "**المدارس الوقفية في المدينة المنورة دراسة تاريخية وصفية**" مؤتمر الأوقاف الأول في المملكة العربية السعودية، جامعة أم القرى، شعبان ١٤٢٢هـ، ص٤٧٦.

٢٤. جنيد...، **الوقف وبنية المكتبة العربية**، ص١٠٧.

٢٥. أمين...، **الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر**، ص٢١٩.٢٢٢.
٢٦. جنيد...، **الوقف وبنية المكتبة العربية**، ص١٠٦.
٢٧. البستاني...، **محيط المحيط**، مج٤، ص٦٢.
٢٨. البستاني...، **محيط المحيط**، مج٢، ص٤٠.
٢٩. البستاني...، **محيط المحيط**، مج١، ص٣٧.
٣٠. حمادة...، **المكتبات في الإسلام: نشأتها وتطورها ومصائرها**، ص١٧٣.
٣١. جنيد...، **الوقف وبنية المكتبة العربية**، ص١٧.
٣٢. الجابري، خالد محسن. **الحياة العلمية في الحجاز خلال العصر المملوكي**.- مكة المكرمة: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ص٢٨٥.
٣٣. المرجع السابق، ص٢٩٨.
٣٤. المرجع السابق، ص٢٩٩.٣٠٠.
٣٥. المرجع السابق، ص٣٠١.
٣٦. باجودة، محمد عبد الله. **نثر القلم في تاريخ الحرم**.- ط٢.- الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، ص٦٤.
٣٧. الجابري ...، **الحياة العلمية في الحجاز خلال العصر المملوكي**، ٢٨٥.
٣٨. المرجع السابق، ص٢٨٦.
٣٩. المرجع السابق، ص٣٠٧.
٤٠. السباعي...، **مكتبات المساجد دراسة تاريخية**، ص ١٤٨.١٤٩.
٤١. جنيد...، **الوقف وبنية المكتبة العربية**، ص٤٩.
٤٢. السباعي...، **مكتبات المساجد دراسة تاريخية**، ص١٤٩.١٥٠.
٤٣. المرجع السابق، ص١٥٠.١٥١.
٤٤. جنيد...، **الوقف وبنية المكتبة العربية**.ص١١٠.
٤٥. المرجع السابق، ص١١١.
٤٦. المرجع السابق، ص١١١.
٤٧. المرجع السابق، ص٣٥.٣٦.
٤٨. حمادة...، **المكتبات في الإسلام: نشأتها وتطورها ومصائرها**، ص١٣٠.١٣٢.
٤٩. السباعي...، **مكتبات المساجد دراسة تاريخية**، ص١٥٩.
٥٠. جنيد...، **الوقف وبنية المكتبة العربية**، ص١١٠.
٥١. المرجع السابق، ص١١٤.
٥٢. حمادة...، **المكتبات في الإسلام: نشأتها وتطورها ومصائرها**، ص١٢٧.١٢٨.
٥٣. جنيد...، **الوقف وبنية المكتبة العربية**، ص٤٠.
٥٤. حمادة...، **المكتبات في الإسلام: نشأتها وتطورها ومصائرها**، ص١٠٦.١٠٧.
٥٥. الجهني...، **المكتبات الإسلامية وأثرها في التعليم**، ص١٤١.
٥٦. السباعي...، **مكتبات المساجد دراسة تاريخية**، ص١٣٦.١٣٧.
٥٧. الجهني...، **المكتبات الإسلامية وأثرها في التعليم**، ص١٤١.
٥٨. السباعي...، **مكتبات المساجد دراسة تاريخية**، ص١٤٢.١٤٥.
٥٩. المرجع السابق، ص١٤٦.١٤٧.
٦٠. الزيات، حبيب. **خزائن الكتب في دمشق وضواحيها**.- القاهرة: دار المعارف، ١٩٠٣م، ص٥.

٦١. جنيد...، **الوقف وبنية المكتبة العربية**. ص٤٧.
٦٢. حمادة...، **المكتبات في الإسلام: نشأتها وتطورها ومصائرها**، ص١٣٣.١٣٥.
٦٣. المرجع السابق، ص١٤٥.
٦٤. جنيد...، **الوقف وبنية المكتبة العربية**، ص١١٣.
٦٥. السباعي...، **مكتبات المساجد دراسة تاريخية**، ص١٤٦.
٦٦. جنيد...، **الوقف وبنية المكتبة العربية**، ص٤١.
٦٧. السباعي...، **مكتبات المساجد دراسة تاريخية**، ص١٢١.
٦٨. الصديقي...، **أثر الوقف الإسلامي في الحياة العلمية بالمدينة المنورة**، ص٢٥.٢٦.
٦٩. جنيد...، **الوقف وبنية المكتبة العربية**، ص٦٧.
٧٠. المرجع السابق، ص١١٥.
٧١. المرجع السابق، ص١١٥.
٧٢. السباعي...، **مكتبات المساجد دراسة تاريخية**، ص١١٥.١١٧.
٧٣. المرجع السابق، ص١١١.١١٣.
٧٤. الجهني...، **المكتبات الإسلامية وأثرها في التعليم**، ص٢٩٥.
٧٥. بنعلة، مصطفى. **تاريخ الأوقاف الإسلامية بالمغرب في عصر السعديين، من خلال حوالات تارودانت وفاس**.- ط١.- منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المملكة المغربية، ج٢، الرباط: دار أبي رقراق للطباعة والنشر، ٢٠٠٧، ص٨،٧.
٧٦. جنيد...، **الوقف وبنية المكتبة العربية**، ص٥٥.
٧٧. الجهني...، **المكتبات الإسلامية وأثرها في التعليم**، ص٢٩١.
٧٨. الجهني...، **المكتبات الإسلامية وأثرها في التعليم**، ص٢٩٦.٢٩٧.
٧٩. الجهني...، **المكتبات الإسلامية وأثرها في التعليم**، ص٤٠٦.٤٠٧.
٨٠. السباعي...، **مكتبات المساجد دراسة تاريخية**، ص١٥٥. ١٥٦.
٨١. جنيد...، **الوقف وبنية المكتبة العربية**، ص٨٥.٨٦.

الفصل الثالث

تاريخ المكتبات الوقفية بالمدينة المنورة

٣/٠ . تمهيد:

نتيجة لجهود النبي صلى الله عليه وسلم في تأسيس القاعدة العلمية بطيبة الطيبة، تحولت المدينة المنورة إلى ورشة عمل للعلم والتعليم، وبالتالي تخرج منها عدد من علماء الصحابة مثل علي بن أبي طالب، وزيد بن ثابت، وعمر بن الخطاب وابنه عبد الله، وأبي هريرة، وعبد الله بن مسعود، وعبد الله بن عباس، وأبيّ بن كعب، وعبد الله بن سلام، وغيرهم كثير، ومن النساء السيدة عائشة وحفصة وأمّ سلمة أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، وغيرهنّ كثير، فكانوا معينا لا ينضب في العلم والتعليم حيث أخذ منهم بعد ذلك جيل من علماء التابعين مثل علماء المدينة السبعة، ومن أبرزهم عروة بن الزبير وغيره.

وقد حضّ القرآن الكريم على التعلم مفتتحاً بذلك أول سورة أنزلت من القرآن الكريم في قوله تعالى: "**اقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الإنسان من علق * اقرأ وربك الأكرم * الذي علم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم**"(١). وكذلك الأحاديث النبوية حضت على طلب العلم والاشتغال به، قال صلى الله عليه وسلم في حديث جامع يرفع من شأن العلم، ويبين منزلته الرفيعة في الدنيا والآخرة: "من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً من طرق الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاً بما يصنع، وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض والحيتان في جوف الماء، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر"(٢) رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه، وابن حبان، والبيهقي في شعب الإيمان عن أبي الدرداء.

وقد سارع النبي الكريم صلى الله عليه وسلم في بناء الحياة والقاعدة العلمية في المدينة المنورة والتي كانت سببا في ظهور المكتبات الخاصة بها في العقود الأولى من القرن الهجري الأول لتسبق جميع الحواضر الإسلامية التي لحقت فيما بعد بإنشاء المكتبات بأنواعها المختلفة. وقد كان صلى الله عليه وسلم قدوة في ذلك، قولاً وعملاً. "وتجدر الإشارة إلى أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يساند التعليم في المساجد بالتوجيه فقط، بل ألحق القول بالعمل، حيث كان يقوم بنفسه صلى الله عليه وسلم بتدريس الصحابة رضوان الله عليهم وتوجيههم من خلال حلقات الدرس بالمسجد ... ولم يكن تلقي العلم في المسجد قاصراً على الرجال، فقد كان يسمح للنساء بحضور حلقات درس الرسول صلى الله عليه وسلم، بل ومساءلته في بعض الأحيان عما يصعب عليهن فهمه من العبادات والمسائل الفقهية"(٣).

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يتابع باستمرار حلقات العلم في مختلف المساجد بالمدينة المنورة، ويحضّ على اكتساب العلم لنيل الأجر العظيم في سبيل طلبه، مؤكداً بذلك النصوص القرآنية التي ترفع من شأن طلب العلم. الأمر الذي نتج عنه تكوين مجموعة من علماء الصحابة، الذين أخذ عنهم أئمة التابعين، ومن بعدهم كبار العلماء. ينقل السباعي عن آخرين: "كما يروى بأن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يذهب إلى مساجد أخرى بالمدينة المنورة لأغراض التدريس وتعليم المسلمين، ومن ذلك مسجد قباء حيث كان يتفقد بنفسه حلقات الدرس المقامة به ... ولم يكن الرسول صلى الله عليه وسلم المعلم الوحيد بالمدينة المنورة. فقد درج العديد من الصحابة (رضوان الله عليهم) على إلقاء الدروس في مسجد قباء وغيره من المساجد أثناء حياة الرسول صلى الله عليه وسلم. ومن المؤكد أن وجود تسعة مساجد على الأقل بالمدينة المنورة خلال حياة الرسول فيها، تَطلَّب أن يكون في كل مسجد منها معلم من الصحابة يقوم بمهمة التعليم وإلقاء الدروس فيها. ولا نظن أن هذا يتم إلا بموافقة الرسول صلى الله عليه وسلم ومباركته ... وبمرور الوقت أصبح هؤلاء الصحابة (رضوان الله عليهم) أول معلمين في الإسلام، وأضحى المسجد قاعة كبرى لدروسهم. وفعلاً ترسخ المسجد منذ ذلك الوقت كمركز للعلم والتحصيل، بجانب كونه داراً للعبادة، واستمر هذا الدور المزدوج للمسجد بدون أي عوائق خلال فترة الحكم الأموي، والعباسي، وما أعقبهما من عصور الحكم الإسلامي"(٤).

٣/١. الكتب والمكتبات بالمدينة المنورة في عهد الصحابة:

ولوفرة العلم لدى هؤلاء الصحابة قام البعض منهم بتدوين علومهم تلك، فكانت اللبنة الأولى لظهور الكتب والمكتبات الخاصة بالمدينة المنورة منذ القرن الأول الهجري. ولا يمكن الجزم بأن كتبهم أو مكتباتهم كانت وقفية لعدم وجود دليل علمي يؤكد هذا الرأي، ولكن من المؤكد أنه كان لعلماء الصحابة السبق في رعاية مجالس العلم والتعليم اقتداء بالرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، والتي نتج عنها كم من الإنتاج الفكري في مختلف العلوم الشرعية، الأمر الذي أدى بدوره لضبط وحفظ هذه العلوم عبر تأليف الكتب التي تم رصد بعضها. فقد "كان لبعض الصحابة كتب في بيوتهم بمنزلة المكتبة الخاصة، من هؤلاء: سعد بن عبادة الأنصاري؛ فقد كان له كتاب أو كتب فيها طائفة من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، وصحف أخرى بخطه، كما كان عند أسماء بنت عميس كتاب جمعت فيه بعض أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، كما اشتهرت صحيفة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه التي كان يعلقها في سيفه فيها أسنان الإبل، وأشياء من الجراحات، ولا يقتل مسلم كافراً"(٥).

ويقول محمد ماهر حمادة: " يروى أن زيد بن ثابت ألف كتابا في علم الفرائض، وذكر موسى بن عتبة أن مُريباً مولى عبد الله بن عباس امتلك حمل جَمَلٍ كُتباً من أقوال عبد الله بن عباس كان قد سجلها، كذلك يذكر البخاري أن عبد الله بن عمر كان يكتب الحديث، وذكر مسلم في صحيحه كتابا ألف في عهد ابن عباس في قضاء أمير المؤمنين علي"(٦).

ويؤكد هذا عبد اللطيف بن دهيش فيقول: " وبجانب مكتبات المساجد وجد نوع ثاني من المكتبات، وهذا النوع هو المكتبات الخاصة، وقد وجدت في بيوت الصحابة والتابعين ثم الخلفاء والأمراء والوزراء والعلماء والأدباء. فقد روي أن سعد بن عبادة الأنصاري كان عنده كتاب أو كتب منها طائفة من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم. وكان عند عبد الله بن مسعود رضي الله عنه كتب كثيرة، وكان عبد الله بن عمرو بن العاص يحفظ كتبه وصحفه في صندوق له حلق، كما كان لعبد الله بن عباس رضي الله عنه كتب كثيرة بلغت حمل بعير"(٧).

وباستعراض سيرة أحد علماء الرعيل الأول وهو أحد فقهاء المدينة السبعة في هذا المجال، يتأكد لنا وجود حركة تأليف وتدوين نشطة في المدينة المنورة في القرن الأول الهجري، كانت سببا في ظهور المكتبات الخاصة في المدينة أولا ثم انتشارها إلى مدن العالم الإسلامي بعد الفتوحات. يقول محمد ماهر حمادة: " ولعل أهم محدث وعالم اهتم بتدوين سيرة الرسول وأحاديثه هو عروة بن الزبير المتوفى سنة ٧١٢م. وهو أول من استخدم الأحاديث الشريفة في تدوين سيرة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ... وهو شخص كفء وأهل لتدوين سيرة الرسول. ذلك أن خالته أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها، وهو نفسه تتلمذ على يديها، وقد جعل مقره المدينة المنورة ولم يغادرها إلا عندما ذهب إلى الشام بدعوة من الخلفاء الأمويين. يذكر حاجي خليفة أنه (أي عروة) ألف كتابا في مغازي الرسول وهو معتبر أول من ألف في هذا النوع من التأليف. ويعتبر عروة من علماء المدينة الثقات السبعة، وقد أحرق كتبه كلها في ساعة من ساعات إحساسه بالذنب لجمعه كتبا أخرى سوى القرآن الكريم، وكان ذلك عام الحرة سنة ٦٣هـ. يقول ابنه هشام بن عروة: حرق أبي يوم الحرة كتب فقه كانت له، قال: فكان يقول بعد ذلك: لأن تكون عندي أحب إلي من أن يكون عندي مثل أهلي ومالي"(٨).

وبعد فإن عصر الحراك العلمي الأول في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم، وزمن الخلفاء الراشدين، والمنطلق من المسجد النبوي، وبدء ظهور المكتبات الخاصة ، والكتاتيب، يعتبر أساسا ونبراسا لما أتى بعده من تطور في مجال المكتبات في الحضارة العربية الإسلامية، والتي كانت ذروتها في عصر الدولة العباسية. وهذا التطور ساهم في إنجازه مختلف أطياف المجتمع في الدولة الإسلامية على مدى قرون متعاقبة أدى إلى نشر المعرفة والعلوم. يقول حسن البيتي:"ولقد شارك في إرساء قواعد هذا النظام الموسرين والأغنياء والحكام والأمراء والسلاطين وقادة الفكر والمثقفين، وكبار ملاك الراضي الزراعية والعلماء، على مرّ العصور التي شهدتها الدول العربية والإسلامية، وذلك إيماناً منهم بأهمية إرساء قواعد هذا النظام الذي حقق مكاسب معنوية وتربوية لا حصر لها للمجتمعات الإسلامية، وتوسيع دائرة المعرفة لدى الطلاب والدارسين على مدى قرون طويلة، من خلال الوقف على المساجد، والكتاتيب، والمدارس، والمعاهد الدينية، والجامعات، وزوايا العلم"(٩).

وعموما فإن عصر الدولة الأموية كان فترة الحضانة لظهور المكتبات وهو ما يعبر عنه الحلوجي بقوله: "وإذا كان عصر بني أمية هو الذي قدر له أن يشهد بدايات حركة التأليف والترجمة، فمن الطبيعي أن يكون هذا العصر هو فترة الحضانة في تاريخ المكتبات الإسلامية، وأن تبلغ رشدها في العصر العباسي"(١٠).

ولكنّ قوله هذا لا ينفي ما تمت الإشارة إليه سابقا من ظهور مكتبات المساجد والمكتبات الخاصة بالمدينة المنورة أولاً، إذ يقول في هذا الصدد: "إن الدولة الإسلامية في عصورها الأولى قد عرفت كل أنواع المكتبات التي تتباهى بها الدول المتقدمة في العصر الحديث، وكان طبيعيا أن تكون المكتبات الخاصة أقدم هذه الأنواع وأسبقها إلى الظهور، لأن حب التملك غريزة فطرية في الإنسان، وحيثما توجد كتابة وكتب، تجد تلك الغريزة مجالها للانطلاق. ومن أجل هذا ظهرت المكتبات الخاصة في الدولة الإسلامية منذ وقت مبكر. وقد سبقت الإشارة إلى كتب كل من عروة بن الزبير وعبد الله بن عباس وهما من رجال القرن الأول"(١١).

وظلت المدينة المنورة لقرون، ولازالت يُسعى إلى مسجدها وعلمائها لتحصيل العلم، وتميّز المدينة المنورة بذلك يعود سببه لحديث ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم يساوي بين الجهاد في سبيل الله، وطلب العلم في مسجده، فقد روى الإمام أحمد في مسنده عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من دخل مسجدنا هذا ليتعلم خيراً، أو ليعلمه، كان كالمجاهد في سبيل الله، ومن دخله لغير ذلك، كان كالناظر إلى ما ليس له"(١٢). وهذه الخصوصية لمسجده صلى الله عليه وسلم كانت العامل الأساسي المحفز لكثير من علماء المسلمين وطلبة العلم لاختيار المسجد النبوي مكاناً للتعليم والتعلم إلى يومنا هذا، الأمر الذي عزّزَ من مكانة مكتبته وجعلها هدفا للمانحين والموقفين. قال ابن بطال رواية عن الشعبي عن حكمة أعطاها لأحد المتعلمين: "أعطيناكها بغير شيء وقد كان يركب فيما دونها إلى المدينة، وقوله فيه إثبات فضل المدينة، وأنها معدن العلم وموطنه، وإليها كان يرحل في طلبه ويقصد في التماسه"(١٣).

وسنتناول نشأة المكتبات الوقفية بالمدينة المنورة بدءاً من العصر العباسي، وذلك حسبما يتوافر من معلومات كان الحصول عليها من خلال المصادر غاية في الصعوبة، لندرتها وتشتتها بين الكتب، والمقالات، وبعض البحوث في المؤتمرات. وسنبدأ بمكتبة المصحف الكريم، ثم مكتبة المسجد النبوي الشريف، ثم المكتبات الوقفية المدمجة بها، وبعد ذلك المكتبات الوقفية الخاصة المستقلة.

٢/٣. المكتبات الوقفية بالمدينة في العصر العباسي:

كان عصر الدولة العباسية أزهى عصور الحضارة العربية الإسلامية في مجال الحراك العلمي، وقد شمل ذلك الكتب والمكتبات التي نالت قدرا كبير من الاهتمام، باعتبار أن القاعدة العلمية للدولة هي أساس الرقي والتطور، وكان إنشاء هارون الرشيد لمكتبة بيت الحكمة عملا جبارا وأساسا قويا للنهضة العلمية، ولم يكن أثره مقتصرا على محيطه بل تعداه ليكون نموذجا وقدوة. فتم إنشاء خزانة الحكمة من قبل العزيز الفاطمي الذي حكم مصر سنة ٣٦٥-٣٨٦هـ ومكتبة الأمويين في قرطبة التي أنشأها الحكم المستنصر ٣٥٠-٣٦٦هـ. كما ظهرت أنواع أخرى من المكتبات العامة والخاصة.

أما المكتبات الوقفية الخاصة فكانت بدايتها في العراق، إذ أنشأ أبو القاسم جعفر بن محمد بن حمدان الموصلي دار العلم بالموصل، يقول يحيى جنيد: "وتعتبر هذه الدار أو حسب مفهومنا المعاصر هذه المكتبة أول مكتبة وقفية في الإسلام اعتمادا على ما ورد في النصوص التراثية المتوفرة بين أيدينا"(١٤). وعن تاريخ إنشائها

يضيف: "ولم تحدد المصادر تاريخ إنشاء المكتبة، ولكن من المحتمل أن ذلك كان في فترة تمتد ما بين أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الرابع الهجري اعتمادا على الفترة التي عاش فيها من ٢٤٠ إلى ٣٢٣ هجرية"(١٥).

وبالرغم من انتقال مقر الخلافة من المدينة إلى الشام ثم العراق، فقد ظلت سوق العلم ومادته الكتب رائجة في بلاد الحرمين، الأمر الذي يبرر وجود المكتبات بأنواعها وتوافرها في الحرمين الشريفين. وقد اهتم الخلفاء العباسيين بإنشاء المكتبات سواء كانت عامة أو وقفية كما هو مشهور من أعمالهم في بغداد وغيرها من حواضر العالم الإسلامي، وشمل ذلك الحجاز أيضا. واعتنوا بتنمية الوقف والتوسع في المصارف التي يشملها ومن ضمنها المكتبات، يقول إبراهيم المزيني: "فلم يعد قاصرا على الصرف على الفقراء والمساكين بل تعدى ذلك إلى الإنفاق في كثير من جوانب الحضارة الإسلامية من ذلك الصرف على تأسيس دور العلم والمكتبات، والإنفاق على طلابها والقائمين عليها إضافة إلى إنشاء البيمارستانات للمرضى ودور الرعاية الاجتماعية والأسبلة وغيرها من جوانب الخدمات الإنسانية الأخرى النافعة لعموم المسلمين"(١٦). ونستعرض فيما يلي المكتبات الوقفية بالمدينة:

٣/٢/١. مكتبة المصحف الكريم:

هي أول المكتبات نشأةً وأقدمها وجوداً، ولازالت مستمرة إلى يومنا هذا، وتحفظ ما يزيد على (٢٠٠٠) من المصاحف المخطوطة بفرعيها في المسجد النبوي ومكتبة الملك عبد العزيز. وكان أول مصحف أودع فيها أحد المصاحف التي نسخها الصحابة بإشراف ورعاية الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه، ولازالت المصاحف إلى يومنا هذا تطبع بنوع من النسخ يسمى (الرسم العثماني). ورسم القرآن الكريم علمٌ مستقلٌ بذاته من بين علوم القرآن، تناقلته الأمة جيلا بعد جيل. ذكر السمهودي: "وفي الصحيح من حديث أنس في قصة كتابة عثمان رضي الله عنه للقرآن من الصحف التي كانت عند حفصة "أنه أمر بذلك زيد بن ثابت وعبد الله ابن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، فنسخوها في المصاحف، وأنه أرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا"(١٧).

وكان الخليفة عثمان بن عفان أول من أتاح قراءة القران من المصحف في المساجد. "وقد روى ابن شبة عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة قال: إن أول من جمع القرآن في مصحف وكتبه عثمان بن عفان رضي الله عنه، ثم وضعه في المسجد فأمر به أن يقرأ كل غداة"(١٨). ثم تتابع الخلفاء والولاة في إهداء المصاحف للمسجد النبوي. وفي زمن الدولة الأموية بعث الحجاج بن يوسف الثقفي بمصحف إلى المدينة، "عن محرز بن ثابت مولى سلمة بن عبد الملك عن أبيه قال: كنت في حرس الحجاج بن يوسف، فكتب الحجاج المصاحف، ثم بعث بها إلى الأمصار، وبعث بمصحفٍ إلى المدينة، فكره ذلك آل عثمان، فقيل لهم: أخرجوا مصحف عثمان يقرأ، فقالوا: أصيب يوم مقتل عثمان. قال محرز: وقد بلغني أن مصحف عثمان صار إلى خالد بن عمرو بن عثمان، قال فلما استُخلف المهدي بعث بمصحف إلى المدينة؛ فهو الذي يقرأ فيه اليوم، وعُزل مصحف الحجاج فهو في الصندوق الذي دون المنبر"(١٩).

وفي نص آخر يذكر السمهودي: "وقال ابن زبالة: حدثني مالك بن أنس قال: أرسل الحجاج بن يوسف إلى أمهات القرى بمصاحف، فأرسل إلى المدينة بمصحف منها كبير، وهو أول من أرسل بالمصاحف إلى القرى، وكان هذا المصحف في صندوق عن يمين الاسطوانة التي عُمِلت علماً لمقام النبي صلى الله عليه وسلم، وكان يفتح في يوم الجمعة والخميس ويقرأ فيه إذا صليت الصبح، فبعث المهدي بمصاحف لها أثمان فجعلت في صندوق ونحي عنها مصحف الحجاج، فوضعت عن يسار السارية، ووضعت منابر لها كانت تقرأ عليها، وحُمل مصحف الحجاج في صندوقه فجعل عن يمين الاسطوانة التي على يمين المنبر"(٢٠). كما وُجِدت مصاحف أخرى غيرها موقوفة على المسجد النبوي، يقول السمهودي: "ثم ذكر ما قدمناه عن ابن زبَالة ثم قال: وأكثر ذلك دثر على طول الزمان، وتفرقت أوراقه، قال: وهو مجموع في يومنا هذا في جِلالٍ في المقصورة المحترقة إلى جانب باب مروان. ثم ذكر أن بالمسجد عدة مصاحف بخطوطٍ ملاحٍ موقوفة مخزونة في خزائن ساج بين يدي المقصورة خلف مقام النبي صلى الله عليه وسلم.

قال: وهناك كرسي كبير في مصحف مُقفل عليه نفذ به من مصر، وهو عند الأسطوانة التي في صف مقام النبي صلى الله عليه وسلم، وإلى جانبه مصحفان على كرسيين يقرأ فيهما الناس، وليس في المسجد ظاهر سواهما"(٢١).

ومن خلال النصوص السابقة يتضح أن القرآن أوَّل ما كُتِب كان بالمدينة، وأوَّل نسخة أودعت كانت بالمسجد النبوي في زمن الخليفة عثمان بن عفان، ثم تتابع الخلفاء والأمراء بتزويده بأنفس مخطوطاتهم. وفي زمن الدولة العباسية تمت تنحية نسخة الحجاج الوالي الأموي، واستبدلت بها نسخ الخليفة المهدي العباسي.

وقد ظل المصحف الإمام موجوداً بالمدينة المنورة زمن الدولة العباسية، وإلى وقت السمهودي في القرن التاسع حيث يقول: "ولم أر نسبة المصحف الموجود اليوم لعثمان رضي الله عنه إلا في كلام المطري ومن بعده، عند ذكر سلامة القبة التي بوسط المسجد من الحريق كما قدمناه. نعم ذكر ابن جبير في رحلته ما حاصله أن أمام مقام النبي صلى الله عليه وسلم ـ وقد عبر عنه بالروضة الصغيرة ـ صندوقا، وأن بين المقام وبين الحجرة ـ أي بجانب المقام من جهة المشرق ـ محمل كبير عليه مصحف كبير في غشاء مقفل عليه هو أحد المصاحف الأربعة التي وجه عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى البلاد"(٢٢).

ولكن السمهودي يعود ويؤكد وجود المصحف العثماني بالمسجد النبوي في زمانه عند الحديث عن الحريق الثاني الذي شبَّ في المسجد النبوي الشريف في زمانه عام ٨٨٦هـ ، وأنه ظلّ موجودا بالحجرة النبوية المعطّرة إلى نهاية زمن الدولة العثمانية، الأمر الذي أكده علي موسى في رسالته. ولا تسعفنا المصادر بالمعلومات اللازمة لتكوين صورة عن واقع المصاحف وما توافر منها في المسجد النبوي الشريف في تلك الحقبة، حيث أن ما تم رصده كان معنياً بهبات الخلفاء والحكام بشكل رئيسي دون الإشارة إلى الوقفيات الأخرى.

٢/٢/٣. مكتبة المسجد النبوي الشريف:

مكتبات المساجد هي أول المكتبات الوقفية ظهورا في تاريخ الحضارة الإسلامية. يقول الجابري: "**خزائن الكتب في المساجد:** لعل هذا النوع من المكتبات يعد أول المكتبات نشوءاً في الإسلام ، ولا ندري بالضبط متى أنشئت مكتبات المساجد ، ولكن يبدو أن العادة جرت من أقدم عصور الإسلام أن يودع الناس في المساجد عدداً من المصاحف ، وغيرها من الكتب الدينية النافعة لفائدة المطلعين والمصلين ، ومن الواضح أن مكتبة المسجد ظهرت للوجود منذ اتخذ المسلمون المسجد مكاناً للدراسة، وذلك لأنه لا دراسة دون كتب"(٢٣). وتحرص مختلف فئات المجتمع على وقف كتبهم في الحرمين الشريفين، فيقول عن ذلك: " وقد كان المسجد الحرام والمسجد النبوي مركزاً علمياً من أكبر مراكز التعليم والتدريس، وجذب إليه الطلاب من جميع أنحاء العالم، لذا اهتم الخلفاء والحكام والأمراء والعلماء وغيرهم، فأوقف عليهما مجموعات ضخمة من الكتب في أغلب فروع العلم والمعرفة ليستفيد منها طلاب العلم"(٢٤).

وقد كان ابتغاء الأجر من خلال المساهمة في دعم المسيرة العلمية السبب الأهم الذي حفّز الكثير من العلماء والأثرياء وكذلك العوام، على وقف الكتب وربما مكتباتهم، وتخصيص عوائد الأوقاف لخدمة العلم والعلماء وطلابه، وتخصيص المدينة المنورة بذلك يعود سببه لورود حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم يساوي بين الجهاد في سبيل الله، وطلب العلم في مسجده، كما ذُكِر سابقاً.

وتظل المعلومات التي توصل إليها البحث فيما يخص تحديد البداية الفعلية للبدء في وقف الكتب والمكتبات على المسجد النبوي غير متوافرة إلى الآن، ولكن يمكن الجزم بأنه تم إيداع كم من الكتب في زمن الدولة العباسية كون مكتبة كبيرة، وقد رُصدت هذه في عام ٥٨٠هـ وكانت تجميعا لما يودع فيه طيلة القرون الماضية من قبل الحكام والعلماء والوجهاء، ممن يتقربون بعملهم هذا إلى الله للحصول على الأجر. ويؤكد هذا المفهوم يحيى جنيد اعتمادا على ما ذكره ابن جبير (ت٦١٤هـ) في رحلته. فيقول: "**المسجد النبوي بالمدينة:** وتكونت في هذا المسجد مكتبة كبيرة كانت حصيلة ما وقفه الملوك والحكام والعلماء والأثرياء في مراحل تاريخية مختلفة، ففي عام ٥٨٠ هـ، كانت فيه ((خزانتان كبيرتان محتويتان على كتب ومصاحف موقوفة))."(٢٥).

ويوضح محمد أمين أن صلاح الدين الأيوبي، استخدم الوقف في العملية العلمية، كوسيلة لنشر المذهب السني بعد أن قضى على الفاطميين الشيعة في مصر، وامتد أثر ذلك إلى المدينة المنورة فيقول: "اتخذ من نظام الأوقاف سبيلا لتدعيم حكمه السياسي، بعد أن قضى على حكم الفاطميين الشيعة وأعاد مصر إلى حظيرة المذهب السني ... وإذا حاولنا تتبع أسباب كل وقف أمر به صلاح الدين لوجدنا أن غالبية أوقافه تخدم نفس الاتجاه، وأعني تدعيم حكمه السياسي من ناحية وخدمة المذهب السني والقضاء على المذهب الشيعي من ناحية أخرى. بل إن الوقف الذي أوقفه على أربعة وعشرين خادما لخدمة الضريح النبوي الشريف كان يخدم نفس الهدف"(٢٦). واستخدام صلاح الدين للوقف في العملية التعليمية صار نهجا للسلاطين من بعده، وكان قدوته في ذلك السلطان نور الدين الشهيد كما يقول محمد أمين.

٣/٢/٢/أ . الحريق الأول بالمسجد النبوي يدمر مكتبته:

لقد كانت نهاية الكتب بالمسجد النبوي في نهاية العصر العباسي نهاية مأساوية بسبب حادثة الحريق الأول، الذي شب في المسجد عام ٦٥٤هـ وأتى على معظم محتوياته، ومن ضمنها الخزائن والصناديق التي كانت تحوي ذخائر ونوادر للأسف لا نعلم عنها سوى ما أورده المؤرخون. قال السمهودي: "قال المؤرخون: احترق المسجد النبوي ليلة الجمعة أول شهر رمضان من سنة أربع وخمسين وستمائة في أول الليل ... وتلف جميع ما احتوى عليه المسجد الشريف من المنبر النبوي والأبواب والخزائن والشبابيك والمقاصير والصناديق وما اشتملت عليه من كتب وكسوة الحجرة وكان عليها إحدى عشرة ستارة... قال المؤرخون: ولم يسلم سوى القبة التي أحدثها الناصر لدين الله لحفظ ذخائر الحرم مثل المصحف الكريم العثماني وعدة صناديق كبار متقدمة التاريخ صنعت . يعني تلك الصناديق . بعد الثلاثمائة، وهي باقية إلى اليوم، يعني في زمانهم، وذلك لكون القبة المذكورة بوسط صحن المسجد وببركة المصحف الشريف العثماني"(٢٧).

ومن خلال النص السابق يتبين لنا أن مكتبة المسجد النبوي الشريف كانت موجودة قبل ذلك التاريخ، بقرون إذ يشير إلى صناديق صنعت بعد الثلاثمائة الهجرية، كما يتأكد وجود المصحف العثماني الذي سلم من الحريق. وبعد هذه الحادثة كُتِب للخليفة العباسي الذي باشر العمل في إعادة تعمير المسجد، ولكن هجوم التتار حال دون استكمال بنائه وانتقل هذا الدور إلى سلاطين المماليك، "وكُتب بذلك للخليفة المستعصم بالله أبي أحمد عبد الله بن المستنصر بالله في شهر رمضان، فوصلت الآلات صحبة الصناع مع ركب العراق في الموسم، وابتدئ بالعمارة في سنة خمس وخمسين وستمائة ... وسقفوا في هذه السنة . سنة خمس وخمسين . الحجرة الشريفة وما حولها إلى الحائط القبلي وإلى الحائط الشرقي إلى باب جبريل عليه السلام المعروف قديما بباب عثمان، ومن جهة الغرب الروضة الشريفة إلى المنبر الشريف. ثم دخلت سنة ست وخمسين وستمائة فكان في المحرم منها واقعة بغداد واستيلاء التتار وقتلهم الخليفة المذكور مع أهلها"(٢٨).

٣/٢/٣ . المكتبات الوقفية الأخرى بالمدينة المنورة في العصر العباسي:

تظل المعلومات عن المكتبات الوقفية الأخرى في هذا العصر قليلة، ولكن عُلم أنه وجدت مدارس وقفية وأربطة كانت تحوي مكتبات وهي تَبعٌ للأصل، فتكون وقفاً كما هو الحال في مكتبات المساجد، ومن أقدم المكتبات الوقفية بالمدينة المنورة مكتبة رباط الزنجبيلي، فقد تحول رباط الزنجبيلي إلى أول مدرسة عُرفت بالمدينة المنورة في العصر العباسي، وهو ما ذهب إليه طارق عبد الله حجار في قوله: "لقد ذكر النعيمي أن هناك مدرسة بناها فجر الدين عثمان بن الزنجبيلي في مكة المشرفة، وله رباط في المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام. وكان ذلك في عام ٥٧٧هـ، ولعل هذا الرباط أول مدرسة في المدينة المنورة"(٢٩).

. وكان للمغاربة اهتمام بالمساهمة في هذا الأمر منذ العصر العباسي، فقد ذكر حسن الواركلي أن: "أقدم ما عرفنا مما حبسه المغاربة من كتب ومكتبات على الحرمين أو الأربطة والمدارس بمكة والمدينة جملة من كتب الفقه المالكي التي حَبَّسها محمد بن عبد الله بن الفتوح المكناسي إمام المالكية بالحرم الشريف عام ٥٨٨هـ على

طلبة الفقه والمذهب المالكيين في الحرم الشريف ووضعت في الركن المالكي منه، وكان من هذه الكتب المحبسة كتاب (المقرب) لابن زمنين في ستة مجلدات"(٣٠).

. مكتبة المدرسة الشهابية: وهي مدرسة موقوفة وبها مكتبة وقفية يقول الحجار: "مؤسسها الملك المظفر شهاب الدين غازي الأيوبي، في مكان دار أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه. وبنيت لجميع مذاهب الأئمة الأربعة كما أوقف عليها الأوقاف الكثيرة في الشام ولها في المدينة وقف من النخيل. وللمدرسة قاعتان وفيها كتب نفيسة ... ومن أوقفوا كتبهم عليها إبراهيم بن رجب الكلابي"(٣١).

٣/٣. المكتبات الوقفية بالمدينة المنورة في عصر المماليك:

بعد أن انتقل الأمر إلى سلاطين مصر من المماليك وتولوا أمر الحكم، قاموا بإعادة بناء المسجد النبوي الشريف، "قال المطري: فوصلت الآلات من مصر، وكان المتولي عليها حينئذ الملك المنصور نور الدين علي بن الملك المعز عز الدين أيبك الصالحي، ووصل أيضاً آلات وأخشاب من صاحب اليمن يومئذ وهو الملك المظفر شمس الدين يوسف بن منصور عمر بن علي بن رسول، فعملوا إلى باب السلام المعروف قديما بباب مروان، ثم عزل صاحب مصر المذكور، يعني في سنة سبع وخمسين في ذي القعدة منها، وتولى الملك المظفر سيف الدين قطز المعزي...قلت: إنما ولي في يوم السبت ثامن عشر ذي القعدة من سنة سبع، وفي شهر رمضان من سنة ثمان كانت وقعة عين جالوت التي أعز الله فيها الإسلام وأهله على يديه"(٣٢).

وقد جاء المماليك في أعقاب دولة الأيوبيين، والتي كانت لها عناية خاصة بإنشاء الأوقاف بأنواعها. وقد سار المماليك على نفس النهج الذي اختطه الأيوبيون، وذلك بإنشاء الأوقاف خدمة للعلم والعلماء وطلبته، وقد كانت لهم مبررات تختلف عن المبررات التي كانت لدى السلطان صلاح الدين، فهو كان يريد تغيير مذهب إلى آخر، وبالنسبة للمماليك يقول محمد أمين: "وفي العصر المملوكي سار المماليك على نهج أساتذتهم الأيوبيين في محاربة التشيع، واتبعوا أسلوبهم في ذلك وهو إنشاء المدارس، فزاد عدد المدارس زيادة كبيرة ... وأعتقد أن سياسة الإكثار من المدارس في عصر سلاطين المماليك إنما ترجع إلى عدة عوامل متشابكة ومتداخلة، من بينها حرص السلاطين والأمراء على الظهور في صورة حماة العقيدة الإسلامية السنية ... ومن ناحية أخرى حرص المماليك وهم الغرباء بالنسبة للثقافة الإسلامية واللغة العربية، ولاسيما بعد انتهاء الأخطار الخارجية الكبرى التي تمثلت في الصليبيين والمغول ... وعندما خفت حدة هذه الأخطار نسبيا لم يجد سلاطين المماليك وأمراؤهم، ولاسيما في عهد الجراكسة بُداً من الإكثار من إنشاء المدارس والتقرب إلى العلماء ... ويؤكد هذا القول ما ظهر من ألقاب في أواخر عصر دولة المماليك البحرية، وأعني به لقب (باني المدارس والمساجد) الذي أطلق على الأمير صرغتمش، في نص إنشاء مدرسته بالقاهرة بتاريخ ربيع الآخر سنة ٧٥٧هـ/١٣٥٦م"(٣٣). وسنبدأ هذا العصر أيضاً بمكتبة المصحف، ثم مكتبة المسجد النبوي الشريف، وصولا إلى المكتبات الوقفية الأخرى التي أنشئت في عهد المماليك.

١/٣/٣. مكتبة المصحف الكريم:

ذُكِر سابقا حرص الخلفاء والحكام على تزويد المسجد النبوي بنسخ من المصحف الكريم ابتداء من الخليفة عثمان بن عفان، ومرورا بالحجاج، والخليفة المهدي وغيرهم من أفراد المجتمع. وفي نهاية العصر العباسي وقبل سقوط بغداد على يد التتار شب الحريق الأول بالمسجد النبوي الشريف، ودمّر محتوياته.

وقد تم تعويض المسجد النبوي بعد هذا الحريق بالعديد من المصاحف عوضا عما فقده، ذكر ذلك ابن زبالة: "وأكثر ذلك دثر على طول الزمان وتفرقت أوراقه، قال وهو مجموع في يومنا هذا في جِلاَلٍ في المقصورة المحترقة إلى جانب باب مروان. ثم ذكر أن بالمسجد عدة مصاحف بخطوط ملاحٍ موقوفة مخزونة في خزائن ساج بين يدي المقصورة خلف مقام النبي صلى الله عليه وسلم. قال: وهناك كرسي كبير فيه مصحف موقوف عليه نفذ به من مصر، وهو عند الاسطوانة التي في صف مقام النبي صلى الله عليه وسلم، وإلى جانبه مصحفان على كرسيين يقرأ فيهما الناس، وليس في المسجد ظاهر سواهما"(٣٤).

وبالانتقال إلى زمن السلطان الأشرف قايتباي نرى أنه أكثر سلاطين المماليك اهتماما بإنشاء المكتبات ووقفها في المدينة المنورة، ويتضح ذلك جليا بعد عمارته للمسجد النبوي بعد الحريق الثاني. يقول معاصره مؤرخ المدينة السمهودي: "قلت: وعقب وفاة ابن النجار بيسير انتقل أمر المدينة الشريفة إلى ملوك مصر، ولم يزل ملوكها يهتمون بعمارة المسجد الشريف، ومن أعظمهم همة في ذلك، وأحبهم في سلوك هذه المسالك، سلطان زماننا الملك المالك لصفوة الممالك الأشرف أبو النصر قايتباي، أعز الله أنصاره، وضاعف اقتداره، فلذلك أجرى الله على يديه هذه العمارة، وآثره بهذه الأثارة"(٣٥).

وبين الحريق الأول الذي وقع في عام ٦٥٤هـ والحريق الثاني في عام ٨٨٦هـ ما يزيد على قرنين من الزمان من حكم المماليك، وقد توفر لمكتبة الحرم النبوي خلال هذه الفترة كمّ من الكتب ملأ عدة خزائن، هذا عدا المصاحف والربعات، وكانت بالمسجد النبوي خلوات للعلماء يحتفظون فيها بكتبهم التي تحوي المئات من المخطوطات مثل مكتبة السمهودي في خلوته بالمسجد النبوي، وقد احترقت أثناء الحريق الذي شب بالمسجد في ذلك العام، ويروي صاحبها ما حدث بقوله: "توجهت إلى مكة المشرفة للاعتمار أول شهر رمضان عام ست وثمانين وثمانمائة، فورد علي بها عدة كتب من الصادقين في الخبر، وشافهني من شاهد الأمر والأثر، بما حصل من الخطب العظيم والرزء الجسيم، باحتراق المسجد النبوي أول الثلث الأخير من ليلة الثالث عشر من شهر رمضان ... وحمل بعض خزائن الكتب من تحت السقف إلى صحنه فأصابها الشرر فأحرقها ... وقد استولى الحريق على جميع سقف المسجد وحواصله وأبوابه وما فيه من خزائن الكتب والربعات والمصاحف، غير ما وقعت المبادرة لإخراجه وهو يسير، وغير القبة التي بصحن المسجد، وسبق ذكر سلامتها في الحريق الأول، وَكُنت تركتها بالخلوة التي كنت أقيم بها في مؤخر المسجد، فكتب إلي باحتراقها، ومنها أصل هذا التأليف وغيره من التآليف والكتب النفيسة نحو ثلاث مائة مجلد ... ثم منّ الله علي بالعودة إلى المدينة الشريفة بعد تعويض ما تدعو الحاجة إليه من الكتب المحترقة"(٣٦).

ويتبين لنا من النص السابق أن مكتبة الحرم النبوي، تم تعويضها عما فقدته من ذخائرها خلال الحريق الأول وعلى مدى قرنين من الزمان، وأن ما تم إنقاذه كان يسيرا بالنسبة لما كانت تحويه من الكتب وهي في ذلك الزمن جميعها مخطوطات، ولنا أن نتصور كم كان عددها إذا كان للسمهودي وحده نحو ثلاثمائة مجلد. وقد بادر السلطان المملوكي الملك الأشرف قايتباي آنذاك بمعالجة الوضع برمته وعلى درجة عالية من الاهتمام والرعاية، وشيّد بناية رائعة ومحكمة للمسجد النبوي، وأولى موضوع العلم عناية خاصة، فعوض مكتبة المسجد النبوي عما فقدته عبر الإهداء المباشر، وقام بإنشاء مدرسته الأشرفية الوقفية التي زودها أيضا بمكتبة تخدم طلبة العلم الدارسين بها، وقد استخدم السلطان أساليب عدة لخدمة مجال العلم والتعليم بالمدينة المنورة، ومنها استخدامه الثقات ممن يحقق أهدافه، وإرساله نفائس الكتب مثلما فعل مع السمهودي الذي يقول عن ذلك: "وعوض ما فات من المصاحف والربعات، وبعث بعض ذلك على يديّ بحيث اجتمع من ذلك أكثر مما فات، وكذلك الكتب بعث بجانب منها ووعد بإرسال ما يحتاج إليه، وكان من التوفيق بعثه للأمير الكبير الفخري قاسم الفقيه ناظرا على المسجد الشريف، وشيخا لخدامه، وهو محب للعلم وأهله، مغرم بتلاوة القرآن الشريف، لم ير على طريقته مثله في هذا الباب؛ فصار يباشر أمر الربعات والمصاحف بنفسه ومماليكه، واتخذ لها كراسي صغاراً توضع عليها بالروضة الشريفة في أوقات الصلوات النهارية، فيقرأ هو والناس فيها؛ فعم نفعها ... ثم جهز المقر الأشرف عين الأعيان ونخبة الزمان البهائي بهاء الدين أبو البلقاء ابن الجيعان ... في ركب مع جماعة من خواصه، فوصل إلى المدينة الشريفة سابع ذي القعدة الحرام من العام المذكور، ومعه أحمال من كتب العلوم الشرعية موقوفة بالمدرسة الأشرفية"(٣٧).

وفضلا عن ذلك فقد وجدت خزائن للكتب في المسجد النبوي منذ القدم، يذكر الجابري "وأثناء عمارة المسجد النبوي وتجديده وُجِد عند الهدم في جدار المنارة الرئيسة خزانة وضع الأقدمون بها أوراق المصاحف المحترقة في الحريق الأول، وعملوا على تجديد الجدار الشرقي، واتخذوا فيه خزائن للكتب"(٣٨).

ويؤكد السخاوي وهو من مؤرخي المدينة المنورة اهتمام هذا السلطان بالعلم والتعليم في الحرمين الشريفين بقوله: "ويكاد يكون السلطان قايتباي هو الوحيد من سلاطين المماليك الذي اهتم بإيجاد خزائن الكتب في المنشآت العلمية بالحرمين الشريفين ... كما انشأ السلطان قايتباي مدرسة بالمدينة المنورة، وأوقف بها كتباً على طلبة العلم، وأرسل إليها كذلك مصاحف كثيرة، كما أرسل الأشرف البهائي أبا البقاء بن الجيعان ومعه أحمال من كتب العلوم الشرعية ليوقفها بهذه المدرسة"(٣٩).

٢/٣/٣. مكتبة المسجد النبوي الشريف:

قبل تولي المماليك بحوالي السنة تعرض المسجد النبوي لحريق كبير، كما تعرض بعد ذلك بحوالي قرنين من الزمان وأثناء سلطانهم لحريق آخر، وقد ذهب الحريقان بمعظم ذخائر ومقتنيات المسجد، وقد بادر

السلاطين بتعويضه. وقد شهدت هذه الفترة استمرار الحكام والعلماء والوجهاء بإهداء ذخائرهم للمسجد النبوي ومن شواهد ذلك:

- يقول يحيى جنيد: " وكانت لإبراهيم بن رجب بن حماد الرواشي الكلابي المتوفى سنة ٧٥٥هـ كتب نفيسة وقفها بالمسجد النبوي"(٤٠).

- ووقف سلطان بلاد فارس شاه شجاع بن محمد بن المظفر اليزيدي المتوفى سنة ٧٨٧ خزانة كتب بالمسجد النبوي عند زيارته للمدينة قال عنها السخاوي: "له في الحرم المدني آثار أبرز بها خوافي المحامد، وآثار منها: الخزانة الشريفة المشتملة على محاسن الكتب ومفاخرها، فما من طالب مقتبس إلا وهو مستفيد من جواهر زواخرها"(٤١).

- ويذكر السخاوي أمثلة عدة لوقف أفراد من مختلف فئات المجتمع لكتبهم أو مكتباتهم في المسجد النبوي لطلبة العلم فيقول: "وكان لعلماء الحرمين الشريفين والمجاورين بهما أثر في تنشيط الحركة العلمية عن طريق إعارة الكتب ووقفها لنشر العلم والمعرفة بين الناس؛ مثل عبد السلام بن محمد بن يحيى الخشبي المديني، الذي سمع من الزين أبي بكر المراغي، وكتب له نسخة من تصنيفه ((تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة)) انتهى منها في جمادى الثانية سنة ٨١٦هـ/١٤١٣م ، وقد وقفها المؤلف وشهد عليه بالوقفية"(٤٢).

- "كما كان لدى نجم الدين المرجاني (ت٨٢٧هـ/١٤٢٣م) كثير من نفائس الكتب وكان يسمح بإعارتها لطلاب العلم. وقد اجتمع للتقي ابن فهد من الكتب مالم يكن في وقته عند غيره من أهل بلده، وكثر انتفاع المقيمين والغرباء بها؛ فكان ذلك أعظم قربة، خصوصاً وقد كان سمحا في إعارتها لمن يعرف ومن لا يعرف، وحبسها بعد موته"(٤٣).

- ورشيد بن عبد الله شهاب الدين السعدي، أحد خدام المسجد النبوي، "وقد كان فقيها متديناً متعبداً يصحب العلماء ويأخذ منهم، ويشتري كتب العلم ويوقفها عليهم، وذلك في سنة ٨٤٧هـ/١٤٤٣م. وذكر السخاوي أن أيوب المغربي أوقف كتبا بالمدينة لا يعلم مكانها وذكر كذلك أن شخصا اسمه بهادر يعمل معماراً أوقف كتباً منها الصحيحان"(٤٤).

- ويذكر الواركلي: "وذكر ابن الوردي في تاريخه أثناء حوادث عام ٧٤٧هـ (أن أبا الحسن كتب من مدة قريبة بخطه ثلاثة مصاحف، ووقفها على الحرمين الشريفين وعلى حرم القدس) ثم أضاف أن أبا الحسن جهز مع المصاحف ثلاثة عشر ألف دينار اشترى بها أملاكاً في الشام ووقفت على القراء والخزنة للمصاحف المذكورة"(٤٥).

- وعلى غرار هذا الصنيع وجدنا "السلطان عبد الله بن إسماعيل يبعث إلى المسجد النبوي ثلاثة وعشرين مصحفا ما بين كبير وصغير كلها محلاة بالذهب ومرصعة بالدر والياقوت، ومن جملتها المصحف الذي يقال بأن عقبة ابن نافع نسخه من المصحف العثماني"(٤٦).

- يقول الجابري: "ويفهم من هذه النصوص وجود خزائن المصاحف والكتب الخاصة بالمسجد النبوي، وأن أمراء المدينة وعلماءها كانت لديهم خلوات في المسجد النبوي تضم بعض الكتب والمؤلفات. وإذا كان السمهودي لديه ثلاثمائة كتاب في خلوته، فلا شك أن هذه الكتب كان يستفيد منها طلاب العلم، وخاصة تلاميذه. ونتيجة لهذه الحرائق، فقد قام السلاطين والعلماء وغيرهم بوقف الكتب في المسجد النبوي الشريف ليؤدي مهمته في تنشيط الحركة العلمية، فقد وقف إبراهيم السليمان (ت٧٥٥هـ/١٣٥٤م) نزيل المدينة، كتبا نفيسة بالمسجد النبوي، كما كان لشاه شجاع بن محمد المظفر اليزدي (ت٧٨٧هـ/١٣٧٥م) سلطان بلاد فارس كتبا موقوفة بالحرم النبوي الشريف عوضا عما احترق"(٤٧).

٣/٣/٣ . المكتبات الوقفية الأخرى في عصر المماليك:

شهدت المدينة المنورة خلال هذه الحقبة إنشاء الكثير من المدارس الوقفية، وقد شارك في إنشائها أبناء المدينة إضافة إلى عدد كبير من العلماء والفضلاء من شرق وغرب العالم الإسلامي. وكان معظمها يضم مكتبة وقفية بين جنباته تخدم المدرسين والطلبة في المدرسة المعنية بهذا الوقف.

ويورد طارق حجار في بحثه عن المدارس الوقفية بالمدينة المنورة اثنتي عشرة مدرسة وقفية تم إنشاؤها في المدينة المنورة في زمن المماليك، ومن المسلم به، أنه ما من مدرسة إلا وتعتمد على الكتاب في التعليم والدراسة، إلا أنه ليس من المجزوم به أن تتوافر لكل مدرسة مكتبة، وبناء عليه سنقتصر فيما يلي على إيراد المدارس الوقفية التي ثبت أن بها مكتبة وقفية مدمجة بها، من تلك التي أورد الحجار في بحثه الذي أهداني نسخة منه، وفي لقاء معه في مكتبته بداره بالمدينة ذكر لي: "أن أهل المدينة المنورة كانوا مغرمين بإنشاء المكتبات في منازلهم، ويذكر أنه عندما كان طفلا شاهد مكتبة كبيرة في منزل آل المدني، ولازالت موجودة إلى اليوم لدى أحفادهم"(٤٨). ونرصد في بحثه مكتبتين مدرسيتين في زمن المماليك تحتويان على مكتبتين بهما:

- "المدرسة الشهابية: أنشأها الملك المظفر شهاب الدين غازي الأيوبي، في مكان دار أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه. وبنيت لجميع مذاهب الأئمة الأربعة، وقد أوقف عليها الأوقاف الكثيرة في الشام، ولها في المدينة وقف من النخيل. وللمدرسة قاعتان وفيها كتب نفيسة ... ومن الذين أوقفوا كتبهم عليها إبراهيم بن رجب الكلابي ... وممن درسوا بها محمد والد عبد الله فرحون، وأما عبد الله بن فرحون فكان مدرسا بها بمرسوم السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون"(٤٩).

- "المدرسة الأشرفية أو (الحصن العتيق): مؤسسها السلطان الأشرف قايتباي سلطان المماليك عام ٨٨٨هـ، وتقع بين باب السلام وباب الرحمة من الجهة الغربية للمسجد النبوي الشريف وقد أوقف عليها الكتب المتنوعة، كما

أوقف عليها الأوقاف وخصص لطلابها مخصصات مالية"(٥٠). وهذه المدرسة ومكتبتها جددها السلطان العثماني محمود خان، وعُرفت فيما بعد باسمه (المكتبة المحمودية)، ولازالت موجودة إلى يومنا هذا بالمدينة المنورة كما سيأتي شرحه.

٣/٤. المكتبات الوقفية بالمدينة المنورة في العصر العثماني :

بدأت العلاقة الرسمية بين العثمانيين والحجاز بعد انتصار السلطان سليم الأول على المماليك واستيلائه على بلاد الشام ومصر. وذلك في الحفل الذي أقامه أهل مصر احتفاء بالخليفة سليم الأول يقول محمد الشهري: "وعقب انتصار السلطان سليم الأول (٩١٨-٩٢٦هـ/١٥١٢-١٥١٩م) على المماليك وتلقبه بخادم الحرمين الشريفين في احتفال ديني مهيب، استقبل سنة ٩٢٣هـ/١٥١٧م بالفرح والسرور، ومفاتيح الحرمين الشريفين التي حملها إليه ابن شريف مكة، وأعادها لوالده بعد أن أجزل لهما العطاء، وأقرّهما على شرافة مكة. وأمدّ سكان الحرمين الشريفين بمبالغ نقدية وعينية، كما أقر لهم مال الذخيرة المعيَّن لهم من خزائن مصر في عهد المماليك، والمعروف طيلة العصر العثماني (بإخراجات الحرمين الشريفين) ، (وصُرَّة أهالي الحرمين الشريفين) . وتخصص الأولى لشراء المواد اللازمة للحرمين كالزيت والشمع ومرتبات بعض الوظائف، وتدفع الثانية لبعض الأشراف والمستحقين من سكان مكة والمدينة"(٥١).

وبالنسبة للرعاية والعناية بالمكتبات الوقفية، فقد كانت فترة الحكم العثماني استمرارا لما سبقها، حيث حافظت على الموجود وزادت عليه، فدعمت مكتبة المسجد النبوي الشريف، وتم إنشاء المكتبات الخاصة بأنواعها المختلفة، فشملت المدارس والأربطة وغيرها. ولم يقتصر الأمر على إنشاء المدارس ووقف المكتبات بل تجاوزه إلى إحياء الحركة العلمية بالمدينة المنورة بطرق مختلفة. ولكنها للأسف انتهت بقصة مأساوية باستيلاء الأتراك على الكثير من كنوز الروضة الشريفة والمسجد النبوي الشريف، ومخطوطاته التي توافرت عبر القرون الماضية، وتم نقلها إلى دمشق واسطنبول، من قبل الحاكم العسكري التركي حينها فخري باشا كما سيأتي إيضاحه، وقد أعيد بعض هذه الكنوز من الكتب وتلف بعضها، وظل قسم من الكتب والمقتنيات إلى هذا اليوم بعيدا عن موطنه، غريبا في اسطنبول وفي مقدمتها مصحف المدينة الذي كتبه الصحابة في زمن عثمان بن عفان رضي الله عنهم أجمعين. والأمل كبير بأن تعود هذه الأمانات إلى موطنها الأصلي يوماً ما، وأن يعيد الأتراك ما سلبوه من المدينة المنورة، وأن يكون لهم في سلفهم العثمانيين قدوةٌ والذين أهدوا الحرمين أغلى ما يملكون، أسوة بمن سبقهم من الخلفاء والسلاطين، بدلا من أن يسلبوا الحرمين ممتلكاتهما وتراثهما الإسلامي العريق. ونستعرض فيما يلي تاريخ المكتبات الوقفية بالمدينة المنورة في العصر العثماني، الذي امتد على مدى قرنين من الزمان بدءاً من سنة ٩٢٣هـ/١٥١٧م ، إلى أن تولي الشريف حسين السلطة في الحجاز.

وسنلاحظ أن هناك الكثير من التضارب بين المعلومات والإحصائيات التي سيرد ذكرها في هذا الجزء عن المكتبات الوقفية ومحتوياتها بالمدينة المنورة في الحقبة العثمانية، وفي نهاية هذا الجزء سيتم حصر أهم الأسباب التي تم التوصل إليها وكانت وراء ذلك.

١/٤/٣. مكتبة المصحف الكريم:

إضافة إلى تزويد العثمانيين المسجد النبوي الشريف بنسخ القرآن الكريم فقد شجعوا على التلاوة فيه كما كان دَأب الأولين، اقتداءً بفعل الخليفة عثمان بن عفان ومن جاء بعده ـ وكان صلاح الدين الأيوبي أكثرهم تنظيما لها كما مرّ سابقا ـ وجعلوه مصدر دخل لأهل المدينة، الأمر الذي ساهم في تنشيط الحركة العلمية بها. يقول الشهري: "استحدث بعض السلاطين العثمانيين، عدة طرق في التعبير عن حبهم للحرم النبوي الشريف، وعجزهم عن أداء مناسك الحج والزيارة. فخصصوا بعض الأوقاف السخية لمن يقوم بتلاوة القرآن الكريم وكتب الصحاح، بالإضافة إلى بعض الكتب الأخرى، داخل أروقة الحرم الشريف، رجاء المثوبة وطلب النصر على الأعداء من الله تعالى. وقد اقتدى بهم بعض الوزراء والباشوات، فنتج عن ذلك مصادر رزق جديدة لبعض علماء المدينة ومجاوريها. فعلى سبيل المثال، قام الوزير سنان باشا سنة ٩٧٤هـ/١٥٦٦م، بتوظيف ثلاثين شخصا لختم أجزاء القران الكريم كل يوم في الروضة المطهرة، وخصص لكل واحد منهم تسعة دنانير في السنة، وعين لهم شيخا وداعيا ومفرقا للأجزاء. ثم تبعه السلطان مراد الثالث فعين سنة ٩٨٨هـ/١٥٨٩م، مائة شخص من القراء وستة من المساعدين ... أما السلطان محمود الثاني فقد أوقف عددا من نسخ القرآن الكريم وكتب الحديث، وأحال قراءتها كل يوم إلى تسعة وثلاثين قارئا بأجور مماثلة ... أما في عهد السلطان عبد الحميد الثاني، فكانوا مائة وسبعة وخمسين، بأجور غير معروفة، لقراءة أشياء مماثلة لما في وقف السلطان محمود، وأضافت والدته ثمانية قراء آخرين لذات الغرض. ومن هذا يتبين حصول عدد كبير من سكان المدينة المنورة على مصادر رزق ثابتة من الأوقاف المذكورة. مما ساعد في تأمين بعض مطالب الحياة لعدد من الأسر المدنية"(٥٢). ومن خلال ما ذكر يتبين لنا أن العثمانيين حافظوا على مكتبة المصحف بالمسجد النبوي، وعلى استمرار القراء بها، وما ذكره الشهري عن استحداث العثمانيين لهذا النمط من تخصيص قراء للقراءة بالمسجد النبوي وتخصيص الأعطيات لهم ينافي الحقيقة، فقد سبقهم في ذلك سلاطين المماليك ومن قبلهم صلاح الدين الأيوبي.

وبالنسبة للمصحف الإمام (العثماني) فإن الصحابة الكرام نسخوا في زمن الخليفة عثمان ابن عفان رضي الله عنهم أجمعين نسخا من القرآن الكريم، وأرسلها الخليفة للأقاليم. وخَصّوا المسجد النبوي بالنسخة الأساسية وتعرف بـ (المصحف الإمام) وسُمّي بالمصحف العثماني نسبة للخليفة عثمان رضي الله عنه، كما يعرف رسم المصحف بالرسم العثماني نسبة إليه أيضا، فهو أحد كتاب الوحي. وكان يُخرِج المصحف كل غداة للناس يقرؤون فيه، وظلّ المصحف موجودا بالروضة الشريفة، وقد سَلِم من الحريق الأول والثاني بأمر الله عزّ وجل كما ذكر السمهودي ومؤرخون آخرون.

وظلّ المصحف الإمام موجوداً بالحجرة المكرمة طوال زمن الدولة العثمانية، وهو ما يؤكده الأفندي علي موسى، في رسالته عن وصف المدينة المنورة في بداية القرن الماضي في عام ١٣٠٣هـ، فيقول: "إن المصحف كان موجودا في الحجرة النبوية المباركة ويخرجونه أحيانا إلى الروضة الشريفة للقراءة فيه، وذلك عند طلب استجابة الدعاء في زمن الكوارث، ثم يعاد للحجرة النبوية المباركة ... وللحجرة المعطرة من الجهة الغربية باب واحد في الروضة المطهرة ويعرف بباب الوفود، ولا يفتح إلا في المهام ... ومتى فتحوه يخرج أغوات الحرم

المصحف العثماني المحفوظ في الحجرة المعطرة المكتوب بالكوفي على رقّ غزال ... وهذا المصحف الشريف عليه دم سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه، وهو ونسخةٌ ثانيةٌ أدقُّ منه خطاً يقال إنها بخط سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه على رقّ الغزال أيضاً، محفوظان في صندوق عليه كسوة من القطيفة الحرير الأخضر مزركشة بالآجر موضوع في الحُجرة المعطرة على الدوام غربي الرأس الشريف عند الشمعدان الذهب"(٥٣). وصورة هذا النص ضمن ملحق قائمة الرسوم والأشكال رقم(٩).

وإضافة للمصحف العثماني ومصحف الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، فقد كانت أرفف خزائن الروضة الشريفة تحتوي على المصاحف والكتب المخطوطة، وقد أشار إليها علي موسى في وصفه في الرسالة ولكن لم يذكر عددها، فيقول: "وأما الجدار الغربي ففيه بالقرب من باب السلام سبع خلوات، خوخة الصديق وفيها كتب الروضة المطهرة غير المصاحف المصفوفة دائماً في الروضة للقراء ... وفي الحجرة المعطرة من جهة الرأس الشريف بين الستر والشبكة صندوق عليه كسوة من الجرّ الثقيل فيه المصحف العثماني بالخط الكوفي وهو الذي يعرف بالأمّ لأنه من الأربعة المكتوبة في زمن سيدنا عثمان"(٥٤). وقد رصد أيوب صبري في كتابه مرآة الحرمين (١٨٠١) مصحف مخطوط كما هو موضح في الجدول رقم (١)، بينما تذكر سالنامة ولاية الحجاز جدول رقم (٢) أن أعدادها (١٠٨١). وهناك فارق كبير بين الإحصائيتين يصل إلى (٧٢٠) مصحفا مخطوطا، والفترة الزمنية بين إعداد الجدولين ليست كبيرة، الأمر الذي يؤكد صحة ما رصده أيوب صبري فهو الرقم الحقيقي. ويؤيد ذلك أنه عندما أمر الملك فيصل بإنشاء (مكتبة المصحف) في العهد السعودي . وهو ما سيأتي إيضاحه لاحقاً . كان عدد المصاحف بالمكتبة (١٧٧٤) مصحفا و (٨٤) ربعة قرآنية، وأيضاً الإحصائية التي توصلت إليها هذه الدراسة في الجدول رقم (٣) تجاوزت الألفين من المصاحف المخطوطة، ويمكن تبرير الفرق بين الإحصائيتين بالخطأ الذي ورد في إحصائية سالنامة ولاية الحجاز، بأنها اعتمدت على إحصائية أيوب صبري حيث أنها صدرت قبلها بخمسة أعوام وربما حصل خطأ في نقل الأرقام حيث تم تقديم الصفر بدلا من الرقم ثمانية وهو ما يفسر الاختلاف بين الجدولين.

٢/٤/٣. مكتبة المسجد النبوي الشريف في العصر العثماني:

في عمارة العثمانيين للمسجد النبوي حرصوا على إيجاد خزائن جدارية للكتب، بدلا من تلك الخزائن الخشبية التي كانت موجودة لحفظ الكتب سابقا في العصر المملوكي، يقول الشهري: "أما علامات المسجد الأصلي في رواق القبلة، فكانت سياجا من الخشب المخروط الممتد من الحجرة الشريفة حتى قرب باب السلام بارتفاع قامة، وكان به رفوف ومخازن صغيرة للكتب"(٥٥). ومع العمارة العثمانية للمسجد تم استحداث خزائن للكتب بداخل الجدار الحجري الحديث واحتفظ المسجد النبوي بخزائنه وكتبه المهداة من السلطان الأشرف قايتباي واستمر الإهداء لمكتبة المسجد النبوي من قبل الحكام والوجهاء في العالم الإسلامي كما كان الحال طيلة القرون الماضية، يقول الشهري: "احتفظ المسجد النبوي الشريف في العصر العثماني، بمعظم الكتب والخزائن المهداة من الأشرف قايتباي في أواخر العصر المملوكي، مع إضافة المزيد من الهدايا التي تصل تباعاً من أقطار العالم

الإسلامي طوال هذا العصر. وقد أشار ابن مليح الذي زار المسجد النبوي الشريف سنة ١٠٤٢هـ/١٦٣٢م، إلى وجود خزانتين كبيرتين في مقدمة الروضة المطهرة، بين الحجرة الشريفة والمحراب النبوي، تحتوي كل منهما على كتب علمية ومصاحف شريفة، وقد أشار العياشي سنة ١٠٦٤هـ/١٦٥٣م إلى طريقة تخزين الكتب عند قدوم الزوار وإخراجها بعد ذهابهم، بما يفيد أنها كانت في خزائن مصفوفة في موضع جدار القبلة الأول، وأن لكل خزانة ناظر يحفظ الكتب ويعير بعضها لطلاب العلم وبعض الذوات. ثم زادت الخزائن سنة ١٢١٥هـ/١٨٠٠م، عندما أبدل السياج الذي كان يفصل البلاطتين اللتين أضافهما عمر وعثمان رضي الله عنهما عن المسجد القديم، بعدد من الخزائن الممتدة من جدار الحجرة الشريفة إلى قرب باب السلام، بارتفاع القامة المتوسطة.

كما أشارت بعض الوثائق العثمانية إلى إدخال خزانتين من الكتب الموقوفة إلى الحجرة الشريفة سنة ١٢٤٠هـ/١٨٢٤م، بعد ضياع بعض محتوياتها. ومن هذا يتبين أن المسجد الشريف كان قبل عمارة السلطان عبد المجيد مليئاً بالخزائن التي لابد أن تكون قد أعدت بعناية فائقة، لاسيما وأن معظمها كان في مقدم الروضة الشريفة وما حاذاها من مقدم المسجد"(٥٦).

وما ذكره الشهري يؤكد أن مكتبة المسجد النبوي الشريف ومكتبة المصحف خصوصاً إضافة إلى مكتبات المدينة المنورة الوقفية عموما كانت خليطا من الإهداء عبر القرون ومن أقاليم العالم الإسلامي المختلفة، ولم تكن حكراً على زمن أو إقليم محدد، وهو ما ينزع أي حجة أو مبرر لنقلها من المدينة المنورة أو الاستيلاء عليها لأي سبب من الأسباب، فهي ملكيات وقفية للمدينة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام. وقد كان من مكونات مكتبة المسجد النبوي الشريف المكتبة الأشرفية التي عُرِفت فيما بعد بالمحمودية. وكانت أكبر المكتبات التابعة للمسجد النبوي الشريف وقد أسسها السلطان الأشرف قايتباي بالمسجد ضمن المدرسة الأشرفية، وذلك تعويضاً للمسجد عما فقده بعد الحريق الثاني الذي شبّ فيه عام ٨٨٦هـ وكانت تقع بين باب السلام وباب الرحمة، وزودها بالمصاحف والكتب النفيسة كما ذكره المؤرخان السمهودي والسخاوي سابقا.

وفي زمن الدولة العثمانية قام السلطان محمود خان بإنجاز الكثير من أعمال الصيانة والترميم لهذه المكتبة ومدرستها، ولذلك أصبحت تعرف فيما بعد بالمكتبة المحمودية نسبة إليه، وهي في الواقع مكتبة تابعة للمسجد النبوي الشريف، وقد تعرضت لكوارث طبيعية وأخطاء بشرية، حتى وصل الأمر بها أن نقلت من المدينة المنورة، إلى دمشق وجزء منها إلى اسطنبول ثم عادت إلى المسجد النبوي بالمدينة المنورة، ثم نقلت منه أيضاً إلى مكتبة المدينة المنورة العامة، ثم مكتبة الملك عبد العزيز ليستقر بها الأمر أخيراً كمكتبة مدمجة به، وفيما يلي تفاصيل تاريخها:

٣/٤/٢/أ . المكتبة المحمودية (الأشرفية) سابقاً :

أنشأها السلطان الأشرف قايتباي وعُرفت بالاشرفية نسبة إليه، وجدَّدَها السلطان محمود الثاني سنة ١٢٣٧هـ، وألحقها بالمدرسة التي بنيت في عهد قايتباي، عقب حريق المسجد النبوي سنة ٨٨٦هـ ، يقول حمادي التونسي: "وبنوا في الجهة الغربية من الحرم على شمال الداخل من باب السلام مدرسة عظيمة وأوقف عليها قايتباي الأوقاف الكثيرة وتسمى بمدرسة قايتباي إلى الآن. "كما ذكر محمد طاهر الكردي "أن

قايتباي أرسل إلى المدينة المنورة خزانة كتب وجعل مقرها بالمدرسة وأرسل عدة مصاحف" ، ووقف السلطان محمود المكتبة والمدرسة على طلبة العلم بالمدينة، وكان موقعها في الجهة الغربية من المسجد النبوي بباب السلام، ثم انتقلت بعد ذلك إلى داخل الحرم النبوي في الجهة الغربية أيضا في علو باب الصديق رضي الله عنه. ثم استقر بها المقام أخيراً في مجمع مكتبات المدينة المنورة العامة، الواقع في الجهة الجنوبية من الحرم النبوي الشريف بجوار دار القضاء سابقا، وتحتل المكتبة الطابق الثاني من المبنى"(٥٧).

وهذه المكتبة تعتبر ثاني مكتبة بالمدينة المنورة بعد مكتبة عارف حكمت من حيث المحتويات والتنظيم والشهرة، وقد وصفها البتنوني في رحلته بقوله: "وفي باب السلام كتبخانة للسلطان محمود، ومقدار الكتب التي فيها (٤٥٦٩) كتابا، وهي وإن كانت أصغر من كتبخانة عارف وأقلّ منها نظاماً إلا أنها جميلة ومرتبة"، كما وصفها علي بن موسى بعد أن ذكر أسماء ثماني مكتبات بعضها مدرسية من المدارس الدينية (... وأشهرها وأنظمها مدرسة المحمودية) ووصفها أيضا في موضع آخر بقوله "... والمدرسة المحمودية الملاصقة لباب السلام للمرحوم السلطان (محمود خان) جددها سنة سبع وثلاثين بعد المائتين والألف ١٢٣٧هـ (١٨٢١م) ملاصقة للحرم الشريف من جهته الغربية، ولحجرها الشرقية شبابيك مطلة على الحرم الشريف، وليس على الحرم الشريف من جهاته الأخرى محلات تكشف داخله أصلاً"(٥٨).

وقد تعرضت هذه المكتبة لعدد من المشاكل، كان من أبرزها استيلاء فخري باشا على آلاف من مخطوطاتها ضمن ما استولى عليه من كنوز ومكتبات المدينة المنورة وإرسالها إلى دمشق وجزء آخر إلى إسطنبول، يذكر التونسي عن جعفر فقيه: "أن محتويات هذه المكتبة جرى نقلها إلى دمشق ووضعت في تكية السلطان سليم (أمام معرض دمشق الدولي "الحالي")، وفاض عليها نهر بردى فأصاب جزءا من محتوياتها ، ثم أعيدت إلى المدينة المنورة بعد ذلك. وكانت هذه المكتبة تحت إشراف الخزينة النبوية (أي إدارة الأوقاف) في عهد الدولة العثمانية، إلى أن ألحقت بإدارة أوقاف المدينة عام ١٣٨٠هـ (١٩٦٠م) وتحتوي المكتبة على (٣٣١٤) مخطوطا من المخطوطات الثمينة النادرة (٥٩).

ويروي أسعد طرابزوني جزءاً من تاريخ هذه المكتبة أثناء بحثه عن كتاب السخاوي (**التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة**) والذي نشره فيما بعد، فيقول في مقدمة الكتاب: "أخذت نفسي بكل أسباب البحث الجاد عنه في مكتبات عديدة وبتوفيق من الله علمت أنه موجود في مكتبة السلطان محمود خان بتركيا وكان مديرها إذ ذاك الشيخ زين رحمه الله الذي قابلني بترحاب وبذل غاية جهده في إطلاعي على هذا الكتاب الكبير والضخم وأسلمني الكتاب ففتحت صفحاته ووجدتها بيضاء، وعندما استوضحت الشيخ زين عن جلية الأمر أفادني بأن فخري باشا الحاكم العسكري عندما استولى على المدينة وجعلها مركزا حربيا ضد الأشراف ملأ المسجد بالذخيرة حتى علا المنابر ودخل الحجرة الشريفة وحمل ما فيها من الجواهر الثمينة ... وقد أخرج فخري باشا من الحجرة أربعة عشر صندوقا محملة باللؤلؤ والمشغولات الذهبية والفضية، ولم يكتف بكل ذلك بل جاء إلى المكتبة

المحمودية ووضعها كلها في صناديق وأرسلها إلى دمشق بالشام. ووضعت هذه المكتبة الثمينة في أحد الحمامات وفاض عليها نهر بردى ذات مرة. وكان من بين ذخائر هذه المكتبة كتابنا هذا (التحفة اللطيفة) وبعد ذلك سافر أهل المدينة إلى الشام وتركيا "(٦٠).

وهذه المكتبة كانت تستفيد من الأوقاف المخصصة للمدرسة المحمودية التي هي تابعة لها، "وقد كان لهذه المدرسة موارد مالية من الأوقاف التي وقفت عليها، فمنها ثلاثة دور. غير المدرسة . كما ذكر في صكّ الوقفية، اثنتان منها بجوار المدرسة، إحداهما ملاصقة للمسجد قرب باب الرحمة وهي الدار التي كانت مخصصة لسكنى مدرسي المدرسة المحمودية، وقد أزيلت في التوسعة السعودية مع الدار الأخرى والمدرسة"(٦١).

ويقول عنها عبد اللطيف بن دهيش: أسسها السلطان محمود العثماني (١٢٢٣-١٢٥٥هـ) خلال فترة حكمه ولذلك سميت باسمه. وتحتل هذه المكتبة بعض القاعات داخل المسجد النبوي الشريف فوق باب الصديق. وعندما زارها الأستاذ محمد لبيب البتنوني في عام ١٩١٠م قال: إنها تحتوي على ٤٥٦٩ كتاباً ويظهر أن العدد قد زاد تدريجياً حيث إن المؤرخ الألماني سبيس يذكر أن عددها في عام ١٩٢٥م كان ٥٢١٠ كتاباً من مخطوط ومطبوع"(٦٢).

ومكونات هذه المكتبة تتنوع حسب الفترات الزمنية التي مرت بها، ذلك أن بدايتها الفعلية كانت منذ زمن السلطان الأشرف قايتباي عند تعويضه للمسجد النبوي ما فقده من المصاحف والكتب أضعاف ما ذهب في الحريق الذي شبّ في عام (٨٨٦) كما ذكر السمهودي، ثم استمر إهداء المصاحف والكتب عبر السنين للمسجد النبوي، وفي زمن السلطان محمود قام بترميم وتجديد مدرسة ومكتبة قايتباي، وأُطلق اسمه عليها، ولكن ظلت محتوياتها الأصلية موجودة بالمكتبة وتمت الزيادة عليها من قبل السلطان وغيره، يقول التونسي: "وقد وقف بعض الأشخاص كتباً على هذه المكتبة، فقد جاء في كتاب الفتح الرباني ... فوقفه بعد موته في الكتبخانة المحمودية المتصلة بالمسجد النبوي عليه أفضل الصلاة وأزكى التحية وختم بختم المكتبة المحمودية. وكذلك وقف عبده إبراهيم أغا وفاطمة هانم ... وغيرهم. وقد ذكر سليمان نصر الله أن مخطوطاتها التي يقدر عددها بنحو (٣٠٠٠) مخطوط تعود نسبتها إلى وقف الشيخ "محمد عابد سندي" المحدث الشهير رحمه الله "(٦٣).

وبناء على ما تقدم من الشواهد التاريخية، يتأكد أن المكتبة المحمودية تابعة للمسجد النبوي، ومنذ نشأتها كانت على أبوابه ثم أدخلت فيه عبر الأزمنة المتأخرة، وهو ما أكده علي موسى في الزمن العثماني، وعلي حافظ في زمن الدولة السعودية الحاضر، وإخراجها من المسجد إن كان لضرورة في زمن ما؛ إلا أنه يفترض إعادتها إليه ذلك أن أساسها كان إهداء المصاحف والكتب إلى المسجد النبوي تعويضا له من السلطان المملوكي الأشرف قايتباي، وما جاء بعد ذلك من تطورات أو زيادات فهي تابعة للأصل.

٢/٤/٣ ب . مكتبة محمد العزيز الوزير التونسي:

ومن المكتبات التي أوقفت على مكتبة المسجد النبوي الشريف أيضاً في زمن الدولة العثمانية، "مجموعة كتب تصل إلى ألفي كتاب، أوقفها محمد العزيز الوزير التونسي في عام ١٣٢٠هـ، والتي منها على سبيل المثال مسند الإمام أحمد في ست مجلدات"(٦٤). "الشيخ محمد العزيز الوزير (ت١٣٣٨هـ) جاور بالمدينة، وكان معنيا بالعلم يقيده ويقرئه، جماعة لدفاتره ومصنفاته تألفت منها مكتبة حافلة بغرائب المخطوط ونوادر المطبوع حبسها على من عينه من أفراد أسرته بالمدينة المنورة، ثم نقلت بعد ذلك إلى مكتبة الحرم النبوي"(٦٥).

٣/٤/٣. المكتبات الوقفية الأخرى في العصر العثماني:

توافر بالمدينة المنورة في الحقبة العثمانية عدد من المكتبات الوقفية يكاد يفوق حاجة الساكنين والوافدين إليها من طلبة العلم. وقد اختلفت المصادر في عددها مابين الثمانية عشرة إلى الثمانين مكتبة وقفية. واختلفت المصادر في رصدها لهذه المكتبات الوقفية فنجد ابن دهيش بعد تناوله لثلاث من أهم المكتبات الوقفية بالمدينة يرصد ١٥ مكتبة، والثلاث الأولى هي: ١. مكتبة السلطان محمود (المحمودية). ٢. عارف حكمت. ٣. المكتبة العثمانية. ويقول: "وفي أواخر أيام الدولة العثمانية ظهرت مكتبات خاصة كثيرة كان منها:

١- مكتبة بشير أغا: وتقع في زقاق الخياطين ويقدر البتنوني مجموع كتبها بـ٢٠٦٣ كتاباً.

٢- مكتبة رباط الشيخ عثمان: وهي مكتبة فخمة حافلة بنفائس كتب الإمام مالك ويقدر مجموع ما بها من الكتب بثلاثين ألف كتاب معظمها من الكتب النادرة والقيمة.

٣- مكتبة الفاروقي: وهي من المكتبات الشهيرة في المدينة المنورة أسسها الشيخ محمد مظهر الفاروقي وقد أوقفها على طلبة العلم وذلك في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي. وهذه المكتبة تحتوي على حوالي ٤٠٠ مخطوط وعدد من الكتب النادرة ولها فهرس خاص مسجلة فيه جميع الكتب والمخطوطات حسب الفنون التي تحويها هذه المكتبة.

٤- مكتبة مدرسة الشفاء: وقد أسسها الشيخ فيض الله أفندي الذي عين من قبل الدولة العثمانية ناظراً للمعارف في الحجاز وذلك عام ١٩٠٨م. وكانت هذه المكتبة تحوي ١٢٤٦ كتاباً من الكتب النادرة وخاصة في علم التربية والتعليم والإدارة.

٥- مكتبة سليم بك.

٦- مكتبة أحمد البساطي.

٧- المكتبة الإحسانية.

٨- مكتبة محمد ثروت الأفندي.

٩- مكتبة عمر أفندي قرة باش.

١٠- مكتبة مصطفى أفندي ساقزلي.

١١- مكتبة أمين باشا شيخ الحرم.

١٢- مكتبة عبد الغفور أفندي البخاري.

١٣- مكتبة حسين أغا.

١٤- مكتبة أمين أفندي الفنايرجي.

١٥- مكتبة الكيلي الناظر."(٦٦).

وست من هذه المكتبات رقم (١-٧-٩-١٠-١١-١٥) سيأتي ذكرها ضمن المكتبات المدمجة بمكتبة الملك عبد العزيز، ورقم (٦) لا يسمح ناظرها بالاطلاع عليها، والبقية مجهولة الهوية.

وأشار علي بن موسى في وصفه للمدينة عام ١٣٠٣هـ إلى بعض المكتبات الموجودة آنذاك، وذكر أنه يوجد مكتبات كثيرة في سائر المدارس، ولم يذكر عدد الكتب الموجودة في هذه المكتبات وموادها، واكتفى بذكر أسماء ثماني مدارس فقط، وحصرها على النحو التالي: "وأما (الكتبخانات) فواحدة في دار العشرة تجاه بيت النائب للمرحوم عارف حكمت بك شيخ الإسلام بالأسلامبول سابقاً، وهي أنظم الكل وأعلاهم، وواحدة للمرحوم أمين ابن شيخ الحرم - أسبق - قرب الشرشورة عند رأس زقاق المديرية، وواحدة للسلطان محمود في المدرسة المحمودية، وواحدة في مدرسة بشير أغا الملاصقة لباب السلام، وواحدة في المدرسة الحميدية جهة الساحة في آخر البلاط عند حارة الخرارة، وواحدة في بيت المرحوم السيد جمل الليل، وواحدة لأحمد بساطي، وواحدة في رباط سيدنا عثمان وغير ذلك كثير في سائر المدارس ولكنه بالنسبة إلى ما في هؤلاء فقليل"(٦٧).

وقد رصد أيوب صبري في كتابه (مرآة الحرمين) باللغة التركية عدد المصاحف والكتب الموجودة بالمدينة المنورة (جدول رقم١)، وتشمل إضافة إلى المسجد النبوي الشريف، عددا من المكتبات الوقفية المختلفة، وذلك في عام ١٣٠٤هـ.(٦٨).

وذكرت سالنامة ولاية الحجاز التي صدرت في سنة ١٣٠٩هـ (١٨٩١/١٨٩٢م) أن بها ثماني عشرة مكتبة (جدول رقم٢)، وقد أوردت هذه السالنامة بياناً فصلت فيه عدد المصاحف، والكتب التي كانت موجودة حينئذ في الروضة وفي مدارس المدينة ومكتباتها.(٦٩).

جدول رقم (١) عدد ما تحويه مكتبات المدينة من مصاحف وكتب لأيوب صبري في عام ١٣٠٤هـ

م	عدد الكتب	البيانات	إيضاحات
١	١٨٠١	المصاحف الشريفة الموجودة بالروضة المطهرة	في المسجد النبوي
٢	٥٤٠٤	الكتب الموجودة في مكتبة عارف حكمت	مكتبة عامة
٣	١٥٨	الكتب الموجودة في مكتبة حاجي أمين باشا	مكتبة خاصة
٤	٢٠٦٣	الكتب الموجودة في مكتبة بشير آغا	مكتبة ومدرسة
٥	١٦٥٩	الكتب الموجودة في مكتبة الحميدية	مكتبة ومدرسة
٦	٠٠٠٠	الكتب الموجودة في مكتبة جمل الليل	لم يتحقق من عددها
٧	١٠٥٠	الكتب الموجودة في مكتبة البساطي أنفدي	مكتبة خاصة
٨	٠٠٠٠	الكتب الموجودة في مكتبة رباط (سيدناعثمان)	لم يتحقق من عددها
٩	١٢٤٦	الكتب الموجودة في مكتبة فيض الله أفندي	مكتبة خاصة
١٠	١٢٦٩	الكتب الموجودة في مكتبة قرة باش	مكتبة ومدرسة
١١	٥٩٣	الكتب الموجودة في مكتبة ساقزلي	مكتبة ومدرسة
١٢	٤٦١	الكتب الموجودة في مكتبة أرنبود	مكتبة ومدرسة
١٣	١٢٩	الكتب الموجودة في مكتبة الشيخ عبد الغفور	مكتبة خاصة
١٤	١١٠٠	الكتب الموجودة في مكتبة مظهر	مكتبة رباط
١٥	١٠٠	الكتب الموجودة في مكتبة حسين آغا	مكتبة خاصة
١٦	١٥٠	الكتب الموجودة في مكتبة فنايرجي	مكتبة ومدرسة
١٧	٢٠٦	الكتب الموجودة في مكتبة ثروت أفندي	مكتبة خاصة
١٨	١٥٧	الكتب الموجودة في مكتبة اكيلي	مكتبة ومدرسة
١٩	٥٠٠	الكتب الموجودة في مكتبة سليم بيك	مكتبة خاصة
٢٠	٤٥٦٩	الكتب الموجودة في مكتبة المحمودية	مكتبة ومدرسة
	٢٢٦١٥	المجموع الكلي لعدد الكتب	

وتقول سحر الصديقي: "ووجدتُ أن هناك من تناول مكتبات المدينة، فذكر أنها ثلاثاً وخمسين مكتبة إضافة إلى ما أشير فيما سبق منها، تحت اسم مكتبات مدرسية وهي: مكتبة مدرسة الشونة بحارة الأغوات – مكتبة مدرسة ثروت باشا بزقاق الزرندي بحارة الأغوات – مكتبة مدرسة العلوم الشرعية – مكتبة مدرسة التجويد

والقراءات بحارة الأغوات – مكتبة البوشناق خارج باب المجيدي – ومكتبة مدرسة زقاق الشرجية بالساحة – مكتبة مدرسة الصادقية – مكتبة مدرسة ثروت.

ومنها تحت اسم مكتبات أربطة وهي: مكتبة رباط السنود بحارة الأغوات – مكتبة رباط الهنود – مكتبة رباط العجم، ومنها ما ذكره تحت مسمى مكتبة وهي مكتبات مدرسية: مكتبة الكشميري بذروان بحارة الأغوات – مكتبة أمين أفندي بورسلي بحارة الأغوات – مكتبة الموقتية بحارة الأغوات — مكتبة أزبك بحارة الأغوات – مكتبة آمان الله خوجه السمرقندي خارج باب المجيدي – مكتبة دار الأيتام – مكتبة دار الحديث.

جدول رقم (٢) عدد المصاحف والكتب بالمدينة حسب سالنامة ولاية الحجاز عام ١٣٠٩هـ

م	العدد	النوع
١	١٠٨١	**المصاحف الشريفة الموجودة بالروضة المطهرة**
٢	٤٥٦٩	**مكتبة مدرسة السلطان محمود خان**
٣	١٦٦٩	**مكتبة مدرسة السلطان عبد الحميد خان الأول**
٤	٢٠٦٣	**مكتبة مدرسة بشير آغا**
٥	١٢٤٦	**مدرسة الشفا التي أنشأها فيض الله أفندي شيخ الإسلام الأسبق**
٦	١٢٤٦	**مكتبة عارف حكمت بك شيخ الإسلام**
٧	١٢٦٩	**مكتبة مدرسة عمر أفندي قرة باش**
٨	٥٩٣	**مكتبة مدرسة مصطفى أفندي ساقزلي**
٩	١٥٨	**مكتبة أمين باشا شيخ الحرم السابق**
١٠	٤٦١	**مكتبة مدرسة مصطفى أفندي المسماة بالإحصائية**
١١	١٢٩	**مكتبة الشيخ عبد الغفور أنفدي البخاري**
١٢	١١٠٠	**مكتبة تكية الشيخ مظهر أفندي**
١٣	١٠٠	**مكتبة مدرسة حسين آغا ناظر التكية المصرية السابق**
١٤	١٠٠	**مكتبة مدرسة أمين أفندي الفنايرجي**
١٥	٢٠٦	**مكتبة محمد ثروت أفندي**
١٦	١٠٥٠	**مكتبة أحمد البساطي**
١٧	١٥٧	**مكتبة مدرسة الكيلي الناظر**
١٨	٥٠٠	**مكتبة سليم بك**
	٢١٨٥٥	**المجموع**

ومنها ما كان مكتبات خاصة، وهي: مكتبة خوشبيقي بحارة الأغوات – مكتبة تكية أمير بخاري خارج باب المجيدي – مكتبة طاهر إيشان – مكتبة أمين باشا بين باب الرحمة وباب المجيدي – مكتبة نور الدين باي – مكتبة آل المدني – – مكتبة آل هاشم – مكتبة عبد الباقي الأيوبي الأنصاري – مكتبة عابدين أفندي التركي – مكتبة الشيخ الوزير– مكتبة الأمير طوسون باشا – مكتبة أمين باشا – مكتبة الخوقندية – مكتبة الخياري، ثم وجدت آخر عدها ثلاثاً وأربعين مكتبة، كما أن باحثاً آخر حصر عدد المكتبات العامة والخاصة بالمدينة المنورة في بداية القرن الرابع عشر الهجري وحتى العقد الثامن منه، فأوصلها إلى خمس وتسعين مكتبة"(٧٠).

وتظل المكتبات الوقفية بالمدينة المنورة الأكثر عدداً ومقتنيات من تلك التي كانت بمكة المكرمة. يقول محمد باجودة في كتابه **(نثر القلم في تاريخ الحرم)**: "وتعتبر المدينة المنورة أكثر المدن السعودية ازدحاما بالمكتبات، بل هي المدينة السعودية الوحيدة التي تحتشد فيها المكتبات العظيمة باتفاق معظم المؤرخين، وكانت المدينة المنورة موضع اهتمام الخلفاء والأمراء وشيوخ الإسلام وغيرهم من المسلمين

فنقلوا إليها مكتبات كثيرة وأضافوا إليها مع مرور الأيام مكتبات ضخمة، حتى أصبحت رقعة المدينة الضيقة مزدحمة بالمكتبات ونفائس المخطوطات والنوادر والذخائر، ويضيف العطار في مؤلفه أن المدينة المنورة تعرضت لفتن وأحداث أرهقت المكتبات إرهاقاً وضاع منها عشرات الألوف من المخطوطات النفيسة التي احتوتها المكتبات العالمية الكبيرة في مختلف بلدان العالم. وبالمدينة أكثر من خمسين مكتبة كلها مملوءة بالنفائس والنوادر وأهم هذه المكتبات:

. مكتبة شيخ الإسلام عارف حكمت الحسيني.

. المكتبة المحمودية.

. مكتبة الحرم النبوي.

وهناك مكتبات أقل شأنا من هذه المكتبات الثلاث، ولكن بها من نوادر المخطوطات نفائس غالية ومن هذه المكتبات:

مكتبة الكشميري، الشفاء، بشير أغا، مدرسة سيدنا عثمان، حسين أغا جوهرجي، أمين أفندي بروسوي، المؤقتية، الشونة، رباط السنود، ثروت باشا، خوشبيقي، أزبك، قره باش، أمير بخاري، أمان الله خوجة، طاهر إيشان، البساطي، كيلي ناظري، نور الدين باي، ساقزلي، الصافي، آل هاشم، آل مدني، حوش قره باش، القازانية، الشيخ الوزير، الشيخ السنوسي، الصادقية، طوسون باشا، الخوقندية، أمين الفنايرجي، مدرسة ثروت، وغيرها كثير"(٧١).

وكذلك عندما زار شكيب أرسلان المدينة المنورة عام ١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م، أطلع بها على سبع عشرة مكتبة، وقدم وصفاً موجزاً لكل منها فقال: "أشهر المكتبات العمومية في المدينة المنورة وأجملها وأبدعها نظاماً،

مكتبة المرحوم عارف حكمت بك شيخ الإسلام، فأنها لا تقل عن سبع عشرة مكتبة عمومية، مشرعة الأبواب للطلبة والنسّاخ والمطالعين، نجد المجاورين يقتبسون من أنوارها، ويعيشون من كل حدب إلى ضوء نارها، وأهم مكتبة بعد مكتبة عارف حكمت هي المكتبة المحمودية المنسوبة إلى المرحوم السلطان محمود العثماني، وهي بجانب الحرم الشريف أيضاً إلى الغرب، كما أن مكتبة عارف حكمت هي منه إلى القبلة، ثم المكتبة الحميدية المنسوبة إلى السلطان عبد الحميد الأول رحمه الله، ثم مكتبة بشير آغا، وهي مهملة نوعاً ما، ولا يجدها الإنسان مفتوحة الأبواب كلها كغيرها من دور الكتب، ثم مكتبة الصاقزلي (الساقزلي)، وهي شبيهة من هذا الوجه بمكتبة بشير آغا، ثم مكتبة العرفانية، وهي أشبه بما تقدمها، ثم مكتبة أمين باشا، وهي من أبدع المكتبات وأنفسها ترتيباً مشرعة الأبواب كل يوم إلى آخر النهار، وهي ثالثة ثلاثة مع المكتبة المحمودية والمكتبة العارفية، ثم مكتبة رباط سيدنا عثمان رضي الله عنه، ثم مكتبة ناظر الكيلة، وهي مهمة تفتح أبوابها مرتين كل شهر، ثم مكتبة مدرسة ثروت وهي قريبة الحال من التي تقدمتها، ثم مكتبة مدرسة قرة باش، وقد سرت إليها عدوى الإهمال، وطار إليها غبار النسيان من جاراتها...، ثم مكتبة حسين آغا، وهي دار كتب صغيرة مختصة بمدرسة حسين آغا منتظمة مفتوحة كل يوم، ثم مكتبة مدرسة إحسان، وهي مفتوحة أبداً، ثم مكتبة الشيخ أحمد (البساطي)، وهي في بيت هذا الشيخ تحت نظر ولده محمد حسن أفندي، مشرعها جار لكل وارد، ثم مكتبة حوش العريضة في بيت السيد جمل الليل وهي وقف على المستفيدين أيضاً، ثم مكتبة الشيخ مظهر، وهي في تكية الشيخ مظهر مختصة بسكان التكية"(٧٢).

ومع زوال حكم العثمانيين بادر الأمير علي بن الحسين بالتوجيه لحفظ كنوز هذه المكتبات وذلك إبان حكم الأشراف للحجاز، يقول ابن دهيش: "وعندما استولى الأشراف على المدينة المنورة في عام ١٣٣٧هـ/١٩١٩م، أمر الأمير علي بن الحسين بجمع معظم المخطوطات والكتب الموجودة في مكتبات المدينة الخاصة، ووضعها في مكتبة عارف حكمت، لتحفظ وتكون في مأمن، ولتحفظ من الضياع والتلف، وأسندت هذه المهمة إلى الشيخ عبد القادر بك، وساعده إبراهيم حمدي بك، الذي قام بشراء معظم الكتب والمخطوطات النادرة من بعض تلك المكتبات، ووضعها في مجموعات تضم كل منها المجموعة المشتراة من كل مكتبة خاصة على حدة، وقام بكتابة فهرس عام لكل مجموعة من تلك المجموعات على حدة. كما قام الشيخ إبراهيم بكتابة فهرس عام لكل مجموعة من تلك المجموعات. وتقديرا لخدماته هذه فقد عين فيما بعد مديرا لكل مكتبات المدينة الخاصة والعامة على حد سواء. وإليه يرجع الفضل في أننا لازلنا حتى اليوم نعرف شيئا عن تلك المكتبات الخاصة وكنوزها الثمينة بما جمعه لنا من تراث عظيم"(٧٣).

وتم رصد أنواع من المكتبات الوقفية التي أنشأها المحسنون في المدينة المنورة في زمن الدولة العثمانية، ولازال بعضها قائماً إلى يومنا هذا، بينما اندثر وَنُهب كثير منها، وذلك لأسباب مختلفة، وهي كالتالي:

٣/٤/٣/أ . المكتبات الوقفية العامة:

٣/٤/٣/أ /١. مكتبة الشيخ عارف حكمت الحسيني:

هي واحدة من أشهر المكتبات الوقفية في العالم الإسلامي، وذلك لما تضمه من نوادر المخطوطات في علوم مختلفة، وبلغات عدة، يقول التونسي عنها: "أنشئت هذه المكتبة عام ١٢٧٠هـ (١٨٥٣م) وهو التاريخ المنقوش على قبة المكتبة حتى اليوم، وقد أنشأها شيخ الإسلام أحمد عارف حكمت بن إبراهيم بن عصمت الحسيني، المولود سنة ١٢٠١هـ (١٧٨٦م). وقد نشأ وتعلم بالآستانة، واشتغل بالتدريس، كما تقلد القضاء بعد ذلك فعين قاضيا للقدس سنة ١٢٣١هـ (١٨١٥م) ثم قضاء مصر سنة ١٢٣٦هـ (١٨٢٠م)، فقضاء المدينة المنورة سنة ١٢٣٨هـ (١٨٢٢م)، إلى أن تقلد منصب شيخ الإسلام في عهد السلطان عبد المجيد والذي يعد من أعلى المناصب في الدولة عام ١٢٦٢هـ (١٨٤٥م)."(٧٤).

ويضيف: "ورتب لها حفظة وخدمة، ووقف بها سائر كتبه التي تجاوزت خمسة آلاف كتاب من الكتب النفيسة. وكان ينوي إبلاغ كتب مكتبته إلى عشرة آلاف مجلد كانت تحت يده، إلا أنه لم يتمكن من تحقيق أمنيته لأن المنية عاجلته قبل حضوره إلى المدينة، فبيعت كتبه بأبخس الأثمان ... توفي . رحمه الله . بالاستانة عام ١٢٧٥هـ (١٨٥٨م)."(٧٥).

ويقول علي حافظ: "مكتبة شيخ الإسلام عارف حكمت: تأسست سنة ١٢٧٠هـ وموقعها في جنوب ركن المسجد النبوي الجنوبي الشرقي يفصل بينها وبين المسجد شارع وتشتمل على (٦٧٢٦) كتابا منه (٢٠٠٨) كتب مطبوعة و(٤٧١٨) كتابا مخطوطا وفيها نفائس الكتب ونوادرها وقد أوقفها شيخ الإسلام عارف حكمت ولها شرط واقف مسجل بمحكمة المدينة وفي المحكمة الشرعية في استانبول وقتئذ. ولها أوقاف في استانبول لصرف ريعها على المكتبة"(٧٦).

وقد اهتم بذكرها عدد من المؤرخين نظراً لما تمتاز به، فهي واحدة من أكثر المكتبات الوقفية بالمدينة المنورة ثراءً وتنظيما، وتتميز بمقتنياتها النادرة التي تشتمل على مخطوطات بلغات عدة: العربية، والتركية، والفارسية، وتتميز بتنوع العلوم والفنون التي تحويها، يقول حمادي التونسي: "وقد اشتهرت هذه المكتبة بمجموعاتها النفيسة لاسيما المخطوطات منها، بالإضافة إلى تنظيمها والعناية بها. كما ذكرها كثير من الكتاب والرحالة والمؤرخين وأثنوا عليها. فقد وصفها علي بن موسى بقوله "وكتبخانة المرحوم شيخ الإسلام . أسبق . عارف حكمت بك التي لا نظير لها في أرض الحجاز لكثرة ما فيها من الكتب النفيسة والخدمة والمجلدين الموظفين دائما. كما قال عنها البتنوني في رحلته "... وهذه الكتبخانة آية في نظافة مكانها وحسن تنسيقها وترتيب كتبها" أما "محمد كرد علي" فقد أشاد بهذه المكتبة واعتبرها من أفضل مكتبات الدولة العثمانية إن لم تكن خيرها، فقال "... وأحسنها (أي مكتبات المدينة) وربما كانت خير مكتبة في البلاد العثمانية كلها بنظامها وانتقاء أمهاتها هي مكتبة شيخ الإسلام عارف حكمت أفندي ففيها نحو عشرة آلاف مجلد كتبت بخطوط المشهورين من الخطاطين كأن تجد الكتاب ذا

العشرين مجلدا مكتوبا بخط مشرقي بديع في مجلد أو مجلدين. وفي هذه المكتبة من التسهيل للمطالعين والعناية براحتهم ما لا تكاد تجد مثله في دار الكتب الخديوية بمصر لعهدنا، وما ذلك إلا لكثرة ريعها وإنفاقه في سبله واختيار القيمين عليها وإدرار المشاهرات الكافية عليها"(٧٧).

وعن وصفها يقول عبد اللطيف بن دهيش: "وفي حوالي عام ١٢٧٠هـ الموافق ١٨٥٣م خصص لهذه المكتبة داراً خاصة مكونة من دورين كانت قد بنيت في موقع منزل جعفر الصادق وكان موقعها في الركن الجنوبي من المسجد النبوي الشريف، وأخذ ينفق على هذه المكتبة بسخاء، مما جعل هذه المكتبة تزدهر وتكسب شهرة واسعة خاصة بما اشتراه لها من مخطوطات نادرة ، وقد جعلها مؤسسها مكتبة عامة وفتح أبوابها للجميع. وقد زارها الشيخ محمد لبيب البتنوني في عام ١٣٢٨هـ الموافق ١٩١٠م وكتب عنها في كتابه الرحلة الحجازية حيث قال "وهذه الكتبخانة آية في نظافة مكانها وحسن تنسيقها وترتيب كتبها، وأرضها مفروشة بالسجاد العجمي الفاخر، وفي وسط حوشها نافورة من الرخام فيها حنفيات للوضوء وفيها كتب ثمينة جداً لا يقل عددها عن ٥٤٠٤ كتاباً. ويقول أيضاً: ولقد رأينا بها شيئاً من غرائب الصناعة النادرة في بابها وهو كتاب أشعار فارسية مكتوبة بالخط الأبيض الجميل لملا شاهي. وبينما نحن نعجب من جودة الخط وإتقان الصناعة ونظافتها وحسن تنسيق حروفها على صغرها ودقتها، لفت نظرنا حضرة مدير الكتبخانة إلى أن حروف الكتابة إنما هي ملصوقة على الورق. فتأملناها فوجدنا شيئاً يبهت الطرف لرؤيته ويعجز اللسان عن نعته خصوصاً عندما أخبرنا أنهم كانوا يكتبون هذه الكتابة ثم يفصلونها عن ورقتها بأظفارهم، ثم يلصقونها على ورقة أخرى"(٧٨).

ولشدة اهتمام الشيخ عارف حكمت بالمكتبة، وحرصه على استمرارها اتخذ عدداً من الإجراءات لحمايتها من الأخطاء البشرية، والأحوال الاقتصادية المتقلبة، ويتمثل ذلك في التالي:

. "قام بتسجيل وقفها بصك شرعي لدى المحكمة الشرعية بالمدينة المنورة. "وقد اشتمل الصك على بيان بمجموعات الكتب التي تم وقفها على المكتبة والتي بلغت ستة عشر مصحفاً شريفاً وخمسة آلاف كتاب، مؤكداً ملكيته لها، وأنه سجل بياناتها، ووصف أنواع خطوطها وأعداد أوراقها ومكوناتها في سجل خاص بالمكتبة"(٧٩).

. حدّد شروط الواقف في الصك الشرعي، سواء كانت الشروط الخاصة بكيفية عمل المكتبة، أو تلك المعنية بأملاك المكتبة من العقارات والمحلات والمزارع والتي يعود ريعها للصرف على المكتبة. وفيما يخص عمل المكتبة اشترط "أن لا يخرج من المكتبة المذكورة أي شيء من المصاحف الشريفة والكتب الشريفة المذكورة، لا عن طريق الاستنساخ ولا عن طريق الاستعارة، وأن لا يعار شيء منها لأي فرد كان، بل يخصص ويقصد الانتفاع والمطالعة بالمكتبة. وأن لا يمنع ولا يُصرف أي شخص كان من مريدي الاستفادة بالمطالعة أو الاستكتاب، أو المقابلة أو الانتفاع بالكتب بأي حال كان. وأن لا يُظهر حافظ الكتب العجز والإباء عن عرض وإعطاء الكتب للراغبين بأي وجه كان، بل يجب أن يقابلوهم بالتشويق والترغيب والإعزاز والترحيب. وأن يعين

أربعة أشخاص حفاظاً للكتب، باعتبار الأول والثاني والثالث والرابع من العلماء الصالحين، الذين صاروا فارغي البال وممدوحي الخصال. وأن تفتح المكتبة كل يوم بعد طلوع الشمس بساعة واحدة إلى ما بقي للغروب ساعة واحدة، ولو لم يجئ فرد واحد، بل تكون المكتبة مفتوحة إلى الوقت المذكور"(٨٠).

. اشترى الشيخ عارف حكمت العديد من العقارات والمزارع وجعلها وقفا على مكتبته لتمويل العمل والخدمة بها وصيانة محتوياتها، ووثق ملكية ذلك كله وحدد مصارف هذه الأوقاف. "وقد كانت لهذه المكتبة موارد مالية ضخمة بسبب، كثرة الأوقاف عليها، والتي كان بعضها في تركيا، وبعضها الآخر في المدينة، أورد الواقف تحديدها في صك الوقفية للإنفاق من ريعها على المكتبة، وبين ما ينبغي لها من توابع ... واشتمل الصك على موقع المكتبة والأرض التي بنيت عليها لتكون خزانة لكتب الوقف، والحجرات التي من توابع، المكتبة، والمنزل المتصل بالمكتبة والذي جميع أنقاضه وأبنيته في حيطة ملك الواقف والذي أوقفه بأجرة سنوية"(٨١). ومن خلال ما سبق يتبين مدى اهتمام وحرص الواقف عبر الشروط التي وضعها على تحقيق الاستفادة القصوى من كنوز هذه المكتبة، وأمّن لها مصادر دخل تضمن استمرارها، كل ذلك خدمة وتيسيراً لطلبة العلم، وهي من نماذج المكتبات الوقفية الرائعة في الحضارة الإسلامية.

ويذكر التونسي نبذة عن سيرة من تولى أمانة هذه المكتبة فيقول: "كان منهم الشيخ "نور أفندي التركي" مفتي مدينة استانبول، كما عين في زمن الأشراف "عبد القادر حواري" أمينا لها إلى أول عهد الحكومة السعودية. وعندما أنشئت وزارة الأوقاف السعودية، ضمت إليها المكتبة، وذلك في عام ١٣٨٠هـ (١٩٦٠م)، وتعاقب على أمانتها كل من الشيخ "إبراهيم الخربوطلي" إلى سنة ١٣٧٢هـ (١٩٥٢م)، والشيخ "حسن أكنلي" إلى سنة ١٣٧٧هـ (١٩٥٧م)، ثم ابنه الشيخ "محمود حسن أكنلي" إلى سنة ١٣٩٨هـ (١٩٧٨م)، وحاليا الشيخ "علي علوي إبراهيم"(٨٢). ويقصد التونسي بذلك الوقت، أثناء إعداد بحثه في عام ١٤٠١هـ/١٩٨١م. أما حالياً فأمينها هو عبد الصمد محمد جان ظاهر، الذي يقول في مقابلة معه لهذه الدراسة أنه: "تولى مسئولية أمانة مكتبة الشيخ عارف حكمت عدد من الأمناء مذكورة أسماؤهم في سجل المكتبة، وعلى من سيقوم بتولي مسئولية أمين هذه المكتبة، أن يقوم بجرد محتوياتها هو والأمين السابق ثم التوقيع باستلامها وهذا الترتيب معمول به منذ نشأتها، وقد توليت أمانتها منذ عام ١٤٠٥هـ وإلى الآن"(٨٣).

وقد أدرك الباحث كلا من الأمينين الأخيرين (محمود أكنلي) ومن بعده (علي علوي) أثناء صباه وفي مرحلة المراهقة، حيث كانت المكتبات المحيطة بالمسجد النبوي الشريف هي المتنفس في أوقات الفراغ لأهل المدينة المنورة، وذلك للقراءة المجانية فيها، والتي كانت توفرها آنذاك بشكل رئيسي كلٌ من: مكتبة المسجد النبوي، ومكتبة المدينة المنورة العامة، ومكتبة الشيخ عارف حكمت. والمكتبتان الأخيرتان متجاورتان في قبلة المسجد النبوي، ويفصل بينهما دار إمام المسجد النبوي الذي كان في ذلك الوقت الشيخ عبد العزيز بن صالح رحمه الله، وكان أيضا رئيسا للمحكمة الشرعية بالمدينة، ويقع مبناها في نهاية هذا الشارع، وكان يعمل والدي في المحكمة

وكنت أقضي أوقات الفراغ فيها بحكم مجاورتها لعمله. وكان الباحث يساعد المسئولين في مكتبة الشيخ عارف حكمت في مناولة الكتب للباحثين، ومن الصدف أنه كان من بين الباحثين آنذاك عباس صالح طاشكندي، الذي كان يُعِدّ حينها رسالة الدكتوراه عن موضوع في هذه المكتبة، والذي أشرف بعد عقود من الزمن على الباحث في مرحلة الماجستير. أثناء دراسته في جامعة الملك عبد العزيز.

٣/٤/٣/أ/٢. المكتبة العثمانية:

وهي من المكتبات التي سلبها الأتراك من المدينة المنورة إبان حكم الأشراف. يقول عبد اللطيف ابن دهيش: "سميت بهذا الاسم نسبة إلى الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه لأنها أقيمت في المنزل الذي يعتقد أن عثمان رضي الله عنه قد قتل فيه. وتقع بالقرب من باب جبريل بالجهة القبلية من المسجد النبوي الشريف. وكانت قبل عهد السلطان عبد الحميد ولمدة طويلة تستخدم كمقر للحجاج وكانت تعرف باسم رباط العجم لأنه كان ينزل بها حجاج بخارى. وقد اشتراها السلطان عبد الحميد وحولها إلى وقف وسماها المكتبة العثمانية نسبة إلى الخليفة عثمان وربما نسبة إلى عثمان مؤسس الدولية العثمانية.

ومع مرور الزمن أصبح المبنى في حالة سيئة وفي حاجة إلى عديد من الإصلاحات وأهمل شأن الكتب ولم يعد أحد يهتم بها مما جعل الأتربة تغطي كثيراً من الكتب الموضوعة على حافة النوافذ أو على الأرض. أما الكتب التي كانت قد حفظت في دواليب خاصة فبقيت على حالتها مع أن بعضها تعرض للأرضة فتلف. ولم يكن بهذه المكتبة بطبيعة الحال أي فهرست بأسماء الكتب ومؤلفيها، على أن بعض من زارها أفاد أنها كانت تحتوي على عدد كبير من الكتب التي تم إحضارها من بلاد المغرب والأندلس وأنها كانت على صلة دائمة بمكتبات تلك المنطقة، كذلك فأن أغلب مؤلفي كتب هذه المكتبة كانوا من أئمة المذهب المالكي وعندما زارها الأستاذ محمد البتنوني في عام ١٩١٠م قال إنها تحتوي على ١٦٥٩ كتاباً من الكتب النادرة"(٨٤).

٣/٤/٣/أ/٣ . مكتبة تكية (رباط) مظهر الفاروقي:

وهي من المكتبات الوقفية التي لا تزال إلى اليوم تحت نظارة أحفاد مؤسسها بدارهم في المدينة المنورة. "أسسها الشيخ محمد مظهر الفاروقي وقد أوقفها على طلبة العلم وذلك في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي. وهذه المكتبة تحتوي على حوالي (٤٠٠) مخطوط وعدد من الكتب النادرة ولها فهرس خاص مسجلةٌ فيه جميع الكتب والمخطوطات حسب الفنون"(٨٥). وتضم واحدا من أهم وأندر المخطوطات عن تاريخ المدينة المنورة، وقد اختلف في تسميتها ما بين تكية ورباط وخانقاه ومدرسة، وقد لخصت سحر الصديقي هذه الأقوال فتقول: "لقد اختلف المؤرخون للمدينة في تسميتها؛ فنجد ابن موسى في مخطوطته يسميها ((رباط الشيخ مظهر النقشبندي ولا أعظم منه رباطاً بالمدينة)) بينما أشار أيوب صبري بأنها تسمى ((مدرسة وتكية الشيخ مظهر)) وأما رفعت باشا فقد ذكرها تحت اسم ((تكية الشيخ مظهر)) بينما نجد باحثا معاصراً قد عاين المبنى وذكر بأنه: ((من الثابت طبقاً للنص العربي المكتوب على مدخل المبنى أنها خصصت لإقامة الأحمديين أتباع الطريقة النقشبندية.

وقد لوحظ في النص الفارسي المجاور للنص العربي وجود كلمة خانقاه، مما يؤكد أن وظيفة المبنى هي دار للتصوف ولم تكن مدرسة، وأنه يمكن اعتبارها تكية، وهو الاسم الذي أطلق على الخانقاه في العصر العثماني)).

بينما يرى آخر بأنها قد ((جمعت بين الرباط بمعناه وأهدافه، والزاوية وتعدد نشاطها، والخانقاه ودورها، والمكتبة وما تقدمه للنازلين فيها، والمدرسة وما تقوم به من جهود تعليمية، وأن هذا لا يتحقق لأي رباط آخر في المدينة المنورة)). ومما سبق يتضح أن مؤسسة مظهر الوقفية هي خانقاه (تكية) وليست رباطاً كما هو معروف لدى الناس"(٨٦).

٣/٤/٣/ ب . مكتبات المدارس الوقفية:

حفلت المدينة المنورة بالكثير من المدارس الوقفية، وذلك بدءاً من القرن السادس الهجري كما يؤكد ذلك طارق حجار في بحثه بعنوان **(المدارس الوقفية في المدينة المنورة)** وعن العصر العثماني يقول: "وأخذت المدارس الوقفية تنتشر في المدينة المنورة في العهد العثماني حيث ذكر علي بن موسى في رسالته عام ١٣٠٣هـ بالمدينة المنورة عشر مدارس وأشهرها المحمودية، كما ذكر إبراهيم رفعت باشا أن عدد المدارس عام ١٣١٨هـ، وصل إلى سبع عشرة مدرسة، ذكر منها اثنتي عشرة مدرسة في عرضه للمكتبات في المدينة المنورة"(٨٧). ونسرد فيما يلي سيرة مؤسسي المدارس الوقفية التي ضمت مكتبات ضمن مبانيها، ومعظم هذه المدارس اندثرت وبقيت بعض مكتباتها قائمة حتى يومنا هذا:

٣/٤/٣/ب/١ـ مكتبة مدرسة ورباط قرة باش: هناك جدل بين الباحثين هل هي مدرسة أو رباط، فعدد منهم ومن بينهم طارق حجار يذهب إلى أنها مدرسة ويقول: "أنشئت عام ١٠٣١هـ في حارة ذروان في الجهة الجنوبية للمسجد النبوي الشريف في زقاق غير نافذ سمي باسمها، ومؤسسها القاضي الذي عينته الدولة العثمانية في مكة المكرمة، وتتكون من عشرين غرفة من طابقين في وسطها فناء فيه نافورة وبعض النباتات وتتسع لخمسة وعشرين شخصا ، ومن الذين سكنوها ودرسوا بها الحاج محمد الأرنودي حين قدم إلى المدينة المنورة مجاورا بها سنة ١١٠٨هـ"(٨٨). وأما التونسي فيقول: "ذكر السيد علي حافظ وشكيب أرسلان ودي طرازي أنه مدرسة، وهذا مخالف لما جاء في صك الوقفية، حيث لم يذكر أنه مدرسة، بل نصّ في أكثر من موضع على أنه رباط، وربما أُطلق عليه مدرسة نظراً للدروس التي تعطى في مسجده"(٨٩). والباحث يؤكد ما ذهب إليه التونسي وذلك لاعتماده على صك الشرعي للوقف المسجل بالمحكمة الشرعية بالمدينة المنورة.

٣/٤/٣/ب/٢ـ مكتبة مدرسة الشفاء: "أسسها شيخ الإسلام فيض الله الهندي عام ١١١٢هـ، وسبب تسميتها بالشفاء أنه رحمه الله عندما زار المدينة المنورة وعاد إلى بلده مرض مرضا شديدا ونذر إن شفاه الله أن يؤسس مدرسة في المدينة المنورة وبفضل الله تعال شفي وبعد ذلك أرسل الأموال اللازمة لإنشائها في حارة (الشونة) ذروان . وتضم المدرسة إحدى وعشرين غرفة ، واحدة للناظر ، وأخرى للمكتبة وثالثة لحافظ الكتب (أمين المكتبة) ورابعة للمدرسين وخامسة للتدريس وست عشرة غرفة لإقامة الطلاب بالإضافة إلى مسجد

ومطبخ"(٩٠). ويذكر التونسي عن مكتبتها: "قام ناظرها الحالي الشيخ مصطفى صبري الأماسي بشراء أربع عمارات، وكان بها أكثر من عشرين غرفة، منها واحدة للناظر، وأخرى للمكتبة، ومحلا لحافظ الكتب ... وقد أطلعنا الناظر على الفهرس الأصلي لكتب هذه المدرسة ... مكتوب باللغة التركية، ويقع في ثلاث وخمسين صفحة بكل صفحة عشرون خانة، وقد جمع الفهرس بين المخطوط والمطبوع، وقد بلغت مجموعة الكتب به (١٤٤١) كتابا"(٩١).

٣/٤/٣/ب/٣. **مكتبة مدرسة (الساقزلي) الصاقزلي:** أسسها السيد إبراهيم الصاقزلي الشهير بالخطاط احد تجار الروم عام ١١٢٥ هـ ملاصقة للسور السلطاني في شمال المسجد النبوي الشريف بالقرب من دار الضيافة. "اشترى الوقف جملة عقارات وبيوت وجعلها مبنى واحدا تكون من خمس عشرة خلوة خصص منها واحدة للمدرس وأخرى لحفظ الكتب الموقوفة وثالثة للمهمات ورابعة للبواب والخامسة للملازم والعشر الباقية لكل الطلاب . يضاف إلى ذلك مجلس للتدريس وثلاثة مجالس في الطابق العلوي وستة دكاكين وبئر وبركة وحنفية وحمام وسبيل ماء عند باب المدرسة ، وأوقف عدة عقارات منها : حوش عميرة وحوش بابين والمزرعة المعروفة بزمزم، ودار كائنة في الساحة ، وكانت وفاته سنة ١١٣٢هـ ، ولم تكن له ذرية. وآلت هذه المدرسة إلى محمد طوله زادة وصار مدرسها"(٩٢).

ويذكر التونسي عن مكتبتها: "وتحتوي المدرسة على خمس عشرة خلوة، منها واحدة للمدرس، وواحدة لحفظ الكتب ... وقد وقف كثير من الأشخاص كتبا على هذه المدرسة ... وهناك كتب من وقف المشير المرحوم عادل باشا شيخ الحرم النبوي، ومحمد طيفور أغا بواب الحجرة الشريفة"(٩٣).

٣/٤/٣/ب/٤. **مكتبة مدرسة دار الحديث (بشير أغا):** أنشئت هذه المدرسة في عهد الخلافة العثمانية من قبل أحد المحسنين لا يعرف من هو ولا متى أسست ، وكان معظم المنشئين لمثل هذه المدارس من أصحاب السلطة من السلاطين العثمانيين أو من الوزراء أو من كبار موظفي الدولة أو من الأثرياء . وكان يطلق عليها في ذلك الوقت اسم دار الحديث ، وقد جدد بناءها وأحياها السيد بشير أغا رحمه الله تعالى.

"وصدر بذلك صك بالموافقة على نظارة المدرسة. وكان الوقف بجوار باب السلام ملاصقا لجدار الحرم النبوي الشريف من الجهة القبلية ، وبقي في هذا الموقع منذ عهد الخلافة العثمانية حتى عهد الملك سعود بن عبد العزيز آل سعود يرحمه الله ، ثم أزيل هذا الموقع عندما بدأت التوسعة الأولى للمسجد النبوي الشريف في عام ١٣٧٠ هـ وتم بناء البديل بشراء قطعة أرض كبيرة في منطقة بضاعة ، ويبعد الموقع الجديد عن المسجد النبوي الشريف حوالي خمسمائة متر، وهو يتكون من طابقين وهو على شكل حدوة الفرس تقريبا وتتوسطه ساحة واسعة وفيه ثلاثون غرفة وجناح آخر من طابقين خاص بمكتبة المدرسة إضافة إلى عمارتين بالبناء المسلح وثمانية دكاكين ، والمدرسة كانت تخص المهاجرين من ديار الروم ، وعندما جدد بشير أغا هذه المدرسة أوقف ما يملكه من عقار جوار باب السلام لهذه المدرسة حسبة لله وطلبا لمرضاته وخدمة لطلبة العلم من ديار

الروم المجاورين . وشرط مهنة التدريس لمن أصله من تلك الديار، وخصص هذه المدرسة لتدريس العلوم الشرعية وفق جدول محدد بحيث تدرس علوم الحديث النبوي خمسة أيام من كل أسبوع ويوم للتفسير ويوم لأصول الفقه. كما وضع لها نظاما دقيقا ورتب لها أوقافا من ممتلكاته وبستانه بالشام وتركيا والتي كانت تأتي غلالها من أمناء الصرة (أمين الصندوق) كل عام مع المحمل وذلك لتأمين الطلاب والمعلمين والموظفين"(٩٤).

٣/٤/٣/ب/٥. مكتبة المدرسة الحميدية: "مؤسسها السلطان عبد الحميد الأول في عهده ما بين عامي ١١٨٧ – ١٢٠٣ هـ ، وتقع في أخر حارة الساحة من جهة المسجد النبوي الشريف أمام زقاق كومة حشيفة عند حارة الخزازة ويتكون المبنى من فناء فيه شجرة وبه عشرون غرفة وللمدرسة مدخلان احدهما هو الرئيس يقع تحت السقيفة التي على طريق الساحة ، والآخر يقع على طريق فرعي وليس للمدرسة واجهة على هذين الطريقين"(٩٥).

٣/٤/٣/ب/٦. مكتبة مدرسة كيلي ناظري: "أسسها مصطفى أغا كيلي ناظري عام ١٢٥٤هـ ، ويتكون المبنى من ثلاثة أدوار يضم أربعا وعشرون غرفة إحداها سكن للناظر، وأخرى للمدرس وثالثة للمكتبة والباقي لإقامة طلاب العلم ، وفيها مسجد يستخدم مقرا للدراسة ومطبخ ، واشترط الواقف أن يكونوا من الأحناف"(٩٦).

٣/٤/٣/ب/٧. مكتبة مدرسة الإحسانية: "أسسها مصطفى بن محمد عبد الرسول بن سليمان عبد الرحمن عام ١٢٧٥ هـ ، وتقع في آخر حارة الأغوات من جهة البقيع مقابل رباط ياقوت المارداني . ويتكون مبنى المدرسة من دورين يتوسطه فناء تحيط به الغرف من جميع الجهات عند الجانب الشرقي وقد أوقف المؤسس سبع دور وخمسة عشر دكانا على المدرسة"(٩٧).

٣/٤/٣/ب/٨. مكتبة المدرسة القازلية (القازانية) : "أسسها عبد الستار بن جابر القازاني عام ١٣١١ هـ ، في زقاق جعفر. ويتكون المبنى من طابقين بهما ست وثلاثون غرفة ومكتبة ولها بيوت موقوفة على المدرسة مخصصة لسكن الشيخ والمدرس والإمام والناظر ، وكما تتسع لعشرين طالبا ،وهي موقوفة على التتر من جهة القوقاز ثم تحولت إلى رباط"(٩٨).

٣/٤/٣/ب/٩. مكتبة المدرسة العرفانية: "أسسها محمد عارف بن مصطفى توقادي المدرس في مدرسة بشير أغا عام ١٣١٤ هـ وتتكون المدرسة من اثنتى عشرة غرفة في الطابق الأرضي. أضاف إليها الناظر عمر عادل التركي خمس غرف في الطابق العلوي . وفيها مكتبة ، ولها أوقاف تتكون من سبعة عشر دكاناً وسبعة دور وقطعة أرض، ولقد رجعت إلى صك الوقفية رقم (٢٠١ ، صفحة ١٠٥ ، جلد ١ ، تاريخ ١٣١٥/٣/٢٥ هـ)، مع الأستاذ أحمد بن الحسين لبان أحد طلاب المدرسة وأوقفها على طلاب الأنضول وقازان من غير المتزوجين"(٩٩). ويقول التونسي: "وقد نقلت مكتبتها إلى مكتبة المدينة المنورة العامة عام ١٣٨٣هـ (١٩٦٣م)، حيث كانت مهملة ومعرضة للتلف ولا استفادة منها، فقام ناظرها الحالي بتسليمها إليها، ومن نوادر كتبها كتاب تاريخ الحرمين باللغة التركية"(١٠٠).

٣/٤/٣/ج ـ مكتبات الأربطة:

انتشرت الأربطة في المدينة المنورة منذ عدة قرون، واستمر وجودها وكثرت في العصر العثماني، وقد تم رصد المكتبات الوقفية في عدد منها وذلك على النحو التالي:

٣/٤/٣/ج/١. مكتبة رباط قرة باش: "أسس الرباط الشيخ/ عبد الرحمن أفندي سنة ١٠٣١هـ/١٦٢١م في المدينة المنورة، وهو عبارة عن بناء قديم مكون من ثلاثة طوابق، أوقف عليه مؤسسه بعض الدور السكنية، كما كانت للمؤسس أوقاف أخرى بمكة المكرمة، واشترط تغطية نفقات وقفه بالمدينة من وقفه بمكة المكرمة إن احتاج إلى ذلك، وكذلك العكس، كما حدد المبالغ التي تعطى للناظر والكاتب، وغيرهم ممن يقوم بشؤون الوقف"(١٠١).

ويضيف التونسي: "ومما استرعى انتباهنا ما ختم به الواقف صكّ وقفيته من النكير الشديد على من يحاول تغيير شيء من الوقف أو إبطاله ...وقد ضُمَّت مكتبته إلى مكتبة المدينة العامة بعد أن تلاعب سكان الرباط بمحتوياته ... وكما هو الحال، فقد وقف بعض الأشخاص بعضا من الكتب على الرباط المذكور"(١٠٢).

٣/٤/٣/ج/٢. مكتبة رباط الجبرت: يذكر التونسي عنهما قوله: "رباط الجبرت والمكتبة: يعتقد أن هذين الرباطين منحة من الدولة العثمانية للمهاجرين الأحباش الذين قدموا المدينة في عهدها ... وقد قام الشيخ ((عبد القادر الجبرتي)) الناظر الحالي بتسليم مجموعة المكتبة إلى إدارة الأوقاف عندما طلب منه ذلك. والمكتبة لم يقم شخص بوقفها على الرباط المذكور، وإنما هي عبارة عن مجموعات من الكتب لأشخاص قاموا بإهدائها إلى المكتبة ... وعلى أي حال فإن مجموعة هذا الرباط ضئيلة حيث تبلغ (مئة وثلاثة كتب) منها (خمسة وعشرون) مخطوطا"(١٠٣).

٣/٤/٣/ج/٣. مكتبة رباط سيدنا عثمان بن عفان (رضي الله عنه): يقول حمادي التونسي: " رباط سيدنا عثمان والمكتبة: كان موقع هذا الرباط أمام ((باب جبريل)) في الجهة الشرقية من الحرم النبوي الشريف، في موقع دار عثمان ابن عفان رضي الله عنه الصغرى، وبجواره رباط العجم في دار عثمان الكبرى. وكلتاهما بنيت في حياة النبي صلى الله عليه وسلم. وهذا الرباط من أوقاف المغاربة ... ومعظم كتب هذا الرباط في الفقه المالكي، ومخطوطاتها أكثر من الكتب المطبوعة بها. وقد ذكر الأنصاري أنها كانت في خزائن خشبية عتيقة أخبره بعض نظّار الوقف أنها أخرجت من الحجرة النبوية، وأنها من مصنوعات الدولة العباسية ومما أهدته إلى الحجرة النبوية الشريفة. ثم قال: وهياكل هذه الخزائن ونقوشها وحلقاتها تؤيد كلها قول الناظر المشار إليه. وكما هو الحال في مكتبات كثيرة، فقد وجدنا على بعض الكتب أسماء أصحابها الذين وقفوها على هذا الرباط"(١٠٤). وقد بقيت هذه المكتبات الخاصة تؤدي دورها في خدمة البلاد ورفع لواء المعرفة بين أبنائها.

٣/٥. أسباب التباين بين الإحصائيات في أعداد المكتبات:

من الملاحظ أنه يوجد الكثير من التباين بين المعلومات والإحصائيات عن تاريخ بعض المكتبات الوقفية بالمدينة المنورة ومحتوياتها في العصر العثماني، ولذلك ما يبرره في عصر كان يشوبه الكثير من الغموض وعدم الانضباط، وأهم الأسباب التي كانت وراء ذلك هي:

١ـ أنه لا توجد جهة مسئولة عن تنظيم الأوقاف وبالتالي حصرها ومراقبتها، ومن ضمنها المكتبات الوقفية. سوى ما يقوم به الواقف من تسجيلها في المحكمة الشرعية بالمدينة المنورة، أو تخصيص ختم تختم به محتويات المكتبة من المصاحف والمخطوطات، أو التهميش عليها بالوقفية التي تدل على الجهة التابعة لها.

٢ـ العديد من المكتبات الوقفية كانت تابعة لجهات خيرية، حيث لا يستلزم إنشاؤها والدور الذي تقوم به وجود مكتبة فيها مثل الأربطة، والتكايا، والزوايا، وبالتالي لم يكن يُعلم على وجه التحديد أيٌّ منها تضم مكتبة. وكذلك الحال بالنسبة للمدارس الوقفية فلم تكن جميعها تحتوي على مكتبات بداخلها.

٣ـ العديد من المؤرخين كان يرصد ما يطلق عليه مسمى مكتبة فقط، مثل مكتبة الشيخ عارف حكمت، ومكتبة بشير أغا، والمكتبة المحمودية ... الخ، ولا يعنى بما هو موجود في الأربطة والزوايا وغيرها، أو أنه لم يعلم أساساً بأنها تحتوي على مكتبات، هذا إذا ما استثنينا الأفندي علي موسى بحكم أنه من أبناء المدينة، وكان مطلعا على معظم مكوناتها الاجتماعية والعمرانية، وبالرغم من ذلك لم يوردها كاملة واكتفى بإيراد أهمها.

٤ـ اضطراب الوضع السياسي بين الحين والآخر، حيث يضعف معه دور الحاكم بالمدينة المنورة، الأمر الذي يؤدي إلى سلب وسرقة محتويات بعض المكتبات وبيعها خارج المدينة. ولذلك نجد بعض المسميات لمكتبات أوردها المؤرخون ولا يوجد لها أثر على أرض الواقع، كما أنه أثر على أعداد المصاحف والمخطوطات فنجد أعدادها في مصدر يختلف عن الآخر.

٥ـ دمج بعض المكتبات الصغيرة أو المهملة في المكتبات الكبيرة لأسباب مختلفة، كما فعل الأشراف حينما دمجوا بعض المكتبات في مكتبة عارف حكمت، وكما فعل السعوديون بدمج بعضها في مكتبة المدينة المنورة العامة، وقد يحتفظ بعضها بشخصيته المستقلة والفهارس المعرفة بمحتوياتها، وقد يدمج بعضها دمجا كاملا، والبعض الآخر يكون مجهولا تماما كما هو الحال في مكونات الدشت التابع لمكتبة المدينة المنورة العامة.

٣/٥/١. سلب الأتراك مصحف المدينة وكتبها وكنوزها:

أثناء الحرب العالمية الأولى اضطرب الوضع في الحجاز وأعقب ذلك ثورة الشريف حسين بن علي واستيلاؤه على مكة المكرمة في اليوم التاسع من شهر شعبان عام ١٣٣٤هـ الموافق ١٠ يونية ١٩١٦م، "وأثناء تلك الفترة توترت العلاقات بين الشريف والدولة العثمانية وكرد فعل لثورة الشريف وانفصال معظم مدن الحجاز عن الدولة العثمانية، قامت السلطات العثمانية الحاكمة في المدينة بجمع أئمة وأحسن المخطوطات والكتب من

مكتبات المدينة العامة وخاصة من المكتبة العثمانية ونقلها إلى دمشق ووضعت تلك الثروة العلمية في القشلة السليمية "قلعة سليم باشا" وجعلت عليها الحراسة اللازمة"(١٠٥).

وبعد سقوط الخلافة العثمانية، بدأت الأقاليم العربية تتحرر من هيمنة الأتراك الذين أسسوا الدولة التركية العلمانية برئاسة كمال أتاتورك. فقد "كانت تركيا مركزا للحكم العثماني حتى عام ١٩٢٢م، وفي سنة ١٩٢٢م تم خلع آخر السلاطين محمد السادس، وألغى مصطفى كمال أتاتوررك الخلافة نهائيا... وأعلن تركيا الجمهورية فتولى رئاستها عام ١٩٢٣م حتى وفاته عام ١٩٣٨م."(١٠٦)، ثم انتقلت سلطة الحجاز إلى الأشراف، وعند مغادرة الجيش التركي للمدينة المنورة أمر فخري باشا وللأسف الشديد أفراد الجيش بالاستيلاء على آثار وكنوز الحجرة النبوية المعطرة، والروضة الشريفة، إضافة إلى الاستيلاء على أهم محتويات المكتبات الوقفية بالمدينة المنورة، والتي تمثل إرثا تاريخيا أُهدي للمدينة المنورة من مختلف البلدان الإسلامية من الشرق والغرب على مدى قرون طويلة، تمتد منذ العصر العباسي إلى نهاية العصر العثماني، ويأتي في مقدمتها مصحف المدينة الإمام الذي كتبه الصحابة في زمن الخليفة عثمان رضي الله عنهم أجمعين. فبدلا من أن يُسلّم هذه الأمانات لحُكّام المدينة الجدد من الأشراف ليحافظوا عليها كما فعل الأولون، وهو الأمر الذي فعله الأشراف لاحقاً عند تسليمهم المدينة المنورة للدولة السعودية بكل ما تحويه من كنوز وآثار فهي ملك للأمة الإسلامية جمعاء، إذا بفخري باشا يضرب عرض الحائط بالأحكام الفقهية والشرعية التي تحمي شروط الواقفين الذين نقلوا هذه الكنوز من بلدانهم وأهدوا أعزّ ما يملكون إلى مدينة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم واشترطوا أن تظل بها، إذا به وبمساعدة عصابته من الجنود ينهبون كنوز وآثار المدينة المقدسة في صورة مزرية بتاريخ الأمة التركية التي طالما ساهمت خلال الحقبة العثمانية في تعظيم واحترام قدسية الحرمين الشريفين وممتلكاتهما. يروي عبد الباسط بدر في كتابه **(التاريخ الشامل للمدينة المنورة)** تفاصيل هذه اللحظة الأليمة من تاريخ المدينة والإجراءات التي قام بها فخري باشا في هذا الصدد فيقول: "وتخيّر مجموعة من رجاله الثقات من المدنيين والعسكريين. وأمر بصفته شيخ الحرم والحاكم العسكري تغليف الموجودات الأثرية والهدايا في الحجرة النبوية ووضعها في صناديق محكمة وشحنها إلى استانبول واشتغل المختارون لهذا العمل بجدية وحرص وبمشاعر من الإجلال، ونقلت التحف والهدايا والآثار بالصناديق المقفلة إلى محطة السكة الحديدية بسرعة تامة وحراسة مشددة حيث حملها القطار مع حراسها إلى دمشق ثم إلى استانبول.

وعندما نجحت عملية النقل وصلت برقية تشعر بوصول الأمانة. فشرع فخري باشا بنقل موجودات مكتبة عارف حكمت الشهيرة والغنية بكتبها القيمة. وكانت تزيد على خمسة آلاف مجلد والمكتبة المحمودية. ووضعت الكتب في الصناديق بعناية، وحملت إلى محطة السكة وسار بها القطار إلى دمشق حيث أنزلت ونقلت إلى مسجد التكية السليمانية حيث وضعت في عدد من الغرف الملحقة به والمخصصة لطلاب العلم، ولم تنقل إلى استانبول. وكانت هذه الشحنات من أواخر ما حمله القطار الخارج من المدينة قبل تحرك الشريف علي لقطع

الطريق نهائيا على القطارات المتجهة من المدينة وإليها"(١٠٧). ولولا هذا التصرف من الشريف علي لأصبحت المدينة خاوية من كل آثارها العلمية والحضارية بسبب عمليات النهب التركي لها.

وكان أهم ما استولى عيه الأتراك في هذه العملية هو مصحف المدينة المنورة (المصحف الإمام) ومخطوطاته، يصف ابن جبير الأندلسي في رحلته ذلك بقوله: "ويصلي الإمام في الروضة الصغيرة المذكورة إلى جانب الصندوق، وبينها وبين الروضة والقبر المقدس محمل كبير مدهون عليه مصحف كبير في غشاء مقفل عليه،هو أحد المصاحف الأربعة التي وجه بها عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى البلاد، وبإزاء المقصورة إلى جهة الشرق خزانتان كبيرتان، محتويتان على كتب ومصاحف، موقوفة على المسجد المبارك"(١٠٨).

كما ذكره علي بن موسى في كتابه (وصف المدينة المنورة عام ١٣٠٣هـ) قال: "وهذا المصحف عليه دم سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه وهو ونسخة ثانية أدقُّ منه خطا يقال إنها بخط سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه على رقّ الغزال أيضا مخطوطان في صندوق عليه كسوة من القطيفة الحرير الأخضر مزركشة بالجر موضوع في الحجرة المطهرة على الدوام غرب الرأس الشريف عند الشمعدان المذهب"(١٠٩).

يقول التونسي: "وبسؤال الشيخ (علي علوي) بوصفه أمين مكتبة المصحف عنهما، ذكر أن المصحف العثماني نقل إلى متحف (طوبقابو) باستانبول في عهد فخري باشا محافظ المدينة المنورة في أواخر الدولة العثمانية وحفظ بقسم (الأمانات المقدسة). أما المصحف الآخر فغير معروف لديه"(١١٠).

وكان من ضمن ما سلبه الأتراك من المدينة كنوز ونوادر من الحجرة النبوية والروضة الشريفة ذكرها مدير المكتبة المحمودية في اسطنبول لأسعد طرابزوني الحسيني، الذي يروي ذلك في مقدمة الكتاب الذي قام بنشره للإمام السخاوي عن تاريخ المدينة المنورة بعنوان "**التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة**" والذي سعى جادا للحصول على المخطوطة التي كانت ضمن ما نقله فخري من المدينة إلى اسطنبول من مقتنيات المكتبة المحمودية، وقام الطرابزوني بطباعته ونشره، فيقول: "أخذت نفسي بكل أسباب البحث الجاد عنه في مكتبات عديدة وعلمت أنه موجود في مكتبة السلطان محمود خان بتركيا. وكان مديرها إذ ذاك الشيخ زين رحمه الله الذي قابلني بترحاب وبذل غاية جهده في إطلاعي على هذا الكتاب الكبير والضخم وأسلمني الكتاب ففتحت صفحاته، ووجدتها بيضاء، وعندما استوضحت الشيخ زين عن جلية الأمر، أفادني بأن فخري باشا الحاكم العسكري عندما استولى على المدينة وجعلها مركزاً حربياً ضد الأشراف، ملأ المسجد بالذخيرة حتى المنابر، ودخل الحجرة الشريفة وحمل ما فيها من الجواهر الثمينة. وحمل الكوكب الدريّ الذي كان موضوعاً على الرأس الشريفة . وهو واحد من أكبر الماسات الثلاثة الموجودة في الدنيا (والثانية الموجودة في التاج البريطاني والثالثة في التاج الفارسي) وتزن سبعمائة وأربعة عشر قيراطا، وقد رأيتها في ((طوب وسرايا)) باستانبول محاطة بقلب من ذهب معلقة بحيث لا تصل لها الأيدي، كما رأيت الفانوس الزمرد وهو عبارة عن أربعة ألواح لا تقدر بالمال . وكانت أهدته للحجرة

الملكة عادلة سلطان. وقد أخرج فخري باشا من الحجرة أربعة عشر صندوقاً محملة باللؤلؤ والمشغولات الذهبية والفضية، ولم يكتف بكل ذلك بل جاء إلى المكتبة المحمودية ووضعها كلها في صناديق وأرسلها إلى دمشق بالشام، ووضعت هذه الكتب الثمينة في أحد الحمامات وفاض عليها نهر بردى ذات مرّة، وكان من بين ذخائر هذه المكتبة كتابنا هذا ((التحفة اللطيفة))"(١١١).

ويؤكد ذلك أيضا ابن دهيش فيقول: "وفي أثناء الحرب العالمية الأولى اضطرب الوضع في الحجاز وأعقب ذلك ثورة الشريف حسين بن علي واستيلاءه على مكة المكرمة في اليوم التاسع من شهر شعبان عام ١٣٣٤هـ الموافق ١٠ يونية ١٩١٦م، وأثناء تلك الفترة توترت العلاقات بين الشريف والدولة العثمانية وَكَردٍّ فعل لثورة الشريف وانفصال معظم مدن الحجاز عن الدولة العثمانية، قامت السلطات العثمانية الحاكمة في المدينة بجمع أثمة وأحسن المخطوطات والكتب من مكتبات المدينة العامة وخاصة من المكتبة العثمانية ونقلها إلى دمشق ووضعت تلك الثروة العلمية في القشلة السليمية "قلعة سليم باشا" وجعلت عليها الحراسة اللازمة. وعندما اضطرب الوضع السياسي في سوريا وأخذت القوات العثمانية في الجلاء عنها قامت السلطات العثمانية الحاكمة باختيار أثمة وأندر المخطوطات والكتب الثمينة التي سبق أن نقلتها من المدينة المنورة إلى دمشق ونقلتها معها إلى اسطنبول وتركوا باقي تلك المخطوطات والكتب في مكانها في القشلة في دمشق. وقد وضعت الكتب المنقولة إلى اسطنبول في حوالي ثلاثين كيسا من الخيش وحفظت في مكان يقال له سرايا توب كابو Top kapu وبعد الانتهاء من الحرب العالمية الأولى تم تعيين أولاد الشريف حسين حكاماً على المناطق التي عادت للسيادة العربية"(١١٢).

ومن بين ما استولى عليه الأتراك محتويات المكتبة المحمودية ومكتبة الشيخ عارف حكمت، وتم نقلهما إلى دمشق، حيث أعادها الشريف فيصل إلى مقرها بالمدينة المنورة. يذكر التونسي عن محمد سعيد دفتردار: "وقد مرت هذه المكتبة بأحداث تاريخية، كان أبرزها نقلها إلى استانبول ثم عودتها ثانية إلى المدينة، وذلك في آخر أيام الدولة العثمانية خلال الحرب العالمية الأولى، عندما خشيت الدولة على هذه المكتبة الضياع والتلف بسبب الحرب فأمرت بنقلها إلى استانبول، ولم تكد تصل إلى دمشق حتى اشتدت الحرب فبقيت هناك إلى أن أعادها الملك فيصل بن الحسين الهاشمي بعد أن دخل سورية عام ١٣٣٧هـ (١٩١٨م) بعد جلاء الترك عنها مع بعض أسر المدينة الذين كانوا قد هجروها إلى دمشق"(١١٣).

٢/٥/٣. أهل المدينة يطالبون الأتراك برد كنوز وآثار المدينة المنورة:

وقد بذل أهل المدينة عددا من المحاولات لاسترجاع الكنوز والآثار والكتب الموقوفة على المدينة المنورة، وكان من أولهم في ذلك الأمير علي بن الحسين، "وفي أثناء الحرب العالمية الأولى اضطرب الوضع في الحجاز وأعقب ذلك ثورة الشريف حسين بن علي واستيلاؤه على مكة المكرمة في اليوم التاسع من شهر

شعبان عام ١٣٣٤هـ الموافق ١٠ يونية ١٩١٦م، وأثناء تلك الفترة توترت العلاقات بين الشريف والدولة العثمانية وكرد فعل لثورة الشريف وانفصال معظم مدن الحجاز عن الدولة العثمانية، قامت السلطات العثمانية الحاكمة في المدينة بجمع أئمة وأحسن المخطوطات والكتب من مكتبات المدينة العامة وخاصة من المكتبة العثمانية ونقلها إلى دمشق ووضعت تلك الثروة العلمية في القشلة السليمية "قلعة سليم باشا" وجعلت عليها الحراسة اللازمة"(١١٤).

وبعد الانتهاء من الحرب العالمية الأولى ثم تعيين أولاد الشريف حسين حكاماً على المناطق التي عادت للسيادة العربية، "وعندما علم الأمير علي بن الحسين بما فعلته القوات العثمانية ونقلها لأثمن وأنفس المخطوطات والكتب من المكتبات العامة بالمدينة المنورة وخاصة من المكتبة العثمانية قام بالكتابة للمسئولين في تركيا طالباً منهم إرجاع ما نقلوه من مكتبات المدينة المنورة من ثروة علمية نادرة ولكن طلبة لم يستجب له. كذلك فإنه كتب إلى بعض المسئولين في دمشق يستفسر منهم عن بقية المخطوطات والكتب التي تركتها القوات العثمانية في القشلة السليمية وبعد البحث عنها وجد أنها قد تلفت عن آخرها وذلك بسبب السيول والعواصف الرعدية التي أصابت دمشق أثناء الحرب وما تعرضت له الكتب من تهب وسلب أثناء الاضطرابات السياسية التي أصابت البلاد في تلك الحرب العالمية الأولى"(١١٥).

وكان من بين من طالب بإعادة كنوز ومكتبات المدينة المنورة والد أسعد طرابزوني الذي ذكرنا سابقاً روايته عن ما تم سلبه من الحجرة المباركة والروضة الشريفة فيقول: "ولقد روى أبويا محمد سرور حكاية والدي عندما دخل على السلطان محمد رشاد ومعه القوائم بمحتويات الصناديق فصار السلطان يصرخ بصوت عالٍ ويعلن أنه لم يأمر بذلك ولم يعلم بحدوثه مطلقا"(١١٦). ولو كان السلطان صادقاً في قوله لأمر بإعادة هذه الأمانات فوراً إلى مكانها في المدينة المباركة، وفي الروضة الشريفة والحجرات الكريمة. ولكنه كان يعبر بأسلوب دبلوماسي ليرفع العار عنه، وليمكن الأتراك من الاستيلاء على كنوز وإرث المدينة المنورة، ويؤكد هذا ما ورد سابقاً في مطالبة الشريف علي بن الحسين الأتراك بإعادة ما سرقوه، وكذلك برقيات فخري باشا لاسطنبول للتأكد من وصول الشحنات لهم، وليس من المعقول أن السلطان لم يعلم بذلك، وآخرها في ذلك الوقت مطالبة السيد الطرابزوني الحسيني وهو أحد وجهاء المدينة للسلطان بإعادة ما تم الاستيلاء عليه وعرضه لقوائم بالمحتويات المسروقة. ولم تتم الاستجابة لأي من تلك المطالبات، لتظل كنوز المدينة المنورة المنهوبة مع المصحف الإمام في بلاد بعيدة وفي وسط غريب عليها إن لم يكن في الدين ففي اللغة على الأقل، لتعرضها المتاحف التركية للزوار بمختلف أطيافهم كتحف نادرة، بدلاً من أن تكون في موطنها حيث الروضة الشريفة والحجرات الكريمة والمنبر المُنيف، ليراها عموم المسلمين الذين يفدون للديار المقدسة كل عام كشاهد على ذلك التواتر العجيب للقرآن الكريم، حيث تلقاه الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم عن ربه، وخطه الصحابة الكرام على هذه النسخ الكريمة التي لم يبق منها ما هو مؤكدٌ على تسلسله منذ ذلك الزمن إلى يومنا الحاضر إلا هذه النسخة الكريمة

منه، التي ظلت محفوظة مصانة في المدينة المنورة على مدى ثلاثة عشر قرناً من الزمان، إلى أن سلبها وللأسف الشديد الجنود الأتراك قبل قرن من الزمان. فمتى تعود الأمانات إلى أهلها، وتتزين الروضة الشريفة والحجرة الكريمة بعودة مصحفها إليها؟.

٦/٣. دور المكتبات الوقفية بالمدينة المنورة في حفظ المصاحف و المخطوطات:

بالرغم من كل ما تعرضت له مكتبات المدينة المنورة من الكوارث الطبيعية، والتعديات البشرية، فقد حفظت لنا كنوزاً ونوادر ثمينة تمثلت فيما تحويه مكتبات المسجد النبوي الشريف، ومكتبة المصحف، وكذلك المكتبات الوقفية التي تم تجميعها في مكتبة المسجد النبوي الشريف، ثم في مكتبة المدينة المنورة العامة، والتي نقلت لاحقاً إلى مكتبة الملك عبد العزيز.

وإضافة لما تحويه مكتبة المسجد النبوي الشريف، ومكتبتي المصحف، والمكتبات الوقفية الأخرى المدمجة في مكتبة الملك عبد العزيز من المخطوطات، توجد مكتبات وقفية أخرى بالمدينة المنورة تحتوي على نوادر المصاحف والمخطوطات، مثل مكتبة رباط مظهر، ومكتبة السيد حبيب محمود التي تم افتتاحها قبل ثماني سنوات كمكتبة وقفية عامة، في مبنى من الطراز الحديث ومجهزة بالنظم الإلكترونية لخدمة الرواد. وقد توصلت هذه الدراسة إلى حصر المصاحف والمخطوطات التي لازالت محافظاً عليها في مكتبات المدينة المنورة الوقفية، والتي يوضحها الجدول رقم (٣) الذي تم تجميع إحصائياته من واقع السجلات ومن خلال الزيارات الميدانية والمقابلات الشخصية مع المسئولين في مكتبات المدينة الوقفية، وللعلم فإن بعض المعلومات الواردة في الكتب أو الأدلة تختلف عن الواقع، فاعتمد الباحث على مسحه الميداني، وأضاف للجدول خانة عن نوع المكتبة، وأخرى عن موقعها.

ومن خلال الجدول رقم (٣) يتضح أن المكتبات الوقفية بالمدينة المنورة حفظت ما يزيد على الألفين من المصاحف النادرة، التي يحفظ معظمها في مكتبة المصحف الشريف، وتضم هذه المكتبة مجموعة تقدر بـ (١٨٧٨) ألفا وثمانمائة وثمانية وسبعين مصحفا من المصاحف الخطية النادرة القديمة (للقران الكريم) يمتد تاريخها إلى العصر العباسي، بالإضافة إلى (٨٤) أربع وثمانين ربعة قرآنية. وهذه المكتبة كانت في الروضة الشريفة. حيث تمّ ضمُّ بقية المصاحف المخطوطة إليها ليتم تأسيس مكتبة المصحف بتوجيه من الملك فيصل بن عبد العزيز، وكان مقرها في الدور العلوي فوق باب خوخة الصديق بالمسجد النبوي، ونقلت مكتبة المصحف الشريف بعد سنوات من تأسيسها من المسجد النبوي الشريف إلى مكتبة الملك عبد العزيز. وبمراجعة الجدولين رقم (١) ورقم (٢) ومقارنتهما مع الجدول رقم (٣) نجد أن هناك عددا من المكتبات تمت المحافظة عليها ولا زالت موجودة إلى يومنا هذا، بينما اندثر البعض الآخر ولم يعد لها وجود. ومن أمثلة المكتبات التي تم رصدها في الجدولين السابقين ولا زالت موجودة، مكتبة الشيخ عارف حكمت، والمحمودية، وبشير أغا، ورباط سيدنا عثمان، وقرة باش، والساقزلي، والكيلي ناظر، ورباط مظهر، وهي تحوي آلاف المخطوطات النادرة، وهي ما تبقى للمدينة المنورة من إرثها التاريخي العلمي، وحفظت ما يزيد على اثنين وعشرين ألفاً من المخطوطات القيمة.

جدول رقم (٣) مقتنيات المكتبات الوقفية بالمدينة المنورة من المصاحف والمخطوطات حالياً

الرقم	اسم المكتبة	نوع المكتبة	موقع المكتبة	العدد	ملاحظات
١	مكتبة المسجد النبوي	مكتبات المساجد	بالمسجد النبوي	٢٤٠٠	مخطوط
٢	مكتبة المصحف بالمسجد	= = =	= = =	٣٠٠	مصاحف خطية
٣	مكتبة المصحف الشريف	= = =	م الملك عبد العزيز	١٨٧٨	= = =
٤	= = = =	= = =	= = =	٨٤	ربعة قرآنية
٥	مكتبة الشيخ عارف حكمت	وقفية عامة	= = =	٤٣٨٩	
٦	= = = =	= = =	= = =	٦٣٢	مجاميع . وتحتوي على ٣٨٣٨ رسالة
٧	المكتبة المحمودية	= = =	= = =	٣٣١٤	
٨	مكتبة مدرسة بشير أغا	المدارس الوقفية	= = =	١١٧٩	
٩	مكتبة مدرسة الشفاء	= = =	= = =	٩٨٠	
١٠	مكتبة رباط قرة باش	مكتبات الأربطة	= = =	٨٢٠	
١١	م. رباط عثمان بن عفان	= = =	= = =	٧٦٠	
١٢	مكتبة مدرسة الساقزلي	المدارس الوقفية	= = =	٥٣١	
١٣	مكتبة رباط مظهر	مكتبات الأربطة	في منزلهم	٤٠٠	
١٤	مكتبة السيد حبيب	وقفية عامة	في حي أحد	٤٠٠	
١٥	= = = =	= = =	= = =	١١٥	مصاحف مخطوطة
١٦	مكتبة السيد صافي الجفري	وقفية خاصة	م الملك عبد العزيز	٢٠٢	
١٧	مكتبة مدرسة كيلي ناظري	المدارس الوقفية	= = =	١٩٢	
١٨	مكتبة المدينة العامة	وقفية عامة	= = =	١٧٨	
١٩	مكتبة مدرسة القازانية	المدارس الوقفية	= = =	١٥١	
٢٠	م. الشيخ عمر حمدان	وقفية خاصة	= = =	١٣١	
٢١	مكتبة المدرسة الإحسانية	المدارس الوقفية	= = =	١١٤	
٢٢	م الشيخ عبد القادر شلبي	وقفية خاصة	= = =	٨٨	
٢٣	مكتبة المدرسة العرفانية	المدارس الوقفية	= = =	٨٤	
٢٤	م الشيخ محمد الختني	وقفية خاصة	= = =	٥٢	
٢٥	مكتبة رباط الجبرت	مكتبات الأربطة	= = =	٢٥	
٢٦	م محمد الخضر الشنقيطي	وقفية خاصة	= = =	١٩	
٢٧	م محمد نور كتبي الحسني	= = =	= = =	٤	
		إجمالي المصاحف	والمخطوطات:	١٩,٥٢٢	
		الإجمالي مع	الرسائل	٢٢,٦٢٨	

٧/٣ـ ملخص تاريخ مكتبة المصحف بالمسجد النبوي الشريف:

ولأهمية هذه المكتبة وندرة محتوياتها نلخص مجمل تاريخها اعتمادا على ما تم إيراده من نصوص في هذا الفصل، فقد مرّ بنا أن أول كتاب أودع في المسجد النبوي الشريف كان نسخة من القران الكريم في زمن الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه وكان يبرزه كل غداة ليقرأه المسلمون، ثم حرص الخلفاء والحكام من

بعده، على تزويد المسجد النبوي بنسخ من المصحف الكريم، منذ زمن الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ثم الأمويين بإرسال الحجاج المصاحف إلى المدينة وغيرها من المدن، ثم إهداء الخليفة المهدي نسخا من القرآن الكريم إلى المسجد النبوي. وصولا إلى إهداء السلطان صلاح الدين الأيوبي للمسجد النبوي المصاحف والربعات والكتب، واستمرت مساهمة مختلف أفراد المجتمع على هذا المنوال إلى يومنا هذا.

وفي نهاية العصر العباسي تعرض المسجد النبوي لحريق في سنة ٦٥٤هـ، وقد تم تعويض المسجد النبوي بعد هذا الحريق بالعديد من المصاحف عوضا عما فقد منها، وكان بالمسجد عدة مصاحف بخطوط ملاحٍ موقوفة مخزونة في خزائن ساج بين يدي المقصورة خلف مقام النبي صلى الله عليه وسلم. وكان فيه كرسي كبير فيه مصحف موقوف عليه نفذ به من مصر، وهو عند الاسطوانة التي في صف مقام النبي صلى الله عليه وسلم، وإلى جانبه مصحفان على كرسيين يقرأ فيهما الناس، وليس في المسجد ظاهر سواهما. وفي زمن الأيوبيين نلاحظ أن صلاح الدين الأيوبي، لم يكتف بإرسال المصاحف إلى المسجد النبوي، بل زوده بشيوخ لقراءة القرآن وتعليم الناس، وأصبحت عادة من بعده.

بالانتقال إلى زمن المماليك نجد أن السلطان الأشرف قايتباي كان أكثر سلاطين المماليك اهتماما بإنشاء المكتبات وإيقافها في المدينة المنورة، ويتضح ذلك جليا بعمارته للمسجد النبوي بعد الحريق الثاني. وبين الحريق الأول الذي وقع في عام ٦٥٤هـ والحريق الثاني في عام ٨٨٦هـ ما يزيد على قرنين من الزمان، وقد توفر لمكتبة المسجد النبوي خلال هذه الفترة كم من الكتب ملأ عدة خزائن، هذا عدا المصاحف والربعات، وكانت بالمسجد النبوي خلوات للعلماء يحتفظون فيها بكتبهم التي تصل إلى المئات من المخطوطات كما هو حال مكتبة السمهودي في خلوته بالمسجد النبوي، وقد احترقت كتبه أثناء الحريق الذي شب بالمسجد في ذلك العام وتجاوز عددها الثلاثمائة مجلد حينها. وقد أتى الحريق على جميع سقف المسجد وحواصله وأبوابه وما فيه من خزائن الكتب والربعات والمصاحف، غير ما وقعت المبادرة لإخراجه وهو يسير وغير القبة التي بصحن المسجد، وسبق ذكر سلامتها في الحريق الأول.

وقد تم تعويض مكتبة المسجد النبوي عما فقدته من ذخائرها خلال الحريق الأول وعلى مدى قرنين من الزمان، وما تم إنقاذه كان يسيرا بالنسبة لما كانت تحويه من الكتب وهي في ذلك الزمن جميعها مخطوطات، ولنا أن نتصور كم كان عددها إذا كان للسمهودي وحده نحو ثلاثمائة مجلد. وبعد الحريق الثاني بادر السلطان المملوكي الأشرف قايتباي آنذاك بمعالجة الوضع برمته وعلى درجة عالية من الاهتمام والرعاية، وشيّد بناية رائعة ومُحكمة للمسجد النبوي. وأولى موضوع العلم عناية خاصة، فعوض مكتبة المسجد النبوي عما فقدته عبر الإهداء المباشر، وقام بإنشاء مدرسته الأشرفية الوقفية، وذلك عوضا عن الصالحية التي كان قد أنشأها صلاح الدين الأيوبي، وزودها بمكتبة تخدم طلبة العلم الدارسين بها، وقد استخدم السلطان أساليب عدة لخدمة العلم والتعليم بالمدينة المنورة، ومنها استخدامه الثقات ممن يحقق أهدافه، وإرساله نفائس الكتب مثلما فعل مع السمهودي، وعوض ما فات من المصاحف والربعات، وكذلك الكتب بعث بجانب منها ووعد بإرسال ما يحتاج

إليه، وأرسل الأمير قاسم الفقيه ناظرا على المسجد الشريف، وشيخا لخدامه، وهو محب للعلم وأهله، مغرم بتلاوة القرآن الشريف، لم ير على طريقته مثله في هذا الباب؛ فصار يباشر أمر الربعات والمصاحف بنفسه ومماليكه، واتخذ لها كراسي صغاراً يوضع عليها بالروضة الشريفة في أوقات الصلوات النهارية. وعند وصول بهاء الدين أبي البلقاء بن الجيعان المدينة المنورة كانت أحمال من كتب العلوم الشرعية قد وصلت معه، ووقفت بالمدرسة الأشرفية التي عرفت فيما بعد بالمحمودية.

وفي زمن الدولة العثمانية حافظوا على كنوز المدينة المنورة من المصاحف والمخطوطات والمقتنيات. وأتاحوا التلاوة فيها كما كان دأب الأولين، بل جعلوها مصدر دخل لأهل المدينة، الأمر الذي ساهم في تنشيط الحركة العلمية بها. وقد استحدث بعض السلاطين العثمانيين عدة طرق في التعبير عن حبهم للحرم النبوي الشريف، وعجزهم عن أداء مناسك الحج والزيارة، فخصصوا بعض الأوقاف السخية لمن يقوم بتلاوة القرآن الكريم وكتب الصحاح، بالإضافة إلى بعض الكتب الأخرى، داخل أروقة الحرم الشريف، رجاء المثوبة وطلب النصر على الأعداء من الله تعالى. وقد اقتدى بهم بعض الوزراء والباشوات، فنتج عن ذلك مصادر رزق جديدة لبعض علماء المدينة ومجاوريها. فعلى سبيل المثال، قام الوزير سنان باشا سنة ٩٧٤هـ/١٥٦٦م، بتوظيف ثلاثين شخصا لختم أجزاء القران الكريم كل يوم في الروضة المطهرة، وخصص لكل واحد منهم تسعة دنانير في السنة، وعين لهم شيخا وداعيا ومفرقا للأجزاء. ثم تبعه السلطان مراد الثالث فعين سنة ٩٨٨هـ/١٥٨٩م، مائة شخص من القراء وستة من المساعدين ... أما السلطان محمود الثاني فقد أوقف عددا من نسخ القرآن الكريم وكتب الحديث، وأحال قراءتها كل يوم إلى تسعة وثلاثين قارئا بأجور مماثلة ... أما في عهد السلطان عبد الحميد الثاني، فكانوا مائة وسبعة وخمسين، بأجور غير معروفة، لقراءة أشياء مماثلة لما في وقف السلطان محمود، وأضافت والدته ثمانية قراء آخرين لذات الغرض. ومن هذا يتبين حصول عدد كبير من سكان المدينة المنورة على مصادر رزق ثابتة من الأوقاف المذكورة. مما ساعد في تأمين بعض مطالب الحياة لعدد من الأسر المدنية. ومن خلال ما ذكر يتبين لنا أن العثمانيين حافظوا على مكتبة المصحف بالمسجد النبوي، وذلك بالحفاظ على ما ورثوه من عصر المماليك من المصاحف، وقاموا بتعيين قراء لها.

٨/٣ـ ملخص تاريخ مكتبة المسجد النبوي الشريف:

هي أول مكتبات المساجد الوقفية ظهورا في تاريخ الحضارة الإسلامية، وأول كتاب أودع فيها كان نسخة من القرآن الكريم الذي خطه الصحابة الكرام في زمن عثمان بن عفان رضي الله عنهم أجمعين، وظلت هذه النسخة في الحجرة المباركة بالروضة الشريفة لما يزيد على ألف وثلاثمائة عام، وقد سَلِمت هذه النسخة المباركة من كارثة الحريقين اللذين شبَّا في المسجد النبوي في القرنين السابع والتاسع الهجريين، ولكنها لم تسلم من نهب الأتراك لكنوز ومقتنيات المسجد النبوي الشريف والمدينة المنورة عموما، فتم نقلها إلى اسطنبول إثر حصار الأشراف لقوات الحامية التركية بالمدينة المنورة في زمن القائد التركي فخري باشا.

وبداية في زمن الدولة الأموية زوّد الوالي الأموي الحجاج بن يوسف الثقفي في القرن الأول الهجري المسجد النبوي بنسخ من القرآن الكريم، وكذلك الخلفاء العباسيون أيضا. وتتابع بعد ذلك العلماء والوجهاء في تزويد مكتبة المسجد النبوي الشريف بمختلف الكتب والمصنفات. وقبل نهاية الدولة العباسية تكونت في هذا المسجد مكتبة كبيرة كانت حصيلة ما وقفه الملوك والحكام والأثرياء في مراحل تاريخية مختلفة، وقد تم في عام ٥٨٠هـ، رصد خزانتين كبيرتين تحتويان على كتب ومصاحف موقوفة.

وفي نهاية العصر العباسي وقبل سقوط بغداد على يد التتار شب الحريق الأول بالمسجد النبوي الشريف. وتلف جميع ما فيه بدءاً من المنبر النبوي إلى الأبواب والخزائن والشبابيك والمقاصير والصناديق وما اشتملت عليه من كتب وكسوة الحجرة وكان عليها إحدى عشرة ستارة، ولم يسلم سوى القبة التي أحدثها الناصر لدين الله لحفظ ذخائر الحرم مثل المصحف الكريم العثماني وعدة صناديق كبار صنعت بعد الثلاثمائة. وسبب سلامة القبة المذكورة لكونها بوسط صحن المسجد وببركة المصحف الشرف.

وفي عصر المماليك شبَّ حريق هائل بالمسجد عام ٨٨٦هـ ، وهو الحريق الثاني، الذي أتى على معظم محتوياته، وسلم منه مصحف المدينة المعروف بالمصحف العثماني. وبسبب الفوضى تعرضت الكتب والمصاحف للعبث من ضعاف النفوس فانتهزوا الفرصة لبيع بعض مخطوطات المكتبات بأسعار زهيدة، كما نقل بعض تجار المخطوطات من المدينة المنورة آلاف المخطوطات النادرة والثمينة إلى بلدان آسيا وأوروبا وباعوها هناك، ولذلك احتوتها أشهر مكتبات العالم. وقد عوضها عن ذلك السلطان قايتباي بما أرسله من المصاحف والكتب، إضافة إلى الإهداء من مختلف الأقاليم الإسلامية.

وقبيل نهاية العصر العثماني كان المسجد النبوي الشريف عامرا بالكتب وهي آنذاك مخطوطات نادرة، وكانت تملأ الجانب الغربي منه، وذلك بخلاف المصاحف المخطوطة التي تم ذكرها سابقا، وسَلِمت المصاحف في معظمها من سيطرة وسلب القائد التركي فخري باشا لها، ولكن مكتبة المسجد النبوي لازال مصيرها مجهولا إجمالاً. لأن ما بقي من كتبها قليل جدا بالنسبة لما ذكره المؤرخون سابقا، بدءاً من الكتب التي عوض بها السلطان قايتباي المسجد بعد الحريق الثاني، أو الإهداء المستمر عبر القرون من الحكام والأمراء والعلماء في العالم الإسلامي طيلة السنين التالية، الأمر الذي أكده علي موسى في رسالته في وصف المدينة فقد كان الجدار الغربي للمسجد بالقرب من باب السلام فيه سبع خلوات في خوخة الصديق، وفيها كتب الروضة المطهرة غير المصاحف المصفوفة وراءها في الروضة للقراء. والمكان الذي يشير إليه هو نفس المكان الذي أمر الملك فيصل بن عبد العزيز بتخصيصه للمصاحف التي كانت في الروضة الشريفة، فكانت بداية لإنشاء مكتبة المصحف بالمسجد النبوي الشريف، وهذا يدل على خلو المكان من الكتب، بمعنى أنه تم الاستيلاء عليها ونقلها من ذلك المكان. ولعلها كانت جزءاً من الكتب التي استولى عليها فخري ونقلها إلى دمشق حيث تلف معظمها هناك، وتم نقل قسم آخر إلى اسطنبول، وهي التي كانت في القوائم التي عرضها الطرابزوني على السلطان محمد رشاد مطالبا بردها للمدينة، أو تكون مما أتلفه الجنود، فقد كان للجند الأتراك دور في تدمير المخطوطات وإتلافها عند

مغادرة المدينة المنورة. وبفضل ما تم الاستيلاء عليه من كنوز المدينة المنورة ومخطوطاتها تحول قصر (طوب قابو) إلى متحف بموجب القرار الذي أصدره أتاتورك في عام ١٩٢٤م، فتكوّن المتحف من العديد من المكتبات منها:

مكتبة المدينة المنورة وكان بها (٥٦٦) مخطوطاً، أرسلها فخري باشا وسُلِّمت إلى إدارة القصر عام ١٩١٧م، وقد أُخِذت هذه الكتب وغيرها أيضا من مكتبات السلطان عبد الحميد الأول والسلطان محمود الثاني (المحمودية بالحرم الشريف) والحاج بشير أغا، ومكتبة الشيخ عارف حكمت.

٣/٩ـ خلاصة:

كان للمدينة المنورة نصيب وافر من المكتبات الوقفية بأنواعها المختلفة، وقد شملت مكتبات المساجد ممثلة في مكتبة المصحف ومكتبة المسجد النبوي الشريف، إضافة إلى مكتبات الأربطة والزوايا والمكتبات الوقفية الخاصة والعامة، التي ذاع اسم كثير منها بين الباحثين والدارسين والمؤرخين، ومن أشهرها المكتبة المحمودية، ومكتبة الشيخ عارف حكمت، ومكتبة بشير أغا، وغيرها من المكتبات الوقفية، وهي لازالت باقية إلى اليوم وذلك بالرغم من كل ما تعرضت له من الكوارث الطبيعية والأخطاء البشرية. وقد حفظت هذه المكتبات الكثير من تاريخ وعلوم هذه الأمة، وما تضمه من المخطوطات شاهد على عظم الدور الذي قامت به في حفظ كنوز الحضارة العربية الإسلامية.

هوامـــش الفصل الثالث

١. **سورة العلق**: الآية (١ـ٥).

٢. ابن الأثير، **جامع الأصول من أحاديث الرسول**.- رقم ٥٨٢٥..

٣ـ السباعي، مكي نسيب. **مكتبات المساجد دراسة تاريخية**.- ترجمة هاشم فرحات السيد ومحمد جلال غندور. ط١.- الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٢٧،٢٠٠٦م، ص ٥٤-٥٥.

٤. المرجع السابق، ص ٥٥-٥٦.

٥. الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي. **مكتبة المسجد النبوي بين النشأة والتطوير**ـ ط١.- بيروت: بوك برودكشن، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م، ص٦٩.

٦. حمادة، محمد ماهر. **المكتبات في الإسلام: نشأتها وتطورها ومصائرها** .- ط٢ .- بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٣٨٩هـ ١٩٧٨م، ص٤٤.

٧. ابن دهيش، عبد اللطيف عبد الله. **المكتبات في مكة المكرمة نشأتها وتطورها عبر العصور**.- مكة المكرمة: جامعة أم القرى، ١٤٢٣هـ ، ص٥.

٨. حمادة...، **المكتبات في الإسلام: نشأتها وتطورها ومصائرها**، ص٤٥.

٩. البيتي، حسن عمر، **المقاصد التربوية للوقف**.- القاهرة: النهار للطبع والنشر والتوزيع، ١٤٢٤هـ، ص٨.

١٠. الحلوجي، عبد الستار. **لمحات من تاريخ الكتب والمكتبات**.- ط٢.- القاهرة: دار الثقافة العربية للطباعة والنشر والتوزيع،١٩٧٩م، ص٤٤.

١١. المرجع السابق، ص٤٤ ـ ٤٥.

١٢. مسند الإمام احمد بن حنبل. ج١٤، ص٢٥٧.

١٣. ابن بطال، علي بن خلف. **شرح البخاري صحيح البخاري**.- الرياض: مكتبة الرشد، ١/١٧٣.

١٤ـ جنيد، يحيى محمود ساعاتي/ **الوقف وبنية المكتبة العربية**.- الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م، ص٣٥.

١٥. السابق، ص٣٦.

١٦. المزيني، ابراهيم محمد. **الوقف وأثره في تشييد بنية الحضارة الإسلامية**.- بحوث ندوة المكتبات الوقفية في المملكة العربية السعودية، المدينة المنورة ٢٥ـ٢٧محرم ١٤٢٠هـ، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الرياض: مطابع الحميضي، ص١٧.

١٧. السمهودي، نور الدين علي بن أحمد. **وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى**.- ط٣.- مج١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ص٦٧١.

١٨. المرجع السابق، ص٦٦٧.

١٩. المرجع السابق، ص٦٦٧.٦٦٨.

٢٠. المرجع السابق، ص٦٦٨.

٢١. المرجع السابق، ص٦٦٨. ٦٦٩.

٢٢. المرجع السابق، ص٦٦٨.٦٦٩.

٢٣. الجابري...، **الحياة العلمية في الحجاز خلال العصر المملوكي**، ص٢٩٥.٢٩٦.

٢٤. المرجع السابق، ص٢٩٧.

٢٥. جنيد...، **الوقف وبنية المكتبة العربية**. ص٦٩.

٢٦ـ أمين، محمد محمد. **الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر (٦٤٨-٩٢٣هـ ١٢٥٠-١٥١٧م) دراسة تاريخية وثائقية**.- القاهرة: دار النهضة العربية،١٩٨٠م،ص٦٦.
٢٧. السمهودي...، **وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى**،ص٥٩٩ -٦٠٠.
٢٨. المرجع السابق، ص٦٠٣.
٢٩. حجار، طارق عبد الله. **المدارس الوقفية في المدينة المنورة دراسة تاريخية وصفية**.- جامعة أم القرى، مؤتمر الأوقاف الأول في المملكة العربية السعودية. مكة المكرمة: شعبان ١٤٢٢هـ، ص١٠٨.
٣٠. الواركلي، حسن. **أحباس المغاربة في الحرمين الشريفين**.- مؤتمر الأوقاف الأول في المملكة العربية السعودية، مكة المكرمة: جامعة أم القرى، شعبان ١٤٢٢هـ، ص٧٦.
٣١. حجار...، **المدارس الوقفية في المدينة المنورة**، ص١٠٩.
٣٢. السمهودي...، **وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى**، ص٦٠٤.
٣٣. أمين...، **الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر**، ص٢٣٥.٢٣٧.
٣٤. السمهودي...، **وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى**، ص٦٥٣.
٣٥. المرجع السابق، ص٦٤٧.
٣٦. المرجع السابق، ص ٦٣٣.٦٤١.
٣٧. المرجع السابق، ص ٦٤٤.
٣٨. الجابري...، **الحياة العلمية في الحجاز خلال العصر المملوكي** ص ٣٠٢.
٣٩. السخاوي، شمس الدين محمد. **التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة**.- الناشر السيد أسعد طرابزوني الحسيني، القاهرة: مطبعة دار نشر الثقافة، ،ج١، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، ص١١٣.
٤٠. جنيد...، **الوقف وبنية المكتبة العربية**، ص٦٩.
٤١. السخاوي...، **التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة**، ج٢، ص٢٠٩.
٤٢. المرجع السابق، ج٣، ص١٦.
٤٣. الجابري...، **الحياة العلمية في الحجاز خلال العصر المملوكي**، ص٢٩١.
٤٤. المرجع السابق، ص٢٩١.٢٩٢ .
٤٥. الواركلي...، **أحباس المغاربة في الحرمين الشريفين**، ص٧٢.
٤٦. المرجع السابق، ص٧٢.
٤٧. الجابري...، **الحياة العلمية في الحجاز خلال العصر المملوكي**، ص٣٠٢.٣٠٣.
٤٨. طارق عبد الله حجار، مقابلة في منزله بالمدينة المنورة، رجب/١٤٣٥، ٢١:٣٠.
٤٩. حجار...، **المدارس الوقفية في المدينة المنورة**. ص١٠٩.
٥٠. المرجع السابق، ص١١١.
٥١. الشهري، محمد هزاع. **المسجد النبوي الشريف في العصر العثماني (٩٢٣- ١٣٤٤هـ) "دراسة معمارية حضارية"**.- ط١.- القاهرة: دار القاهرة للكتاب، ٢٠٠٣م، ص ١٧-١٨.
٥٢. المرجع السابق، ص ٤٣٦-٤٣٧.
٥٣ـ موسى، الأفندي علي. **رسالة في وصف المدينة المنورة**.- القاهرة: دار الكتب المصرية، مخطوطة برقم: ٣١٦٩٠/١٦٤٤، ص ٣-٤.
٥٤. المرجع السابق، ص ١٨.
٥٥. الشهري...، **المسجد النبوي الشريف في العصر العثماني**، ص ٩٥.
٥٦. المرجع السابق، ص ٣٣٣-٣٣٤.

٥٧. التونسي، حمادي علي محمد . **المكتبات العامة بالمدينة المنورة، ماضيها وحاضرها.** (رسالة ماجستير) إشراف عباس صالح طاشكندي، كلية الآداب، قسم المكتبات والمعلومات، جامعة الملك عبد العزيز، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ص١.
٥٨. المرجع السابق، ص ١.
٥٩. المرجع السابق، ص ٢-٣.
٦٠. السخاوي...، **التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة**، ص. ك - ل.
٦١. التونسي...، **المكتبات العامة بالمدينة المنورة، ماضيها وحاضرها**، ص ٤.
٦٢- ابن دهيش، عبد اللطيف عبد الله. "مكتبات المدينة المنورة في العهد العثماني" **مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية**، جامعة الملك عبد العزيز، السنة٣، ع٣، مكة المكرمة: فرع جامعة الملك عبد العزيز، ٩٧/١٣٩٨هـ، ص ٩-١٠.
٦٣. التونسي...، **المكتبات العامة بالمدينة المنورة، ماضيها وحاضرها**، ص ٦.
٦٤. المرجع السابق، ص، ٢٥.
٦٥. الواركلي...، **أحباس المغاربة في الحرمين الشريفين**، ص ٧٨.
٦٦. ابن دهيش...، "مكتبات المدينة المنورة في العهد العثماني"، ص ١٣-١٤.
٦٧. موسى...، **رسالة في وصف المدينة المنورة**، ص١٩.
٦٨. الصديقي...، **أثر الوقف الإسلامي في الحياة العلمية بالمدينة المنورة**، ص ١٩٥-١٩٦.
٦٩. المرجع السابق، ص ١٩٦-١٩٧.
٧٠. المرجع السابق، ص ١٩٧.
٧١. باجودة، محمد عبد الله. **نثر القلم في تاريخ الحرم**.- ط٢.- الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، ص٥٧.
٧٢. التونسي...، **المكتبات العامة بالمدينة المنورة، ماضيها وحاضرها**، ص، ح - ط.
٧٣. ابن دهيش...، "مكتبات المدينة المنورة في العهد العثماني"، ص ١٤.
٧٤. التونسي...، **المكتبات العامة بالمدينة المنورة، ماضيها وحاضرها**، ص ٨.
٧٥. المرجع السابق، ص ١٦.
٧٦. حافظ، علي. **فصول من تاريخ المدينة المنورة**.- ط٣.- جدة: شركة المدينة للطباعة والنشر، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، ص ٢٥٥.
٧٧. التونسي...، **المكتبات العامة بالمدينة المنورة، ماضيها وحاضرها**، ص ١٠.
٧٨. ابن دهيش...، "مكتبات المدينة المنورة في العهد العثماني"، ص ١٠-١١.
٧٩. الصديقي...، **أثر الوقف الإسلامي في الحياة العلمية بالمدينة المنورة**، ص ٢٠٦.
٨٠. المرجع السابق، ص ٢٠٧.
٨١. المرجع السابق، ص ٢٠٤.
٨٢. التونسي...، **المكتبات العامة بالمدينة المنورة، ماضيها وحاضرها**، ص ١٠-١١.
٨٣. عبد الصمد محمد جان. أمين مكتبة عارف حكمت، مقابلة شخصية، ١٢رجب/١٤٣٥، ١٠,٣٠.
٨٤. ابن دهيش...، "مكتبات المدينة المنورة في العهد العثماني"، ص ١٢.
٨٥. المرجع السابق، ص١٣.
٨٦. الصديقي...، **أثر الوقف الإسلامي في الحياة العلمية بالمدينة المنورة**، ص ١٣١.
٨٧. حجار...، **المدارس الوقفية في المدينة المنورة**، ص ١٠٧.
٨٨. المرجع السابق، ص ١١٢.
٨٩. التونسي...، **المكتبات العامة بالمدينة المنورة، ماضيها وحاضرها**، ص ٤٥.

٩٠. حجار...، **المدارس الوقفية في المدينة المنورة**، ص ١١٣.

٩١. التونسي...، **المكتبات العامة بالمدينة المنورة، ماضيها وحاضرها**، ص ٣٨-٣٩.

٩٢. حجار...، **المدارس الوقفية في المدينة المنورة**، ص ١١٣-١١٤.

٩٣. التونسي...، **المكتبات العامة بالمدينة المنورة، ماضيها وحاضرها**، ص ٣٦-٣٨.

٩٤. حجار...، **المدارس الوقفية في المدينة المنورة**، ص ١١٤-١١٥.

٩٥. المرجع السابق، ص ١١٥.

٩٦. المرجع السابق، ص ١١٦.

٩٧. المرجع السابق، ص ١١٧.

٩٨. المرجع السابق، ص ١١٨.

٩٩. المرجع السابق، ص ١١٩.

١٠٠. التونسي...، **المكتبات العامة بالمدينة المنورة، ماضيها وحاضرها**، ص ٣٤.

١٠١. المزيني، عبد الرحمن سليمان . **مكتبة الملك عبد العزيز بين الماضي والحاضر**.- ط١.- الرياض: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ١٤٢٠هـ ، ١٩٩٩م ، ص ١٣٤.

١٠٢. التونسي...، **المكتبات العامة بالمدينة المنورة، ماضيها وحاضرها**، ص

١٠٣. المرجع السابق، ص ٤٢.

١٠٤. المرجع السابق ، ص ٤٢-٤٣.

١٠٥. ابن دهيش...، "مكتبات المدينة المنورة في العهد العثماني"، ص ١٣-١٤.

١٠٦. تركيا /www.ra.wikipedia.org/wiki

١٠٧. بدر، عبد الباسط. **التاريخ الشامل للمدينة المنورة**.- ط١.- المدينة المنورة، ج٣، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، ص٧٠.

١٠٨- ابن جبير الأندلسي، محمد بن أحمد. اعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة والمناسك .- ط١.- بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ص١٥٢.

١٠٩. موسى...، **رسالة في وصف المدينة المنورة**، ص٩.

١١٠. التونسي...، **المكتبات العامة بالمدينة المنورة، ماضيها وحاضرها**، ص ١١٣.

١١١. السخاوي...، **التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة**، ص، ك،ل.

١١٢. ابن دهيش...، "مكتبات المدينة المنورة في العهد العثماني"، ص ١١٢-١٣.

١١٣. التونسي...، **المكتبات العامة بالمدينة المنورة، ماضيها وحاضرها**، ص ١١.

١١٤. ابن دهيش...، "مكتبات المدينة المنورة في العهد العثماني"، ص ١٢.

١١٥. المرجع السابق، ١٢-١٣.

١١٦. السخاوي...، **التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة**، ص، ل.

الفصل الرابع

المكتبات الوقفية بالمدينة المنورة في العصر السعودي

٤/٠ . تمهيد:

لقد أولت الدولة السعودية منذ تأسيسها على يد الملك عبد العزيز رحمه الله، اهتماما ورعاية بالأوقاف بجميع أنواعها، فقامت بإنشاء إدارة عامة للأوقاف، تطورت فيما بعد فأصبحت وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد. وكان من ضمن مهامها الحفاظ والعناية بالمكتبات الوقفية المنتشرة في أنحاء المملكة وتطويرها. يقول يوسف إبراهيم الحميد عن ذلك في بحث له بعنوان (اهتمام الدولة السعودية بالمكتبات الوقفية) ضمن ندوة المكتبات الوقفية التي عقدت في مكتبة الملك عبد العزيز بالمدينة المنورة: "ولم يكن وقف المكتبات في مكة المكرمة والمدينة المنورة محدداً بزمن معين بل يأخذ شكل الاستمرارية، حيث نجد أن عدداً من المكتبات الوقفية ألحق بمكتبتي مكة ومكتبة الملك عبد العزيز بالمدينة المنورة عامي ١٤١٢هـ و ١٤١٣هـ ، وفي مدينة الطائف مكتبة عبد الله بن العباس الملحقة بمسجد ابن عباس تحوي عددا من المكتبات الوقفية، وفي محافظتي عنيزة والمذنب في منطقة القصيم نجد مكتبتي الصالحية والمقبل.

ومن هنا يتضح أن المكتبات الوقفية التابعة للوزارة في مدن المملكة العربية السعودية تشمل ما يلي:

١. مكتبة الملك عبد العزيز بالمدينة المنورة.

٢. مكتبة مكة المكرمة في مكة.

٣. مكتبة عبد الله بن العباس بمحافظة الطائف.

٤. مكتبة الشيخ محمد بن صالح المقبل بمحافظة المذنب.

٥. المكتبة الصالحية بمحافظة عنيزة"(١).

وقد اهتمت الدولة بهذه المكتبات وذلك لما تحتوي عليه من كنوز الإرث العلمي، وهيأت لها الأماكن المناسبة والرعاية اللازمة بما يتناسب وأهميتها، كما عينت عدداً من الموظفين للقيام بالمهام الموكلة إليها، وتقديم الخدمات اللازمة لروادها، إلا أنه لم يتعرض لمحتويات هذه المكتبات من المكتبات الوقفية المدمجة بها ولا أعدادها، إلا أنه تطرق لدور الوزارة في الحفاظ عيها ورعايتها فيقول: "وتضم هذه المكتبات نفائس ونوادر من المخطوطات التي استفاد منها الباحثون فائدة كبيرة ... ولأهمية هذه المكتبات فقد عملت الوزارة على تأمين خزانات لعرض هذه المخطوطات، وتكييف الأماكن الخاصة بها بما يتناسب مع وضعها ... وتسعى جاهدة إلى

ربط هذه المكتبات بشبكة آلية فيما بينها من جهة، وربطها بالمكتبات الأخرى مثل مكتبة الملك فهد الوطنية، ومكتبة الملك عبد العزيز العامة، ومدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية، وذلك لتعميم الفائدة وتسهيل الوصول إلى مختلف أوعية المعلومات في كل مكتبة"(٢).

٤/١. اهتمام الدولة السعودية بالمكتبات الوقفية بالمدينة المنورة

وبالنسبة للمدينة المنورة شملت عناية الدولة أيضا مكتبة المسجد النبوي الشريف، ومكتبة المصحف، والمكتبات الوقفية الأخرى مثل مكتبات الأربطة والمدارس الوقفية، والخاصة التي تم الحفاظ عليها من الضياع، وبالتالي تم الحفاظ على أكثر من عشرين ألف مخطوط نادر للقرآن الكريم، ومختلف العلوم سواء كانت علوما دينية أو اجتماعية أو العلوم البحتة، وأيضا بلغات مختلفة مثل التركية والفارسية إضافة إلى العربية طبعا. وقد رصدت هذه الدراسة معظم المخطوطات وتوزيعها على المكتبات الوقفية المختلفة، وهو ما يوضحه الجدول رقم (٣). وبالرغم من سلب القوات التركية بقيادة فخري باشا عند خروجها من المدينة المنورة مقتنيات الحجرة النبوية، والروضة الشريفة، ونهب بعض المكتبات والاستيلاء على نوادرها، كما تم شرحه سابقا، فلازالت المدينة المنورة تحتفظ بالكثير من إرثها العلمي والحضاري.

وقد ساهمت عناية وجهود الدولة السعودية في تجميع ذلك والمحافظة عليه بأشكال شتى، فشُكِّلَت الإدارات المختلفة بناء على مشورة من بعض وجهاء المدينة المنورة للحفاظ على ما بقي من المكتبات، فتم إعادة إنشاء مكتبة المسجد النبوي الشريف بتوجيه من الملك المؤسس عبد العزيز رحمه الله عام ١٣٥٢هـ، وذلك بناء على اقتراح من السيد عبيد مدني، الذي نقل عنه أنه أول من اقترح إنشاءها بالحرم النبوي حين كان مديرا لأوقاف المدينة المنورة، وذلك عام ١٣٥٢هـ عندما تقدم باقتراحه للملك عبد العزيز رحمه الله فوافق على ذلك. وكذلك تم إنشاء مكتبة المدينة العامة بأمر من الملك سعود بن عبد العزيز ليتم جمع محتويات المكتبات الوقفية المتناثرة حول المسجد النبوي في هذه المكتبة وذلك عند البدء في إزالة الأحياء الملاصقة للمسجد النبوي بغرض توسعته، وتم إعادة إنشاء مكتبة المصحف بالمسجد النبوي الشريف بتوجيه من الملك فيصل بن عبد العزيز، وهي تضم واحدة من أندر مجموعات المخطوطات للقرآن الكريم وأكثرها تنوعا، وهي مخطوطات أبدعتها الحضارة الإسلامية منذ العصر العباسي إلى الآن، وسيكتمل عقدها إن شاء الله بعودة المصحف الإمام من غربته في اسطنبول إلى موطنه في الحجرة المباركة بالروضة الشريفة في المدينة النبوية بإذن الله.

وبتوجيه من الملك فيصل بن عبد العزيز أيضاً تم البدء بإنشاء مكتبة الملك عبد العزيز للحفاظ على إرث المدينة المنورة العلمي والحضاري، وافتتحها الملك فهد بن عبد العزيز، وسيأتي تفصيل ذلك لاحقاً. وفي هذا الفصل من الدراسة، الذي يتناول حاضر المكتبات الوقفية بالمدينة المنورة سوف نستمر على نفس النهج السابق في تناول الحقبة التاريخية، وذلك باستعراض واقع مكتبة المصحف الشريف أولاً، ثم مكتبة المسجد النبوي ثم بقية المكتبات الوقفية.

وبداية نرصد ما كان موجودا من المكتبات بالمدينة المنورة في بدايات العهد السعودي الحاضر، وقد قام عدد من مؤرخي المدينة المنورة في العصر الحالي برصد المكتبات المختلفة التي لا تزال قائمة بالمدينة المنورة، ومعظمها كان مكتبات خاصة سواء كانت وقفية أم غير وقفية. وهو أمر يؤكد مدى حرص أهل المدينة على اقتناء الكتب وإنشاء المكتبات. ومعظم هذه المكتبات كان وقفيا، وبعضها كان خاصا أو تابعا لمدرسة ثم تحول برغبة أصحابها إلى مكتبات وقفية، ومن ذلك ما رصده على حافظ في كتابه **(فصول من تاريخ المدينة)** عند رصده للمكتبات بأنواعها المختلفة في بداية العهد السعودي الحاضر فيقول: "يوجد في المدينة المنورة مكتبات لبعض المدارس لم تضم للمكتبة العامة، كما توجد مكتبات خاصة لأهل المدينة المنورة فيها نفائس الكتب المخطوطة والمطبوعة نذكرها معتمدين على إحصاء لم يصل إلى درجة الحصر وهي:

١ . مكتبة مدرسة ذروان تحت نظارة آل المدرس.

٢ . مكتبة المدرسة الحميدية قرب حوش الجمال تحت نظارة آل توفيق.

٣ . مكتبة مدرسة العلوم الشرعية قرب المسجد النبوي في شارع الملك عبد العزيز تحت نظارة السيد حبيب محمود.

٤ . مكتبة دار الحديث قرب باب بصري تابعة للجامعة الإسلامية.

٥ . مكتبة الجامعة الإسلامية في سلطانة بالجامعة.

٦ . مكتبة دار الأيتام (دار الرعاية الاجتماعية) في باب المجيدي قرب ميدان المسجد النبوي الشمالي.

٧ . مكتبة آل صافي بدارهم في الساحة.

٨ . مكتبة آل هاشم بدارهم.

٩ . مكتبة آل المدني بدارهم.

١٠ . مكتبة آل أسعد بدارهم.

١١ . مكتبة آل البساطي في زقاق المحكمة القديمة قرب حوش الجمال.

١٢ . مكتبة آل الخياري بدارهم.

١٣ . مكتبة الشيخ عبد الباقي.

١٤ . مكتبة الشيخ عبد القادر شلبي لدى ابنه الشيخ سعيد شلبي.

١٥ . مكتبة المدرسة الثانوية في ميدان العنبرية.

١٦ . مكتبة آل الفقيه بدارهم لدى الشيخ جعفر فقيه.

١٧ . مكتبة آل الداغستاني لدى الشيخ عبد الحميد داغستاني ابن الشيخ محمد داغستاني رحمه الله.

١٨ . مكتبة آل البرزنجي بدارهم في باب المجيدي.

١٩ . مكتبة الشيخ محمد المختار (الجكني) الشنقيطي بداره بباب الكومة.

٢٠ . مكتبة الشيخ محمد الأمين (الجكني) الشنقيطي بداره.

٢١ . مكتبة آل البري .

٢٢ . مكتبة السيد محمود أحمد والسيد حبيب أحمد بدارهم في العنبرية .

٢٣ . مكتبة الشيخ محمد الخضر (الجكني الشنقيطي) بداره في حوش ورده بزقاق الطيار .

٢٤ . مكتبة الشيخ أحمد البساطي لدى ابنه محمود.

٢٥ . مكتبة السيد عبيد مدني بداره في شارع الجامعة الإسلامية.

٢٦ . مكتبة السيد أمين مدني بداره قرب ثنية الوداع.

٢٧ . مكتبة الأستاذ عبد القدوس الأنصاري.

٢٨ . مكتبة علي حافظ وعثمان حافظ"(٣).

ونلاحظ من خلال ما ذكره علي حافظ تنوع المكتبات ما بين وقفية وغير وقفية، وأنها لم تشمل جميع المكتبات بالمدينة المنورة، وبعضها يتبع مؤسسات تعليمية، ومعظمها خاص ولا زال بيد أصحابه. ومنها مكتبة مكتبة السيد حبيب (رقم٢٢) التي تم إنشاء مبنى كبير لها بجوار جبل أحد بعد وفاته لتصبح وقفية عامة ومفتوحة للجميع كما سيأتي. و مكتبة الشيخ محمد الخضر الجكني الشنقيطي (رقم٢٣) بداره في حوش ورده بزقاق الطيار، وقد انتقلت إلى دار ابنه محمد الأمين بالكتبية في بداية طريق قباء، وكان سفيراً للأردن في السعودية حينها، ثم ضمَّ إليها مكتبته وأوقفهما معا في مكتبة الملك عبد العزيز. وكذلك مكتبة آل صافي بدارهم في الساحة قم (٧)، ومكتبة الشيخ عبد القادر شلبي (رقم١٤) لدى ابنه الشيخ سعيد شلبي هما من المكتبات الوقفية المدمجة في مكتبة الملك عبد العزيز أيضا.

وفي مصدر آخر يقول حمادي التونسي: " وقد بلغت مكتبات المدينة المنورة في أواخر العهد العثماني ثمان وثمانين مكتبة موزعة ما بين مكتبات مدرسية ومكتبات أربطة ومكتبات خاصة، اطلعت على أسمائها لدى الشيخ جعفر فقيه، مدير عام مكتبات المدينة المنورة سابقا، ضم الكثير منها إلى مكتبة المدينة العامة"(٤).

والمكتبات التي رصدت تم حفظ بعضها في مكتبة المدينة المنورة العامة، والبعض الآخر تم ضمه إلى مكتبة الملك عبد العزيز، والبعض الآخر لا زال بيد الورثة أو ناظر الوقف، حيث إن بعضها متاح الاطلاع عليها مثل مكتبة مظهر، بينما لا يسمح في بقيتها بالزيارة إلا في نطاق محدود جدا. ويلاحظ أن بعض المكتبات غير مؤكد أنها موقوفة. وفيما يلي نستعرض المكتبات الوقفية القائمة حاليا بالمدينة المنورة، مع رصد بعض الملاحظات الهامة التي تتعلق بمخالفة شرط الواقف لتصحيح وضعها، الأمر الذي يساعد على تحقيق أكبر استفادة ممكنة من هذه المكتبات الوقفية. وكما هو متبع في هذه الدراسة سنبدأ بمكتبة المصحف الشريف، ثم مكتبة المسجد النبوي، ثم بقية المكتبات الوقفية المدمجة والمستقلة.

٢/٤ . مكتبة المصحف الشريف:

أول من وجّه بإنشاء مكتبة المصحف الشريف في المسجد النبوي الشريف، هو الملك فيصل بن عبد العزيز حيث أمر بأن تكون داخل المسجد النبوي الشريف، فتمّ التجهيز لها في الجهة الغربية من المسجد فوق مدخل باب الصديق، ورد في كتاب (**مكتبة المسجد النبوي النشأة والأثر**): " دعا إلى إنشائها الملك فيصل بن عبد العزيز رحمه الله، وقد تبعت وزارة الحج والأوقاف التي أنفقت على تكوينها من ميزانيتها في عهد وزيرها السيد حسن محمد كتبي، وقد افتتحها سمو الأمير عبد المحسن بن عبد العزيز أمير منطقة المدينة المنورة، نيابة عن جلالة الملك فيصل في موسم الحج ١٣٩١هـ بعد الحج مباشرة. وكانت داخل مبنى التوسعة السعودية الأولى، فقد أنشئت في علو المسجد النبوي الشريف بفنية وتصميم دقيقين، في الجدار الغربي من التوسعة السعودية فوق خوخة أبي بكر الصديق بحيث يقع باب المكتبة في داخل باب الصديق في الجانب الشمالي فيه الملاصق للباب مباشرة، ويصعد إليها بدرج، وكانت عبارة عن بهو مستطيل يمتد من الشمال إلى الجنوب، يستطيع الجالس فيها مشاهدة جموع المصلين بالمسجد النبوي من نوافذها الأربعة الداخلية الزجاجية"(٥).

ومحتويات المكتبة من المصاحف والربعات الحالية المودعة في مكتبة الملك عبد العزيز هي نفس المحتويات التي أمر الملك فيصل بن عبد العزيز أن يتمّ جمعها من الروضة بالمسجد النبوي إضافة إلى الأخرى لدى شيخ الروضة لتكوّن مكتبة المصحف "والمكتبة تحتوي على مجموعات كثيرة من المصاحف الخطية النادرة القديمة للقرآن الكريم المجمّعة من الحرم النبوي، إضافة إلى مجموعات أخرى جمعت من مساجد ومكتبات وقفية، تبلغ (١٨٧٨) مصحفاً، و(٨٤) ربعة قرآنية، ... وأما الأنصاري فقد أوصلها إلى (١٩٠٠) مصحفا مخطوطاً، وأما الخطراوي فذكر أن عددها يناهز الألفي مصحف. أوقفها المخلصون للدين الإسلامي على اختلاف وظائفهم وألقابهم وطبقاتهم، كهدايا للمسجد النبوي تيمناً وطلباً للمثوبة من الله"(٦). ويقول التونسي: "وأما مصاحفها فقد بلغت (١٧٧٤) مصحفا شريفا، كما توجد بالمكتبة ربعات قرآنية عددها (٨٤)، . ويشرح معنى الربعة نقلا عن الزمخشري أن المراد بالربعة صنوق مربع الشكل من خشب مغشى بالجلد ذو صفائح وحلق، يقسم داخله بيوتا بعدد أجزاء المصحف، يجعل في كل بيت منه جزء من المصحف . تعطي صورة كاملة عن تطور الكتابة المصحفية في مختلف العصور"(٧).

والاختلاف بين أقوال المؤرخين حول عدد هذه المصاحف يمكن حله بجمع أعداد مخطوطات المصاحف الموجودة حالياً بمكتبة المصحف المذكورة أعلاه مع تلك التي بقيت في مكتبة المسجد النبوي ولم تنقل إلى مكتبة الملك عبد العزيز ويبلغ عددها حوالي (٣٠٠) مصحفا مخطوطا فيتجاوز الإجمالي الألفي مصحف، كما هو موضح في الجدول رقم (٣). إضافة إلى استمرار إهداء المسلمين نوادر ما يملكونه وخاصة مخطوطات القرآن الكريم إلى المسجد النبوي، والتي كان من آخرها مخطوطة مذهبة أهداها أحد المسلمين الهنود لمكتبة المصحف الشريف بالمسجد النبوي.

١/٢/٤. المخطوطات القرآنية الموجودة حاليا بمكتبة المصحف:

تعود مقتنيات مكتبة المصحف الشريف إلى عصور سابقة تمتد إلى زمن العباسيين، "ويعود تاريخ أقدم مصحف إلى عام ٥٤٩هـ، وهي من أزهى فترات الإبداع في فنّ الخطوط العربية وهو بخط أبي سعيد محمد ابن إسماعيل بن محمد، وحجمه (٢٠x٣٠سم)، وتاريخ إهدائه سنة ١٢٥٣هـ، ويتميز بعض هذه المصاحف عن بعض بسمات وصفات مختلفة يصعب وصف كل واحد منها على حدة، إذ تعد كلّ نسخة من مصحف أو ورقة منه عملاً علمياً يحتاج للعرض والدراسة والبحث. ومن هذه المصاحف، مصحف مخطوط ذو حجم كبير مقاسه (١٤٢,٥x٨٠ سم)، ووزنه (١٥٤ كيلو جراما)، وهو بخط غلام محيي الدين سنة ١٢٤٠هـ. وتحفظ هذه المصاحف داخل خزانات خاصة بها مصنوعة من الخشب"(٨).

وتعكس المجموعة الضخمة من المصاحف والربعات القرآنية التي تملكها مكتبة المصحف مدى التنوع الذي ساهم في تكوينه العالم الإسلامي من أقصى الشرق إلى الغرب تعكس مدى اهتمام العلماء المسلمين بكتاب ربهم وعنايتهم به حفظاً ودراسة وتفسيراً وترجمة لمعانيه وخطاً وزخرفة، مما يعد ثروة علمية ثمينة لدراسة الخطوط وتطورها عبر العصور الإسلامية. "ولهذه المكتبة فهرس خاص بها ليستفيد منه الباحثون في معرفة مجالات علمية متعددة، مثل أنواع الخطوط وتطورها، المداد المكتوب به، الورق المستخدم للكتابة، ترجمات معاني القرآن الكريم، والقراءات المدونة على بعض النسخ، إلى غير ذلك من المجالات الصالحة لإثراء الدراسات العلمية الجادة"(٩).

وما ذكره المزيني آنفا يؤكد على أهمية العمل على إجراء المزيد من الدراسات على محتويات هذه المكتبة من قبل المتخصصين في تاريخ المكتبات الإسلامية، وكذلك المتخصصين في علم الوثائق وغيرهم. الأمر الذي يثري البحث في تخصصات عدة في مجال الخطوط ومكوناتها، ووسائط الكتابة من أنواع الورق والجلود المستخدمة والأحبار، وأنواع الزخرفة والتذهيب المختلفة الأنماط على امتداد تاريخ العالم الإسلامي، وغير ذلك من المواضيع الجديرة بالدراسة، هذا فضلا عن أن مخطوطات المكتبة تغطي حقبا تاريخية طويلة تمتد من العصر العباسي إلى العصر المملوكي وزمن الدولة العثمانية ولازال المسلمون يتنافسون في التعبير عن حبهم لهذا المسجد المبارك. وما ذكره مدير قسم المخطوطات بمكتبة المسجد النبوي في مقابلة معه قوله: "إن الإهداء

لمكتبة المسجد النبوي لا زال مستمرا، وكان من آخر ذلك إهداء أحد مسلمي الهند لمكتبة المسجد النبوي قبل أشهر مخطوطا نادراً للقرآن الكريم مكتوب بماء الذهب ويعود تاريخه إلى قرون سابقة"(١٠).

وكانت هذه المصاحف محفوظة في الروضة الشريفة عبر القرون الماضية، وقد رصد أيوب صبري . جدول رقم (١) أن عددها في الروضة الشريفة كان (١٨٠١)، بينما تذكر سالنامة ولاية الحجاز جدول رقم (٢) أن عددها كان (١٠٨١). ويبلغ عددها في عهد الدولة السعودية الحالي (٢١٧٨) مصحفاً مخطوطا، كما هو مبين في جدول رقم (٣) في نهاية الفصل السابق، في الفقرة التي رصدت فيها هذه الدراسة محتويات المكتبات الوقفية بالمدينة المنورة من المخطوطات، وهي الآن موزعة بين قسمي مكتبة المصحف، فالقسم المودع بمكتبة الملك عبد العزيز يحتوي على (١٨٧٨)، هذا فضلاً عن الربعات القرآنية التي يبلغ عددها (٨٤). والقسم الذي بالمسجد النبوي ذُكِر أن عدد المصاحف به (٢٧٠). وحسب إفادة عبد الله الحربي مدير قسم المجموعات الخاصة بمكتبة المسجد النبوي في المقابلة معه: "أن عددها وصل إلى(٣٠٠) مخطوطة للقرآن. ويذكر أن السبب في الاختلاف بين الإحصائيتين أن الأولى كانت عند طباعة الكتاب والثانية بعده، وخلال هذه الفترة أهدى عدد من المسلمين نوادر من المصاحف والمخطوطات كانت في حوزتهم للمسجد النبوي الأمر الذي زاد من حصيلته"(١١). وهذا نهج مستمر كما ذكرنا من بداية هذه الدراسة يتميز به المسلمون، وهو التنازل عن أنفس ما يملكونه ليكون وقفا لوجه الله، ابتغاء الأجر والمثوبة، ويظل الحرمان الشريفان يحظيان بالأولوية لمكانتهما في نفوس المسلمين.

ومن نوادر ما تحويه مكتبة المصحف:

. "مصحف منسوب للدولة العباسية، عدد أوراقه ٤٤١، وأسطر كل صحيفة ١٤ سطرا، مقاسه ٢٧x٢٩ وهو بخط النسخ، من أقدم المصاحف الموجودة بالمكتبة.

. مصحف يبدأ من سورة الفاتحة وينتهي بأول فصلت. وقد حرص الكاتب أن يكتب لفظ الجلالة في جميع الصفحات بالذهب، وكذا أسماء السور والفواصل. وهذا المصحف وقفه السلطان قايتباي رحمه الله عام ٨٨٩هـ (١٤٨٤م).

. أقدم مصحف على الورق العادي رآه (الخطراوي) في هذه المكتبة مكتوب عام ٥٤٩هـ (١١٥٤م) مساحته ٢٠x٣٠سم٢، وتاريخ إهدائه عام ١٢٥٣ هجرية (١٩٢٧م)، وهو مصحف متوسط الحجم.

. ومن المصاحف القديمة مصحف كبير يرجع تاريخه إلى عام ١٧١٠هـ (١٣١٠م) من إهداء السيد حسن بكباشي، وآخر من إهداء الحاجة عائشة صديقه خانم حرم صالح باشا فريد.

. وقد اطلعت بمكتبة عارف حكمت على مصحف نادر الوجود، كان موجودا بمكتبة المصحف، مقاسه ١٢٤,٥سم x ٨٠سم، مكتوب على رق غزال، وجلده مبطن بالقطيفة، وزواياه محلاة بمعدن لتقويته، بخط غلام محيي الدين سنة ١٢٤٠هـ (١٨٢٤)، غير مرقم الصفحات، ويبلغ وزنه ١٥٤كجم"(١٢).

وتقتني مكتبة المصحف الشريف، غير المخطوطات القرآنية، عدداً من التحف والنوادر كانت مودعة في نفس المكان المذكور آنفاً داخل المسجد النبوي القديم، فالمكتبة كانت "تتكون من غرفتين واحدة فوق الأخرى، السفلى تضم المصاحف؛ أما العليا ففيها بعض الآثار، وهي التي أطلق عليها البعض غرفة الستائر الذهبية، إذ كان يوجد بها ست وثلاثون ستارة ذهبية كتبت عليها بعض الآيات القرآنية بالخطوط الذهبية كتبها الخطاط مصطفى راقم أستاذ السلطان محمود العثماني ... وتضم المكتبة إلى جانب ذلك العدد الضخم من المصاحف لوحات خطية كتبها السلاطين وخطاط المسجد النبوي الشريف، وسجاجيد أثرية مكتوب عليها آيات قرآنية بأبدع الخطوط تزين جدران المكتبة، وشموع يصل طول بعضها إلى (٦٠سم) وعرضها (١٥سم)، وقواعد تلك الشموع مصنوعة من الفضة أو النحاس أضيف على شجرتين من النحاس لإضاءة الروضة الشريفة تتحول نهايات أغصانها على حاملات شموع. وتوجد بعض المباخر المصنوعة من الفضة الخالصة، وكذلك توجد نماذج مختلفة من أحزمة الكعبة المشرفة"(١٣).

واعتمادا على مصادر متنوعة يقول التونسي عن مكتبة المصحف: "افتتحت هذه المكتبة عام ١٣٩١هـ (١٩٧١م)، وفي عهد جلالة المغفور له الملك فيصل رحمه الله. وكان موقعها في الجهة الغربية من المسجد النبوي الشريف في علو خوخة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، في بهو واسع مستطيل مطل على الحرم النبوي الشريف، وتعتبر جزءا منه، وتعلوها غرفة أخرى وضعت فيها بعض الآثار، أطلق عليها محمد العيد الخطراوي غرفة "الستائر الذهبية" وقال في وصفها: "وعدد ما بها من الستائر ست وثلاثون ستارة ذهبية كتبت عليها بعض الآيات القرآنية بالأسلاك الذهبية ... وكل ستارة منها تحمل اسم المكان أو الباب الذي حدده صانعوها لتعلق عليه، كباب الشامي وباب التوبة وباب النساء وبعض حوائط الحجرة النبوية، وعليها زخارف فنية بديعة في الدقة والصنع واختيار الخامات، أما أرضيتها فمن الحرير الأخضر اللامع. رغم أنها صنعت عام ١٢٣٥هـ (١٨١٩م) فإن منظرها الزاهي يوحي إلى المشاهد بأن صانعها لم يغادر إلا منذ أيام قلائل.

وتحتوي المكتبة على ست خزائن خشبية مطعمة بالعاج والصدف على جانب كبير من الزخرفة والجمال، تشتمل كل خزانة على ثلاثة أبواب أخذ الأيمن منها والأيسر شكل محراب، والأوسط تميز بتجويفة أخذت شكل القبة، ومفصلات الخزائن كلها من الفضة وعلى جوانبها أيضا أعمدة فضية. وهذه الخزائن من إهداء أمينة هانم والدة الخديوي عباس الثاني عام ١٣٢٨هـ (١٩١٠م). وهناك خزائن حديثة أبوابها من زجاج فائقة الجمال. وتحتوي هذه المكتبة كذلك على أربع لوحات خطية فريدة، كتبت بخط بعض السلاطين مثل السلطان محمود والسلطان عبد المجيد، وهناك تسع عشرة لوحة زجاجية صغيرة عليها القرآن الكريم من سورة الفاتحة حتى سورة الكهف ومزينة بإطارات ذهبية، إلى جانب لوحات أخرى ثمينة لمشاهير الخطاطين ذات روعة وجمال.

وبالمكتبة شمعدانات يصل قطر بعض منها إلى ١٥سم وطولها ٦٠سم، ومعظم حوامل هذه الشمعدانات مصنوع من النحاس وقليل منه مصنوع من الفضة، أما المباخر فمعظمها من الفضة الخالصة. كما يوجد بها نخلتان من النحاس تتحول نهايات أغصانها إلى حاملات شموع. وهذه جميعها مما أهدي إلى الحرم النبوي الشريف لإضاءته وتبخيره، كما أن بها مجموعة من المفارش والسجاجيد التي أهداها بعض السلاطين وزوجاتهم إلى الحرم النبوي، ومعظمها مطرز بأسلاك الفضة والذهب. كما أهدى جلالة الملك فيصل إلى المكتبة عند افتتاحها قطعة من حزام الكعبة من مصنع مكة المكرمة"(١٤).

٢/٢/٤. نقل مكتبة المصحف من المسجد النبوي مخالف لشروط الواقفين:

أمر الملك فيصل رحمه الله بتخصيص مكان لمكتبة المصحف ضمن حيِّز المسجد النبوي مراعياً وموافقاً للأحكام الشرعية المعتمدة والمتفق عليها في هذا الموضوع، حيث أن كل ما أهدي للمسجد النبوي من الكتب والمصاحف فهو وقف عليه. ومرّ بنا سابقاً أن شروط الواقفين محترمة ولا يجوز التعدي عليها سواء بتغييرها أو الاعتداء عليها بنقل الكتب من مكانها لغير ضرورة مُلِحَّة لمصلحتها. وقد تعرض البحث لهذا الموضوع في الفصل الأول من هذه الدراسة وذكرنا قول عبد الجليل عشوب:" وأن شروط الواقف كأصله لا يصح الرجوع عنها إلا إذا شرط الواقف أن يغير فيها ما يشاء، ثم إذا غير مرة فليس له أن يغير أخرى إلا إذا اشترط أن يفعل ذلك مرارا وتكرارا"(١٥). ومثال ذلك ما أورده عن وقف مكتبة مدرسية والمعبر عنها بالخزانة فقال:" وإن وقف مكتبة على مدرسة بعينها وأعد لها خزانة كان الانتفاع بها قاصرا على أهل هذه المدرسة وليس لهم ولا لغيرهم نقلها من محلها. وإن وقفها على طلبة العلم وعين لها مكانا وضعها فيه فلكل طالب علم أن ينتفع بها فقيرا كان أو غنيا لاستوائهما في الحاجة إلى الانتفاع بالكتب، إذ ليس كل غني يجد كل كتاب خصوصا في وقت الحاجة إليه. لكن إن شرط الواقف ألا تخرج من ذلك المكان صح واتبع شرطه"(١٦). هذا فيما يخص المكتبة المدرسية الوقفية، فما بالك بمكتبات المساجد وهي آكد أنواع الوقف وخاصة إذا كان هذا المسجد بمكانة وحرمة المسجد النبوي الشريف.

وقد كانت مكونات مكتبة المصحف الشريف والتي أهديت له في صورة وقف عليه على مدى القرون الماضية، داخل حدود المسجد طوال السنين الماضية اتباعا لشروط الواقفين، وقد تم نقل مكتبة المصحف من المسجد النبوي الشريف الذي هو مكانها الأصلي إلى مكتبة الملك عبد العزيز بعيدا عن المسجد النبوي، في صورة مخالفة لشروط الواقفين، وذلك إثر توزيع الصلاحيات بين الإدارات الحكومية. يقول التونسي: "ولابد أن نسجل أولاً أسفنا الشديد لعدم تمكننا من مشاهدة هذه المكتبة، حيث إنها مغلقة منذ عام ١٣٩٦هـ (١٩٧٥م). أي منذ تأسيس الرئاسة العامة لشئون الحرمين الشريفين. واستمرت كذلك حتى وقتنا الحاضر عام ١٤٠٠هـ (١٩٨٠م)، حيث يجري العمل على نقلها إلى (مكتبة الملك عبد العزيز) الحديثة، التابعة لوزارة الحج والأوقاف"(١٧). وبناء عليه تؤكد هذه الدراسة على ضرورة احترام شروط الواقفين والتي أكد العلماء لزوم الأخذ بها. وذلك بأن تتم إعادة مكتبة المصحف الشريف إلى مكانها الأصلي بالمسجد النبوي، وذلك للأسباب التالية:

١. مراعاةً لشروط الواقفين، الذين أوقفوا هذه المصاحف النادرة وتنازلوا عنها للمسجد النبوي الشريف، لتكون في الروضة المباركة، وجوار المنبر النبوي، حيث يأرز الإيمان إلى هذه البقعة الشريفة، وكما تم التأكيد عليه سابقا،

أن شروط الواقفين محترمة ويجب الأخذ بها شرعا. وتؤكد الكتابات الموجودة على الكثير من هذه المصاحف أن إهدائها للمسجد النبوي الشريف، كما يوجد على الكثير منها ختم الروضة الشريفة والذي كان معمولا به في عصور سابقة. وفضلا عن ذلك أن مبدأ حيازة المسجد النبوي لمكتبة المصحف عند تأسيس الملك فيصل للمكتبة به يجعله صاحب الحق في الحفاظ عليها والرعاية لها، ويقطع الطريق على أي جهة أخرى في المطالبة بحيازة هذه المكتبة.

٢. فضلا عن الأمر الشرعي السابق وهو المعول عليه أساساً، نضيف هنا أن الأوامر الملكية لا يتم العدول عنها إلا بأمر سامي آخر، وهو ما لم يحدث ولا يتوقع أن يتعارض أمر ملكي مع أحكام الشريعة الإسلامية. إذ أنه من مبادئ الدولة السعودية الحكم بالأحكام الفقهية الصادرة عن الشريعة المباركة، وهو ما يؤكده نص المرسوم الملكي الذي أصدره الملك سعود بن عبد العزيز عند إنشاء مكتبة المدينة المنورة العامة، والتي تم فيها تجميع المكتبات الوقفية المتناثرة بالمدينة ونص فيه على احتفاظ كل مكتبة باسمها، والأخذ بشروط الواقفين، وسيرد نص المرسوم الملكي المذكور عند الحديث عن مكتبة المدينة المنورة العامة.

٣. تحتوي مكتبة المصحف الشريف التي تم نقلها من المسجد النبوي إلى مكتبة الملك عبد العزيز على (١٨٧٨) ألفاً وثمانمائة وثمانية وسبعين مصحفا مخطوطاً، و(٨٤) أربعاً وثمانين ربعة قرآنية، بينما تضم مكتبة المسجد النبوي الشريف حوالي (٣٠٠) مصحفا مخطوطاً، وكلها كما علمنا وقف على المسجد النبوي، وإعادة مكتبة المصحف إلى مكانها الأصلي يُكوّن وحدة في الموضوع ويثري مقتنياته من المخطوطات القرآنية، إضافة لما تحويه من نوادر طبعات القرآن الكريم التي أنجزت في أقطار شتى خلال العقود الماضية منذ ظهور الطباعة وإلى يومنا هذا، والتي سيرد ذكرها لاحقا، وتشمل أنواع القراءات، والتي سينعكس أثرها في التسهيل على الباحثين والدارسين، في الحصول على المعلومات من مكان واحد. وليكون المسجد النبوي حاضناً لأكبر مكتبة مخطوطات للقرآن الكريم في العالم، الأمر الذي يعزز من مكانته العلمية وإرثه الحضاري، كما هو الحال دائما.

٤. يفتقر المسجد النبوي لمتحف يليق بمكانته لتعرض فيه نوادر المخطوطات القرآنية، ومن المناسب العمل على تخصيص جزء من مكتبة المسجد النبوي التي ستكون ضمن التوسعة الكبرى لخادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز للمسجد النبوي والتي بدأ العمل بها حاليا، لتكون مقراً لمكتبة المصحف، وذلك بعد أن تتم إعادة القسم الأكبر إليها المدمج حاليا في مكتبة الملك عبد العزيز، وأن يخصص جزء من المتحف للمكتبة النسائية، وهو إنجاز آخر يضاف للإنجازات الكثيرة للدولة السعودية.

٣/٢/٤. طبعات القرآن الكريم القديمة المحفوظة في مكتبة المسجد النبوي:

تسابق الحكام والعلماء والأثرياء وغيرهم، منذ زمن الدولة الأموية والعباسية والمماليك والعثمانيين، على تزويد الحرمين الشريفين بأجمل وأروع المخطوطات القرآنية، والتي تمثل نوادرها المجمعة مكتبة المصحف

الشريف نموذجا رائعا لها، وذلك لفائدة العلماء والعباد لقراءة كتاب الله في مهبط الوحي حيث كانت تتنزل آياته وتتلى بين جموع الصحابة الكرام.

وفي زمننا الحاضر رصدت الحكومة السعودية ميزانيات ضخمة لتأمين المصاحف في الحرمين الشريفين لروادهما، وقامت بإنشاء مجمع ضخم لطباعة المصحف الشريف في المدينة المنورة (مجمع الملك فهد لطباعة المصحف) الذي ينتج سنويا ملايين النسخ التي تغطي حاجة الحرمين الشريف في مكة المكرمة والمدينة المنورة، ونسخ منه تهدى للحجاج والمعتمرين سنويا، وإضافة إلى ذلك قام المجمع بترجمة القرآن الكريم إلى حوالي (٦٠) من لغات العالم، إضافة إلى لغات الشعوب الإسلامية المختلفة وتم تزويد الحرمين الشريفين بنسخ كثيرة منها لفائدة الحجاج والمعتمرين والزوار.

ولا تكاد تخلو سارية من سواري المسجدين المقدسين بمكة والمدينة من مجموعات كثيرة من نسخ القرآن الكريم وتراجمه بما يغطي حاجة جموع القراء، ويذكر مدير إدارة المصاحف محمد الجهني في مقابلة معه: "أن عدد المصاحف في المسجد النبوي المخصصة للقراءة يبلغ حوالي ١٥٠ ألف، موزعة على الأدراج الخشبية في المسجد القديم، وكذلك المنصات الرخامية في التوسعات والساحات، إضافة إلى الدواليب النحاسية الموزعة في المسجد النبوي، ودواليب الألمنيوم، وذلك في القسمين الرجالي والنسائي، كما تم تزويده بنسخ للمكفوفين بلغة (برايل) موزعة في جوانب المسجد النبوي الشريف"(١٨). ويوضح الجدول رقم (٤) توزيع المصاحف بالمسجد.

ومن الميزات التي يتسم بها قسم المصاحف بالمسجد النبوي الشريف ولا يكاد يجاريه فيها مكتبة أخرى في العالم، أنه يحتوي على نسخ من القرآن المطبوع تغطي رقعتها الجغرافية امتدادا من اندونيسيا إلى أفريقيا، وصولا إلى دول غير إسلامية تمت طباعة القرآن الكريم فيها مثل روسيا وألمانيا، هذا فضلا عن معظم الدول العربية التي يتم طباعة القرآن الكريم بها، وذلك على امتداد تاريخي يزيد على مائة عام، أي منذ بدايات الطباعة إلى يومنا هذا، ولا يفهم من هذا أن ما توافر من نسخ القرآن المطبوعة والمودعة في قسم المصاحف بالمسجد النبوي تشمل جميع ما طبع من القرآن في العالم، ولكنها تجسيد حي لمحبة المسلمين لهذا المكان المبارك الذي تم فيه ختم القرآن على سيد الأكوان صلى الله عليه وسلم. وتفسير ذلك أن المسلمين القادمين للحج والعمرة والزيارة، يقومون بإحضار نسخ من القرآن الكريم، ويهدونها لمكتبة المسجد النبوي لتكون وقفا فيه. وعلى مرّ السنين تكونت في هذا المسجد مكتبة جديدة لنوادر طباعة القرآن الكريم في العالم.

و في مقابلة مع مدير إدارة المصاحف محمد الجهني يقول "إن عدد المصاحف التي تم الحصول عليها عبر هذا الإهداء وصل إلى (٥١١) نسخة مطبوعة، كل منها صادر عن مطبعة أو دولة مختلفة، وإن عدد النوادر منها . ويقصد بها المصاحف التي تجاوز تاريخ طباعتها (٥٠) عاما . بلغ ثمانين مصحفا، وتم تحويلها إلى قسم المجموعات الخاصة لتضم إلى النوادر في قسم المجموعات الخاصة"(١٩). وتختلف هذه المصاحف من حيث الحجم ونوع الحبر والخط، والقراءة المطبوعة مثل قراءة حفص أو ورش أو قالون...الخ.

٤/٢/٤. المسجد النبوي يهدي نسخ القرآن الكريم للمساجد حول العالم:

بما أن المسلمين لا زالوا بمختلف فئاتهم من الحجاج والمعتمين والزوار يهدون الحرمين الشريفين نسخا من الطبعات المختلفة للقرآن الكريم على مدار العام وإلى يومنا هذا، فكثير منهم يحمل عند زيارته للمسجد النبوي نسخا من القرآن ويضعها في المسجد ابتغاء الأجر والمثوبة من الله عز وجل، في صورة تعيد للأذهان تسابق الأولين بالتبرع بالكتب للمساجد والأربطة والزوايا...الخ، فقد نتج عن ذلك توافر كمية كبيرة من المصاحف تبلغ مئات الألوف.

يذكر سليمان صالح العبيد الذي كان مديرا لمكتبة المسجد النبوي لمدة تزيد على عشرين عاما في مقابلة معه أجريت ضمن هذه الدراسة، "أنه تكونت حصيلة كبرى من المصاحف جراء هذا الإهداء، تتجاوز أعدادها المليون مصحف سنويا، وبناء عليه تم منذ سنوات تكليف إدارة المصاحف بالمسجد النبوي . إضافة إلى مهامها الأساسية المتمثلة في ترتيب ومراجعة مكونات المصاحف بالمسجد النبوي وكذلك تراجمه المختلفة لفائدة رواد المسجد النبوي، تم تكليفها بجمع الفائض من هذا الإهداء وترتيبه ووضعه في كراتين، ومن ثم توزيعه عبر إدارة المصاحف كإهداء من المسجد النبوي إلى المساجد في مختلف الأقطار الإسلامية"(٢٠). وفي مقابلة مع مدير إدارة المصاحف محمد الجهني يقول: "أن الآلية المتبعة في هذا الخصوص تكون بإحضار المستفيد إفادة من الجهة المسئولة عن المسجد المهدى إليه، أو إثبات يفيد بأنه إمام لهذا المسجد وذلك ليحصل على نسخ مجانية من القرآن الكريم حسب حاجة المسجد المهدى إليه، ويذكر أن إجمالي ما تم توزيعه على المساجد في العالم الإسلامي لعام ١٤٣٣هـ بلغ حوالي مليون ونصف المليون نسخة من القرآن الكريم، وذلك على النحو التالي:

- وارد المسجد النبوي من المصاحف ١،٥٩٨،٢٨٧ مصحف.
- التوزيع على المساجد حول العالم ١،٤٩١،٢٤٦ نسخة.
- وللتسهيل على المستفيدين تم توزيع هذه الكمية الكبيرة على كراتين صغيرة، يحتوي كل كرتون على ١٨ مصحفا ليسهل حملها، وذلك بواقع ٨٢٨٤٧ كرتون تم توزيعها في العام المذكور.
- وإضافة للقرآن الكريم يهدي بعض المسلمين كتبا ورسائل للمسجد النبوي، ويذكر مدير الإدارة أنه بلغ عددها العام الماضي (١٤،٠٠٠) مطبوع يتم إهداء الفائض منها للمساجد حول العالم"(٢١).

ومن خلال ما سبق يتضح أن لمكتبة المسجد النبوي الشريف مهام أخرى تتميز بها عن غيرها من المكتبات تتلخص فيما يلي:

- أنها تضم أكبر تشكيلة من المخطوطات للقرآن الكريم يزيد عددها عن ألفي مخطوط وذلك باعتبار ضم مجموعة مكتبة المصحف التي في مكتبة الملك عبد العزيز إليها.
- أنها تؤمن لرواد المسجد النبوي أكثر من (١٥٠) ألف نسخة منوعة للقراءة، إضافة للتراجم.

- أنها تحتوي على أكبر مجموعة متنوعة من طبعات المصحف الكريم من مختلف أنحاء العالم تزيد على (٥٠٠) نسخة مطبوعة للقرآن، تغطي أكثر من مائة عام لعصر الطباعة.

- أنها تقوم بإعادة توزيع نسخ القرآن الكريم التي يتم إهداؤها للمسجد النبوي ويصل عددها إلى مليون ونصف نسخة سنويا كإهداء من قبل الحجاج والزوار، يتم إعادة توزيعها لفائدة المساجد حول العالم، عبر آلية منظمة تضمن الاستفادة منها فعلا.

جدول رقم (٤) توزيع المصاحف وترجمات القرآن الكريم بالمسجد النبوي الشريف

النوع	مصحف خفيف	مصحف باكستاني	مصحف جوامعي صغير	مصحف جوامعي كبير	تفسير ميسر كبير	تفسير ميسر صغير	ترجمة معاني القرآن	عربي كحلي الروضة	مصحف المكفوفين بريل	كتاب صحيح البخاري	كتاب صحيح مسلم	مصحف فاخر ممتاز	كتب أخرى
منطقة الحرم (الحرم العثماني والتوسعة السعودية الأولى)													
العدد	١٦٧٠٧	٩٨٦٤	٤٣٩٢	٣٠	٣٤٢	٢٦٦	١٣٢١	٦٧٠	٦٦	٧	١٠	١٢	-
منطقة التوسعة الغربية													
العدد	١٧٦٤٤	٣١٠٩	٢٧٦٠	٢٨	١٧٦	٢٩٣	٢٠٧٤	-	٦٦	-	-	-	-
قسم النساء الغربي													
العدد	٩٦٧٤	١٧٨٧	٧٧٠	-	٢٠٤	٥٤	٤٨٠	-	٤٢	-	-	-	-
منطقة التوسعة الشرقية													
العدد	١٦٦١٤	٢٩٦١	٢٦٥٠	٢٨	١٧٦	٢٣٦	١٥٤٢	-	٥٤	-	-	-	-
قسم النساء الشرقي													
العدد	١٢٧٥٣	٣٠١٢	٢٩٣٢	-	٢٣١	-	٨١٢	-	٦٠	٧	١٠	١٨	-
منطقة التوسعة الشمالية													
العدد	١٢٧٧٤	١٩٩٣	١٨٩٧	٢١	٢٥٦	١٧٤	٧٦٨	-	٦٦	-	-	-	-
منطقة السطح													
العدد	١١٧٤٨	٤٤٦٤	٣٣٠٠	-	-	١١٥	٤٩٥	-	-	-	-	-	-
غرفة الصمّ والمكفوفين في السطح													
العدد	٩٦	١٥	٣٦	-	١٢	٥	٨	-	١٨	-	-	-	٢
الإجمـــــــالـــــــي													
العدد	٩٨٠١٠	٢٢٣٢٧	١٨٧٢٧	١٠٧	١٣٩٨	١١٣٣	٧٥٠٠	٦٧٠	٣٧٢	١٤	٢٠	٣٠	٢

٣/٤. مكتبة المسجد النبوي الشريف:

١/٣/٤. إعادة تأسيس مكتبة المسجد النبوي الشريف في العهد السعودي:

اختلفت المصادر في تاريخ تأسيس مكتبة المسجد النبوي في العهد السعودي مع اتفاق معظم المؤرخين على أنها أنشئت في الحرم وباقتراح من السيد عبيد مدني. "الذي نقل عنه أنه هو أول من اقترح إنشاءها بالحرم النبوي حين كان مديراً لأوقاف المدينة المنورة. وذلك في عام ١٣٥٢هـ حيث اقترح على الملك عبد العزيز رحمه الله بإنشائها فوافق على ذلك. وكان أول مدير لها هو السيد أحمد ياسين الخياري. ذكر هذا القول الكثير ممن كتب عن تاريخ المدينة مثل الصيدلاني في كتابه (الدور التربوي للمسجد النبوي الشريف) حيث قال: أما المكتبة الموجودة حالياً داخل الحرم الشريف فقد تم إنشاؤها في هذا العهد السعودي في عام ١٣٥٢هـ حيث ذكر ذلك الأستاذ عبد القدوس الأنصاري نقلاً عن عبيد مدني شفاهة. كما ذكره صاحب آثار المدينة وغيره. وممن ذكر هذا القول أيضاً الدكتور محمد الوكيل في كتابه (المسجد النبوي عبر التاريخ). وكذلك ذكره التونسي في رسالته للماجستير. ويقول الصيدلاني في كتابه إن مدير المكتبة الشيخ سليمان بن صالح العبيد جزم بأن تاريخ تأسيس المكتبة كان سنة ١٣٥٢هـ ويستبعد غير ذلك، حيث قال في كتابه ما نصه: وفي مقابلة أجراها الباحث مع مدير عام التوجيه والإرشاد مدير مكتبة الحرم الحالي الشيخ سليمان العبيد ذكر أن تاريخ تأسيسها هو عام ١٣٥٢هـ. واستبعد أن يكون تاريخ تأسيسها في عام ١٣٥٩هـ بناء على إفادة أحد العاملين بالمكتبة سابقاً ويدعى مصطفى محمد العلوي السناري حيث ذكر له بأنه عمل بالمكتبة عام ١٣٥٨هـ "(٢٢).

ويؤكد ذلك التونسي رواية عن عبد القدوس الأنصاري أحد مؤرخي المدينة فيقول: "أنشئت هذه المكتبة عام ١٣٥٢هـ (١٩٢٣)، بناء على اقتراح السيد "عبيد مدني" مدني حينما كان مديراً لأوقاف المدينة المنورة في العقد السادس من القرن الرابع عشر. وكان أول مدير لها السيد "أحمد ياسين الخياري ١٣٢١-١٣٨٠هـ" (١٩٠٣-١٩٦٠م) المدرس بالحرم النبوي الشريف، والذي عين نائبا لرئيس لجنة المكتبات بالمدينة، فمديرا لمكتبة الحرم النبوي ثم مديرا للمكتبة المحمودية، كما عين قبل وفاته - رحمه الله - بعام واحد مديرا عاما لمكتبات المدينة المنورة ... ثم خلفه على إدارة المكتبة الشيخ "عبد الرحمن الزغيبي" وبعد وفاته عين الشيخ "حسن خاشقجي" ثم الشيخ "أحمد يوسف فارسي" وبعد إحالته إلى المعاش (تم) عين الشيخ صالح محمد القين المدير الحالي للمكتبة"(٢٣). ويقصدُ بالعام الحالي عام إعداده للدراسة (١٤٠١/١٩٨١).

ومنهم من يقول إنها أنشئت في عام ١٣٥٩هـ ، أورد هذا القول علي حافظ: "**مكتبة الحرم النبوي:** أسستها الحكومة السعودية سنة ١٣٥٩هـ وهي تحت نظارة الأوقاف، وموقعها في القسم الشمالي من المسجد النبوي بجوار باب عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وتشتمل على (٥٣٦٣) كتاباً منها (٤٨٠٩) كتب مطبوعة و(٥٥٤) كتابا مخطوطا"(٢٤).

ووافقه على هذا القول ابن أول مدير لها ياسين أحمد ياسين الخياري في كتابه (**صور من الحياة الاجتماعية بالمدينة المنورة**) فيقول: "مكتبة الحرم الشريف النبوي التي أسسها الوالد يرحمه الله الشيخ السيد/

أحمد ياسين أحمد الخياري عام ١٣٥٩هـ في الغرف في أعلى باب المجيدي واشتملت على كتب المكتبات الآتية.

١. كتب المؤسس الشيخ السيد أحمد ياسين أحمد الخياري وكذا كتب والده الشيخ ياسين الخياري.
٢. كتب الشيخ محمد أحمد العمري المغربي
٣. كتب الشيخ السيد/ مصطفى خليفة.
٤. كتب شيخ المحكمة الشرعية.
٥. كتب شيخ المدرسة الصادقية.
٦. كتب شيخ الروضة الشريفة.
٧. كتب الشيخ طوسون باشا.
٨. كتب الشيخ عبد العزيز الوزير.
٩. كتب ومطبوعات جلالة الملك عبد العزيز يرحمه الله.
١٠. كتب الشيخ عبد الكريم المصري الأزهري.
١١. كتب مكتبة الدكتور/ محمد حسين خان بهادر.
١٢. كتب مكتبة السيد عبد الماجد أسعد محيي الدين البخاري.
١٣. كتب كانت داخل أكياس عند شيخ الروضة.
١٤. كتب وهدايا من الناس المحبين"(٢٥).

وقد تم دمج الكثير من المكتبات الوقفية الخاصة بمكتبة المسجد النبوي الشريف، وعدد مخطوطات وكتب هذه المكتبات غير واضح، حيث لم يتم رصده في مصدر معتمد، وقد ذكر ياسين أحمد الخياري أسماء تلك المكتبات المدمجة من بين (٩٥) مكتبة مختلفة بالمدينة المنورة سردها في كتابه، وهذه المكتبات والتي ضمت إلى مكتبة المسجد النبوي الشريف حسب ترقيمه لها في كتابه وهي:

"٥٩. مكتبة السيد/ أحمد ياسين الخياري، بزقاق الشونة ضمت لمكتبة الحرم.
٨٣. مكتبة الشيخ الدكتور/ محمد حسين بهادر، ضمت لمكتبة الحرم النبوي.
٨٩. مكتبة مدرسة الصادقية، ضمت لمكتبة الحرم النبوي.
٩٠. مكتبة الشيخ السيد/ مصطفى خليفة، ضمت لمكتبة الحرم النبوي.
٩١. مكتبة الشيخ طوسون باشا، ضمت لمكتبة الحرم النبوي.
٩٢. مكتبة الشيخ عبد العزيز الوزير، ضمت لمكتبة الحرم النبوي.
٩٣. مكتبة الشيخ محمد أحمد العمري المغربي، ضمت لمكتبة الحرم النبوي.
٩٤. مكتبة الشيخ عبد الكريم المصري الأزهري، ضمت لمكتبة الحرم النبوي.
٩٥. مكتبة الشيخ السيد/ عبد الماجد أسعد محيي الدين البخاري ضمت، لمكتبة الحرم النبوي"(٢٦).

ويؤيد الباحث "ما ذهب إليه السيد عبيد مدني هو الأرجح لكونه هو صاحب الفكرة، ومن ذكر أنها تأسست بعد ذلك فإنه يعبر عن تطوير المكتبة وزيادة الكتب فأصبحت تسميتها بالمكتبة أكثر شهرة في السنوات المتأخرة"(٢٧). وقد تولى مسئوليتها بعد ذلك كل من:

. سليمان العبيد، والذي شهدت في زمنه المكتبة نمواً كبيرا، ضاعف من محتوياتها وإمكاناتها، فوصل عدد المخطوطات إلى ألفين مخطوطة، والكتب تجاوزت مائة ألف، وتم فتح القسم النسوي بمصلى النساء، وتمت زيادة القدرة الاستيعابية لرواد المكتبة، وكان من أهم الإنجازات التي سعى إلى تحقيقها إنشاء المكتبة الرقمية بالمسجد النبوي الشريف، والتي سيأتي الحديث عنها لاحقا.

واستكمالا لما ذكره التونسي عن مدراء المكتبة حيث حصرهم إلى زمن صالح محمد القين عندما كان مديرا للمكتبة إلى عام (١٩٨١.١٤٠١) نستكمل فيما يلي بقية المدراء الذين تعاقبوا على إدارتها منذ ذلك الحين وهم:

. "سليمان بن صالح العبيد: عمل مديراً للمكتبة بالمسجد النبوي عام ١٤٠٤هـ وحتى ١٤٢٨/٤/١٨هـ ولقد خطت المكتبة خطوات حثيثة أثناء إشرافه عليها فكثرت الكتب وتنوعت الأقسام وأدخل فيها التقنيات الحديثة" ثم عين بعد ذلك مديرا عاما للتوجيه والإرشاد بالمسجد النبوي الشريف.

. عبيد بن صالح العبيد: في ١٤٢٨/٤/١٨هـ صدر قرار تعيينه مديرا لمكتبة المسجد النبوي الشريف وتقاعد عن العمل في عام ١٤٣٥هـ.

. بدر رزيق العوفي وصدر قرار تعيينه مديرا لمكتبة المسجد النبوي الشريف اعتبارا من ١٤٣٥/٧/١هـ ولازال مديراً لها إلى وقت إعداد هذه الدراسة"(٢٨).

٢/٣/٤. موقع المكتبة في العهد السعودي:

مكتبة المسجد النبوي الشريف لم يكن لها موقع ثابت منذ نشأتها، بل انتقلت من مكان إلى آخر، وذلك حسب ظروف مشاريع تطوير وتوسعة المسجد النبوي الشريف عبر العصور، وآخرها التوسعة الكبرى التي أمر بها خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز والتي بدأ العمل فيها حاليا.

ولكن يبقى المقر الأساسي الذي بدأت فيه المكتبة بباب المجيدي، يذكر التونسي: "وكان مقر المكتبة في الطبقة العلوية من المسجد النبوي بباب المجيدي، والذي أزيل في مشروع توسعة الحرم، فنقلت المكتبة إلى مقر مجمع مكتبات الأوقاف الحالي، فأصبح يضم "مكتبة المدينة العامة والمكتبة المحمودية ومكتبة الحرم المدني". وفي أوائل عام ١٣٩٩هـ (١٩٧٨) انتقلت إلى مقرها الحالي في علو باب "عمر بن الخطاب" في الجهة الشمالية من الحرم النبوي الشريف. وكانت المكتبة تابعة لإدارة أوقاف المدينة، وحاليا تتبع الرئاسة العامة لشئون الحرمين الشريفين"(٣٠).

وقد تغير مكانها بعد ذلك، وخصص المكان السابق في وسط المسجد النبوي لمكتبة المخطوطات، ويمكن أن نلخص المواقع التي تنقلت بينها إلى وقت إعداد هذه الدراسة إلى أربعة مواقع (٣٠) هي:

الموقع الأول: باب عمر في الناحية الشمالية الغربية من المسجد النبوي: وكان الموقع الأول لمكتبة المسجد النبوي في مؤخرة المسجد النبوي من الناحية الشمالية الغربية، هذا ما ذكره السيد الوكيل حيث قال: وافتتحت المكتبة أول ما أنشئت في توسعة السلطان عبد المجيد – أي في مؤخرة المسجد – في الجهة الشمالية الغربية للحرم على يسار الداخل من باب عمر رضي الله عنه في الطابق العلوي. ووافقه على هذا القول (الصيدلاني) فقال: حين افتتحت هذه المكتبة كان مقرها في الطبقة العلوية من المسجد النبوي بباب المجيدي في الناحية الشمالية منه .

الموقع الثاني: مبنى مكتبة المدينة العامة، انتقلت المكتبة إلى مبنى مكتبة المدينة العامة بسبب إزالة مكانها حين شرع في توسعة المسجد النبوي الشريف الأولى في العهد السعودي حيث نقلت إلى مكتبة المدينة المنورة العامة التي أنشئت عام ١٣٨٠هـ وكان أول مدير لها الشيخ جعفر فقيه، فَخُصّص منها مكان لمكتبة الحرم وكان لها مدير وموظفون يديرونها أسوة بالمكتبات الأخرى التي جمعت في مبنى المكتبة العامة.

الموقع الثالث: باب عمر، لمّا اكتملت التوسعة السعودية الأولى أعيدت إلى مكانها الأول بباب عمر (رضي الله عنه)، حيث بني لها قسم خاص في الدور الأرضي.

الموقع الرابع: سطح المسجد النبوي، لما كثرت كتب المكتبة وتعددت قاعاتها كانت الحاجة ماسة إلى أن يتم جمعها في مكان واحد، حتى توفر الوقت على الباحثين وتريحهم من التنقل بين القاعات، فتم الرفع إلى معالي نائب الرئيس العام لشؤون المسجد النبوي طلباً بنقل المكتبة إلى مكان أكثر سعة لتجتمع القاعات في قاعة واحدة، فكان الاختيار لسطح المسجد النبوي في جهته الغربية، وتم إعداد المكان وتجهيزه بمتطلبات المكتبة الحديثة فانتقلت إليه المكتبة بجميع قاعاتها عدا قسم المخطوطات. فتم نقل جميع محتويات القاعات إلى سطح المسجد النبوي الغربي الشمالي، وذلك بتاريخ ١٤٢٨/١٢/٢٢هـ. وهي تقع يسار الخارج من باب العقيق، وهو الباب رقم (١١) والدخول إليها من السلم (١٠) المؤدي إلى سطح المسجد النبوي الشريف. وقد أصبحت المكتبة في وضع أفضل مما كانت عليه، حيث أصبحت الأقسام متجاورة في قاعة واحدة، مما يسهل على الرواد الحصول على الكتب وفي نفس المكان تتوافر شاشات الكمبيوتر المعدة للدخول على المكتبة الرقمية.

٣/٣/٤. خدمات الرواد والمستفيدين:

تقدم مكتبة المسجد النبوي الشريف العديد من الخدمات لرواده والمستفيدين منها، وذلك نظرا لمميزات التي تختص بها، يذكر علي العجلان المسئول عن العمليات الفنية وقاعات المطالعة بالمكتبة أن لمكتبة المسجد النبوي ميزات من أهمها(٣١):

. وجود هذه المكتبة داخل المسجد النبوي الأمر الذي يعطيها قيمة معنوية مميزة.

. طول فترة عمل المكتبة حيث تفتح أبوابها من الساعة الثامنة صباحا إلى الساعة العاشرة والنصف مساء، ويشمل ذلك كل أيام الأسبوع، وأيام الإجازات الرسمية، بمعنى استمرار العمل فيها طوال العام.

. استمرار تزويدها بالكتب بشكل شبه يومي، سواء عن طريق الشراء المباشر، أو الإهداء من قبل مختلف فئات الزوار، الأمر الذي زاد عدد دواليب الكتب خلال فترة وجيزة من (٣٥٨) دولابا في آخر إحصائية مطبوعة، إلى (٤٦٨) دولابا حاليا.

. تجاوزت أعداد العناوين (١٠٠،٠٠٠) مائة ألف عنوان، وبلغ عدد المجلدات مائة وخمسون ألف مجلد.

ويمكننا أن نلخص الخدمات التي توفرها المكتبة لروادها والمستفيدين منها بما يلي:

. تقدم المكتبة الخدمة لمختلف فئات المستفيدين مجانا، سواء كانوا باحثين أو طلابا، أو من الزوار مثل الحجاج والمعتمرين.

- توفير الخدمات الرقمية بالمكتبة وتشمل خدمات البحث في الفهرس الآلي، وكذلك البحث في الكتب الرقمية الموجودة على قاعدة معلومات المكتبة الرقمية، وتحميل الكتب على الأقراص المدمجة أو الفلاشات.

. توفير خدمات البحث في الفهرس الآلي عن طريق الإنترنت من خلال الدخول على بوابة مكتبة المسجد النبوي.

- توفير موظفين متخصصين يقومون بخدمة ومساعدة رواد المكتبة في الإرشاد، والحصول على الكتب التي يطلبونها.

- طول فترة فتح المكتبة حيث يمتد العمل بها من الثامنة صباحا إلى العاشرة مساء كل أيام الأسبوع ، وهو ما رغب كثيرا من الباحثين في قضاء إجازاتهم بالمدينة المنورة، فمنها زيارة ومنها استفادة من المكتبة.

. إرشاد الباحثين إلى الكتب التي يحتاجونها والموضوعات التي يطلبونها والرد على استفساراتهم.

. ترتيب الكتب في الدواليب ترتيباً هجائياً (أ – ب – ت – ث...إلخ). وترتيب أجزاء الكتاب الواحد تسلسلياً.

. إعادة الكتب إلى أماكنها أولاً بأول بعد إطلاع الرواد عليها، وتنبيه الرواد إلى عدم إعادة الكتاب بل تركه على طاولة القراءة بعد الانتهاء من قراءته. وجرد الكتب بصفة دورية للتأكد من وجودها كاملة وإبلاغ المسئول عن الكتب المفقودة.

. ملاحظة الكتب التي بها خطأ أو عدم وضوح في التصنيف أو الفهرسة أو التي تحتاج إلى تجليد أو ترميم أو عيوب مثل بياض في الصفحات أو خطأ في ترقيم الصفحات وما إلى ذلك وتسجيلها في بيانات خاصة، ثم تسليمها للمسئول عن تسليم واستلام الكتب مع مسئول القسم الفني لمعالجة الحالة فورا.

- مراقبة الرواد داخل القاعة لئلا يعبثوا بالكتب ويفسدوها مثل الكتابة عليها أو تمزيق أوراقها أو ثنيها أو سوء استخدامها أثناء القراءة والإبلاغ عمن يحصل منه مثل هذا العمل حالاً، مع تسليم الكتب التي عليها ملاحظات للمسئول .

- استقبال الزوار وتعريفهم بالمكتبة وما تحويه من كتب نفيسة وتقنية متقدمة. واستلام الكتب المهداة للمكتبة وتسجيلها ببيان خاص وعرضها على مدير المكتبة.

. تقبل الملاحظات والاقتراحات والشكاوي من الرواد وتسجيلها إن أمكن، ثم إرسالها إلى المسئول، أو إرشادهم إلى صندوق الملحوظات.

. المعالجة الفورية لأي تلف يحصل في الأثاث أو فقدان بعضه أو تعطل في مصادر الإنارة أو التكييف أو حاجة بعضه إلى الصيانة كاحتياج كرسي إلى تنجيد أو دولاب إلى دهان ونحوه. وملاحظة الأثاث والدواليب والكتب التي تحتاج إلى تنظيف وإبلاغ عامل النظافة بتنظيفها ومتابعة ذلك.

٤/٣/٤. قاعات المطالعة الرجالية والنسائية:

أ. قاعات المطالعة الرجالية:

بداية نشأة مكتبة المسجد النبوي الشريف كانت عبارة عن قاعة واحدة. "وبعد توسعة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز أصبحت تضم أربع قاعات. وفي عام ١٤٠٨هـ تم طلب الموافقة على توسعة المكتبة، وجاءت الموافقة بتوسعة المكتبة وبدئ بعمل التجهيزات للدور الأرضي بباب عمر بن الخطاب رضي الله عنه والأدوار العليا بباب عثمان بن عفان رضي الله عنه، وأصبح الدور الأرضي بباب عمر للقاعة الثانية، والدور الأرضي الثاني بباب عثمان بن عفان رضي الله عنه للقاعة الثالثة، والدور الأول لقسم المكتبة الصوتية ومكتب مدير المكتبة، والثاني لقسم المخطوطات وأصبحت على النحو التالي:

١- القاعة الأولى: وهي أساس المكتبة في باب عمر بن الخطاب رضي الله عنه،بالدور الأول.

٢- القاعة الثانية: وتقع بباب عمر بن الخطاب رضي الله عنه الدور الأرضي.

٣- القاعة الثالثة: وتقع بباب عثمان بن عفان رضي الله عنه الدور الأرضي.

٤- والقاعة الرابعة بباب عثمان بن عفان رضي الله عنه، وكانت تضم مكتب مدير المكتبة والمكتبة الصوتية ثم أصبحت قاعة للمطالعة بعد أن نُقل مكتب مدير المكتبة إلى باب (١٨)"(٣٢).

ب . قاعات المطالعة النسائية:

"كانت الكتب توفر للقسم النسائي عن طريق الإعارة من قاعات القسم الرجالي، وبعد أن كثرت الطلبات بتخصيص مكان للمطالعة خاص بالنساء، تمت الموافقة. وفي عام ١٤١٥هـ تم اختيار المكان وهو على يمين الداخل من باب (٢٤) بتوسعة خادم الحرمين الشريفين الشمالية للمسجد النبوي، وقد بدأ تجهيزه بمتطلبات المكتبة، وقام بذلك عدد من الموظفين المؤهلين لذلك، وزودت بالكتب والمراجع المهمة ووضعت فهارس للكتب التي أدخلت في المكتبة.

وكانت في أول أمرها عبارة عن قاعة واحدة في الدور الأرضي عند باب عثمان بن عفان رضي الله عنه وبدأت المكتبة فتح أبوابها في ١٤١٦/٥/١هـ .

وفي عام ١٤١٧هـ جهزت قاعة ثانية للاطلاع بالدور الثاني وبدأ العمل فيها في ١٤١٧/٦/١١هـ وبدأت تستقبل الزائرات. وفي عام ١٤١٨هـ تم تجهيز القاعة الثالثة بالدور الأول وافتتحت في ١٤١٨/١١/١هـ .

وعند افتتاح المكتبة كان مجموع ما فيها من الكتب لا يزيد عن (٥٦٨) كتاباً، وبعد مضي ستة أشهر على إنشائها زاد العدد إلى (٩٣٠) كتاباً وكتيباً، وأضيفت بعض اللغات مثل الإنجليزية والفرنسية والتركية والفارسية"(٣٣). وفي عام ١٤١٧هـ كانت المعارف الموجودة في المكتبة على النحو التالي :

"علوم القرآن الكريم – والتفاسير – والحديث النبوي الشريف وعلومه – والعقيدة – والأديان – وفقه المذاهب – والفقه العام – الفتاوى – والرقائق – والسيرة النبوية – واللغة العربية – والتراجم والأنساب – والتاريخ الإسلامي – وبعض كتب الاقتصاد الإسلامي – والقليل من كتب الطب.

وفي عام ١٤١٨هـ فتح قسم الإعارة، لموظفات المسجد النبوي ومنسوبات حلقات التحفيظ التابعة للمسجد النبوي وهذا القسم يضم مجموعة كبيرة من الكتب والأشرطة العلمية غالبها تختص بالأمور الشرعية الخاصة بالمرأة المسلمة.

وفي عام ١٤١٩هـ زاد عدد الكتب إلى (٤٣٨٦) كتاباً في فروع العلم المختلفة وقد أضيفت إلى ما سبق من أنواع المعارف المجاميع والأدلة والفهارس العامة، والموسوعات، وعلم القراءات، وأصول التفسير، وأصول الفقه، والأخلاق والآداب الإسلامية، والأذكار، والشعائر الإسلامية، والخطب والمساجد، والثقافة الإسلامية، وبعض كتب الجغرافيا ، والعلوم البحتة، وأهدي للمكتبة ما يقرب من (١٣٣) كتاباً.

وأضيف إلى المكتبة النسائية فهارس المخطوطات الموجودة في قسم الرجال، وكذلك فهارس لما تحويه المكتبة الصوتية من أشرطة مسجل عليها مواد علمية، من الدروس أو الخطب التي تلقى في المسجد النبوي أو الحرم المكي، وكذلك تسجيل المصحف كاملاً في صلاة التراويح في المسجد النبوي أو المسجد الحرام.

وفي عام ١٤٢٠هـ أدخل إلى المكتبة النسائية الحاسب الآلي وأضيف إليها بعض الكتب ليصل مجموع الكتب فيها إلى (٥١١١) كتاباً. وبلغ مجموع المعارف بها ٤٥ فرعاً، وخصص لكل قاعة نوع من المعارف لتهيئة الجو المناسب للقراءة من سعة المكان وهدوئه وسهولة الوصول إلى الكتب المراد الاستفادة منها. وفي عام ١٤٢١هـ بلغ عدد الكتب الموجودة بالمكتبة (٦٣٨٨) كتاباً في فروع المعرفة المختلفة وعدده (٤٩) فرعاً وعدد الكتب باللغة غير العربية (٤٦) كتاباً. وفي عام ١٤٢٢هـ كان عدد الكتب الجديدة (١٥٢) عنواناً، ووصل عدد المعارف (٣٨) وفي عام ١٤٢٣هـ أضيف إلى المكتبة (٢٩١) عنواناً، ومن المعارف (٤٥). وفي عام ١٤٢٤هـ (٣٠٤) عنواناً، ومن المعارف (٥٣) وفي عام ١٤٢٥هـ (٢٧٧) عنواناً ومن المعارف (٤٤) وفي عام ١٤٢٦هـ (٩٣١) عنواناً، ومن المعارف (٥٩). وفي عام ١٤٢٧هـ (٩٣١) عنواناً، ومن المعارف (٥٨) . وفي عام ١٤٢٨هـ (٢٢٤٦) عنواناً ومن المعارف (٦٦). وفي عام ١٤٢٩هـ (٢٠٣٢) ومن المعارف (٦٤) وفي عام ١٤٣٠هـ (٢٢٧٦) عنواناً، ومن المعارف (٦٨) وفي عام ١٤٣١هـ (١٧٥٥) عنواناً، ومن المعارف (٦٣) وفي عام ١٤٣٢هـ (١٦٣٣) عنواناً، ومن المعارف (٦٤) وفي عام ١٤٣٣هـ (٢٨٨١) عنواناً ومن المعارف (٧٠)"(٣٤). ويقصد بالمعارف فروع العلم المختلفة مثل علم المكتبات، وعلم النفس، والجغرافيا ...الخ.

٥/٣/٤. قسم المجموعات الخاصة:

وهو يتكون من ثلاثة أقسام على النحو التالي:

١/٥/٣/٤. قسم المخطوطات:

"وقد كان ضمن محتويات مكتبة المسجد النبوي ، وفي عام ١٤١٤هـ تم تخصيص مكان مستقل له بباب عثمان بن عفان رضي الله عنه في الدور الثالث ثم بعد ذلك ضم إليه مجموعة من الكتب النادرة ومجموعة من الكتب محدودة الاطلاع.

"يحتوي القسم على المخطوطات التالية:

. المخطوطات الأصلية والمجاميع: تبلغ حوالي (٢،٠٠٠) ألفي مجلد.

. والمخطوطات الرقمية (٥٠،٠٠٠) خمسين ألف عنوان .

. أما عدد المصاحف في قسم المخطوطات فهو أكثر من (٢٧٠) مصحفاً.

. والمخطوطات المصورة: (٢،٠٧٦) مجلداً"(٣٥).

وفي مقابلة مع رئيس قسم المجموعات الخاصة عبد الله الحربي قال: "أن عدد المصاحف المخطوطة تجاوز (٣٠٠) مصحف مخطوط حاليا، بينما وصل عدد المخطوطات في العلوم الأخرى إلى (٢٤٠٠)، وبالنسبة للمطبوع فقد وصل عددها إلى (١٥٠) مصحف، وأقدم نسخة طبعة في عام ١٣٠٣هـ ، ولازال العدد في ازدياد وذلك بسب استمرار وقف المسلمين من مختلف العالم لنوادر المخطوطات والمطبوعات التي يملكونها على المسجد النبوي الشريف"(٣٦).

وعلى وجه التفصيل "فالمخطوطات من حيث العموم تنقسم إلى: أصول خطية ومصورات ورقية ومصورات ميكروفيلمية ومصورات رقمية في شتى أنواع المعارف والفنون الإسلامية بالإضافة إلى مجموعة من المصاحف المخطوطة. وهذه النسخ الخطية تكون إما مفردة (كتاب واحد) أو مجموع (مجموعة رسائل في مجلد واحد).ويبلغ إجمالي ما يحتويه القسم من المخطوطات (٦٨٦٠) مخطوط ما بين أصول ومصورات منها:

(١،٠٠٠) نسخة خطية أصلية مفردة، (٢٤٢) مجموع تشتمل على (١،٤٤٣) رسالة خطية أصلية.

وقد تم تحويل جميع النسخ الخطية المفردة والمجاميع رقمياً.

(١،٩١٦) نسخة خطية مفردة مصورة ورقياً (٣٠٠) مجموع تشتمل على (٢،٥٠٠) رسالة خطية مصورة ورقياً، وقد تم تحويل ما يوازي ٩٠% من هذه المصورات الورقية رقمياً وما يزال العمل قائماً على تحويلها حتى نهاية عام ١٤٣٣هـ. و (٧٥٧) ميكروفيلم مقاس (٣٥ملم) جرى تحويله رقمياً، والمصورات الورقية وهي : النسخ المصورة من أصولها الخطية على أوراق، تتفاوت أحجام الورق المصورة عليها A4 ، B4 ، A3.

وتقسم المصورات الورقية إلى :

- (مصورات ورقية مفردة) ويبلغ عددها (١٩١٦) مصورة ورقية.

- (مصورات ورقية مجاميع) ويبلغ عددها (٣٠٠) تشمل على (٢٥٠٠) عنوان.

- والمصورات الرقمية الورقية يبلغ عددها خمسين ألف عنوان (٥٠٠٠٠)"(٣٧).

وهناك خطة تقوم عليها إدارة المكتبة بالتنسيق مع إدارة التوجيه والإرشاد وإدارة القسم لفرز وفهرسة هذا الكم الكبير من المخطوطات الرقمية الواردة عن طريق التبادل والإهداء، وتشرف عليها إدارة التوجيه والإرشاد ويعمل عليها فريق مشترك من الكوادر ذات الكفاءة في مجال فهرسة وتصنيف المخطوطات والحاسب الآلي، والذي من المتوقع أن يباشر العمل به في غضون المرحلة القادمة.

تخزين المخطوطات بالقسم :

لأهمية المخطوطات والعناية بها، فقد قامت وكالة الرئاسة العامة لشؤون المسجد النبوي بتجهيز مكان حفظ هذه النوادر بأحدث وأفضل نظم الحفظ الموجودة عالميا، واستقطاب أفضل الفنيين للعمل على العناية والمحافظة عليها وتزويد القسم بخزانات خاصة لحفظ المخطوطات من تأثير العوامل التي تضرها من حرارة ورطوبة وإنارة، ونوجز فيما يلي خطوات العناية والمحافظة على المخطوطات بالمسجد النبوي الشريف:

- توفر خزائن حديدية ذات أبواب مقفلة متقوبة من الجانبين أو الأعلى بحيث تسمح بتجدد الهواء داخل الخزانة ولها رفوف متحركة تسمح بخزن المخطوطات بأحجامها في الوضع الصحيح ويستعمل مساند من حديد للمحافظة على وضع المخطوطات في وضع عمودي وعدم ميلانها وأن ترفع هذه الخزائن عن الأرض وتبعد عن الجدران بما لايقل عن عشرة سنتمترات.
- وضع مادة تمتص الرطوبة في داخل الخزائن في علب بلاستيكية مخرمة تدعى سيليكا جيل (Silica Gel). لونها أبيض مائل للزرقة وعندما تكون مشبعة بالرطوبة يتحول لونها إلى الحمرة وفي هذه الحالة تجفف في فرن وتعاد مرة أخرى.
- توفير إضاءة كهربائية غير مباشرة على أن لا يستعمل الفلورسنت أو الإضاءة الزئبقية لاحتوائها على الأشعة فرق البنفسجية الضارة بالورق وفي كل الأحوال لا يسمح لأشعة الشمس من الدخول للمخازن.
- توفير درجة حرارة ورطوبة ملائمتين للمخطوطات حيث الحرارة والجفاف تؤديان إلى تكسر الورق وتساقط الحروف بينما زيادة الرطوبة تعمل على تحلل الأحبار وتعفن الورق، وأنسب حرارة ما بين (٢٠-٢٥) درجة مئوية ونسبة الرطوبة بين ٥٠-٦٠%.
- تزويد مخازن المخطوطات بأجهزة إطفاء جيدة ووسائل إنذار حديثة وفي كل الأحوال لا يستعمل الماء أو التراب في الإطفاء .
- وضع مساحيق ومبيدات بين أرفف الكتب وزوايا مخزن المخطوطات .
- تزويد المخازن بصناديق تعقيم وتبخير لمعالجة المخطوطات ومكافحة ما تحمله من آفات قبل خزنها.

- إتباع أسلوب التسلسل العددي في الخزن أي: أن المخطوطات تخزن حسب ورودها إلى المكتبة بوضع رقم تسلسلي على كعب المخطوطة لاستخراجه حسب رقمه وللمحافظة على بقاء الخزائن الخطية الخاصة متجاورة وليست مبعثرة بين المخطوطات.

- إلحاق قسم خاص لخزن المصورات والميكروفيلم على أن توضع في علب بلاستيكية مغلفة"(٣٨).

. فهرسة وتصنيف المخطوطات:

تعتبر الفهرسة والتصنيف من أجزاء الهيكل التنظيمي الهامة في القسم، وهي المصدر الرئيس والمعتمد للمعلومات المتعلقة بأهم مقتنيات القسم (المخطوطات والكتب النادرة) وعليه يوجد بالقسم عدد من المفهرسين المتخصصين من ذوي المستويات العلمية العالية والخبرات الجيدة يعملون على فهرسة وتصنيف المخطوطات ووضع كشافات وفهارس لها، وفق قواعد التصنيف المتبعة في نظام ديوي العشري العالمي للتصنيف مع تحوير بسيط يعتمد على الأرقام عوضاً عن الحروف ليتماشى مع احتياجات القسم، مع الإبقاء على التصنيف العام للفنون كما هو، وتتم فهرسة المخطوطات في بطاقات خاصة تحوي المعلومات الشاملة والتفصيلية عن المخطوط والتي نجملها في التالي:

(عنوان المخطوط – المؤلف – بداية المخطوط – نهايته – الناسخ – تاريخ النسخ – عدد الأوراق – المقاس – عدد الأسطر – ملاحظات – مصدر المخطوط (فيما إذا كان المخطوط مصورا من مصدر خارج مكتبة المسجد النبوي) – مصادر التوثيق – الواقف وتاريخ الوقف (فيما إذا كان المخطوط من الأصول) ومن ثم ترفق هذه البطاقة طي المخطوط. وبالتنسيق مع قسم الحاسب الآلي يتم تفريغ هذه البيانات من البطاقات في قاعدة البيانات وربطها عبر شبكة آلية للاستفادة منها عند البحث والتكشيف.

طباعة فهرس مخطوطات المسجد النبوي الشريف: قامت بإنجازه وكالة الرئاسة العامة لشئون المسجد النبوي عبر المتخصصين لديها في مكتبة المسجد النبوي الشريف وبالتعاون مع مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة. يقول سليمان العبيد في مقدمة الفهرس عن الطريقة المتبعة في فهرسته: "وقد روعي فيه ترتيب المخطوطات هجائيا بالعنوان وإعطاء كل مخطوطة رقما تسلسلياً، وتقسيمها حسب فنونها وتزويد كل مخطوطة بالمعلومات الضرورية التي تهم الباحث مثل: اسمها ومؤلفها وناسخها وتاريخ نسخها وبدايتها ونهايتها، كما ألحق بالفهرس كشافات تعين على الوصول للمخطوطة بطرق متعددة"(٣٩). وقد تمت فيه فهرسة (١٦٩٧) مخطوطة تملكها مكتبة المسجد النبوي الشريف، ويشتمل على(٢٦) موضوعا، إضافة إلى أنه يحتوي على مخطوطات بلغات غير العربية هي: التركية والفارسية والأردية.

٢/٥/٣/٤. قسم المطبوعات النادرة:

يقصد بالمطبوعات النادرة الكتب ذات الطبعات القديمة والحجرية. وهذه الكتب مع ما تمثله من مكانة وثقل علمي وتراثي فهي كذلك تحتل أهمية قصوى للمكتبة ذلك كونها النواة الأولى لمكتبة المطبوعات الحديثة، ناهيك عن أنها بجانب المخطوطات تمثل الجسر التاريخي وحلقة الوصل في تاريخ مكتبة المسجد النبوي الذي

يربط حاضرها الزاهر بالمنجزات مع تاريخها العريق. "وكل كتاب توافرت فيه إحدى الصفات التالية فهو كتاب نادر:

أ – ندرة الحصول عليه تجارياً وله قيمة تاريخية أو علمية.

ب– كون الطبعة الأولى لمؤلف ذي مكانة علمية.

ج– الطبعات التي تحمل تعليقات من مؤلفين بارزين.

د– كونه مما نشر قبل عام ١٣٧٠هـ داخل المملكة العربية السعودية أو خارجها.

هـ– كونه قديماً وذا تجليد فاخر جداً أو مذهباً أو مزخرفاً بالنقوش والأشكال الفنية أو المطعم تجليده بالمعادن والأحجار النفيسة.

ويبلغ عدد الكتب النادرة في مكتبة المسجد النبوي إجمالاً (٥٠٠٠) كتاب في شتى صنوف المعارف الإسلامية، تمت فهرستها وتصنيفها وفق تصنيف ديوي العشري، ويمكن القول إنها في ازدياد، فثمة بعض الباحثين والموقفين يساهمون بوقف كتب نادرة بين الفينة والأخرى على المسجد. ومما تجدر الإشارة إليه أنه من خلال التبادل المعمول به لإثراء محتويات القسم من المخطوطات جرى إدراج الكتب النادرة في إطار التبادل المعرفي بنسخ مصورة ورقية أو رقمية"(٤٠).

٤/٣/٥/٣. قسم الكتب محدودة الاطلاع:

ويقصد بها الكتب التي تحوي بعض المخالفات العقدية ويتاح الإطلاع عليها للباحثين وطلاب الدراسات العليا. وكان أول موقع مستقل لقسم الكتب محدودة الاطلاع يقع في باب (٢٢) على يمين الداخل من باب الملك فهد، ثم نقل إلى سطح المسجد النبوي مع المكتبة العامة، وقبل ذلك كان ضمن المجموعات الخاصة(المخطوطات – النادرة – محدودة الإطلاع) في باب عثمان عام ١٤١٤هـ.

وتوجد أقسام أخرى بمكتبة المسجد النبوي الشريف، مكملة لدور المكتبة ومساند لها في القيام بدورها، ونستعرضها فيما يلي بإيجاز:

٤/٣/٦. قسم الدوريات:

ولما للدوريات من أهمية للباحث فإن مكتبة المسجد النبوي أولتها عناية خاصة فجعلت لها قسماً مستقلاً، وفهرستها ورتبتها. وتعتبر (مجلة اليمامة) من أقدم الدوريات بمكتبة المسجد النبوي حيث يعود تاريخ إهدائها إلى شعبان ١٣٧٣هـ.العدد التاسع – السنة الأولى ، وهي صحيفة أسبوعية جامعة أسسها حمد الجاسر عام ١٣٧٢هـ.

"ويبلغ عدد الدوريات المودعة في مكتبة المسجد النبوي الشريف (٨٦)، وأكثر الدوريات طلباً: (مجلة مجمع الفقه الإسلامي ، ومجلة أم القرى، ومجلة الجامعة الإسلامية، ومجلة الفيصل ، ومجلة الدعوة، ومجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ومجلة رابطة العالم الإسلامي). وهناك دوريات علمية أخرى متخصصة مثل: مجلة الدارة، مجلة الطيران المدني، مجلة البناء، مجلة الفيصل، مجلة صحتك، مجلة قافلة

الزيت، ...الخ. وهي الآن في طور إعادة الترتيب، وهناك خطة للعمل على استكمال أعدادها الناقصة، وتحميلها رقميا"(٤١).

٤/٣/٧. قسم الفهرسة والتصنيف: يوجد في مكتبة المسجد النبوي قسم متخصص في مجال الفهرسة والتصنيف، وفيما يخص التصنيف يذكر علي العجلان أن المعتمد في المكتبة هو تصنيف ديوي المعدل، وأما فيما يخص الفهرسة فإن الإجراءات المتبعة فيها فتتم على النحو التالي (٤٢):

١. يختم الكتاب بختم المكتبة على الجانب العلوي من صفحة العنوان ويكون الختم وفق النموذج التالي(٤٣):

مكتبة المسجد النبوي الرقم المسلسل رقم التصنيف تاريخ الاستلام / / تاريخ الإرسال / /	نموذج ختم المكتبة مكتبة المسجد النبوي الرقم المسلسل

٢. تسجل الكتب والمواد الثقافية حسب ورودها زمنيا في بطاقات تحتوي نفس معلومات السجل العام إضافة إلى البيانات الأولية لتوصيف الكتاب ومحتواه وتوضع هذه البطاقة مع الكتاب لتتم مراجعتها.

٣. يوضع رقم السجل العام في مكانه على الختم الرسمي والختم السري.

٤. تعد بطاقة الفهرسة الوصفية والفهرسة الموضوعية للكتاب.

٥. ترسل الكتب لترتيبها على الرفوف حسب تصنيفها.

٦. لا تسجل الدوريات في سجل المكتبة وهي أجزاء أو أعداد.

٧. في نهاية كل عام تجلد أعداد العام في مجلد واحد وتعامل ككتاب يوضع عليه رقم التصنيف العام.

٤/٣/٨. المكتبات الوقفية المدمجة بمكتبة المسجد النبوي الشريف:

تتكون حصيلة مكتبة المسجد النبوي الشريف من الكتب والمخطوطات التي جمعها مديرها الأول والتي تم رصدها سابقا. وإضافة للإهداء المستمر بشكل يومي، فهناك أشخاص قاموا بالتبرع بمكتباتهم كاملة وتم دمجها في مكتبة المسجد النبوي الشريف، وفيما يلي رصد لها حسب تاريخ وقفها، (٤٣) وهي كالتالي:

١. مكتبة / الأمير عبد المحسن بن عبد العزيز آل سعود: تاريخ الوقف ١٤٠٦هـ.

٢. مكتبة / حسن أبو بكر قبول سندي: تاريخ الوقف ١٤١٢/٨هـ عدد العناوين (١٩٦) عنواناً.

٣. مكتبة / الشيخ حسين سعيد الطاهري: تاريخ الوقف ١٤١٥هـ .

٤. مكتبة / محمد الحافظ حميد الدين: تاريخ الوقف ١٤٢٠/١١هـ عدد العناوين(٥٦) عنواناً.

٥. مكتبة / الشيخ حسين المرحم: تاريخ الوقف ١٤٢٢/٩هـ عدد العناوين (٢٣١٧) عنوانا.

٦. مكتبة الدكتور/ حسن عواجي: تاريخ الوقف ١٤٢٦/٨هـ.

٧. مكتبة / الأستاذ / إبراهيم المحلاوي: تاريخ الوقف ١٤٢٨هـ عدد العناوين (١٩٧٠) عنواناً.

٨. مكتبة الشيخ/ محمد بن عثيمين الخيرية: تاريخ الوقف ١٤٢٩/١٢/٢٨هـ عدد العناوين (١٢٩٣) عنواناً.

٩. مكتبة الشيخ/ محمد علي ثاني: تاريخ الوقف ١٤٣٠/٢/٢٨هـ عدد العناوين (١٧٩) عنوانا.

١٠. مكتبة/ عثمان الصالح: تاريخ الوقف ١٤٣٠/٣/٦هـ عدد العناوين (٤٠٧) عنواناً.

١١. مكتبة طاهر أحمد المختار: تاريخ الوقف ١٤٣٠/٧/١٥هـ عدد العناوين (٩٩٦) عنواناً.

١٢. مكتبة/ محمد الحاج محمد بوجندار: تاريخ الوقف ١٤٣٠/٨/٢٨هـ عدد العناوين (٢٢٣) عنواناً.

١٣. مكتبة / محمد ضويعن الجهني: تاريخ الوقف ١٤٣٠/٩/٩هـ عدد العناوين (١٢٤) عنواناً.

١٤ـ مكتبة/ محمد عبد المجيد بن عبد الستار الأنصاري: تاريخ الوقف ١٤٣٠/١٠/٧هـ عدد العناوين (٧٩٨) عنواناً.

١٥. مكتبة/ حامد غلام: تاريخ الوقف ١٤٣٠/١١/٢٠هـ عدد العناوين (٢٧) عنواناً.

١٦. مكتبة/ مساعد الزهراني: تاريخ الوقف ١٤٣٠/١١/٢٤هـ عدد العناوين (٤٣٣) عنواناً.

١٧. مكتبة / وليد دخيل الصاوي: تاريخ الوقف ١٤٣٠/١٢/٢٩هـ عدد العناوين (٨٥)عنواناً.

١٨. مكتبة/ عبد الله المجددي: تاريخ الوقف ١٤٣١/١/٩هـ عدد العناوين (٢٣٤) عنواناً.

١٩. مكتبة / ظاهر رجاء الجهني: تاريخ الوقف ١٤٣١/٢/٤هـ عدد العناوين (٢٥) عنواناً.

٢٠. مكتبة/ صالح بن عبد الرحمن الدويش: تاريخ الوقف ١٤٣١/٧/٣هـ عدد العناوين (١٩٥) عنواناً.

٢١. مكتبة/ ورثة سالم البلوشي: تاريخ الوقف ١٤٣١/٧/٢٨هـ.

٢٢. مكتبة / طارق الخويطر: تاريخ الوقف ١٤٣١/٨/٢٢هـ عدد العناوين (١٩) عنواناً.

٢٣. مكتبة / محمد مفرج الحجيلي: تاريخ الوقف ١٤٣١/٩/٢٦هـ عدد العناوين (٨٤) عنواناً.

٢٤. مكتبة/ مناور بخيت الصاعدي: تاريخ الوقف ١٤٣١/٩/٢٦هـ عدد العناوين (٥٥) عنواناً.

٢٥. مكتبة / محمد كمال صفر: تاريخ الوقف ١٤٣١/١/٨هـ عدد العناوين (١٠٤) عنواناً.

٢٦. مكتبة / محمد عبد الرحمن الشهري: تاريخ الوقف ١٤٣١/١١/١هـ عدد العناوين (١٦٦) عنواناً.

٢٧. مكتبة/ مؤيد عبد الله الدويغري: تاريخ الوقف ١٤٣١/١١/٢٨هـ عدد العناوين (٣٤٨) عنواناً.

٢٨. مكتبة/ شفيع الجزائري: تاريخ الوقف ١٤٣١/١٢/١٨هـ عدد العناوين (٢٧) عنواناً.

٢٩. مكتبة/ عبد الرحمن الرومي: تاريخ الوقف ١٤٣١/١٢/٢٨هـ عدد العناوين (١٦) عنواناً.

٣٠. مكتبة /عبد الغني البري: تاريخ الوقف ١٤٣٢/١/٢٠هـ عدد العناوين (٧٥) عنواناً.

٣١. مكتبة / حمزة محمد قاسم: تاريخ الوقف ١٤٣٢/١/٢٦هـ عدد العناوين (٦٨٤) عنواناً.

٣٢. مكتبة / محمد الهاشمي: تاريخ الوقف ١٤٣٢/٢/١٦هـ عدد العناوين ٣٦ عنواناً .

٣٣. مكتبة / محمد عمر توفيق: تاريخ الوقف ١٤٣٢/٢/١٦هـ عدد العناوين (١١٨٤) عنواناً.

٣٤. مكتبة / إبراهيم الشبانات: تاريخ الوقف ١٤٣٢/٥/١٥هـ عدد العناوين (٢٧٩) عنواناً.

٣٥. مكتبة / محمد المالكي: تاريخ الوقف ١٤٣٢/٦/٢٩هـ عدد العناوين (٦٣٣) عنواناً.

٣٦. مكتبة / وليد العلي: تاريخ الوقف ١٤٣٢/٧/٢٩هـ عدد العناوين (٢٣) عنواناً.

٣٧. مكتبة / أبناء صالح المزيني: تاريخ الوقف ١٤٣٢/٨/١هـ عدد العناوين (٢٦) عنواناً.

٣٨. مكتبة / عبد الهادي الهاشمي: تاريخ الوقف ١٤٣٢/٩/٣هـ عدد العناوين (٨١) عنواناً.

٣٩. مكتبة / نبيل الحجيلي: تاريخ الوقف ١٤٣٢/١٠/١٦هـ عدد العناوين (٧٢٩) عنواناً.

٤٠. مكتبة / خالد العوفي: تاريخ الوقف ١٤٣٢/١٠/٢٨هـ عدد العناوين (٧٠) عنواناً.

٤١. مكتبة/ الشيخ/ محمد عبد الله السبيل: تاريخ الوقف ١٤٣٢/١٠/٢٨هـ عدد العناوين (٧٢٣) عنواناً.

٤٢. مكتبة/ محمد سعد الحميد: تاريخ الوقف ١٤٣٢/١١/١هـ عدد العناوين (٥٦٧) عنواناً.

٤٣. مكتبة / سليمان العمار: تاريخ الوقف ١٤٣٢/١١/٤هـ عدد العناوين (١١) عنواناً.

٤٤. مكتبة/ علي سليمان المهنا: تاريخ الوقف ١٤٣٢/١١/٢٨هـ عدد العناوين (١١٣٩) عنواناً.

٤٥. مكتبة / عبد الحميد حسن الشريف: تاريخ الوقف ١٤٣٣/١/٨هـ عدد العناوين (١٠٤٥) عنواناً.

٤٦. مكتبة/ نايف سلامة السميري: تاريخ الوقف ١٤٣٣/١/٢٣هـ عدد العناوين (٦٩) عنواناً.

٤٧. مكتبة / عبد الرحمن العيفان: تاريخ الوقف ١٤٣٣/٣/٢٨هـ عدد العناوين (٢٢٤) عنواناً.

٤٨. مكتبة / عبد العزيز الزنيدي: تاريخ الوقف ١٤٣٣/٣/٢٨هـ عدد العناوين (٨٨) عنواناً.

٤٩. مكتبة / محمد الغماري: تاريخ الوقف ١٤٣٣/٣/٢٨هـ عدد العناوين (٨٠) عنواناً.

٥٠. مكتبة/ سلمان عويضة المحمدي: تاريخ الوقف ١٤٣٣/٤/١هـ عدد العناوين (٣٢٤) عنواناً.

٥١. عثمان عبد الرحمن السويد: تاريخ الوقف ١٤٣٣/٤/١هـ عدد العناوين (٣١٥) عنواناً.

٥٢. مكتبة/ أنيس حازب: تاريخ الوقف ١٤٣٣/٥/٢١هـ عدد العناوين (٣٢٦) عنواناً.

٥٣. مكتبة/ الشيخ أبو بكر جابر الجزائري: تاريخ الوقف ١٤٣٣/٥/٢٨هـ عدد العناوين (٧٩٨) عنواناً.

٥٤. مكتبة/ أحمد محمد حمدان: تاريخ الوقف ١٤٣٣/٦/٢٦هـ عدد العناوين (٢٤٤) عنواناً.

٥٥. مكتبة/ عبد العزيز الجابري: تاريخ الوقف ١٤٣٣/٧هـ عدد العناوين (٤٠) عنواناً.

٥٦- مكتبة/ معالي الدكتور عبد الله بن صالح العبيد: تاريخ الوقف ١٤٣٣/٨/٢٨هـ عدد العناوين (٦٧٢٩) عنواناً.

٥٧. مكتبة/ علي شقرة: تاريخ الوقف ١٤٣٣/١٠/٢٦هـ عدد العناوين (١٤٨) عنواناً.

٥٨- مكتبة/ فضيلة الشيخ سليمان بن صالح العبيد: تاريخ الوقف ١٤٣٣/١١/٢٦هـ عدد العناوين (١١٦٣) عنواناً.

وهناك مكتبات لم تتضح تواريخ وقفها :

١. مكتبة محمد العزيز الوزير.
٢. مكتبة سعد ضيف الله السهلي . عدد العناوين (٨٠٠) عنواناً.
٣. مكتبة علي محمد سنان .
٤. مكتبة فاطمة التركي.
٥. مكتبة الشيخ/ عبد العزيز الشبل .
٦. مكتبة الشيخ/ سعد عبد الله الشريدة الرشيدي.
٧. مكتبة الأستاذ الدكتور/ عمر باحاذق.
٨. مكتبة عبد رب النبي.
٩. مكتبة عوض القحطاني عدد العناوين (٣٨٧) عنواناً.
١٠. مكتبة / مكتب التربية العربي الموحد.
١١. مكتبة / عبد الكريم محمد : عدد العناوين (٦٣١) عنواناً.

١٢. مكتبة سليمان الجابر.

من خلال ما سبق يتأكد استمرار مساهمة مختلف فئات المجتمع في دعم المكتبات الوقفية بالكتب، يساهمون بالتبرع بكتبهم ومكتباتهم كصدقة جارية وعن طيب خاطر لفائدة مكتبة المسجد النبوي، وتتراوح كمية هذه المساهمة ما بين عشرات الكتب إلى التبرع بآلاف منها كما رصده البيان السابق. والسبب في سرد أسماء موقفي المكتبات هنا لأنهم يمثلون نموذجاً يتكون من الأمراء والعلماء والوجهاء والأفراد العاديين وهو ما تم تأكيده في هذه الدراسة من أن مختلف فئات المجتمع كانت تشارك في إنشاء المكتبات الوقفية.

٤/٤. مكتبة المدينة المنورة العامة :

أسست هذه المكتبة سنة ١٣٨٠ هـ - ١٩٦٠م بموجب مرسوم ملكي أصدره الملك سعود بن عبد العزيز، وأنشئ لها مبنى خاص في الجهة الجنوبية من الحرم النبوي الشريف وأسند الإشراف عليها إلى إدارة الأوقاف العامة، وقد جاءت موافقة الملك سعود على إنشاء المكتبة العامة بالمدينة المنورة للمحافظة على ما يمكن جمعه من المكتبات الوقفية، الأمر الذي ساهم بدور كبير في الحفاظ على ما تبقى منها ومن ذخائرها، وكان لإنشائها دور حاسم في الحفاظ على ما تم إهداؤه لمكتبات المدينة ومدارسها وأربطتها الوقفية خلال القرون الماضية. وقد أصدر الملك سعود بن عبد العزيز مرسوما ملكيا يحدد فيه الغرض من إنشاء هذه المكتبة وهو الحفاظ على محتويات المكتبات الوقفية التي ستزال مبانيها لتوسعة المسجد النبوي الشريف، وأكد المرسوم الملكي على الحفاظ على شخصية كل مكتبة، ومراعاة شروط الواقفين لها، "نص المرسوم الملكي الكريم: بعون الله تعالى نحن سعود ابن عبد العزيز ملك المملكة العربية السعودية رغبة في المحافظة على موجودات المكتبات المتعددة في المدينة المنورة من الضياع ولإمكان استفادة كافة الناس منها أمرنا بما هو آت:

١. تبنى مكتبة جديدة في الجانب القبلي من الحرم النبوي على الطراز الحديث بحيث تستوعب موجودات كل المكتبات الموجودة في المدينة المنورة وتكون وقفا من أوقاف الحرم.

٢. تنقل موجودات المكتبات الموجودة في المدينة المنورة إلى المبنى الجديد وتحفظ كل مكتبة باسمها داخل البناء المذكور، ويقوم محافظوها الذين اشترط الوقف نظارتهم عليها كما هو شرط الواقف وتعين لها إدارة عامة خاصة تتبع مديرية الأوقاف للإشراف والمحافظة عليها.

٣. تنزع ملكية الأماكن اللازمة لبناء هذه المكتبة ويعوض أصحابها من خزينتنا الخاصة.

٤. تسمى هذه المكتبة (مكتبة المدينة المنورة العامة).

٥. على رئيس مجلس الوزراء إنفاذ أمرنا هذا بإبلاغه لمن يلزم والسلام"(٤٤).

ويقول عنها علي حافظ: "**مكتبة المدينة المنورة العامة:** أسستها الحكومة السعودية سنة ١٣٨٠هـ وأنشأت مبناها في جنوب المسجد النبوي بجوار المحكمة الشرعية، وتشتمل على (١٤٧٤٨) كتاباً، ما بين مخطوط ومطبوع، وقد أنشئ المبنى ليضم جميع مكاتب المدينة .. ومكاتب المدارس والأربطة وغيرها. وفي زمن تعيين

الأستاذ جعفر فقيه مديرا عاما لها استطاع أن يضم إلى هذه المكتبة (١٣) مكتبة، وسعى لإنشاء دواليب للكتب وتزيين المبنى بالتحف وتحصل على كتب عديدة لها من العالم الإسلامي، ورغم أن الأستاذ فقيه قد استلم المكتبة عبارة عن مبان وليس فيها كتب تذكر أو دواليب لحفظ الكتب، إلا أنه أدارها على خير وجه وجعل منها مكتبة كبرى ذات شأن ونفع كبير للعلماء وطلاب العلم ... عمرها بالكتب الثمينة، وتحصل لها على دواليب رائعة معظمها كانت هدايا تحصل عليها بجهده وعنايته وفقهه وثقة الناس به، وأصبحت هذه المكتبة موردا عذبا للعلم وطلاب العلم، وكانت الخدمات فيها عظيمة ومواعيد فتحها منظمة تنظيما دقيقا"(٤٥).

١/٤/٤. المكتبات الوقفية المدمجة في مكتبة المدينة المنورة العامة :

تم ضم المكتبات الوقفية المتناثرة في الأحياء حول المسجد النبوي الشريف لهذه المكتبة. وذلك للحفاظ عليها وخوفا من ضياعها ونهب محتوياتها، بينما لا تزال كثير من المكتبات الأثرية لدى أصحابها في منازلهم بالمدينة المنورة سواء كانت وقفية مثل مكتبة رباط مظهر، ومكتبة البساطي، ... أم غير وقفية. وقد أورد على حافظ (٤٦) بياناً بموجودات المكتبة العامة من الكتب والمكتبات التي ضمت إليها، كما هو موضح في الجدول رقم (٥).

يقول التونسي: "وتجدر الإشارة إلى أن المكتبات التي حدثنا عنها سابقا والبالغة اثنتي عشرة مكتبة، هي المعروفة لدى مسئولي المكتبة، والمسجلة في سجلاتها، ويبلغ إجمالي كتبها (١٢,٢٥٢) كتابا ما بين مخطوط ومطبوع. وهناك (٤٠٥٢)، كتابا جُمعت تحت اسم ((مكتبة المدينة المنورة العامة)) دون تمييز لأصحابها. وبالمسح الشامل الذي أجريناه على هذه الكتب تبين لنا أن بعضها عبارة عن مكتبات خاصة، والبعض الآخر اهداءات من قبل أشخاص، أو مجموعات مهداة من قبل هيئات .. أو غيرها"(٤٧).

جدول رقم (٥) موجودات المكتبات الوقفية المدمجة بمكتبة المدينة المنورة العامة

عدد مسلسل	اســـــم المكتبــــة	عدد الكتب مطبوعة ومخطوطة
١ -	مكتبة رباط سيدنا عثمان	١٥٣٧
٢ -	مكتبة مدرسة الشفاء	١٥٢٠
٣ -	مكتبة مدرسة الساقزلي	١٠٢٤
٤ -	مكتبة مدرسة الاحسانية	٣٧٤
٥ -	مكتبة المدرسة العرفانية	١٣٥٠
٦ -	مكتبة رباط الجبرت	١٠٥
٧ -	مكتبة المدرسة القازانية	٢٩٥٢
٨ -	مكتبة مدرسة قره باش	١٥٠
٩ -	مكتبة الشيخ عمر حمدان	٢٥٧٨
١٠.	مكتبة الشيخ يس بخيت	١٥٠/١٥٩٠
١١.	مكتبة عباس حلمي باشا	٢٠٠
١٢.	مكتبة الشيخ عبد الحي أبي خضير	٦٠
١٣.	مكتبة سالم ازمرلي/وزين العبدين توفيق	١٧٠
...	موجودات مكتبة المدينة العامة	٢٥٧٨
...	المجمـــــــــــوع	١٤٧٤٨

وقد نقلت محتويات مكتبة المدينة العامة بعد توسعة خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز للمسجد النبوي الشريف إلى مكتبة الملك عبد العزيز في مقرها الحالي، وخُصص لها مكان مستقل لكل مكتبة وقفية، كانت مدمجة بها. وتحتوي المكتبة على (١٧٨) مخطوطا، و(٧٧٦٦) كتابا مطبوعا منها النادر والحديث، وذلك خلاف المخطوطات التي توجد بكل مكتبة وقفية مستقلة بذاتها كما يوضحه الجدول رقم (٥).

"وتحتوي المجموعة المخطوطة لهذه المكتبة على مخطوطات في التفسير ، والقراءات ، والعقيدة ، والحديث، والفقه الحنفي، والسيرة النبوية، والوعظ والإرشاد، والنحو، والبلاغة، والأدب، بالإضافة إلى مجموعة رسائل في فنون متنوعة حوتها عدة مجاميع خطية. توزعت بيانات الكتب المطبوعة لهذه المكتبة في فهرس من مجلدين مجموع صفحاتهما (٢٧٩) صفحة من القطع الكبير، وتحوي مجموعتها كتبا نادرة وحديثة تشمل فنون التفسير والقراءات والتجويد والحديث والسيرة النبوية، والفقه الحنبلي والحنفي والشافعي والمالكي، والفقه على المذاهب الأربعة والفرائض والعقيدة، والمواعظ، والاقتصاد والاجتماع واللغة والنحو والصرف، والرياضيات والطب والأدب والتاريخ والجغرافيا والتراجم. وتتميز هذه المجموعة بأنها من إصدارات القرن الرابع عشر الهجري، بالإضافة إلى كمية أخرى طبعت في القرنين الثالث عشر والخامس عشر الهجريين. كما تتميز هذه المكتبة كذلك باشتمالها على عدد من الكتب ذات المجالات المتعددة ، إضافة إلى تعدد النسخ من الكتاب الواحد. وقد صدرت هذه الكتب عن عدد كبير من المطابع المشهورة مثل: الترقي والماجدية والعامرة وبولاق والخيرية والميمنية والسعادة والأهرام والمعارف ودار الكتاب والحلبي وغيرها مما هو موضح تفصيلا في فهرس المكتبة. كما تحتوي المكتبة على عدد من المجاميع التي تحوي عددا من الرسائل في فنون متعددة لمؤلفين مختلفين"(٤٨).

وقد كانت مكتبة المدينة المنورة العامة مجاورة لمكتبة الشيخ عارف حكمت، في الجهة القبلية للمسجد النبوي الشريف تفصل بينهما دار إمام المسجد النبوي، وكان الباحث يزورهما في زمن صباه مع مجموعة من الأقران، إذ كانتا متنفسا لأبناء المدينة لما تحويه من كتب وصحف ومجلات توفرها لروادها من القراء والباحثين.

٢/٤/٤. وقف مكتبة المدينة المنورة العامة على المسجد النبوي :

ومن المهم هنا التأكيد على أن محتويات **(مكتبة المدينة المنورة العامة)** التي نقلت فيما بعد إلى مكتبة الملك عبد العزيز، هي من ضمن أوقاف المسجد النبوي الشريف، وذلك بناء على المرسوم الملكي الذي أصدره الملك سعود بن عبد العزيز بإنشاء هذه المكتبة، والذي نص في الفقرة الأولى منه على وقفية هذه المكتبة وما تحويه من المكتبات الأخرى على المسجد النبوي الشريف، وبناء عليه وحسب شروط الواقف المعول عليها، يفترض أن يتم دمج المكتبات الوقفية التي كانت ضمن مكتبة المدينة المنورة العامة في مكتبة المسجد النبوي الشريف، وأن تحتفظ مكتبة الملك عبد العزيز ببقية المكتبات الوقفية التي أودعت فيها نصاً. وفضلا عن ما أورده علي حافظ في الجدول السابق، فقد رصد حمادي التونسي هذه المكتبات في دراسته عنها وذلك قبل مشروع إزالتها لصالح مشروع توسعة المسجد النبوي الشريف، فيقول: "وكما أشرنا سابقا فإن هذه المكتبة عبارة عن

مجموعة مكتبات واهداءات شخصية، جمعت في مكان واحد وأطلق عليها اسم (مكتبة المدينة المنورة العامة). ويقول إن هذه المكتبات تقع تحت الأنواع التالية:

"١. مكتبات خاصة، وهي:

ـ مكتبة الشيخ إبراهيم سعد الله الختني.

ـ = = الصافي.

ـ = = الشيخ عمر حمدان.

٢. مكتبات مدرسية، وهي:

ـ المكتبة القازانية.

ـ المكتبة العرفانية.

ـ = = الإحسانية.

ـ = = الساقزلي.

ـ مكتبة الشفاء.

ـ = كيلي ناظري.

٣. مكتبات أربطة، وهي:

ـ مكتبة رباط الجبرت.

ـ = = سيدنا عثمان.

ـ = = قراء باش"(٤٩).

ويضيف في دراسته موضحا عن مكونات هذه المكتبة فيقول: "وبالمسح الشامل الذي أجريناه على هذه الكتب، تبين لنا أن بعضها عبارة عن مكتبات خاصة، والبعض الآخر إهداءات من قبل أشخاص، أو مجموعات مهداة من قبل هيئات أو غيرها ... مجموعات كبيرة . لا تقل عن (١٥٠٠) كتاب . تابعة أصلا لمكتبة الحرم المدني، ويظهر ذلك من كتابة اسم ((مكتبة الحرم المدني)) على كعوبها"(٥٠). وهذا شاهد آخر يؤيد ما ذهبت إليه هذه الدراسة أن بعضا من المكتبات الوقفية المدمجة في مكتبة الملك عبد العزيز هي ملك لمكتبة المسجد

النبوي، ومثلها في ذلك المكتبة المحمودية التي ستأتي الشواهد التي تؤيد ملكية المسجد النبوي الشريف لها وذلك عند الحديث عنها ضمن الفقرة الخاصة بها لاحقا.

٥/٤ . مكتبة الملك عبد العزيز والمكتبات الوقفية المدمجة بها:

عند الشروع في توسعة المسجد النبوي الشريف في عهد الملك فيصل بن عبد العزيز، تطلب الأمر إزالة الأحياء الملاصقة له، والذي شمل مكتبة المدينة المنورة العامة المذكورة آنفا، وكذلك مكتبات وقفية أخرى ومن أهمها مكتبة الشيخ عارف حكمت، ومكتبة بشير أغا، فقد أصدر الملك فيصل رحمه الله توجيهاته بإنشاء مكتبة الملك عبد العزيز، وإسناد مهمتها إلى وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف، لتقوم بتجهيزها والإشراف عليها ضمن منظومة المكتبات الوقفية بالمملكة العربية السعودية. ولتكون هذه المكتبة قادرة على الحفاظ على إرث المدينة المنورة العلمي والثقافي الحضاري، المتمثل في المكتبات الوقفية. وعند تأسيسها كانت تضم ثلاثا وعشرين مكتبة وقفية، هي حصيلة ما كان في مكتبة المدينة المنورة العامة من المكتبات إضافة إلى مكتبات وقفية أخرى، وتتابع بعد ذلك إيداع المكتبات الوقفية بها من قبل بعض المحسنين والوجهاء، حتى وصل عددها حاليا إلى خمس وثلاثين مكتبة وقفية. وقام الملك فيصل بوضع حجر الأساس لها، وتم افتتاحها في زمن الملك فهد بن عبد العزيز، وفيما يلي نسرد أهم أحداث ومعالم ومكونات هذه المكتبة:

٤/٥/١. النشأة ومكونات المكتبة:

"في يوم الثلاثاء ١٣٩٣/١/٣ هـ الموافق ٧ /٢ / ١٩٧٣ م وضع الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود – رحمه الله – حجر الأساس لمشروع مكتبة الملك عبد العزيز – طيب الله ثراه، وافتتح هذا المشروع خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود – رحمه الله – في يوم الثلاثاء ١٦ / ١/ ١٤٠٣ هـ الموافق ٢ / ١١/ ١٩٨٢ م، ونقلت مكتبة المدينة المنورة العامة بما فيها من مكتبات وقفية إليها ، كما ألحقت بها بعد ذلك مكتبة الشيخ عارف حكمت ومكتبة رباط بشير أغا وبعض المكتبات الشخصية التي تم وقفها على مكتبة الملك عبد العزيز"(٥١).

٤/٥/٢- مبنى المكتبة والارتباطات الإدارية:

"تقع المكتبة على شارع أم المؤمنين خديجة (رضي الله عنها) المتفرع من شارع المناخة على مساحة قدرها (٤٩٤٠) م٢ ، وتطل على ساحات المسجد النبوي من الجهة الغربية ، ولها حديقة تتوسطها نافورتان بشكل دائري ، ويحيط بها سور خاص مزين بالحديد والنحاس الأصفر وتعلوه إضاءة غير مباشرة .

١- المبنى :

يتكون المبنى من قبو وطابق أرضي و ثلاثة طوابق متكررة ، حيث يوجد في القبو قاعة المخطوطات وقسم التصوير وقسم التجليد ، ويوجد في الطابق الأرضي بهو فسيح به استراحة لاستقبال رواد المكتبة من الزوار والباحثين ، ومكتب الاستعلامات ، وغرفة المراقبة التلفزيونية ، ومكان لإيداع الحقائب .

كما يوجد في الطابق الأرضي نفسه قاعة لعرض الجديد من الكتب والمجلات والصحف، إضافة إلى خلوات الباحثين التي جهزت كل منها بمكتب خاص وكرسي ومكتبة صغيرة توضع فيها مراجع موضوع البحث التي يعاود الباحث الرجوع إليها، كما يوجد في الطابق نفسه مكتب وكيل المدير العام للمكتبة ، وقسم الشؤون الإدارية والمالية، والشؤون الفنية، وخدمات المستفيدين من المخطوطات، وقاعة للمحاضرات، ومكتبة للنساء، ومكتبة للأطفال.

أما الطابق الأول: فيشتمل على مكتبة المصحف الشريف، ومكتبة الشيخ عارف حكمت، ومكتب المدير العام للمكتبة.

وأما الطابق الثاني: فهو على هيئة قاعة مفتوحة خصصت للمجموعات العامة من المطبوعات الحديثة يتوسطها مكتب لخدمات المستفيدين، وزودت القاعة بالفهارس والكراسي وطاولات المطالعة.

أما الطابق الثالث: فقد خصص للمجموعات الخاصة المكونة من المكتبات الموقوفة التي سيأتي تفصيلها إن شاء الله فيما بعد.

٢ـ الجهة المشرفة على المكتبة :

تقوم وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، بالإشراف على مكتبة الملك عبد العزيز بالمدينة المنورة، وكذا على مكتبات وقفية أخرى في أنحاء المملكة العربية السعودية مثل مكتبة مكة المكرمة، ومكتبة عبد الله بن العباس (رضي الله عنهما) بالطائف، ومكتبة الصالحية في عنيزة، ومكتبة المقبل في المذنب.

٣ـ خصائص المكتبة :

تجمع مكتبة الملك عبد العزيز بين خصائص المكتبة العامة، ومركز المخطوطات ومركز البحث العلمي. ونظرا لتوافر عدد كبير من المكتبات الوقفية في مدينة المصطفى صلى الله عليه وسلم، وتضافر الجهود المباركة لجمعها في هذا المركز الإسلامي، فقد أدى ذلك إلى تحقيق جو البحث العلمي المتميز، مما ساعد على زيادة الاستفادة من المصادر الأصلية والمراجع النادرة وأمهات الكتب بهذه المكتبة في شتى فروع المعرفة الإنسانية، بغرض الدراسة والتحصيل العلمي لخدمة التراث الإسلامي والإنتاج الفكري المعاصر.

٤ـ تمويل المكتبة :

تقوم وكالة الوزارة لشؤون الأوقاف بالإشراف المباشر على هذه المكتبة وتسعى إلى تزويدها بكافة احتياجاتها. كما يسهم الكثير من المواطنين في تنميتها. وتتنوع هذه الإسهامات من كتب وأثاث وأدوات تلبي احتياجات الباحثين في المكتبة، فمن حين لآخر يتبرع العلماء والمثقفون والأدباء بمؤلفاتهم، أو يتبرع ورثتهم بمكتبات مورثيهم"(٥٢).

٤/٥/٣- الخدمات الفنية والإدارات الأخرى(٥٣):

أولاً: الفهرسة والتصنيف: تتبع المكتبة حالياً نظام الفهرس البطاقي المجزأ الذي يتكون من فارس مستقلة لكل من المؤلفين، والعناوين والموضوعات. وتطبق المكتبة نظام تصنيف ديوي العشري المعدل. ومما تجدر الإشارة إليه أن جميع الكتب بالمكتبة مسجلة في سجلات خاصة تشتمل على البيانات التالية:

رقم التصنيف، عنوان الكتاب، اسم المؤلف، رقم الطبعة، اسم المترجم أو المحقق (إن كان الكتاب مترجماً أو محققاً) بيان الأجزاء ، المجلدات، عدد الصفحات، مكان النشر، اسم الناشر، تاريخ النشر، الرقم العام. ونظراً إلى ما وصلت إليه مكتبة الملك فهد الوطنية من تقدم وتطور في مجال الفهرسة والتصنيف والتدريب والاستشارات المكتبية بجميع أنواعها، فقد ارتأت مكتبة الملك عبد العزيز بالمدينة المنورة الارتباط المباشر معها على هيئة تعاون مفتوح.

وانطلاقاً من مبدأ التعاون المشار إليه فقد جمعت بمكتبة الملك فهد أكثر من أربعة آلاف عنوان من هيئات وشخصيات علمية، وفهرست وصنفت آلياً وأرسلت إلى مكتبة الملك عبد العزيز لتكون بمثابة نواة لتحديث آلية المكتبة. وفي منتصف عامي ١٤١٥هـ و ١٤١٦هـ تم إرسال أربعة من موظفي المكتبة إلى مكتبة الملك فهد الوطنية لتلقي التدريب على أعمال الفهرسة والتصنيف والتكشيف. وتم الربط بين المكتبتين بوحدة طرفية مباشرة لتسهيل إجراءات العمل بالنسبة للفهرسة والتصنيف، إضافة إلى تقديم الخدمات البحثية لمن يريد الاستعلام عن مجموعات الكتب في مكتبة الملك فهد الوطنية.

ثانياً خدمات المستفيدين: يرتاد المكتبة أساتذة الجامعات والباحثون في مجال التراث الإسلامي والعربي، وذلك لتوافر المخطوطات والكتب النادرة، والنمو المستمر في مجموعاتها. كما يكثر روادها من الطلاب والقراء والمواطنين والمقيمين والحجاج والزوار والمعتمرين ، نظراً لقربها من المسجد النبوي الشريف، وموقعها وسط المدينة المنورة. ونظراً للتجهيزات التي تم إدخالها بالمكتبة مؤخراً وفتح المكتبة على فترتين صباحية ومسائية، فقد ازداد إقبال جمهور الباحثين والمستفيدين على المكتبة، وهي تقدم خدمات المعلومات على النحو الآتي:

١. خدمات المكتبة الداخلية لمرتاديها، وتشمل الآتي:

أ - خدمات مرجعية:

بتزويد مستخدمي المكتبة بالمعلومات اللازمة حول كيفية الاستفادة من المصادر والمراجع العامة والمتخصصة، مثل المعاجم ودوائر المعارف وكتب التراجم وغيرها.

ب - خدمات إرشادية:

إرشاد الباحثين لكيفية استخدام فهارس المكتبة، وتعريفهم بمواقع المواد المطلوبة في أي مجال وفي أي من قاعات المكتبة.

ج - خدمات الإعارة الداخلية :

وذلك بتمكين الباحث من استعارة عدد من الكتب للاستفادة منها في خلوات البحث العلمي حيث يتوفر له الجو المناسب للبحث.

٢. خدمات مرجعية من خارج المكتبة :

تسعى المكتبة ضمن خدماتها الأساسية إلى توفير المعلومات البحثية لطالبيها، من خارج المكتبة، وذلك بواسطة الوحدات الطرفية والمراسلات بينها وبين كل من المكتبات الجامعية والمكتبات العامة والمتخصصة ومراكز البحوث المتاحة. وذلك عن طريق:

أ. الوحدات الطرفية: ارتبطت المكتبة بوحدة طرفية مع مكتبة الملك فهد الوطنية بالرياض، وسترتبط كذلك بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بغرض توفير المعلومات للباحثين بأيسر الطرق، ويتم التوسع في هذا الجانب بحسب الإمكانات المتاحة ليشمل مراكز بحث أخرى لتعم الفائدة بذلك .

ب ـ البريد: تتم خدمة المستفيدين الذين لا يتمكنون من الوصول إلى المكتبة عن طريق الاستنساخ الورقي أو الآلي أو الميكروفيلمي للمواد المطلوبة وإرسالها على عناوينهم الخاصة.

ج ـ الهاتف :عن طريق استقبال الاستفسارات البحثية من قبل المستفيدين والرد عليها هاتفياً.

ثالثا: المكتبة النسائية: تفتح مكتبة الملك عبد العزيز بالمدينة المنورة أبوابها لمختلف فئات المجتمع رجالاً ونساءً وأطفالاً، وهي بذلك تحقق هدفاً رئيساً لهذا الصرح الثقافي وهو توفير المعلومات المطلوبة للباحثين والقراء على حد سواء، لذا فقد خصصت المكتبة الفترة المسائية من يومي الثلاثاء والأربعاء من كل أسبوع لارتياد الباحثات والمستفيدات وتقديم مختلف الخدمات المرجعية والإرشادية وخدمة الاستنساخ الورقي، وتقوم بهذه الخدمة موظفات متخصصات .

ونتيجة للإقبال المتزايد من الباحثات على المكتبة فقد تم اختيار موقع مناسب في الطابق الأرضي من المكتبة ليكون بمنزلة قاعة خاصة للنساء، تم تجهيزها بالأثاث والرفوف، وزودت بالكتب المطبوعة في جميع فروع المعرفة الإنسانية، كما تم ربط الموقع بوحدة طرفية عبر الحاسب الآلي للاستفادة من جميع أقسام المكتبة الأخرى، وبذلك تمكنت الباحثات من ارتياد المكتبة طوال أيام الأسبوع. وتحقيقاً لهذه الأهداف يتولى العمل بهذه القاعة المستقلة نخبة من الموظفات المؤهلات تأهيلاً مكتبياً لتقديم الخدمات الإرشادية والبحثية اللازمة.

أهداف المكتبة النسائية :

١- توفير مصادر المعلومات بأوعيتها المتنوعة في كل المعارف الإنسانية.
٢- تحقيق أعلى مستوى ممكن من الخدمات للباحثات والقارئات بالوسائل الممكنة.
٣- فتح باب التعاون مع المكتبات الأخرى في الجهات المختلفة بالمملكة لتحقيق الأهداف المشتركة بين المكتبات لتوفير المعلومة المطلوبة للباحثة بأيسر طريق ممكن.

رابعا ـ مكتبة الطفل: وهي عبارة عن قاعة واسعة في الطابق الأرضي للمكتبة تم تزويدها بمجموعة من الكتيبات والقصص الإسلامية التي تتناسب مع ذوق الأطفال وميولهم، وتم تجهيزها بالرفوف والطاولات والكراسي وأجهزة

الحاسوب التعليمي التي تلائم الأطفال من مختلف الأعمار، ويتم باستمرار تزويدها بمجموعات قصصية وأدبية جديدة، إضافة إلى الأجهزة السمعية والبصرية اللازمة.

وتلقى هذه المكتبة إقبالاً من الصغار وبخاصة في الفترة المسائية المخصصة للباحثات حيث تصطحب الأمهات أبناءهن للمكتبة، وبذلك يتعود الطفل على ارتياد المكتبة منذ الصغر، وهذا هو أحد الأهداف الأساسية التي تسعى المكتبة إلى تحقيقها.

خامسا ـ الخدمات المساندة:

أ- قسم التصوير: تقدم المكتبة ضمن خدماتها المتنوعة خدمة التصوير الميكروفيلمي والورقي لأوعية المعلومات المتاحة من مخطوطات وكتب نادرة ومطبوعات حديثة وذلك وفق ضوابط وقواعد تحددها لائحة تصور مقتنيات المكتبة والتبادل بها، ومن أجل ذلك يضم هذا القسم الأجهزة التالية:

١- الميكروفيلم : وقد زود بآلات تصوير ثابتة ومتنقلة.

٢- أجهزة تحميض وتظهير وتثبيت الشرائح الفيلمية.

٣- أجهزة قراءة فيلمية للاستفادة منها في قراءة المخطوطات المنسوخة على أفلام.

٤- وحدات متعددة للتصوير المستندي الفوري لاستنساخ طلبات الباحثين من الكتب والمخطوطات .

٥. خزائن خاصة لحفظ النسخ الميكروفيلمية.

ب- قسم التجليد: إدراكاً من المكتبة لأهمية توفير الوعاء المعرفي للباحثين في أفضل صورة ممكنة من التماسك والجودة، وحفاظاً على مقتنياتها أطول مدة زمنية، فقد تم تزويد المكتبة بوحدة تجليد تحتوي على عدد من الآلات اللازمة للقص والتجليد والتغليف، إضافة إلى توفير الخدمات اللازمة لصيانة مقتينات المكتبة من مخطوطات وكتب وتجليدها، إلى جانب تقديم خدمات التجليد لفرع وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالمدينة المنورة، مما يجعل هذا القسم بالمكتبة وحدة تجليد تضطلع بأعباء كبيرة في هذا المجال.

٤/٥/٤ـ المجموعات المتوافرة بالمكتبة(٥٤):

تتكون مجموعات المكتبة مما يأتي:

أولاـ المصاحف المخطوطة : وهي أغلى وأثمن ما تقتنيه مكتبة الملك عبد العزيز بالمدينة المنورة، لما تحتويه مكتبة المصحف الشريف من نسخ خطية نادرة للقران الكريم تبلغ (١٨٧٨) ألفا وثمانمائة وثمانية وسبعين مصحفا مخطوطا و (٨٤) أربعا وثمانين ربعة قرآنية ، تعكس مدى اهتمام العلماء المسلمين بكتاب ربهم وعنايتهم به حفظا ودراسة وتفسيرا وترجمة لمعانيه وخطا وزخرفة، مما يعد ثروة علمية ثمينة لدراسة الخطوط وتطورها عبر العصور الإسلامية. ولهذه المكتبة فهرس خاص به يستفيد منه الباحثون.

ثانياً ـ المخطوطات: تضم المكتبة (١٤،٢٤٦) أربعة عشر ألفا ومائتين وستا وأربعين مخطوطا أصليا بالإضافة إلى عدد كبير من المصورات الورقية والميكروفيلمية ، وتوليها المكتبة عناية خاصة من حيث الاقتناء والتنظيم والصيانة والتجليد. وتم تخصيص قاعة مستقلة لحفظ هذه المخطوطات روعي فيها مناسبتها وخصوصيتها

وحمايتها.وقد تكونت تلك المخطوطات من مصادر الوقف والإهداء والتبادل ، وأغلبها من المكتبات الخاصة الموقوفة.

ثالثا ـ الكتب النادرة: وهي كل كتاب يتصف بإحدى الصفات التالية:

أ- ندرة الحصول عليه تجاريا وله قيمة تاريخية أو علمية.

ب- كونه الطبعة الأولى لمؤلف ذي قيمة علمية.

ج- الطبعات التي تحمل تعليقات من مؤلفين بارزين.

د- كونه مما نشر قبل عام ١٣٧٠ هـ داخل المملكة العربية السعودية أو خارجها.

هـ- كونه قديما وذا تجليد فاخر جدا أو مذهبا أو مزخرفا بالنقوش والأشكال الفنية ، أو المطعم تجليده بالمعادن والأحجار النفيسة.

وتضم المكتبة ضمن مجموعاتها الخاصة عددا من الكتب النادرة خصص لها قاعة مستقلة ويبلغ مجموعها (٢٥،٠٠٠) خمسة وعشرين ألف كتاب ، تمثل جزءا كبيرا من رصيد المكتبات الموقوفة.

رابعا . المطبوعات الحديثة: وتبلغ (٩٠،٠٠٠) تسعين ألف كتاب ، خصص لها قاعات مفتوحة وتم تنظيم وترتيب وتصنيف وفهرسة معظمها، حيث لازالت المكتبات المهداة حديثا في صناديقها، حيث لم يتم عمل الإجراءات الفنية لها، وقد غطت مجموعتها معظم جوانب المعرفة.

خامسا ـ الرسائل الجامعية: نظرا لأهمية هذا القطاع من أوعية المعرفة الأكاديمية المحكمة، فقد أفردت لها المكتبة مكانا خاصا، وتبذل الجهود لاستقطاب أكبر عدد ممكن من تلك الرسائل لإثراء البحوث والدراسات العلمية.

سادسا ـ الدوريات العلمية: نظرا لأهمية الدوريات وما تمثله من قيمة علمية ، حيث إنها من أهم أوعية المعلومات لملاحقتها للجديد في الإنتاج الفكري ، فقد أولتها المكتبة اهتماما خاصا يتمثل في اقتناء عدد كبير منها في مختلف حقول المعرفة.

سابعا ـ المواد السمعية والبصرية: تقتصر هذه الخدمة على توفير نسخ ميكروفيلمية من مخطوطات المكتبة للباحثين بغرض البحث والتصوير ، وتسعى المكتبة إلى دعم خدمة الأوعية السمعية والبصرية وتوفيرها لعموم المستفيدين من فئات المجتمع كافة ، وتزويدها بأجهزة العرض والاستماع وقراءة الأوعية المصغرة الميكروفيلمية والحاسوب التعليمي.

٤/٥/٥ـ المكتبات الوقفية المدمجة بمكتبة الملك عبد العزيز:

يذكر المزيني أن مكتبة الملك عبد العزيز "تضم ثلاثاً وعشرين مجموعة موقوفة تمثل: مكتبة المصحف الشريف، ومكتبة الشيخ عارف حكمت، ومكتبة المحمودية، ومكتبة المدينة المنورة (العامة)، ومكتبات مدارس:

الإحسانية، والساقزلي، والشفاء، والعرفانية، والقازانية، وكيلي ناظري، إضافة إلى مكتبات رباط الجبرت، ورباط عثمان بن عفان رضي الله عنه، ورباط قرة باشا، ورباط بشير آغا، ومكتبات لبعض الشخصيات هم : الشيخ/محمد إبراهيم الختني، والشيخ/ عبد القادر شلبي، والسادة آل الصافي، والشيخ/ عمر حمدان، والشيخ/ محمد نور كتبي، ومعالي الأستاذ/ حسن بن محمد كتبي، والشيخ/ محمد الخضر الشنقيطي، والشيخ/ عبد الرحمن الخيال، والشيخ/ عبد القادر الجزائري"(٥٥). وهذه الإحصائية مأخوذة من المصدر الذي يؤرخ للمكتبة إلى عام ١٤١٩هـ/١٩٩٩م. ومكتبة بشير أغا مدرسية وقفية وليست تابعة للرباط كما ذُكر أعلاه، وذلك اعتماداً على نفس المصدر.

وفي مقابلة مع مدير عام المكتبة ذكر أن: "عدد المكتبات الموقوفة في المكتبة زاد عن ذلك ووصل إلى خمس وثلاثين مكتبة، بسبب وقف عدد من الأشخاص لمكتباتهم وضمها لمكتبة الملك عبد العزيز، فإضافة إلى الثلاث وعشرين مكتبة السابق ذكرها تمت زيادة إحدى عشرة مكتبة خلال الفترة الماضية من ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، وإلى ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م، وهذه المكتبات لكل من:

٢٤. الشيخ عمار الأزعر الهلالي، ٢٥. الشريف عبد العزيز محمد المراكشي، ٢٦. إبراهيم خضر البشر ٢٧. السيد عباس أحمد صقر الحسني، ٢٨. الدكتور محمد أحمد الرويثي، ٢٩. الشيخ محمد علي المويلحي، ٣٠. الشيخ سالم أسعد نعمان، ٣١ الشيخ أحمد بن عبد القادر قشقري، ٣٢. والشيخ محمد علي ناصر الصافي، ٣٣. الشيخ محمد حميد الحميد، ٣٤. الأستاذ عبد العزيز محمد الربيع، ٣٥. الدكتور عبد الله بن محمد الحجيلي"(٥٦).

ونورد فيما يلي نبذة عن المكتبات الوقفية الموجودة ضمن مكتبة الملك عبد العزيز، وسنقتصر على تلك التي توافرت المعلومات عنها، وخاصة الأثرية منها، ذلك أن المكتبات التي أودعت في مكتبة الملك عبد العزيز مؤخرا والتي تم سرد أسماء أصحابها أعلاه، لم تتوافر معلومات عن أصحابها لدى مسئولي المكتبة، ولازالت محفوظة في الصناديق التي أتت فيها ولم يتم إلى الآن فهرستها وتصنيفها.

٤/٥/٥/١ـ مكتبة المصحف الشريف:

تضم هذه المكتبة مجموعة تقدر بـ (١٨٧٨) ألفا وثمانمائة وثمانية وسبعون مصحفا من المصاحف الخطية النادرة القديمة (للقران الكريم) بالإضافة إلى (٨٤) أربع وثمانين ربعة قرآنية. ومكونات هذه المكتبة كانت في الروضة الشريفة، ثم نُقلت بأمر الملك فيصل إلى الدور العلوي فوق باب خوخة الصديق بالمسجد النبوي، ثم نقلت إلى مكتبة الملك عبد العزيز. "وتمثل هذه المصاحف في مجملها تاريخا للمراحل التي مر بها تدوين المصحف الشريف، من حيث الورق المستخدم للكتابة والمداد المكتوب به وتنوع الخطوط – فمنها الكوفي ، والثلث ، والنسخ ، والرقعة إلى غير ذلك من الخطوط. ويعود تاريخ أقدم مصحف إلى عام ٥٤٩هـ ، وهي من أزهى فترات الإبداع في فن الخطوط العربية وهو بخط أبي سعد محمد إسماعيل بن محمد ، وحجمه (٢٠X٣٠ سم) وتاريخ إهدائه سنة ١٢٥٣هـ(٥٧).

ـ المقتنيات الأثرية الموجودة بمكتبة المصحف :

"توجد بمكتبة المصحف نماذج مختلفة من قواعد الشموع التي كانت تستعمل لإضاءة المساجد والمدارس والأربطة، ويصل قطر بعضها إلى أكثر من ٧٥ سم، أما قطر بعض الشموع فيصل إلى ١٥ سم وطولها أكثر من ٦٠ سم .

وهناك مجموعة من الستائر الذهبية تبلغ في مجملها إحدى وعشرين ستارة ذهبية وزعت في بعض قاعات المبنى ، وخصصت لمكتبة المصحف عشر ستائر منها تعد كل ستارة قطعة فنية جيدة لما بذل فيها من:

أ- الإتقان في الصناعة .

ب- الدقة في الإخراج .

ج- الذوق الفني والإبداع في اختيار المادة المصنوعة .

كما توجد في مكتبة المصحف خمس لوحات خطية ، كتبت بخط كل من : السلطان محمود خان والسلطان عبد المجيد خان بخط الثلث وهي كما يلي:

الأولى : (بسم الله الرحمن الرحيم).

الثانية : (حسبنا الله ونعم الوكيل).

الثالثة : (إنا فتحنا لك فتحا مبينا).

الرابعة : (الله ولي التوفيق).

الخامسة : (فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين).

علاوة على بعض القطع النادرة بخط الخطاط عبد الله زهدي خطاط الحرم النبوي الشريف ، يرجع تاريخها إلى مابين سنة ١٢٧٠ هـ و ١٢٧٨ هـ.

كما تضم المكتبة نماذج من أحزمة الكعبة المشرفة ، وهي خمس قطع :

الأولى : لمؤسس المملكة العربية السعودية الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود – يرحمه الله – يرجع تاريخها إلى ١٣٧٤هـ.

الثانية : للملك سعود بن عبد العزيز – يرحمه الله – ويرجع تاريخها إلى ١٣٨١ هـ.

الثالثة : للملك فيصل بن عبد العزيز – يرحمه الله – ويرجع تاريخها الى١٣٩٣هـ.

الرابعة : للملك خالد بن عبد العزيز – يرحمه الله – ويرجع تاريخها إلى ١٣٩٦ هـ.

الخامسة : للملك فهد بن عبد العزيز – يرحمه الله – ويرجع تاريخها إلى ١٤٠٢هـ"(٥٨).

٢/٥/٥/٤- المكتبة المحمودية (الأشرفية) سابقا:

في الفصل السابق تناولت الدراسة تعريفا بتاريخ هذه المكتبة ، وهي في الأساس تابعة للمسجد النبوي الشريف، ذلك أنها كانت جزءا من المدرسة التي أوقفها السلطان قايتباي ومكتبتها على المسجد النبوي الشريف، وعند تجديد السلطان محمود خان لها أكدّ على وقفها على المسجد النبوي الشريف. يقول طارق حجار: "هي استمرار للمدرسة الأشرفية التي أسسها الأشرف قايتباي عام ٨٨٨ هـ، ثم جدد بناءها السلطان محمود خان عام ١٢٣٧ هـ، فأصبحت تسمى باسمه المحمودية. عندما جددها السلطان محمود أضاف لها رباط ومبنى بجوارها خاصا للناظرين، وتقع المدرسة ملاصقة للمسجد النبوي الشريف بجوار باب السلام ، وصفها علي بن موسى أنها من أعظم مدارس المدينة المنورة. وتتكون هذه المدرسة من نحو أربعين غرفة، إضافة إلى سكن المدرس وحديقة صغيرة في فناء المدرسة. وقد أوقف على المدرسة العديد من الأوقاف منها منزل بحوش التاجوري العائد لمحمد بن مصطفى، كما جعل مخصصا لمدرس المدرسة مقداره عُشر غلة الوقف"(٥٩).

يقول المزيني: "جددها السلطان محمود الثاني سنة ١٢٣٧ هـ، وألحقها بالمدرسة التي بنيت في عهد قايتباي، عقب حريق المسجد النبوي سنة ٨٨٦هـ ، والتي وصفها البتنوني بقوله "وبنوا في الجهة الغربية من الحرم على شمال الداخل من باب السلام مدرسة عظيمة وأوقف عليها قايتباي الأوقاف الكثيرة وتسمى بمدرسة قايتباي " كما ذكر محمد طاهر كردي "أن قايتباي أرسل إلى المدينة المنورة خزانة كتب وجعل مقرها بالمدرسة وأرسل عدة مصاحف. ووقف السلطان محمود المكتبة والمدرسة على طلبة العلم بالمدينة المنورة ، وخصهما بموارد مالية كبيرة، وكان موقعها في الجهة الغربية من المسجد النبوي بباب السلام ، ثم انتقلت بعد ذلك إلى داخل الحرم النبوي في الجهة الغربية أيضا في علو باب الصديق رضي الله عنه"(٦٠).

ويؤكد أحمد ياسين الخياري أن المكتبة كانت بالمسجد: "هذه المكتبة الآن داخل الحرم النبوي الشريف وكانت سابقاً ضمن المدرسة المحمودية نسبة للسلطان محمود خان العثماني الذي أنشأ المدرسة وأنشأ فيها هذه المكتبة العلمية الجميلة الجليلة عام ١٢٣٧هـ وكل ما كان يربطها بالحرم الشريف النبوي سابقاً هو الشبابيك الثلاثة التي كانت تطل منها على الحرم النبوي. فلما كانت التوسعة السعودية الحالية أدخلت المدرسة المحمودية بعد هدمها ضمن التوسعة السعودية وأنشئ في البناء الحديث غرفة خاصة للمكتبة المحمودية نقلت إليها برمتها في أعلى باب الصديق رضي الله عنه مع مديرية الحرم الشريف النبوي فأصبحت هذه المكتبة الآن من الحرم وإلى الحرم"(٦١).

"ثم نقلت إلى مجمع مكتبات المدينة المنورة العامة، الواقع في الجهة الجنوبية من الحرم النبوي بجوار دار القضاء سابقا، ثم استقر بها المقام أخيرا في مكتبة الملك عبد العزيز موقعها الحالي"(٦٢). ولم تعد إلى مقرها الأساس في المسجد النبوي الشريف إلى يومنا هذا، وهي كما تأكد من خلال المصادر السابقة وقف من أوقاف المسجد النبوي الشريف.

"وتعد هذه المكتبة ثاني مكتبة بالمدينة المنورة بعد مكتبة عارف حكمت من حيث المحتويات والتنظيم والشهرة ، ووصفها علي ابن موسى بعد أن ذكر أسماء ثماني مكتبات بأنها: "أشهرها وأنظمها "، كما حدد تاريخ تجديدها ومكانها بقوله: "والمدرسة المحمودية الملاصقة لباب السلام للمرحوم السلطان محمود خان جددها سنة سبع وثلاثين بعد المائتين والألف ١٢٣٧هـ - ١٨٢١م ملاصقة للحرم الشريف من جهته الغربية. وقد ذكر الشيخ جعفر فقيه أن محتويات هذه المكتبة جرى نقلها إلى دمشق ووضعت في تكية السلطان سليم (أمام معرض دمشق الدولي الحالي)، وفاض عليها نهر بردى فأصاب جزءا من محتوياتها، ثم أعيدت إلى المدينة المنورة بعد ذلك"(٦٣).

وبالنسبة لمحتويات هذه المكتبة وفهارسها يقول المزيني: "وتحتوي المكتبة على (٣٣١٤) مخطوطا من المخطوطات الثمينة النادرة ، كما تحتوي على مطبوعات حجرية نادرة ، وحديثة عددها(٣٧٦٥) ، وجزء من هذه المطبوعات أوقاف شخصية حديثة. وللمكتبة فهرس من (١٩٨) صفحة يحتوي على بيانات مخطوطاتها التي توزعت بين فنون قراءات التجويد والتفسير والحديث وعلومه، وأصول الفقه ، والفقه الحنفي والمالكي والشافعي والحنبلي ، والمواعظ والإرشاد. والعقيدة ، والسيرة النبوية ، واللغة والنحو والصرف والبلاغة ، والحساب ، والطب، والأدب والتاريخ. وتتميز هذه المكتبة بكثرة مخطوطاتها في بعض الفنون مثل : التفسير والحديث والفقه الحنفي والحنبلي والتاريخ . كما تتميز كذلك بكثرة المجاميع الخطية التي تحتوي على عدة رسائل في فنون متنوعة لمؤلفين مختلفين ، قد تصل في بعض المجاميع إلى أربعين رسالة . وقد أفردت لهذه المجاميع من الفهرس (٨٨) صفحة. أما تواريخ نسخ المخطوطات بهذه المكتبة فتتراوح بين القرنين الرابع الهجري ، والثالث عشر الهجري، هذا مع وجود مجموعة كبيرة لم يعرف تاريخ نسخها . أما اللغة التي كتبت بها فهي العربية في الغالب ، وبعضها بالتركية والفارسية"(٦٤).

وبالنسبة للمطبوعات يذكر أن: "للمكتبة فهرس آخر من (١١٥) صفحة يحتوي على بيانات مطبوعاتها التي شملت فنونا متعددة منها: التجويد والتفسير والحديث ، والعقيدة ، وأصول الفقه ، والفقه الحنفي والمالكي والشافعي والحنبلي ، والفقه المقارن ، والسيرة النبوية ، والوعظ والإرشاد ، واللغة والنحو والصرف ، والحساب والهندسة ، والطب ، والأدب والتاريخ . هذا بالنسبة لمجموعة اللغة العربية ، ويضاف إليها مجموعة باللغة التركية تشمل كتبا في التفسير والأدب والتاريخ . وكمية كبيرة من هذه المطبوعات تمثل المجموعة الأساسية للمكتبة ، كما تم تزويدها بمجموعة أخرى عن طريق وكالة الوزارة لشؤون الأوقاف. وقد صدرت تلك المطبوعات في فترة القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين، عن عدد من المطابع المشهورة مثل: بولاق والعامرة والخيرية والأميرية ، والميمنية ، والسعادة ، وغيرها مما هو موضح على صفحات الفهرس"(٦٥).

٣/٥/٥/٤. مكتبة الشيخ عارف حكمت:

وهي من المكتبات الأثرية المميزة بالمدينة المنورة والتي تمّ تأسيسها في الحقبة العثمانية، وهي: "مكتبة مشهورة أوقفها عارف حكمت على مدينة المصطفى صلى الله عليه وسلم سنة ١٢٧٠هـ ولهذا رفضت حفيدته

عندما طلب منها حاكم المدينة فخري باشا الذي استمرت ولايته بين (١٣٣٤ – ١٣٣٨هـ) إعطاءه الإذن بنقل مكتبة جدها إلى خارج المدينة المنورة أثناء الحرب العالمية الأولى. وقد اختلف المؤرخون في عدد الكتب التي أوقفها عارف حكمت، فمنهم من قال إنها ستة آلاف كتاب (٦٠٠٠) حسب ما ذكره أحد معاصريه ومناصريه عن وقفه، ومنهم من جعلها خمسة آلاف مخطوط بين رسالة وكتاب. ويجزم بعضهم بأنها تشتمل على (٦٧٢٦) كتاباً منها (٢٠٠٨) مطبوعاً و (٤٧١٨) مخطوطاً. أما محمد كردي علي فإنه يوصلها إلى عشرة آلاف مجلد مخطوط وأما فهارسها الحالية فتشير إلى أنها تحوي زهاء خمسة آلاف مخطوط تنقص قليلاً أو تزيد.

وآخر من رصد محتوياتها في العصر الحاضر عبد الرحمن المزيني حيث قال: وقد ضمت المكتبة إلى إدارة الأوقاف بالمدينة المنورة سنة ١٣٨٠هـ ، ثم نقلت عقب إزالة مبناها إلى مكتبة الملك عبد العزيز حيث خصص لها جناح مستقل. وتعد هذه المكتبة من أجلّ مآثر الشيخ عارف حكمت، ومن مفاخر المدينة المنورة في العصر الحديث، فهي من أغنى المكتبات بالمخطوطات القيّمة لكونها تضم بين جنباتها عدداً من المخطوطات النادرة في شتى العلوم والفنون، وتزخر بالجم من التراث الإسلامي المكتوب باللغات العربية والفارسية والتركية، هذا بالإضافة إلى أنّ كثيراً من المخطوطات زُيّنت خير تزيين من حيث الخط والتذهيب.

وهي تحتوي على (٤٣٨٩) مخطوطاً أصلياً و (٦٣٢) مجموعاً خطياً يحوي (٣٨٣٨) رسالة مخطوطة، إضافة إلى (٧٨٧٥) مطبوعاً نادراً و حديثاً وكان عدد المطبوعات في السابق لا يصل إلى هذا العدد المشار إليه ولكنه زاد بواسطة الأشخاص الذين يوقفون كتباً عليها، أو يتبادلون بها مقابل تصوير مخطوطات منها، ومن بين المجموعات الملحقة بهذه المكتبة عن طريق الوقف مجموعة أردغان جعفر أسعد وعدد كتبها (١٦٩) كتاباً ومجموعة موسى تركستاني وعدد كتبها (١٠٥) كتاباً ومجموعة صالح إخميمي وعدد كتبها (٢٣٢) كتاباً"(٦٦). والباحث يؤيد هذا الرأي في أن الزيادة تكون عبر الوقف على المكتبة سواء من الأشخاص أو الحكام الذين أضافوا لها بعض الوقفيات، أما النقص فيكون بما يتم سلبه منها في بعض العهود.

وعن فهارسها ومحتوياتها يضيف: "وللمخطوطات فهرس مطبوع على الآلة الكاتبة من (٣٥٠) صفحة من القطع الكبير، كما أن المجاميع الخطية المشتملة على عدة رسائل لها فهرس آخر من (٢٨٩) صفحة ، ويتبين من هذين الفهرسين مدى تنوع مخطوطات هذه المكتبة حيث يتوافر بها عدد (٣٢) نسخة خطية من القران الكريم، هذا بالإضافة على اشتمال المكتبة على فنون متعددة يأتي من بينها : التجويد والقراءات، والتفسير، والحديث وأصوله، والعقيدة، والسيرة النبوية، وأصول الفقه، والفقه الحنفي والمالكي والشافعي والحنبلي، والفتاوى والفرائض، والوعظ والإرشاد، والحكمة والفلسفة، والبحث والمناظرة، واللغة والنحو والصرف والبلاغة والعروض والقوافي، والحساب ،والجبر والمقابلة ، والهندسة، والكيمياء ،والطب، والفلك، والأدب العربي، والفارسي، والتركي، والتاريخ العربي والتركي والفارسي، والجغرافيا، والفلاحة، وتعبير الرؤيا. كما أن المجاميع الخطية تشتمل على عدة رسائل في فنون متعددة لمؤلفين مختلفين ، وقد يصل مجموع الرسائل في بعض المجاميع إلى أربعين رسالة. وتتميز بأنها تمتد من حيث تاريخ النسخ على مساحة زمنية كبيرة تغطي أحد عشر قرنا تبدأ من القرن الرابع

هجري وتنتهي في القرن الرابع عشر الهجري. كما تتميز كذلك بأن الكثير من مخطوطاتها نسخت على أيدي مؤلفيها كما أن مخطوطاتها تكثر في موضوعات التفسير والحديث والعقيدة، والسيرة النبوية، والفقه الحنفي، والوعظ والإرشاد، واللغة، والأدب، والتاريخ"(٦٧).

جدول رقم (٦) فهارس المخطوطات والرسائل في مكتبة الشيخ عارف حكمت

عنوان الفهرس	عدد المخطوطات	عدد الرسائل
مخطوطات العقائد	٢٨٤	٣٧١
السيرة النبوية والقصائد النبوية	١٦٩	٤٦
أصول الفقه	٥٧	٤٨
الفقه الحنفي	٢٩٩	٢٥٨
الفقه المالكي والشافعي والحنبلي	٢٩	٢٨
فقه السنة والفقه العام المقارن	—	١١١
الفتاوى	١٠٤	١٨
الفرائض	٢٥	٣١
التصوف	٩٤	٦٣
الأدعية والأحزاب	١٤١	٢٣٩
الحروف والأسماء	٢٧	١٨
الوعظ والإرشاد	١٨٢	٢١٥
الحكمة والفلسفة والحكمة الطبيعية والمنطق والوضع	٢١١	٢١٤
البحث والمناظرة	٥١	٧٩
مخطوطات	١٢٨	٥٤
النحو	٢٠١	١٤٠
الصرف	٥٨	٢٩
البلاغة	١٢٦	١٣٣
العروض والقوافي	٢١	٤١
المنشآت والمكاتب	٤١	١٠
الأدب العربي	٢٤٨	٢٩٦
العلوم البحتة	١٥٠	٢٨١
التاريخ	٢٦٥	١٠٨
الجغرافيا والفلاحة والليتوغرافيا وتعبير الرؤيا والخط والرسم	٣٨	١٤٤
الإجمـــــــــــــالـــي	٢٩٤٠	٢٩٧٥

وعن المطبوعات يقول: "وللمطبوعات النادرة والحديثة فهرس مطبوع على الآلة الكاتبة مكون من (٢٣٧) صفحة، ويتبين من هذا الفهرس مدى تنوع مطبوعات هذه المكتبة واشتمالها على فنون متعددة يأتي من بينها : الفهارس وعلم المكتبات، الفلسفة، المنطق، البحث والمناظرة، المواعظ، القراءات، التفسير، أصول الحديث، الحديث، التوحيد، السيرة النبوية، أصول الفقه، الفتاوى، الفقه الحنفي والحنبلي والشافعي

والمالكي، الفرائض، اللغة العربية، النحو، الصرف، البلاغة، الحساب، الهندسة، الفلك، علم الميقات باللغة العربية. علم الميقات باللغة التركية، علم الكيمياء، الطب، الكتب العسكرية، الزراعة، الأدب العربي، الأدب التركي، الأدب الفارسي، المنشات والمكاتب، التاريخ العربي، التاريخ التركي، التاريخ الفارسي، الجغرافيا، المجاميع، التي تشتمل على كتب متعددة في فنون متنوعة. وتتميز مطبوعاتها بأنها تمتد من حيث فترة الطباعة على مساحة زمنية كبيرة تغطي الفترة من القرن الثاني عشر الهجري حتى القرن الخامس عشر الهجري. وفي الوقت نفسه تغطي تلك المطبوعات مساحة جغرافية كبيرة من حيث الصدور ، لأنها صدرت في أنحاء متفرقة من العالم الإسلامي ، وتولت إصدارها المطابع المشهورة مثل : بولاق ، والأميرية ، والعامرة ، والسعادة ، والسلطانية ، والمعارف ، والسلفية ، والأزهرية ، وغيرها كثير مما هو مبسوط على صفحات فهرس المكتبة"(٦٨).

وقد قام أمينها الحالي عبد الصمد محمد جان ظاهر الذي استلمها من أمينها السابق علي علوي إبراهيم منذ ما يزيد على (٣٠) سنة، قام بفهرسة معظم مخطوطات المكتبة والرسائل في المجاميع الخطية، وذكر: "أنه قام بفهرسة (٢٩٤٠) مخطوطة، و (٢٩٧٥) من مجاميع الرسائل حسب ترتيب العلوم في السجل العام الأساسي للمكتبة، ولم يتبق له إلا جزء يسير منها في علوم القراءات والتجويد والتفسير والحديث وأصول الحديث، يقوم بالعمل على إنجازه حاليا، وأضاف أن المخطوطات التركية والفارسية ليست ضمن برنامجه هذا، حيث تحتاج للاستعانة بمتخصصين يتقنون هذه اللغات، وذلك من إجمالي (٤٣٥٨) مخطوط و(٦٢٧) من المجاميع الخطية تحتفظ بها المكتبة"(٦٩). ويوضح الجدول رقم (٦) ما تم إنجازه في هذا الصدد.

٦/٥/٤. مكتبات المدارس الوقفية المدمجة بمكتبة الملك عبد العزيز:

حفلت المدينة المنورة بالعديد من المدارس الوقفية التي اشتملت على مكتبات تقدم خدماتها الخيرية حسب شروط موقفيها، وقد تعرضنا لنبذة عن تاريخ تلك المكتبات في الفصل السابق، وقد اندثر الكثير منها، وبقي جزء آخر لازال يحتفظ بمكوناته من المصاحف والمخطوطات والمجاميع والكتب، وفيما يلي نستعرض تلك التي لا زالت قائمة:

٦/٥/٤/أ. مكتبة مدرسة الشفاء :

"أسسها فيض الله أفندي؛ سنة ١١١٢هـ وكانت تقع في ((الشونة – حارة ذروان)) وقد أزيل مبناها سنة ١٣٩٧هـ بعد الحريق الذي نشب في سوق (القماشة) المجاور لها ... وهي الآن في مكتبة الملك عبد العزيز بالمدينة المنورة"(٧٠).

يقول التونسي: "أنشأها شيخ الإسلام الشيخ "فيض الله افندي" من علماء الدولة العثمانية، ارتقى مرتين إلى مقام شيخ الإسلام. له من المؤلفات فتاواه المشهورة وكتابه "نصيحة الملوك" كما أن له حاشية على تفسير البيضاوي ... وكان بها أكثر من عشرين غرفة، منها واحدة للناظر، وأخرى للمكتبة، ومحلاً لحافظ الكتب،

ومحلاً للمدرس، وأخرى للتدريس ، وست عشرة غرفة للطلبة، بالإضافة إلى المسجد ومطبخ للطلاب وغيره، وقد وقف عليها مؤسسها أوقافاً تؤمن احتياجاتها، وقد أزيل مبناها سنة ١٣٩٧هـ بعد الحريق الذي نشب في (سوق القماشة) المجاور لها. وممن وقف كتباً على هذه المكتبة الحاج السيد علي رضا بن إبراهيم أدهم"(٧١).

وعن محتويات المكتبة يقول المزيني: "وهي تضم (٩٨٠) مخطوطاً و (٥٤٢) مطبوعاً. وللمكتبة فهرس مكون من (٤٤) صفحة، ومخطوطاتها موزعة بين التجويد والقراءات والتفسير، والحديث وأصوله ، والسيرة النبوية، والعقيدة والمواعظ والأدعية، والفقه، والفرائض، والحساب ، والنحو والصرف ، وآداب المناظرة، والطب والأدب ، والتاريخ. والغالب في هذه المخطوطات أنها كتبت باللغة العربية، وبعضها كتب باللغة التركية والفارسية. أما تواريخ نسخها فتراوحت بين القرنين السابع والثالث عشر الهجريين ... وتحتوي مجموعتها المطبوعة كتباً في التفسير، والحديث،والفقه ،والسيرة ، والنحو، والحساب. وقد طبعت هذه الكتب باللغة العربية، وجملة كبيرة منها كانت باللغة التركية، أما تاريخ طبعها فكان يتراوح بين القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين، مع وجود بعض المطبوعات التي طبعت في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين،ولكنها قليلة جداً. وقد تولت طباعتها بعض المطابع التي اشتهرت في بعض البلدان الإسلامية في تلك الفترة أمثال: المطبعة العامرة، والخيرية،والمعارف والأميرية، والبهية، وبولاق، والحجرية، والميمنية والميرية، وغيرها"(٧٢).

٤/٥/٦/ ب . مكتبة مدرسة الساقزلي:

وهذه المدرسة الوقفية كانت تضم إضافة إلى المكتبة عدداً من الخلوات. يقول التونسي: "أنشأها أحمد ابن السيد إبراهيم الشهير بالساقزلي عام ١١٢٥هـ (١٧١٣م)، وقد ذكر الأنصاري في كتابه تحفة المحبين أنه أول من قدم من بيت الساقزلي إلى المدينة عام ١١٢٠هـ (١٧٠٨م)، وكان صاحب ثروة عظيمة. توفي سنة ١١٣٢هـ ولم يعقب. وتحتوي المدرسة على خمس عشرة خلوة، منها واحدة للمدرس وواحدة لحفظ الكتب، وخلوة للمهمات وخلوة للملازم، وعشرة للطلاب، كما بنى محلاً للتدريس، وكان موقعها في شارع الساحة – خلف دار الأيتام سابقاً ... وقد وقف على المدرسة وغيرها أوقافاً كثيرة من الدور والدكاكين وغيرها، ومن هذه الدور "حوش عميرة" الذي يحوي (مائتين وخمسين دارا، وست دور أخرى، وست دكاكين وأرض واحدة وحديقة"(٧٣).

يقول المزيني عن محتوياتها وفهارسها: "وقد وقف كثير من الأشخاص كتباً على هذه المدرسة، منهم الحاج السيد رضا بن إبراهيم أدهم المميز في خزينة المالية ، والمشير عادل باشا شيخ الحرم النبوي ومحمد طيفور آغا بواب الحجرة النبوية وغيرهم ، وتحوي مجموعتها (٥٣١) مخطوطاً و (٤٧٧) مطبوعاً. وللمكتبة فهرس دفتري من القطع الكبيرة مكون من (٣٥) صفحة غطى بيانات المخطوطات بها، وقد حاز قسم المجاميع على النصيب الوافر من هذا الفهرس حيث خصص لها (١٨) صفحة، ويأتي في مقدمة مخطوطات هذه المكتبة القرآن الكريم حيث حوت المكتبة (٢٣) مصحفاً مخطوطاً نسخ أكثرها في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين.

هذا بالإضافة إلى مخطوطات كثيرة في التجويد والتفسير، والحديث والعقيدة والفقه، والسيرة والأدعية والنحو والأدب والبلاغة والمنطق والحساب والتاريخ. ويتبين من الفهرس أن المخطوطات المبين تاريخ نسخها كانت في الفترة ما بين القرن الثامن الهجري والقرن الثالث عشر الهجري ... وهذه المكتبة كسابقتها من المكتبات الموقوفة تنوعت كتبها المطبوعة لتشمل فنون التفسير والحديث والسيرة النبوية والعقيدة والفقه واللغة والأدب والتاريخ والطب والهندسة، مع التركيز بشكل واضح على التفسير والحديث، وقد كتبت هذه المطبوعات باللغة العربية، وبعضها باللغة التركية، وقد صدرت عن مطابع متعددة في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين"(٧٤).

٤/٥/٦/ج . مكتبة مدرسة بشير آغا:

اختلف في تاريخ إنشاء هذه المدرسة، ويقول كثير من المؤرخين إنها لم يُعرف من الذي أنشأها سوى اسمه الأول، وذلك بالرغم من وجود صكّ شرعي بمحكمة المدينة المنورة يحدد شروط موقفها. تقول سحر الصديقي: "هي التي أوقفت بتاريخ ١١٥٠هـ ، ((ولا يعرف شيء عن مؤسسها سوى اسمه الأول الذي أطلق عليها، وربما كان أحد الموظفين الكبار في الدولة العثمانية)) وقد بنيت المدرسة ملاصقة لباب السلام في شارع الخياطين، ومن ثم نقلت ضمن رباط بشير آغا في باب المجيدي. ومن حيث الجانب المعماري يتكون المبنى من طابقين، وهو على شكل مستطيل وسطه ساحة واسعة، ويضم عشرين غرفة ذات عقود ومكتبة قيمة ... وقد وجدتُ أنّ الواقف حدّد في هذه الوقفية عدداً من الشروط ... أن يُعيَّنَ شيخ الحرم النبوي - كائنا من كان - على نظارة المدرسة والسبيل والدوارق الموضوعة بالمسجد النبوي"(٧٥). وما نصّ عليه شرط الواقف يؤكد ملكية المسجد النبوي الشريف لهذه المدرسة ومكتبتها.

وما ذَكَرته الباحثة وغيرها عن مُوقِف المدرسة أنه شخص مجهول ليس على إطلاقه، ذلك أنه في مقدمة الفهرس الوصفي لمحتويات المكتبة والذي أعده وطبعه مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة قبل طباعته لكتاب الباحثة بسنوات يقول عنه: "أصل بشير أغا من الحبشة، جُلب إلى إستامبول في جملة الخصيان السود للعمل في القصر، وخاصة في القسم النسائي (الحرملك)، وأشرف على تدريبه بيرق سيز علي الذي كان آغا الحرم الهمايوني في عهد السلطان مصطفى الثاني. وترقى بشير آغا في سلم الخدمة، وخاصة عندما تولى السلطان أحمد الثالث العرش العثماني سنة (١١١٥هـ)، ثم أرسل في موكب (الأم المرضعة) إلى الحج، وبعد عودته عين أميناً لخزينة القصر، وظلّ في هذا المنصب إلى أن أصابته الصراعات بين طوائف الموظفين برذاذها، فعزل مع آغا دار السعادة سنة (١١٢٥هـ)، وأرسل معه إلى قبرص ... وتحسن وضعه عند السلطان بفضل مساعي أصدقائه في القصر، وعين بناءً على طلبه شيخاً للحرم النبوي ... في ترجمته أنه عُين أواخر عام (١١٢٩هـ) آغا لدار السعادة (إستامبول) خلفاً لعنبر محمد آغا، وصار أحد أعيان الدولة ومن جلساء السلطان، وعندما تولى السلطان محمود الأول العرش العثماني سنة (١١٤٣هـ) قرّبه منه أيضاً وجعله من مستشاريه وأسند إليه نظارة الحرمين الشريفين، واستمر في منصبه إلى عام (١١٥٩هـ) حيث ثقل عليه المرض، وتوفي في قصر بهارية الساحلي، ودفن بجانب قصر أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه، وهذا تكريم لا يناله إلا أولوا الحظوة والمكانة العالية"(٧٦).

وأما عن نشأة المكتبة فقد "بدأت نواة المكتبة بمجموعة كتب أوقفها بشير أغا نفسه، وصلنا منها (٣١) كتاباً، عشرة منها في الفقه، وستة في التفسير، والبقية في العقيدة والسيرة النبوية واللغة والحديث والمنطق والعلوم الطبيعية. ونجد بعضها مؤرخا بعام (١١٣٠هـ)، أي قبل إنشاء وقفية المدرسة بواحد وعشرين سنة ... وقد مرّت المكتبة والمدرسة بمراحل مدٍّ وجزر منذ تأسيسها إلى أن تقوقعت في خزائن وصناديق مقفلة، إذ بقيت مدة من الزمن دون ناظر بعد وفاة ناظرها محمد صادق، وتلفت أو تأثرت بعض كتبها بطفح مياه الصرف الصحي، وبانتقالها من مقر إلى مقر، وأغلب الظن أن عدداً من مخطوطاتها فقد أو بيع أو انتقل إلى أماكن أخرى، غبر أن ما تبقى فيها عند فهرستها خير وفير فقد بلغ (١٨٣٢) مخطوطاً.

واللافت للنظر في هذه المكتبة وجود عدد غير قليل من الكتب بغير العربية، منها (٣٠٦) كتب باللغة العثمانية، و(٥٩) كتابا بالفارسية، وهذا مؤشر آخر للحركة الثقافية وتنوع المصادر أو تنوع الرواد والقراء. دليل حيوية المكتبة وكثرة المستفيدين منها"(٧٧). وعن المصير الذي آلت إليه تقول سحر الصديقي: "وقد هدمت المدرسة في مشروع توسعة المسجد النبوي وعوض عنها ... ولمّا سألت مدير فرع الوزارة عن استكمال بناء المدرسة، وممارسة نشاطها من جديد، أجاب بأنه قد تمّ بالفعل بناء المدرسة ثم ممارستها لأنشطتها ... وأما المكتبة، فقد ضُمّت إلى مكتبة المدينة المنورة العامة تحت اسم مكتبة مدرسة بشير أغا، ثم أخيراً استقر بها المقام في الوقت الحاضر في مكتبة الملك عبد العزيز"(٧٨).

وعن محتويات هذه المكتبة وفهارسها يقول المزيني: "وتضم مجموعة المكتبة (١١٧٩) مخطوطاً و(٨٤٠) مطبوعاً. وللمكتبة فهرس من (٥٢) صفحة يحتوي على بيانات مخطوطاتها التي شملت التجويد والتفسير والحديث وأصوله، والعقيدة والفقه والمنطق والنحو والصرف والبلاغة والأدب والتاريخ ، مع التركيز على نحو واسع على كتب العقيدة والحديث، والنحو والبلاغة والأدب الفارسي، والتركي. وقد امتدت فترة نسخ تلك المخطوطات بين القرنين الثامن والثالث عشر الهجريين... وللمكتبة كذلك فهرس من (٦٤) صفحة يحتوي على بيانات كتبها المطبوعة الموزعة بين فنون التفسير والحديث والسيرة والفقه والنحو والصرف والأدب والتاريخ والجغرافيا والتراجم، وتنقسم تلك الكتب إلى قسمين، قسم نادر وهو ما صدر في فترة متقدمة كالقرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين مثلاً، وقسم حديث وهو ما صدر في فترة متأخرة مثل أوائل القرن الخامس عشر الهجري وقد كتبت هذه الكتب في الغالب باللغة العربية، مع توافر كمية كبيرة أيضاً كتبت باللغة التركية"(٧٩).

وقد قام مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة بالإشراف على إعداد وطباعة فهرس وصفي لمخطوطات مكتبة بشير آغا، وشمل الفهرس (١٨٣٢) عنواناً تحت (١٦) موضوعاً، وأُلحق به (١٤) فهرسا. ويقع في (٨١١) صفحة. وهو عمل متقن قام به عدد من المتخصصين بإشراف عبد الباسط بدر ومصطفى عمار منلا، كما راجعه كل من محمد يعقوب تركستاني وأحمد محمد الخراط.

٤/٥/٦/د . مكتبة مدرسة كيلي ناظري:

يقول التونسي عن مكتبة هذه المدرسة: "أسسها مصطفى آغا كيلي ناظري سنة ١٢٥٤هـ (١٨٣٨م)، ويتكون بناؤها من ثلاثة أدوار ونصف، وبها أربع وعشرون غرفة، خصص منها مسكن للمدرس والناظر بالإضافة إلى غرفة المكتبة في جانب منها ... وممن قام بالتدريس بها السيد "علي كماخي" ناظرها السابق، إلى جانب قيامه بالتدريس في الحرم النبوي. ولعل من حسن حظ هذه المكتبة أن يطلب ناظرها السيد "علي كماخي" من إدارة الأوقاف ضمها إلى مكتبة المدينة العامة قبل أيام قلائل من نشوب الحريق في الشونة (سوق القماشة) عام ١٣٩٦هـ (١٩٧٦م) والذي أتى على مبنى المدرسة وما جاورها من مباني. وكان لها من الأوقاف خمس بيوت، يقع بعضها في الساحة والبعض الآخر في حوش التاجوري والمناخه ... أما ختم المكتبة فدائري كتب عليه "هذا وقف مدرسة كيلي ناظري في المدينة المنورة ١٢٥٤" وبعض الكتب لا تحمل ختما. وقد وقف عليها مؤسسها عدة أوقاف تؤمن احتياجاتها"(٨٠).

يقول المزيني عن مجموعاتها وفهارسها: "وتتكون مجموعتها من (١٩٢) مخطوطاً و(١١٤) مطبوعاً. ولهذه المكتبة فهرس من سبع صفحات يشتمل على محفوظات في التفسير والحديث والعقيدة والسيرة والفقه والمواعظ واللغة والأدب والتاريخ، ومن ملاحظة الفهرس يتبين أن تاريخ نسخ تلك المخطوطات ينحصر في ما بين القرنين التاسع والثالث عشر الهجريين، مع وجود بعض المخطوطات التي لم يتضح لها تاريخ نسخ محدد ... ومطبوعات هذه المكتبة تتركز بشكل أكبر في مجال الحديث إلى جانب اشتمال فهرسها على عناوين متفرقة في التفسير وعلوم القرآن والفقه وأصوله والنحو والصرف"(٨١).

٤/٥/٦/هـ . مكتبة المدرسة الإحسانية:

"أسسها مصطفى بن محمد عبد الرسول بن سليمان بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم، بباب الجمعة - حارة الأغوات في آخر الزقاق المؤدي إلى البقيع - وكان تأسيسها عام ١٢٧٥هـ (١٨٥٨م) حيث ذكر هذا التاريخ في اللوحة المربعة التي كانت تعلو باب المدرسة ... وقد وقف عليها سع دور منها داران ملاصقتان للمدرسة، وخمسة عشر دكانا ومقهى. ومبنى المدرسة مكون من طابقين ... وقد خصص الواقف من غلة وقفه مائة وعشرين قرشا للمدرس، ولحفظ الكتب ثلاثون قرشا، وللتولية خمسون قرشا، ولكل واحد من الطلبة عشرون قرشا. وختم المدرسة دائري كتب عليه "وقف المدرسة الإحسانية بالمدينة المنورة. وقد وقف عليها مؤسسها بعض العقارات التي تؤمن احتياجاتها"(٨٢).

وتتنوع محتوياتها ما بين المخطوط والمطبوع. "ويبلغ عدد ما تحتوي عليه (١١٤) مخطوطاً و (٢٦٢) مطبوعاً. واشتملت مجموعتها على مخطوطات في التفسير والحديث والسيرة والمواعظ والعقيدة والفقه وأصوله، مع التركيز على الفقه الحنفي، والنحو والصرف والأدب والتاريخ. وتتراوح تواريخ نسخها ما بين القرنين التاسع والثالث عشر الهجريين، وبعض مخطوطاتها لم يتبين تاريخ نسخها... وحوى فهرس المكتبة مصحفاً طبع سنة ١٣٤٠هـ، ونسختين من تجويد القرآن الكريم لعلي بيك أفندي طبعتا في مكة المكرمة سنة ١٣٠٧هـ، هذا بالإضافة إلى بعض كتب التفسير والحديث وأصوله ، والسيرة النبوية، والعقيدة والفقه، والنحو، والبلاغة والأدب والتاريخ،

والطب، وقد تنوعت تلك الكتب من حيث اللغة المكتوبة بها بين العربية والتركية، في حين تفاوتت من حيث تاريخ الطباعة بين القرنين الثاني عشر والرابع عشر الهجريين"(٨٣).

٤/٦/٥/و . مكتبة المدرسة القازانية:

يقول التونسي: "وقد أسسها "عبد الستار بن جابر" في زقاق جعفر بالمدينة، فقد جاء على كتاب الهداية لشيخ الإسلام برهان الدين علي بن عبد الجليل ما نصه "وقف المدرسة القزانية (التي) أنشأها عبد الستار بن جابر في زقاق جعفر" وعليه ختم المكتبة. كما يظهر ذلك من اللوحة المربعة أعلى باب المدرسة ... وقد وقف عدد من الأشخاص بعضا من الكتب على هذه المدرسة، كما هو الحال في مدارس أخرى كثيرة، فقد جاء على كتاب تفسير الطبري ما نصه " وقف هذا الكتاب عماد الدين مؤذن في المدينة المنورة إلى سكان مدرسة الشيخ عبد الستار رحمه الله بشرط أن يأخذ جلدا واحدا ويقرأ ويطالع ويدعو لواقفه ثم يُردّ ويأخذ جلدا ثانيا وهكذا إلى آخر الجلد". وختم المدرسة دائري كتب فيه وقف مدرسة القزانيه١٣١١هـ (١٨٩٣م)"(٨٤).

وعن محتوياتها وفهارسها يقول المزيني: "وقد وقف عدد من الأشخاص بعض الكتب على هذه المدرسة منهم عماد الدين أحد المؤذنين بالمسجد النبوي الشريف ، وتبلغ مجموعة هذه المكتبة (١٥١) مخطوطاً و(٢٤٩٩) مطبوعاً. وأكثر مخطوطات هذه المكتبة جاءت على هيئة مجاميع تضم عدة رسائل يصل عددها في بعض المجاميع إلى عشرين رسالة في فنون متعددة لمؤلفين مختلفين ... وتشتمل مخطوطات هذه المكتبة على عدة رسائل لعلي بن سلطان بن محمد القاري المشهور بملا القاري. ويتضح كذلك أن بعض المخطوطات لم تذكر أسماء مؤلفيها، كما أن كثيراً منها تخلو من ذكر تاريخ نسخها،وقد كتبت هذه المخطوطات باللغات العربية والفارسية والتركية والهندية، إلا أن الأكثر هو ما كان باللغة العربية.

وللقسم المطبوع بالمكتبة فهرس مكون من (١١١) صفحة من القطع الكبير، يخص الفقه الحنفي منها إحدى عشرة صفحة،ويأتي في مقدمة مطبوعاتها جملة كبيرة من المصاحف والأرباع والأجزاء صدرت عن بعض المطابع في استانبول وقازان ودلهي ما بين عامي ١٠٩٧هـ و ١٣٢٥هـ. ومع أن مطبوعات هذه المكتبة تغطي تقريباً جميع فنون المعرفة الإنسانية إلا أن التركيز واضح على موضوعات أكثر من غيرها مثل كتب التفسير، والحديث، والفقه الحنفي، واللغة ، والتاريخ ، كما يميز هذه المطبوعات تنوع النسخ من الكتاب الواحد حيث تتوافر له أكثر من طبعة صادرة من مطابع مختلفة في أماكن متعددة من العالم الإسلامي"(٨٥).

٤/٦/٥/ز . مكتبة المدرسة العرفانية :

يقول التونسي: "المدرسة العرفانية ومكتبتها: أسسها محمد عارف أفندي بن مصطفى بن محمد طوقادي المجاور بالمدينة والمدرس بمدرسة بشير أغا سنة ١٣١٤هـ (١٨٩٦م)، وتحتوي في الأصل على اثنتي عشرة غرفة ... وقد نقلت مكتبتها إلى مكتبة المدينة العامة عام ١٣٨٣هـ (١٩٦٣م)، حيث كانت مهملة ومعرضة للتلف ولا يستفاد منها، فقام ناظرها الحالي بتسليمها إليها، ومن نوادر كتبها كتاب تاريخ الحرمين باللغة التركية،

وفيه يتتبع المؤلف طريق المدينة ـ مكة، ويذكر القبائل الموجودة على هذا الطريق قبيلة قبيلة، من جزء واحد عن مكة وآخر عن المدينة المنورة"(٨٦).

وقبل نقلها وتسليمها لمكتبة المدينة المنورة العامة "أضاف إليها الناظر عمر عادل التركي خمس غرف في الطابق العلوي. وفيها مكتبة، ولها أوقاف تتكون من سبعة عشر دكاناً وسبع دور وقطعة أرض ... صك الوقفية مع الأستاذ أحمد بن الحسين لبان أحد طلاب المدرسة؛ الصك رقم (٢٠١) صفحة ١٠٥، جلد١، تاريخ ١٣١٥/٣/٢٥هـ، وأوقفها على طلاب الأناضول وقازان من غير المتزوجين"(٨٧).

وعن محتوياتها وفهارسها يقول المزيني: "تضم مجموعتها (٨٤) مخطوطاً و (٨١١) مطبوعاً. وفهرس مخطوطات هذه المكتبة مكون من ست صفحات من القطع الكبير، أفردت أربع صفحات منها للمجاميع التي حوت عدة رسائل في فنون متنوعة، والصفحتان الباقيتان للمخطوطات المفردة، وتوزعت تلك المخطوطات على التفسير، والعقيدة والحديث والفقه والسيرة النبوية والأدب والتاريخ ، ومخطوطات هذه المكتبة نسخ أكثرها في فترة القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين، وقليل جداً منها نسخ في القرن الثالث عشر الهجري، وكثير من مخطوطاتها لم يذكر لها تاريخ نسخ، في حين لم ينسخ في القرن التاسع الهجري سوى مخطوطة واحدة ومخطوطتان فقط نسختا في القرن العاشر الهجري ... وللقسم المطبوع من المكتبة فهرس مكون من (٤٠) صفحة من القطع الكبير، يضم كتباً نادرة صدرت في أنحاء متفرقة من العالم الإسلامي فيما بين القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين، والجزء الأكبر من هذه المطبوعات كتب باللغة العربية، وبعضها كان باللغة التركية. وقد توزعت هذه الكتب بين علوم القرآن والتفسير والحديث والعقيدة والفقه والسيرة والنحو والصرف والأدب والهندسة والتاريخ والجغرافيا"(٨٨).

٤/٥/٧ ـ مكتبات الأربطة المدمجة بمكتبة الملك عبد العزيز:

انتشرت الأربطة في المدينة المنورة وبمختلف أنواعها، فمنها ما كان للضعفاء والمساكين، ومنها ما كان لطلبة العلم، ومنها ما كان محدداً لفئة معينة من الأجناس. وقد ضمَّ الكثير منها مكتبات وقفية، ولكن ما بقي منها قليل مقارنة بما كان موجودا في الماضي، ومكتباتها تشمل التالي:

٤/٥/٧/أ. مكتبة رباط قرة (قراء) باش:

يقول التونسي: "رباط قراء باش ومكتبته: أسسه الشيخ "عبد الرحمن أفندي" القاضي بمكة المشرفة سابقا والواعظ بها عام ١٠٣١هـ (١٦٢١م) ويقع الرباط بجوار حمام طيبة، وهو عبارة عن بناء قديم مكون من ثلاث طوابق (بما فيها الدور الأرضي) توسطه باحة الدار الواسعة، وبها حوالي ثماني عشرة غرفة ومسجد للدراسة به بعد العشاء ... ومما استرعى انتباهنا ما ختم به الواقف صك وقفيته من النكير والتشديد على من يحاول تغيير شيء من الوقف أو إبطاله ... وقد ضمت مكتبته إلى مكتبة المدينة العامة بعد أن تلاعب سكان الرباط بمحتوياته من الأواني النحاسية ... وخلافها بالبيع، وكذلك الحال بالنسبة للكتب نفسها. وخوفا على البقية الباقية من الكتب من الأرضة والرطوبة. وغيرها من جهة أخرى. وكما هو الحال، فقد وقف بعض الأشخاص بعضاً من

الكتب على الرباط المذكور ... أما ختمه بيضاوي كتب عليه (هذا وقف مدرسة قره باش في المدينة المنورة ١٣٥٤ (١٩٣٥م) . صك الوقف رقم ٢٠ والمحفوظ لدى إدارة الأوقاف"(٨٩).

وقد اختُلِف فيه هل هو رباط أو مدرسة وقفية، وقد حسم التونسي في رسالته هذا الخلاف وأكد أنه رباط بقوله في الحاشية: "ذكر السيد علي حافظ وشكيب أرسلان ودي طرازي أنه مدرسة، وهذا مخالف لما جاء في صكّ الوقفية، حيث لم يذكر الواقف أنه مدرسة، بل نصّ في أكثر من موضع على أنه رباط، وربما أُطلق عليه مدرسة نظراً للدروس التي تعطى في مسجده وإلى اليوم، وذلك بعد صلاة العشاء من كل يوم."(٩٠).

وعن محتوياتها وفهارسها يقول المزيني: "وتضم مجموعتها (٨٢٠) مخطوطاً، و (٤٢٥) مطبوعاً. وللمكتبة فهرس من (٢٨) صفحة يوضح بيانات مخطوطاتها التي توزعت بين المصاحف والتفسير والعقيدة والحديث والسيرة والفقه الحنفي، وأصول الفقه، والمواعظ واللغة والنحو والصرف، والبلاغة ، والتاريخ . وبعض مخطوطاتها جاءت على هيئة مجاميع تحوي عدداً من الرسائل في فنون متنوعة لعدد من المؤلفين ، وتصل عدد الرسائل التي تحويها بعض المجاميع الخطية (٦١) رسالة . أما اللغة التي كتبت بها تلك المخطوطات فهي اللغة العربية والتركية والفارسية. ويتبين من الفهرس أن تواريخ نسخ هذه المخطوطات يمتد من القرن السابع الهجري إلى القرن الثالث عشر الهجري"(٩١).

وبالنسبة لمطبوعاتها يضيف: "وللقسم المطبوع بالمكتبة فهرس من (١٩) صفحة يحتوي على جملة من الكتب النادرة يأتي في مقدمتها كتب التفسير وعلوم القرآن، ثم الحديث، والعقيدة، والسيرة النبوية، والفقه الحنفي،والنحو والصرف ، والأدب والتاريخ، وأكثر هذه الكتب باللغة العربية، وبعضها باللغة التركية، وقد امتدت هذه المجموعة في تاريخ صدورها على فترة زمنية بدأت من أوائل القرن الحادي عشر الهجري إلى منتصف القرن الرابع عشر الهجري"(٩٢).

٤/٥/٧/ب . مكتبة رباط الجبرت :

كانت هذه المكتبة ضمن رباط الجبرت الذي خصصته الدولة العثمانية للمهاجرين الأحباش الذين قدموا المدينة المنورة في ذلك العهد ، وكان موقع المكتبة والرباط في شارع الملك عبد العزيز. يقول التونسي: "والمكتبة لم يقم شخص بوقفها على الرباط المذكور، وإنما هي عبارة عن مجموعات من الكتب لأشخاص قاموا بإهدائها إلى المكتبة،ومن هؤلاء : عبد الرحمن بن محمد أمين الجبرتي، سعيد جبرتي، ومحمد ياسين جبرتي... وغيرهم"(٩٣).

"وقد قام الشيخ عبد القادر الجبرتي ناظر الوقف بتسليم مجموعة المكتبة إلى إدارة الأوقاف فضمت إلى مجمع مكتبات المدينة المنورة العامة ، وتحتوي على (٢٥) مخطوطاً و (٧٨) مطبوعاً. ويلاحظ أن مجموعتها المخطوطة قليلة جداً، وكثير منها لم يذكر له تاريخ النسخ في الفهرس الخاص بهذه المكتبة، والعدد المبين له تاريخ النسخ ينحصر في الفترة من أوائل القرن الحادي عشر إلى أوائل القرن الرابع عشر الهجري، والمجموعة متنوعة الفنون، فنجد من بينها : التفسير ، والحديث، والفقه ، والسيرة، والنحو والأدب والحساب والهندسة، والطب

... وكذا الحال بالنسبة للمجموعة المطبوعة مع قلة أعدادها إلا أنها متنوعة الفنون تشتمل على كتب في التفسير والحديث والفقه والنحو والأدب ، كما تتميز بكونها من أوائل الطباعات"(٩٤).

٤/٥/٧/ج . مكتبة رباط عثمان بن عفان (رضي الله عنه):

يقول التونسي: "كان موقع هذا الرباط والمكتبة أمام "باب جبريل" في الجهة الشرقية من الحرم النبوي الشريف، في موقع دار عثمان بن عفان رضي الله عنه الصغرى، وبجواره رباط العجم في دار عثمان الكبرى. وكلتاهما في حياة النبي صلى الله عليه وسلم. وهذا الرباط من أوقاف المغاربة مع مجموعة أخرى من الأوقاف ... وكان أنشاؤهما عام ١٣٧٦هـ (١٩٥٦م) ... ومعظم كتب هذا الرباط في الفقه المالكي ،ومخطوطاتها أكثر من الكتب المطبوعة بها، وقد ذكر الأنصاري أنها كانت في خزائن خشبية عتيقة أخبره بعض نظار الرباط أنها أخرجت من الحجرة النبوية، وأنها من مصنوعات الدولة العباسية ومما أهدته إلى الحجرة النبوية الشريفة. ثم قال: " وهياكل هذه الخزائن ونقوشها وحلقاتها تؤيد كلها قول الناظر المشار إليه"(٩٥).

وهذه المكتبة كانت يمسح بالإعارة الخارجية، ولها فهارس للمخطوطات والكتب المطبوعة، يقول المزيني: "وقد تميزت هذه المكتبة بين مثيلاتها من مكتبات المدينة المنورة أنها كانت تسمح بالإعارة الخارجية، مقابل سند استلام يبقى لدى المكتبة إلى حين إعادة الكتاب إليها، وقد كانت بعض كتب المكتبة من وقف أشخاص منهم : حسونة علي البسطي الطرابلسي، وعبد الحافظ الحجاجي، والحاج الحسين بن محمد بن علي الزياني الجزائري. وتحتوي هذه المكتبة على (٧٦٠) مخطوطاً و (٦٥٧)مطبوعاً. وللمكتبة فهرس من (٤٣) صفحة من القطع الكبير يحوي بيانات مخطوطات التي تشتمل على عدد (٧٧) مخطوطة من المصاحف والأجزاء والأحزاب والسور، بالإضافة إلى مخطوطات في التفسير والقراءات والعقيدة والحديث والفقه وأصوله، والسيرة واللغة والنحو والصرف وتتميز المكتبة بكثرة مخطوطات القراءات والتجويد والفقه المالكي ، كما تتميز بكثرة المجاميع الخطية التي تحوي عدداً من الرسائل لمؤلفين مختلفين في فنون متنوعة، ويتراوح عدد الرسائل في هذه المجاميع ما بين رسالتين وست وعشرين رسالة في المجموع الواحد. وتمتد فترة نسخ هذه المخطوطات بين القرن السابع الهجري والقرن الرابع عشر الهجري، في حين توجد مجموعة كبيرة لم يعرف تاريخ نسخها كما يتضح من الفهرس"(٩٦).

وعن المطبوعات يقول: "وللقسم المطبوع في المكتبة فرس مكون من (٢٩) صفحة يحوي بيانات لكتب نادرة طبع أكثرها في مصر والهند والمغرب وتركيا، فيما عدا بعضها طبع في مكة المكرمة والمدينة المنورة والجزائر وبيروت ودمشق. وقد امتدت فترة صدور تلك الكتب ما بين القرنين الثاني عشر والرابع عشر الهجريين. وتوزعت بين التفسير وعلوم القرآن والحديث والعقيدة والفقه وأصوله والسيرة واللغة والنحو والصرف والأدب"(٩٧).

٤/٥/٨ ـ المكتبات الوقفية الخاصة المدمجة في مكتبة الملك عبد العزيز:

لم تكن المكتبات الوقفية التراثية التي تم تجميعها من حول المسجد النبوي الشريف هي المكوّن الوحيد لما أودع في مكتبة الملك عبد العزيز بالمدينة المنورة. بل تم إيداع عدد من المكتبات الوقفية الخاصة بها على

مدى العقود الماضية، ولم تكن في مجملها وقفاً خالصاً من أهل المدينة المنورة، بل شارك في وقفها أشخاص آخرون من خارجها، وفيما يلي نستعرض عدداً من المكتبات الوقفية الخاصة المدمجة بمكتبة الملك عبد العزيز والتي توافرت معلومات عنها، ذلك أن بعضا منها لا زال في محفوظاً في الصناديق إلى حين إعداد هذه الدراسة.

٤/٥/٨/أ- مكتبة الأستاذ/ حسن محمد كتبي:

يقول عنه المزيني: "ولد صاحب هذه المكتبة في مكة المكرمة سنة ١٣٢٩هـ وتلقى علومه بمدرسة الفلاح بمكة، وفي سنة ١٣٤٨هـ ابتعث للدراسة في بومباي بالهند، وأتم دراسته سنة ١٣٥٢هـ حيث نال الشهادة وعاد إلى مكة، حيث تولى تحرير جريدة صوت الحجاز، ولم يلبث أن استقال منها، وفي سنة ١٣٥٣هـ عين مدرساً بقسم تخصص القضاء الشرعي بالمعهد العلمي السعودي بمكة، وفي سنة ١٣٥٤هـ عين مديراً لمدرسة الطائف الحكومية ، فنظمها على خير ما يرام، وفي سنة ١٣٥٩هـ عين محرراً بديوان الأوراق بوزارة المالية، ثم استقال واشتغل بالأعمال الحرة. وفي سنة ١٣٩٠هـ صدر الأمر الملكي بتعيينه وزيراً للحج والأوقاف .

له عدة مؤلفات في موضوعات شتى منها: الأدب الفني، أشخاص في حياتي، سياستنا وأهدافنا، نظرات ومواقف، هذه حياتي، ملامح من شخصية البلاد العربية المقدسة، الدين مهد دعوة التضامن الإسلامي وغيرها ، كما له عدة مقالات نشرها خلال السنوات الثلاثين المنقضيات في الصحف والمجلات.

وقد كانت لديه مكتبة تضم عدداً كبيراً من الكتب في شتى الموضوعات أهداها إلى مكتبة الملك عبد العزيز بالمدينة المنورة عام ١٤١٤هـ ، وهي تضم (٩٠٥) كتاباً مطبوعاً. وتغطي كتبها جوانب متعددة من المعرفة الإنسانية مثل التفسير والحديث واللغة والأدب والتاريخ"(٩٨).

٤/٥/٨/ب ـ مكتبة السيد صافي بن عبد الرحمن الجفري:

يقول التونسي: "مكتبة السيد صافي بن عبد الرحمن الجفري العلوي، (وقفها) عام ١٣٣٧هـ (١٩١٨م)، وكان وكيل فراشه السلطان عبد الحميد (أي قائما بخدمة الحرام النبوي الشريف بإضاءة القناديل .. وغيرها)، بالإضافة إلى أعماله التجارية الأخرى. وقد تعرضت المكتبة لحريق ولكنها سلمت منه، وعندما طلبتها إدارة الأوقاف بالمدينة لضمها إلى مكتبة المدينة سُلِّمت إليها، لعدم وجود المستفيدين منها والقائمين عليها. استخدمت هذه المكتبة كمكتبة عامة في حياة مؤسسها حيث خصص لها مكاناً عاماً يستقبل فيه الراغبين في المطالعة، وكانت مواردها ضمن الأوقاف الخاصة التي وقفها السيد صافي، فلم تكن لها أوقافا خاصة بها"(٩٩).

ويقول المزيني: "وقد سُلِّمت المكتبة إلى إدارة الأوقاف لضمها إلى مكتبة المدينة العامة، وهي تحوي (٢٠٢) مخطوطاً ، و(٦٨٨) مطبوعاً. وتتركز مخطوطاتها في التفسير والقراءات والحديث وأصوله والتاريخ بالإضافة إلى متفرقات في الفقه والعقيدة والسيرة واللغة والأدب والأدعية والمواعظ ... وتنوعت كتبها المطبوعة فشملت التفسير والفقه والحديث واللغة والأدب والسيرة النبوية والتاريخ، ومن مطبوعاتها التي صدرت في أماكن متفرقة من العالم الإسلامي"(١٠٠).

٤/٥/٨/ج ـ مكتبة الشيخ/ عبد الرحمن بن عبد الله الخيّال :

"وصاحبها عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن الخيّال، من مواليد عام ١٣٤٢هـ بمدينة المجمعة، كان أول تلقيه للعلم عن طريق الكتّاب، وبعد افتتاح المعهد العلمي بالرياض التحق به، ثم التحق بكلية الشريعة بالرياض وتخرج فيها عام ١٣٧٨هـ . ثم تقلد بعض الوظائف عن طريق التعاقد في هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالمدينة المنورة، وكذلك هيئة الرقابة والتحقيق بالمدينة المنورة، كما عمل بوظيفة مستشار في الأوقاف بالمدينة المنورة لمدة خمس سنوات وأربعة أشهر اعتباراً من شعبان عام ١٤٠٢هـ إلى شهر محرم ١٤٠٨هـ ، وقد توفي رحمه الله عام ١٤١٧هـ .

وقد خلف الشيخ مكتبة غنية بالكتب النافعة تقدر بـ ٦٤٦ كتاباً مطبوعاً وقفها عام ١٤١٠هـ على مكتبة الملك عبد العزيز، حيث خصص لها جناح خاص بها. ولهذه المكتبة فهرس مكون من (٢٨) صفحة يحتوي على بيانات كتبها الموزعة بين التفسير، والعقيدة، والحديث، والسيرة النبوية، وكتب التراجم، والفقه المالكي والحنفي والحنبلي، وكتب الفتاوى، وبحوث المؤتمر الجغرافي الإسلامي الأول، وبحوث أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب اللذين نظمتهما جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، وبحوث المؤتمر الإسلامي العالمي لمكافحة المسكرات والمخدرات الذي نظمته الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة"(١٠١).

٤/٥/٨/د ـ مكتبة الشيخ/ عبد القادر أحمد الجزائري :

"عبد القادر بن أحمد الجزائري، المولود بالمدينة المنورة سنة ١٣١٦هـ، من علماء المدينة المنورة ومفتي المالكية بها، تولى القضاء في (العلا) مدة ثلاث عشرة سنة من ١٣٦١هـ حتى سنة ١٣٧٣هـ، ثم عاد إلى المدينة وتولى بها القضاء في المحكمة الشرعية الكبرى حتى سنة ١٣٨٧هـ، وكان مثلاً للنزاهة والاستقامة وطيب الأخلاق. حصل على إجازة في القراءات من شيخ قراء المدينة حسن بن إبراهيم الشاعر، كما أجازه محمد العربي ابن التباني بن الحسيني الواحدي في ٩ جمادي الأولى لعام ١٣٨٨هـ بإجازاته العامة والخاصة في الصحاح والمسانيد والمعاجم وموطأ مالك وغيرها من التصانيف. له بعض القصائد الشعرية. وقد رشح للإمامة في المسجد النبوي الشريف مدة من الزمن حيث كان يؤم المصلين في صلاة المغرب. توفي رحمه الله سنة ١٤٠٢هـ .

وقد أوقف ابنه أحمد مكتبته سنة ١٤٠٣هـ على مكتبة الملك عبد العزيز بالمدينة المنورة، وهي تضم مجموعة تقدر بـ ٢٠٧ كتاباً مطبوعاً. وهذه المكتبة كغيرها من المكتبات الموقوفة الأخرى تحتوي على مطبوعات متنوعة الفنون مثل : التفسير وعلوم القرآن والحديث وأصوله، والعقيدة والفقه وأصوله، واللغة العربية، والأدب والتاريخ والتراجم"(١٠٢).

٤/٥/٨/هـ ـ مكتبة الشيخ/ عبد القادر توفيق شلبي:

يذكر المزيني عنها قوله: "أسسها عبد القادر بن توفيق بن عبد الحميد الشلبي الطرابلسي الحنفي المدني، ولد بمدينة طرابلس الشام في بلدة شمالي بيروت سنة ١٢٩٥هـ، حفظ القرآن الكريم والتحق بإحدى المدارس وتعلم العلوم العربية وغيرها من العلوم، وبعد ذلك اتجه إلى تعلم الخط على كبار الخطاطين فبرع

واشتهر في الخطوط كلها: النسخ والرقعة والثلث والفارسي والديواني والصمايوني. وكان محباً للعلوم، فقد أخذ عن كبار مشايخ عصره فحفظ المتون العديدة، وقرأ الفقه والحديث والتفسير والفرائض والمناسخات والعربية والمعاني والبيان والبديع والمنطق وغيرها. جلس للتدريس في مساجد طرابلس وهو ابن عشرين سنة، ثم ابتعثته إدارة المعارف اللبنانية لتدريس أنواع الخطوط في الصفوف العليا في مدارسها.

هاجر إلى المدينة المنورة سنة ١٣١٩هـ حيث اشتهر بين علمائها وطلابها، فأخذ يدرس في المسجد النبوي الشريف الفقه الحنفي وأصوله، وكانت داره في باب قباء بالمدينة المنورة مقصداً للعلماء والطلاب ، حيث جعل من الطابق السفلي مدرسة ووضع فيها مكتبة فعرفت بمدرسة الشلبي. وقد ترك الشلبي مجموعة مؤلفات في المجالات الدينية والتاريخية والاجتماعية تزيد على ستة عشر مصنفاً. وكان رحمه الله مولعاً بالقراءة وجمع الكتب فقد اقتنى مكتبة حافلة بالكتب الثمينة والمخطوطات النادرة التي كتبها بيده وعلق عليها وشرحها"(١٠٣).

وقد أوقف ابنه هذه المكتبة، وعن محتوياتها وفهرسها يقول: "وقد أهدى هذه المكتبة ابنه محمد سعيد إلى مكتبة الملك عبد العزيز، وهي تضم (٨٨) مخطوطاً، و(٢١٦٩) مطبوعاً. وقد جاءت مخطوطات هذه المكتبة على هيئة رسائل ضمن مجاميع خطية، وهي في فنون متعددة يأتي من بينها علوم القرآن والتفسير والعقيدة والفقه والحساب، والنحو . وامتدت فترات نسخ تلك الرسائل بين القرنين الثامن والرابع عشر الهجريين. ومما يميز هذه الرسائل أن أكثرها كتبت بخطوط مؤلفيها. وللمجموعة المطبوعة بالمكتبة فهرس مكون من (١١٥) صفحة يحتوي على بيانات لكتب في التفسير وعلوم القرآن والحديث والعقيدة والسيرة والفقه واللغة والنحو والصرف والهندسة والحساب والطب والتاريخ والجغرافيا والتراجم. ومما يميز هذه المجموعة أنها من إصدارات القرن الرابع عشر الهجري فيما عدا كمية قليلة منها طبعت في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين، كما تتميز هذه المكتبة كذلك باشتمالها على جملة كبيرة من الكتب ذات المجلدات المتعددة لعدد من المؤلفين البارزين أمثال: ابن تيمية، وابن قيم الجوزية، والذهبي ، والسيوطي، وابن حجر العسقلاني، وابن قدامة المقدسي، والسبكي، والسخاوي، والطبري، وياقوت الحموي وغيرهم.

وقد صدرت هذه المطبوعات في عدد من المدن الإسلامية مثل: مكة المكرمة، والمدينة المنورة، والقاهرة، ودمشق واستانبول وتونس ودلهي ولكنو وبيروت، وحيدرآباد، وتولى طباعتها عدد من المطابع مثل: الترقي، والعامرة، وبولاق ، والميمنية، والميرية، والخيرية، وأم القرى، ودار الكتب، ودائرة المعارف، والسلفية، وغيرها مما هو موضح في فهرس المكتبة. وتحوي الأوراق الأخيرة من الفهرس عددها (٢٨) ورقة بيانات لـ (١٦٠) مجلداً من المجاميع المطبوعة، حيث تتراوح ما تحويه مجلداتها من رسائل ما بين رسالتين وثمان عشرة رسالة لمؤلفين مختلفين في موضوعات متنوعة"(١٠٤).

٤/٥/٨/و - مكتبة الشيخ/ عمر حمدان المحرسي:

"وقفها الشيخ عمر بن حمدان بن عمر بن حمدان المحرسي المالكي المدني، ولد رحمه الله بجربة في تونس سنة ١٢٩١هـ وتعلم وتثقف بها، ثم هاجر إلى المدينة سنة ١٣٠٤هـ . "تلقى علومه عن علماء كل من :

المدينة وتونس ودمشق ومكة واليمن وحضرموت. لم يشتغل بغير التدريس في الحرمين الشريفين ومدرسة الفلاح والمدرسة الصولتية. وكانت دروسه في الحديث والتفسير، وكان يلقب بمحدث الحرمين لتضلعه في علوم الحديث ولتدريسه بمكة والمدينة. كانت له كتب كثيرة بمكة والمدينة، إلا أن التي بالمدينة أهملت بعد وفاته وبيع شيء كثير، وجزء يسير منها هو الذي ضمّ إلى مكتبة المدينة العامة (٩١٨ كتابا)، وكان حريصا على شراء كل كتاب من المؤلفات القديمة لاسيما الخطية منها"(١٠٥).

ويقول المزيني: "وكانت له كتب كثيرة في مكة والمدينة، حيث كان محباً للقراءة، وكان يضع كتبه أمامه في باب العمرة بالمسجد الحرام ويوجد أضعافها بداره،فقد خلف مكتبة قيمة فيها نوادر الكتب والمخطوطات، استنسخ بعضها في أسفاره، ومن مكتبة الشيخ عارف حكمت بالمدينة. وتضم هذه المكتبة (١٣١) مخطوطاً و(٧٨٧) مطبوعاً، وللمكتبة فهرس من (١٣) صفحة يحتوي على بيانات لنسخ مخطوطة من القرآن الكريم، والقراءات والتفسير، والسيرة والأدعية والأذكار، والفقه والعقيدة، واللغة والنحو والأدب، وقد أفرد من الفهرس سبع صفحات للمجاميع الخطية التي تحتوي على عدة رسائل قد تصل في بعض المجاميع إلى خمس وعشرين رسالة في فنون متنوعة لعدد من المؤلفين.

وللمكتبة فهرس دفتري مكون من (٣٦) صفحة يضم مطبوعات تنوعت بين فنون مختلفة شملت التفسير والحديث والعقيدة والفقه، واللغة والنحو والصرف، والأدب والتراجم والتاريخ. توزعت في صدورها عن مطابع مختلفة في أنحاء متعددة من العالم الإسلامي، وقد امتدت هذه المطبوعات النادرة في تاريخ نشرها من القرن الثاني عشر الهجري إلى النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري"(١٠٦).

٤/٥/٨/ز ـ مكتبة الشيخ/ محمد إبراهيم الختني:

يقول المزيني: "أسسها الشيخ محمد إبراهيم بن سعد الله بن عبد الرحيم الفضلي الختني المدني، المولود سنة ١٣١٤هـ – ١٨٩٦م في ختن من مدن تركستان الشرقية في بلدة قاش. له اشتغال في التراجم والتاريخ، كما اشتغل في التدريس والإفتاء والتعريف بالكتب، حيث عين سنة ١٣٨٢هـ – ١٩٦٢م في وظيفة معرف للكتب النادرة والمخطوطات، ومترجماً للغات الفارسية والتركية والأوردية في المكتبة المحمودية، ثم عين مشرفاً أيضاً على مكتبة المدينة العامة التابعة للأوقاف، وكانت وفاته رحمه الله سنة ١٣٨٩هـ – ١٩٦٩م .

ومن أعماله أنه كان يلقي الدروس في بعض المدارس بالمدينة المنورة مثل مدرسة خوش بيكي، ومكتبة الشيخ عبد القادر الشلبي ومدرسته، ومدرسة العلوم الشرعية وغيرها. ألف العديد من الرسائل قبل هجرته إلى المدينة عام ١٣٤٨هـ – ١٩٢٩م، بعضها في النحو وبعضها في الفقه، وبقيت في ختن، كما ألف رسائل في المدينة لا تزال مخطوطة"(١٠٧).

"وتضم هذه المكتبة (٥٢)مخطوطاً و (٤٣٦) مطبوعاً تغطي جوانب متعددة من المعرفة الإنسانية مثل التفسير والحديث والفقه واللغة والأدب والطب والسيرة النبوية والتاريخ، وأكثر مخطوطاتها باللغة العربية وبعضها باللغة التركية والفارسية ... وتتميز مطبوعاتها لاشتمالها على فنون متعددة من المعرفة الإنسانية، بالإضافة إلى

ندرتها لكونها من أوائل الطبعات الصادرة في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين عن مطابع تمثل عدة مدن من العالم الإسلامي"(١٠٨).

٤/٥/٨/ح ـ مكتبة الشيخ/ محمد الخضر الجكني الشنقيطي :

يقول المزيني: "هو محمد الخضر بن عبد الله بن أحمد بن مايابي الجكني الشنقيطي، محدث، متكلم، ولد بشنقيط، ونشأ بها، ثم هاجر إلى المدينة المنورة، وهو مفتي المالكية بها، وكان في صحبة الأمير عبد الله بن الحسين عند مغادرته المدينة، إلى معان حيث وصل في معيته في ١١ تشرين الثاني سنة ١٩٢٠م، وقد عين قاضياً للقضاة، وعضواً في مجلس المشاورين في أول حكومة أردنية هاشمية في شرقي الأردن يوم ١٩٢١/٤/١١م. له عدة مؤلفات منها: مشتهي الخارف الجاني في رد زلقات التيجاني، واستحالة المعية بالذات وما ضاهاها من متشابه الصفات.توفي سنة ١٣٥٣هـ – ١٩٣٥م"(١٠٩).

ويضيف: "وخلف مكتبة قيمة أهداها إلى مكتبة عبد العزيز سنة ١٤١٣هـ ابنه محمد الأمين بن محمد الخضر الشنقيطي الذي تولى منصب قاضي القضاة في الأردن في ١٩٤٧/٢/٤م، وسفيراً للأردن لدى المملكة العربية السعودية، وبعد إحالته للتقاعد أمضى بقية حياته في المدينة المنورة. وهي تحتوي على (١٩) مخطوطاً، و (١٩٨٢) مطبوعاً، وأغلب كتب هذه المكتبة في الفقه المالكي. ومجموعة هذه المكتبة من المخطوطات قليلة،وهي موزعة على بعض الفنون مثل: الحديث، والفقه المالكي، والنحو والأدب ورسائل متفرقة.

ولهذه المكتبة فهرس مكون من (٨٥) صفحة تنوعت فيه الكتب المطبوعة بين التفسير والحديث وأصوله والعقيدة والفقه وأصوله ، والسيرة النبوية ، واللغة والنحو والصرف والبلاغة، والأدب والتاريخ، وكتب التراجم. وقد تراوحت فترة طباعتها بين القرن الثاني عشر الهجري وأوائل القرن الخامس عشر الهجري"(١١٠).

٤/٥/٨/ط . مكتبة الشيخ/ محمد نور كتبي الحسني :

"صاحبها محمد نور إبراهيم الكتبي بن محمد بن عبد الله الحسني، المولود في مكة المكرمة سنة ١٣٢٣هـ، بدأ حياته بحفظ القرآن وتجويده، وفي سنة ١٣٣١هـ التحق بالمدرسة الصولتية، وتخرج في القسم العالي منها سنة ١٣٣٧هـ، وبعد ذلك واصل تعليمه على علماء المسجد الحرام، حتى أجازوه للتدريس وشجعوه على نشر العلم وبثه. وفي سنة ١٣٤٠هـ تصدر للتدريس في المسجد الحرام في حصوة باب العمرة حيث درس الفقه على المذاهب الأربعة، وقد درس على يديه كثير من طلاب العلم ... وله بعض المؤلفات، وتوفي رحمه الله سنة ١٤٠٢هـ، وقد ترك مكتبة تزخر بكثير من المطبوعات النادرة وبعض المخطوطات"(١١١).

وعن محتويات المكتبة يقول المزيني: "وتحتوي مكتبته على أربع مخطوطات فقط: الأولى رسالة في الفقه لعبد الرحمن بن سليمان ، والثانية ديوان شعر، مجهول المؤلف، والثالثة مجموعة أشعار، مجهولة المؤلف كذلك، أما المخطوطة الرابعة ففي التراجم وهي ثبت تقي الدين عبد الباقي الحنبلي. أما المطبوعات فبلغت (٤٠٣) مطبوعاً شملت التفسير والقراءات والعقيدة والفقه وأصوله والحديث واللغة والأدب، والسيرة التاريخ"(١١٢).

٦/٤. المكتبات الوقفية الخاصة بالمدينة المنورة:

١/٦/٤ . مكتبة تكية (رباط) مظهر الفاروقي:

وهي من المكتبات الوقفية الأثرية بالمدينة المنورة والتي لازالت تحت نظارة الورثة، مثلها في ذلك مثل مكتبة البساطي. يقول التونسي: "أما مكتبة مظهر فهي لا تختص بسكان التكية كما ذكر ارسلان، وإنما هي الأخرى استخدمت ولا تزال إلى اليوم تستخدم (مكتبة عامة) يردها من شاء من طلاب العلم والمعرفة. ومنذ تأسيسها عام ١٢٩١هـ (١٨٧٤م) على يد الشيخ محمد مظهر الفاروقي (نسبة إلى الفاروق) وهو يقوم بفتحها يوميا للقراء إلى جانب قيامه بالتدريس في باحة الرباط. واستمر ابنه من بعده على منواله في ذلك إلى أن صارت حاليا إلى حفيده الشيخ "محمد مظهر" الذي لا يزال يفتح المكتبة يوميا في وقت الصباح إلى ما قبل الظهر، ويستقبل بها الرواد من أراد الإطلاع والقراءة ... عن الشيخ "محمد مظهر" القائم حاليا على شئون المكتبة. وبالمكتبة حوالي (٢٥٠٠) كتاب أكثرها مطبوع. ويوجد بها أقدم كتاب لتاريخ المدينة المنورة وهو تاريخ ابن شبة"(١١٣).

٢/٦/٤ . مكتبة السيد حبيب محمود أحمد العامة:

بدأ بتكوين مجموعاتها السيد حبيب محمود أحمد بداره في باب العنبرية، إذ كان يرتادها وجهاء وأدباء المدينة المنورة عند زيارتهم له. وبعد وفاته خصص أولاده قطعة أرض قريبا من جبل (أحد). "تبلغ مساحتها (٣٦٥٨) متر مربع لإقامة مبنى المكتبة عليها. وتم وضع حجر الأساس في يوم الثلاثاء ١٤٢٤/٨/٢٥هـ . وتم افتتاحها في يوم الاثنين ١٤٢٦/٢/٤هـ كما هو مدون على اللوحة التعريفية في بهو المكتبة. وهي تمثل نموذجا رائعاً للمكتبات الوقفية الحديثة، وذلك لما تحتوي عليه من مخطوطات وكتب ونظم آلية تقدم خدماتها للرواد مجانا. إضافة للخلوات الموجودة بالمكتبة لفائدة الباحثين وخاصة طلاب الدراسات العليا حيث توفر الهدوء والبعد عن التشويش وهو مطلب أساسي لطلاب العلم. كما يوجد بالمكتبة مدرجان يتسع كل واحد منهما لمائة وعشرين شخصاً ويمكن استخدامها مجاناً لعقد الندوات، وتتوافر بها وسائل العرض الحديثة من شاشات وبرجوكترات. وبها قسم خاص للنساء تتوافر فيه نفس الخدمات المتوافرة للباحثين والدارسين في القسم الرجالي. ويذكر مدير عام المكتبة أن عدد المخطوطات في المكتبة يبلغ (٤٠٠) مخطوط، وأن عدد المصاحف المخطوطة يبلغ عددها (١١٥) أقدمها يتجاوز عمره ستمائة عام، ويصل عدد الكتب إلى (٣٠،٠٠٠) ثلاثين ألفا"(١١٤).

٣/٦/٤ . مكتبات أخرى أهلية بيد الأبناء والأسر:

وهناك العديد من المكتبات الأهلية الخاصة بيد الأبناء أو لدى الأسر المدنية، ولا نجزم بأنها جميعاً وقفية، ولكن من المؤكد أن بعضه ثبتت وقفيته، ولكن ما هي شروط موقفها، هذا ما لا نعرفه نظراً لعدم استطاعة الباحث الوصول إلى معلومات كافية ومؤكدة عنها، وعموما فالجدول رقم (٧) يرصد مختلف أنواع المكتبات التي تم ذكرها في البحث، ويقسمها إلى ثلاثة أقسام كما هو موضح فيه، إضافة للمكتبات الأهلية (الشخصية) التي تم رصدها بالمدينة المنورة التي لا زالت قائمة إلى يومنا هذا.

جدول رقم (٧) المكتبات الوقفية والأهلية الموجودة بالمدينة المنورة عام ١٤٣٥هـ

أولا- المودعة في مكتبة الملك عبد العزيز بالمدينة المنورة:

الرقم	اسم المكتبة	الرقم	اسم المكتبة
١	مكتبة المصحف الشريف	٢	مكتبة الشيخ عارف حكمت
٣	المكتبة المحمودية	٤	مكتبة المدينة المنورة العامة
٥	مكتبة المدرسة الإحسانية	٦	مكتبة مدرسة بشير آغا
٧	مكتبة مدرسة الساقزلي	٨	مكتبة مدرسة الشفاء
٩	مكتبة المدرسة العرفانية	١٠	مكتبة المدرسة القازانية
١١	مكتبة مدرسة كيلي ناظري	١٢	مكتبة رباط الجبرت
١٣	مكتبة رباط قرة باش	١٤	مكتبة رباط عثمان بن عفان (رضي الله عنه)
١٥	مكتبة معالي الأستاذ/ حسن محمد كتبي	١٦	مكتبة السيد/ صافي عبد الرحمن الجفري
١٧	مكتبة الشيخ/ عبد الرحمن عبد الله الخيال	١٨	مكتبة الشيخ/ عبد القادر أحمد الجزائري
١٩	مكتبة الشيخ/ عبد القادر توفيق شلبي	٢٠	مكتبة الشيخ/ عمر حمدان المحرسي
٢١	مكتبة الشيخ/ محمد إبراهيم الختني	٢٢	مكتبة الشيخ/ محمد خضر الجكني الشنقيطي
٢٣	مكتبة الشيخ/ محمد نور الكتبي	٢٤	مكتبة الشيخ/ عمار الأزعر الهلالي
٢٥	مكتبة الشريف/ عبد العزيز محمد المراكشي	٢٦	مكتبة الشيخ/ إبراهيم خضر البشر
٢٧	مكتبة السيد/ عباس أحمد صقر الحسني	٢٨	مكتبة الدكتور/ محمد أحمد الرويثي
٢٩	مكتبة/ الشيخ محمد علي المويلحي	٣٠	مكتبة الشيخ/ سالم أسعد نعمان
٣١	مكتبة الشيخ/ أحمد عبد القادر قشقري	٣٢	مكتبة الشيخ/ محمد علي الصافي
٣٣	مكتبة الشيخ/ محمد حميد الحميد	٣٤	مكتبة الأستاذ/ عبد العزيز بن محمد الربيع
٣٥	مكتبة الدكتور/ عبد الله بن محمد الحجيلي		

ثانيا - مكتبات وقفية لدى أبناء موقفيها حسب شرط الواقف

١- مكتبة الشيخ مظهر الفاروقي	٢- مكتبة الشيخ أحمد البساطي	٣- مكتبة السيد حبيب محمود أحمد

ثالثا - مكتبات شخصية تم رصدها تاريخيا لدى الأبناء والأسر:

١- مكتبة العلاّمة/ محمد الأمين الجكني الشنقيطي	٢- مكتبة الشيخ/حمّاد محمد الأنصاري
٣- مكتبة الشيخ/ محمد مختار الجكني الشنقيطي	٤- مكتبة الشيخ/ عبد القدوس بن القاسم الأنصاري
٥- مكتبة آل المدنـــــــــي	٦- مكتبة آل هاشــــــــم
٧- مكتبة آل فقيـــــــــه	٨- مكتبة آل حافــــــــظ
٩- مكتبة آل البـــــــــري	١٠- مكتبة آل البرزنجــــي

٧/٤- خلاصة:

تضمّ المدينة المنورة بين جنباتها حاليا عددا من المكتبات الوقفية المميزة، وقد تنوعت تلك المكتبات ما بين مكتبات المساجد والأربطة والمدارس الوقفية، إضافة إلى المكتبات الوقفية الخاصة التي انتشرت في المدينة المنورة. وتجاوز عددها الأربعين مكتبة وقفية، وقد شارك في إنشائها مختلف طبقات المجتمع من علماء وحكام

وأثرياء. وقد تميزت بتنوع موقفيها الجغرافي فهم خليط من مختلف الأقاليم الإسلامية. وقد تميزت بحفظها لآلاف النوادر من المخطوطات والكتب، وذلك بالرغم من كل ما تعرضت له من الكوارث الطبيعية والأخطاء البشرية. ولا زالت مكتبات المدينة المنورة الوقفية يتم تزويدها بشكل مستمر من قبل المحسنين بنوادر المخطوطات والكتب في مختلف أنواع المعرفة، والتي يستفيد منها مختلف الرواد من باحثين وزوار وحجاج ومعتمرين.

هوامــش الفصل الرابع

١. الحميد، يوسف ابراهيم. **اهتمام الدولة السعودية بالمكتبات الوقفية**.- بحوث ندوة المكتبات الوقفية في المملكة العربية السعودية، المدينة المنورة ٢٥-٢٧محرم ١٤٢٠هـ، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الرياض: مطابع الحميضي، ص٦.

٢. المرجع السابق، ص ٦.

٣. حافظ، علي. **فصول من تاريخ المدينة المنورة**.- ط٣.- جدة: شركة المدينة للطباعة والنشر، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، ص٢٥٥.

٤. التونسي، حمادي علي محمد . **المكتبات العامة بالمدينة المنورة، ماضيها وحاضرها**. (رسالة ماجستير) إشراف عباس صالح طاشكندي، كلية الآداب، قسم المكتبات والمعلومات، جامعة الملك عبد العزيز، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ص،ح.

٥. الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي. **مكتبة المسجد النبوي بين النشأة والتطوير**.- ط١.- بيروت: بوك برودكشن،١٤٣٤هـ/٢٠١٣م.

٦. التونسي...، **المكتبات العامة بالمدينة المنورة، ماضيها وحاضرها**، ص. ن، س.

٧. المرجع السابق، ص، ن.

٨. المزيني، عبد الرحمن سليمان . **مكتبة الملك عبد العزيز بين الماضي والحاضر**.- ط١.- الرياض: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ١٤٢٠هـ ، ١٩٩٩م ، ص٥٤.

٩. المرجع السابق، ص٤٥.

١٠. الحربي، عبد الله. مدير قسم المجموعات الخاصة، مقابلة شخصية، ١٤رجب، ١٤٣٥هـ، ١١:١٥.

١١. المرجع السابق.

١٢. التونسي...، **المكتبات العامة بالمدينة المنورة، ماضيها وحاضرها**، ص. ل، م.

١٣. الرئاسة العامة...، **مكتبة المسجد النبوي بين النشأة والتطوير**، ص٣٢-٣٥.

١٤ التونسي...، **المكتبات العامة بالمدينة المنورة، ماضيها وحاضرها**، ص. م، ن.

١٥. عشوب، عبد الجليل عبد الرحمن . **كتاب الوقف** .- ط١.- القاهرة: دار الآفاق العربية، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ص٤٧.

١٦. المرجع السابق، ص٣١-٣٢.

١٧. التونسي...، **المكتبات العامة بالمدينة المنورة، ماضيها وحاضرها**، ص. ل.

١٨. الجهني، محمد. مدير قسم المصاحف، مقابلة شخصية، ٢٢رجب، ١٤٣٥، ١٣:١٠.

١٩. المرجع السابق.

٢٠. العبيد، سليمان. مدير مكتبة المسجد النبوي، مقابلة شخصية، ١٦محرم، ١٤٣٥، ١١:٠٠.

٢١. الجهني، محمد. مدير قسم المصاحف، مقابلة شخصية، ٥ شعبان، ١٤٣٥، ١٣:١٠.

٢٢. الرئاسة العامة...، **مكتبة المسجد النبوي بين النشأة والتطوير**، ص٧٩-٨١.

٢٣. التونسي...، **المكتبات العامة بالمدينة المنورة، ماضيها وحاضرها**، ص، ٢٣.

٢٤. حافظ...، **فصول من تاريخ المدينة المنورة**، ص٢٥٧.

٢٥. الخياري، ياسين احمد ياسين. **صور من الحياة الاجتماعية بالمدينة المنورة**.- ط١.- جدة: مطابع مؤسسة المدينة للصحافة، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، ص١٢٨.

٢٦. المرجع السابق، ص١٢٦-١٢٧.

٢٧. الرئاسة العامة...، **مكتبة المسجد النبوي بين النشأة والتطوير**، ص٨٣.

٢٨. الحكمي، عبد الرؤوف. سكرتير مكتبة المسجد النبوي، مقابلة شخصية،٦رجب، ١٠:٣٠.

٢٩. التونسي...، **المكتبات العامة بالمدينة المنورة، ماضيها وحاضرها**، ص، ٢٤.

٣٠. الرئاسة العامة...، **مكتبة المسجد النبوي بين النشأة والتطوير**، ص٧٥-٧٨.

٣١. العجلان، علي. مدير قسم الإجراءات الفنية بمكتبة المسجد النبوي، مقابلة شخصية، ٢٠شعبان، ١٣:١٥.

٣٢. الرئاسة العامة...، **مكتبة المسجد النبوي بين النشأة والتطوير**، ص١١٦-١١٧.

٣٣. المرجع السابق، ص١٢٤-١٢٦.

٣٤. المرجع السابق، ص١٢٧-١٢٩.

٣٥. المرجع السابق، ص١٤٧-١٤٩.

٣٦. الحربي، عبد الله. مدير قسم المجموعات الخاصة، مقابلة شخصية، ٢٧شعبان،١٤٣٥هـ، ١٣:١٥.

٣٧. الرئاسة العامة...، **مكتبة المسجد النبوي بين النشأة والتطوير**، ص١٤٩-١٥٠.

٣٨. المرجع السابق، ص١٧٥-١٧٦.

٣٩. الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي. مخطوطات المسجد النبوي الشريف.- ط١.- المدينة المنورة: مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، ص٣.

٤٠. الرئاسة العامة...، **مكتبة المسجد النبوي بين النشأة والتطوير**، ص١٧٨.

٤١. المرجع السابق، ص١٨٤.

٤٢. المرجع السابق، ص٢٣٠-٢٣٤.

٤٣. المرجع السابق، ص٢٥٧-٢٦٩.

٤٤. المزيني...، **مكتبة الملك عبد العزيز بين الماضي والحاضر**، ص٢٣٧.

٤٥. حافظ، علي. **فصول من تاريخ المدينة المنورة**، ص٢٥٧-٢٥٨.

٤٦. المرجع السابق، ص٢٥٧.

٤٧. التونسي...، **المكتبات العامة بالمدينة المنورة، ماضيها وحاضرها**، ص٤٦.

٤٨. المزيني...، **مكتبة الملك عبد العزيز بين الماضي والحاضر**، ص ٨٤-٨٦.

٤٩. التونسي...، **المكتبات العامة بالمدينة المنورة، ماضيها وحاضرها**، ص٣٠.

٥٠. المرجع السابق، ص٤٦.

٥١. المزيني...، **مكتبة الملك عبد العزيز بين الماضي والحاضر**، ص٣٣.

٥٢. المرجع السابق، ص٣٣-٣٦.

٥٣. المرجع السابق، ص١٨٧-١٩٩.

٥٤. المرجع السابق، ص٤٥-٥٠.

٥٥. المرجع السابق، ص٥٣.

٥٦. المزيني، عبد الرحمن، مدير عام مكتبة الملك عبد العزيز (سابقا)، مقابلة شخصية، ٢٤محرم، ١٤٣٥.

٥٧. المزيني...، **مكتبة الملك عبد العزيز بين الماضي والحاضر**، ص٥٣-٥٤.

٥٨. المرجع السابق، ص٥٤-٦٠.

٥٩. حجار، طارق عبد الله. **المدارس الوقفية في المدينة المنورة دراسة تاريخية وصفية**.- جامعة أم القرى، مؤتمر الأوقاف الأول في المملكة العربية السعودية. مكة المكرمة: شعبان ١٤٢٢هـ، ص١١٦.

٦٠. المزيني...، **مكتبة الملك عبد العزيز بين الماضي والحاضر**، ص٦١.

٦١. الخياري...، **صور من الحياة الاجتماعية بالمدينة المنورة**. ص٧٢.

٦٢. المزيني...، **مكتبة الملك عبد العزيز بين الماضي والحاضر**، ص٦١.

٦٣. المرجع السابق، ص٦٣.

٦٤. المرجع السابق، ص٦٣-٦٤.

٦٥. المرجع السابق، ص٦٧-٦٨.

٦٦. المرجع السابق، ص٧٤-٧٥.
٦٧. المرجع السابق، ص٧٥-٧٦.
٦٨. المرجع السابق، ص٧٨-٧٩.
٦٩. ظاهر، عبد الصمد جان. أمين مكتبة عارف حكمت، مقابلة شخصية، ٦ربيع أول، ١٤٣٥هـ، ١٠:١٥.
٧٠. الرئاسة العامة...، **مكتبة المسجد النبوي بين النشأة والتطوير**، ص٦٠.
٧١. التونسي...، **المكتبات العامة بالمدينة المنورة، ماضيها وحاضرها**، ص٣٨-٣٩.
٧٢. المزيني...، **مكتبة الملك عبد العزيز بين الماضي والحاضر**، ص١٠٥-١٠٧.
٧٣. التونسي...، **المكتبات العامة بالمدينة المنورة، ماضيها وحاضرها**، ص٣٧.
٧٤. المزيني...، **مكتبة الملك عبد العزيز بين الماضي والحاضر**، ص٩٩-١٠٠.
٧٥. الصديقي، سحر عبد الرحمن . **أثر الوقف الإسلامي في الحياة العلمية بالمدينة المنورة** . - المدينة المنورة:. مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، ١٤٢٤هـ /٢٠٠٣م ، ص١٤٧-١٤٩.
٧٦. مركز بحوث ودراسات المدينة المنور. **مخطوطات مكتبة بشير أغا** بالمدينة المنورة (فهرس وصف).- ط١.- بيروت: مؤسسة عبد الحفيظ البساط، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، ص. س،ع.
٧٧. المرجع السابق، ص. ف،ص،ق.
٧٨. الصديقي...، **أثر الوقف الإسلامي في الحياة العلمية بالمدينة المنورة**، ص١٥٠-١٥١.
٧٩. المزيني...، **مكتبة الملك عبد العزيز بين الماضي والحاضر**، ص٩٤-٩٦.
٨٠. التونسي...، **المكتبات العامة بالمدينة المنورة، ماضيها وحاضرها**، ص٤١-٤٢.
٨١. المزيني...، **مكتبة الملك عبد العزيز بين الماضي والحاضر**، ص١٢٠-١٢٢.
٨٢. التونسي...، **المكتبات العامة بالمدينة المنورة، ماضيها وحاضرها**، ص٣٥-٣٦.
٨٣. المزيني...، **مكتبة الملك عبد العزيز بين الماضي والحاضر**، ص٨٩-٩١.
٨٤. التونسي...، **المكتبات العامة بالمدينة المنورة، ماضيها وحاضرها**، ص٣٣-٣٤.
٨٥. المزيني...، **مكتبة الملك عبد العزيز بين الماضي والحاضر**، ص١١٣-١١٧.
٨٦. التونسي...، **المكتبات العامة بالمدينة المنورة، ماضيها وحاضرها**، ص٣٤.
٨٧. الرئاسة العامة...، **مكتبة المسجد النبوي بين النشأة والتطوير**، ص٦١.
٨٨. المزيني...، **مكتبة الملك عبد العزيز بين الماضي والحاضر**، ص١١٠-١١٢.
٨٩. التونسي...، **المكتبات العامة بالمدينة المنورة، ماضيها وحاضرها**، ص٤٥-٤٦.
٩٠. المرجع السابق، ص٤٥.
٩١. المزيني...، **مكتبة الملك عبد العزيز بين الماضي والحاضر**، ص١٣٤-١٣٥.
٩٢. المرجع السابق، ص١٣٦.
٩٣. التونسي...، **المكتبات العامة بالمدينة المنورة، ماضيها وحاضرها**، ص٤٢.
٩٤. المزيني...، **مكتبة الملك عبد العزيز بين الماضي والحاضر**، ص١٢٤-١٢٥.
٩٥. التونسي...، **المكتبات العامة بالمدينة المنورة، ماضيها وحاضرها**، ص٤٢-٤٣.
٩٦. المزيني...، **مكتبة الملك عبد العزيز بين الماضي والحاضر**، ص١٢٨-١٢٩.
٩٧. المرجع السابق، ص١٣١.
٩٨. المرجع السابق، ص١٣٩-١٤٠.
٩٩. التونسي...، **المكتبات العامة بالمدينة المنورة، ماضيها وحاضرها**، ص٣٢.
١٠٠. المزيني...، **مكتبة الملك عبد العزيز بين الماضي والحاضر**، ص١٤٤-١٤٦.
١٠١. المرجع السابق، ص١٤٨-١٤٩.

١٠٢. المرجع السابق، ص١٥١-١٥٢.
١٠٣. المرجع السابق، ص١٥٥-١٥٦.
١٠٤. المرجع السابق، ص١٥٦-١٥٨.
١٠٥. التونسي...، **المكتبات العامة بالمدينة المنورة، ماضيها وحاضرها**، ص١٠٧.
١٠٦. المزيني...، **مكتبة الملك عبد العزيز بين الماضي والحاضر**، ص١٦٣.١٦٥.
١٠٧. المرجع السابق، ص١٦٨.
١٠٨. المرجع السابق، ص١٦٨-١٧٠.
١٠٩. المرجع السابق، ص١٧٣.
١١٠. المرجع السابق، ص١٧٣-١٧٥.
١١١. المرجع السابق، ص١٧٨-١٧٩.
١١٢. المرجع السابق، ص١٧٩.
١١٣. التونسي...، **المكتبات العامة بالمدينة المنورة، ماضيها وحاضرها**، ص٤٤.
١١٤. أمين مكتبة السيد حبيب محمود. ٢٥رجب، ١٠:٣٠.

الفصل الخامس

مستقبل المكتبات الوقفية بالمدينة المنورة في البيئة الرقمية

٥/٠. تمهيد:

مع إطلالة القرن الحادي والعشرين ومع زوال الأربطة، والزوايا، والخانقاهات، وغيرها من الأماكن التي احتضنت المكتبات الوقفية يكاد دور المكتبات الوقفية المجيد في خدمة العلم والعلماء في العالمين العربي والإسلامي أن يضمحل وينتهي، وذلك لأسباب مختلفة. منها ابتلاء الأمة بعصر الاستعمار الغربي في القرن الماضي لمعظم أقاليمها وما جرّه عليها من انكسار وتخلف انعكس على جميع نواحي الحياة. وشمل طبعا المؤسسات التعليمية والمكتبات الوقفية كذلك، فخلت المساجد من مكتباتها العظيمة وحلق التعليم التي كانت تضجّ بها. وإضافة لكون الاستعمار أداة لتدمير هذه البلدان، فقد كان أيضا وسيلة للاستيلاء على ثرواتها المادية والعلمية، بنقل آلاف المخطوطات من العالم العربي إلى أوروبا وغيرها، سواء كان ذلك عن طريق الشراء، أو الاستيلاء عليها بقوة السلطة، كما حدث مع قبة بيت المال بدمشق أو بنهبها، ولا زالت مكتبات أوروبا تتزين إلى اليوم بالمخطوطات العربية في مختلف العلوم. ومر بنا سابقا أن سبب إنشاء دار الكتب في مصر هو مبادرة حميدة لحفظ ما بقي من الكتب في المكتبات الوقفية في مصر بعدما لوحظ كثرة تهريبها إلى أوروبا. وسبب آخر غير مباشر أدى إلى قلة الاعتماد على الوقف، وهو تولي الحكومات مسئولية الرعاية للمكتبات المدرسية والجامعية والعامة، فتوقف المانحون عن إنشاء المكتبات الوقفية اعتمادا على دور الدولة.

وبالرغم من تلك الأسباب فقد ظل بعض المكتبات الوقفية قائما إلى يومنا هذا، ومن ذلك ما تم تجميعه منها في دار الكتب بمصر، وفي مكتبة المدينة المنورة العامة، وفي مكتبة الملك عبد العزيز بالمدينة المنورة، وكذلك مكتبات الحرمين الشريفين والجامع الأزهر وغيرها من المكتبات التي تم ذكر بعض نماذجها في الفصل الثاني.

٥/١. العلاقة المستقبلية بين الوقف وعصر صناعة المعلومات:

يعيش العالم حاليا عصر صناعة المعلومات، فقد دخلت المعلومات في كل مكونات الحياة العصرية، وفاز صناعها بكل المكاسب المادية والمعنوية، وكان ذلك بناء على البذل السخي في مجال العلم والبحث العلمي، وكان ولا زال التنافس بين دول الغرب والشرق تنافسا قويا لحيازة السبق في هذا المجال.

أما الدول العربية فظلت تعاني من نقص كبير في مجال اللحاق بعصر التقنية وصناعة المعلوماتية. وبالنسبة للدخول في مجتمع المعلوماتية، وصناعة المعلومات يظل معظم العالم العربي حاليا في مؤخرة الركب، يقول محمد فتحي عبد الهادي: "من الواضح أن العالم العربي لم يستعد بعد للدخول في زمرة مجتمعات

المعلومات، وعلى الرغم من أن الاهتمام بصناعة المعلومات قد كسب أرضا جديدة لا بأس بها في عديد من البلدان العربية، إلا أنها ما تزال في مرحلة البداية ... ويبين نبيل علي في كتابه الشهير ((العرب وعصر المعلومات)) الملامح الرئيسية والظواهر الموجودة في البلدان العربية. ويلفت النظر الإشارة إلى ضعف الهياكل الأساسية لتكنولوجيا المعلومات، في معظم البلدان العربية، من شبكات اتصال ونظم تقييس وعمالة مدربة، علاوة على غياب سياسات متبلورة للمعلومات قوميا وقطريا"(١).

ويعود هذا الضعف إلى قلة الصرف على العناصر الأساسية المكونة لتكنولوجيا المعلومات، وذلك بسبب قلة الموارد حينا، وعدم الاهتمام بالمستقبل أحيانا. وما نشاهده من اهتمام بالمعلومات في بعض الدول العربية، لا يمس جوهر هذه الصناعة، يقول عبد الهادي أيضا: "إن الاهتمام العربي بصناعة المعلومات ينحصر في دعامتين، هما: صناعة البرامج والاتصال بشبكات المعلومات، أما الشقّ المادي وهو صناعة الالكترونيات الدقيقة وأجهزة الحاسبات الآلية .. فإنه إما قائم على الاستيراد للحاسبات المنتجة بصورة كاملة من بلادها، أو على عمليات تجميع فردية بعد استيراد مكونات الحاسبات بصورة متفرقة من الأسواق المختلفة، وهذه الصناعة شديدة البعد عن التصميم والابتكار، الذي يمثل جوهر النجاح والتميز فيها"(٢).

وتظل المكتبات هي مكان تجميع العلوم والمعرفة، وهي الوسيلة المعتمدة للتحصيل المعرفي الإنساني، ومهما تغير شكلها من تقليدي إلى رقمي، أو غيره مستقبلا كالحوسبة السحابية فتظل المكتبات هي الأساس الذي يعول عليه في حفظ ومعالجة واسترجاع المعارف والعلوم. يقول بيتر بروفي في كتابه ((المكتبة في القرن الحادي والعشرين)): "واليوم نحن نعيش في ظل شلال منهمر من المعلومات، بداية من صفحات الإنترنت مرورا بالكتب والصحف والشرائط الصوتية وشرائط الفيديو وانتهاء بالوسائط المتعددة المجسمة. ولقد صار النشاط الاقتصادي معتمدا بصورة متزايدة على تجارة واستخدام المعلومات والمعرفة. حيث تضاعف حجم الخدمات المبنية على المعرفة من عام ١٩٩٥ إلى عام ٢٠٠٨ بمقدار ثلاث مرات، بينما ارتفعت نسبة العمالة ذات العلاقة بمجالات المعرفة من ٣٠% من إجمالي العمالة عام ١٩٩٠ إلى ٤١% اليوم"(٣).

والدخول في عصر المعلوماتية وصناعة المعلومات، يتطلب من الدول العربية إنفاق الكثير من الأموال على إنشاء المكتبات الرقمية في مختلف المراحل، بدءا من مكتبات الأطفال التي توازي الكتاتيب، إلى المكتبات المدرسية، وصولا إلى المكتبات الجامعية، ثم إنشاء ودعم مراكز البحث العلمي بشكل عملي وواقعي، والعمل على بناء قاعدة سليمة للصناعة المعلوماتية أسوة بما تم في كثير من المجتمعات الأخرى التي سبقتنا منذ عقود في هذا المجال، وحينها ستجني المجتمعات العربية عوائد أكثر في حال استثمارها في هذا المجال، والأهم أنها ستعالج مشكلة البطالة التي تعاني منها الدول العربية عموما، وذلك بتوظيف الأجيال الصاعدة بعد تأهيلهم في مجالات صناعة المعلومات والتي تحتاج إلى أعداد كبيرة من القوى العالمة. يقول فتحي عبد الهادي: "وتبين إحدى الدراسات أن القوى العاملة الآن في مهن المعلومات تصل نحو ٥٠% (مع اختلاف في الرقم الدقيق من بلد لآخر)، بينما يصل عدد العاملين في القطاع الصناعي ٢٩%، بالإضافة لهذا فإن قطاع الخدمات يشغل

الآن أقل من ٣٠% من القوى العاملة"(٤). "ومن المؤكد أن الإنفاق على صناعة المعلومات يتطلب توفير ميزانيات ضخمة، وهو ما لا يتوافر حاليا لدى معظم الدول العربية"(٥).

وأما في العالم العربي فإن الاستثمار في مصر أكبر الدول العربية بلغ ٣٣٦ مليون دولار في عام ١٩٩٦م، ومقارنة مع دول أخرى يتبين مدى ضعف الإنفاق العربي في هذا المجال، يقول فتحي عبد الهادي: "وتشير بعض الإحصائيات إلى أن إجمالي الصناعات الإلكترونية بلغ في مصر عام ١٩٩٦ نحو ٣٣٦ مليون دولار، بعد استبعاد صناعة برامج التشغيل، وذلك مقابل ٢٧،٢ مليار دولار في كوريا و١٧،٢ مليار دولار في سنغافورة و٣،٣٨ مليار في الهند"(٦).

وبناء على ما سبق يتضح مدى الحاجة الماسة إلى الإنفاق على إنشاء المكتبات بنوعيها التقليدي والرقمي، وكذلك تدعيم مجالات البحث العلمي لخلق الركائز الأساسية لصناعة المعلومات في العالم العربي، خاصة وأن العالم العربي لا زال في المربع الأول من مشوار التحول إلى المجتمع المعرفي. "وفي ظل هذه الظروف قد يكون من المتوقع أن يكون دور المكتبات أقوى، وسواء اعتبرنا أن هذا الدور هو جمع وحفظ المواد الثقافية القيمة، أو تأمين الوصول إلى مصادر المعلومات، أو توفير أساس يمكن الرجوع إليه حين يحتاج الناس إلى مصادر المعلومات، أو تمكين الأفراد من أن يطوروا المهارات التي يحتاجونها حتى يصيروا مستخدمين أكفاء للمعلومات، فمن المؤكد أن مكان المكتبة راسخ لا يمكن المساس به"(٧).

ومن خلال ما ذُكِر أعلاه يتضح مدى كلفة الإنفاق على صناعة المعلومات، وهي الطريق التي ستساعد المجتمع العربي على الدخول في عصر المعلوماتية، والذي سيزيد من دخل هذه الدول ويفتح فرص عمل لا حد لها تستوعب ملايين العاطلين عن العمل، حيث علمنا سابقا أن العاملين في قطاع المعلومات يصل أحيانا إلى نصف عدد أفراد المجتمع، فالتحول إلى مجتمع معلوماتي هو الحل للمشاكل الحالية التي تعاني منها المجتمعات العربية، وهو الأمل المنشود لمجاراة الأمم الأخرى والدخول في المستقبل. ولكن ذلك يتطلب ميزانيات ضخمة، ليتم تأسيس البنية التحتية التي تحتاجها هذه الصناعة، الأمر الذي يؤكد الحاجة الملحة لدعم الواقفين مرة أخرى لخلق صناعة المعرفة من جديد في العالم العربي. ونعود لنكتشف أهمية الوقف في إنشاء المكتبات الوقفية الرقمية حيث أنه المصدر المعول عليه فعلا في إنشاء هذا النوع من المكتبات لخدمة البيئة العلمية في المجتمعات العربية والإسلامية، وتوفير مصادر المعرفة للعلماء وطلاب العلم مجاناً.

ومن أهم ما يحتاجه مستقبل هذه الصناعة هو تأسيس مكتبات رقمية احترافية في مختلف الدول العربية، على أن تكون ذات عائد وجدوى ويمكن الاستفادة منها. ولا يعني ذلك تهويل الموضوع وإنما وضعه في إطاره الصحيح والمنطقي، فالمكتبة الرقمية يعرفها وليم آرمز في كتابه ((المكتبات الرقمية))، بقوله: "إن التعريف غير الرسمي للمكتبة الرقمية هو أنها مجموعة من المعلومات الخاضعة لإدارة جيدة، مع ما يتصل بها من خدمات، حيث يتم اختزان المعلومات في صيغ رقمية، ومن ثم إتاحتها عبر شبكة من الحاسبات. ومن الملاحظ

أن الشق الهام في التعريف، هو كلمة المعلومات الخاضعة للإدارة؛ فسيل البيانات الذي يرسل إلى الأرض عبر الأقمار الاصطناعية لا يعد مكتبة، في حين أن تلك البيانات ذاتها يمكن أن تصبح مجموعة لمكتبة رقمية إذا ما تم تنظيمها بشكل منهجي أو مقنن"(٨).

وللمعلومات أهمية كبيرة ففضلا عن دورها في المساعدة على اتخاذ القرارات الصحيحة وبالتالي توفير الوقت والجهد والمال، فإنها أصبحت سلعة ومورد دخل مهم جدا في اقتصاديات الدول، وأصبحت الدول تنفق بسخاء على هذا المجال للعائد الكبير المرجو تحقيقه من ورائها، وقد رأينا سابقا التنافس في إنفاق المليارات الضخمة بين الولايات المتحدة وأوروبا في هذا المجال "نجد دولة كاليابان تتنبه لهذا جديا فتضع التصورات للمستقبل البعيد وتخطط لإنفاق ما يقارب ترليوناً من الدولارات الأمريكية (نعم ترليون دولار وليس مليونا أو بليون) على تقنية المعلومات وذلك لأهمية المعلومات وتقنياتها على استمرارهم كدولة قوية اقتصاديا"(٩).

وليس الكسب المادي والنمو الاقتصادي هو السبب الوحيد للاهتمام والعناية بموارد العلم والمعرفة، وصناعة تقنية المعلومات، ذلك أن هناك خطورة كبيرة على المجتمعات العربية ستلحق بشعوبها في ظل التقاعس عن المبادرة للأخذ بزمام الأمور في هذا المجال. يعبر عن ذلك حسن السريحي وشريف شاهين في كتابهما ((مقدمة في علم المعلومات)) بقولهما: "وإذا كان من المعروف أن بعض الدول أو أكثرها تقوم بوضع أرصدتها المالية في دول أخرى فيتم أحيانا نتيجة للخلافات العالمية تجميد الأرصدة المالية هذه. وإنه من المعروف أيضا وفي نفس المستوى أن معلومات كثيرة عن دول العالم مخزنة في مراكز وبنوك معلومات معدودة في الدول المتقدمة وتلجأ إليها الدول الأخرى الأقل تطورا للحصول على معلومات عن نفسها ومؤسساتها أحيانا، فهل يا ترى سيرى العالم بالشكل العلني نفسه قرارات بتجميد الأرصدة المعلوماتية للدول كعقاب سياسي أو دولي؟ لا أحد يستطيع التنبؤ بالقادم"(١٠).

وما أشار إليه الكاتبان آنفا يدل على أهمية وخطورة المعلومات في عصر المعلوماتية الذي نعيش فيه، وبالتأكيد فإن الأمر يتجاوز حظر المعلومات إلى الاستفادة منها فيما يخدم أهداف الدول النافذة في العالم وتوجيه بقية الدول إلى ما يخدم أهدافها واستراتيجياتها.

وللدخول في هذا المجال نحتاج إلى إمكانات علمية وبشرية ومادية، وهذه المتطلبات تحتاج إلى موارد مالية ضخمة. ولعل الحل يكمن في إحياء دور الوقف في الصرف على المجالات العلمية المختلفة. والوقف كما مر بنا سابقا هو عمل من أعمال البرّ الخيرية يقوم على أساس تبرع الشخص بماله أو جزء منه ابتغاء الأجر والمثوبة من الله تعالى، فإذاً توجد علاقة بين ثلاثة عناصر يكمل بعضها البعض، وهي الإنسان والعلم والمال. فالإنسان يرقى ويتطور في ذاته وفي مجتمعه بالعلم، والعلم يتطلب إنفاق المال ليتم الحصول عليه. ولذلك شجع الشرع الإسلامي الحنيف على بذل المال في وجوه البر والخير عموما، وخصّ العلم من بينها أن جعل أجر

الإنفاق عليه أعظم من غيره من وجوه البر، وقد مرت بنا النصوص التي تحض على ذلك في هذه الدراسة سابقا، مما يغني عن التكرار.

ومن خلال مجمل هذه الدراسة نلاحظ أن الباحثين والمؤرخين أكدوا على أن دور الوقف كان بارزاً وحاسماً فيما حققته الأمة العربية والإسلامية من إنجازات علمية امتدت آثارها على مدى قرون متعاقبة. ولم تتوقف قاطرة النمو والإبداع إلا بعد أن ابتليت الأمة بعصر الذي أوقف مسيرة العلم والإبداع، وجاء معه بالتخلف والضعف. وللخروج من هذا النفق المظلم الذي تكلم فيه العلماء والأدباء والمفكرون كثيرا، وفي كيفية خلاص الأمة منه لابد من العودة إلى نفس النهج الذي سارت عليه الأمة في تاريخاها المجيد، وذلك بالاستعانة مجددا بقدرات الوقف غير المنتهية لخلق نهضة علمية جديدة للأمة. فبتلاقي جهود الحكومات مع دعم الواقفين من مختلف فئات المجتمع يمكن سد الفجوة الكبيرة التي تعاني منها المجتمعات العربية في مجالات اجتماعية وعلمية. ومن أهمها الإنفاق على العلماء والمتعلمين ورعاية مراكز الدراسات والبحوث العلمية، وتوفير المصادر المادية للعاملين في هذا المجال، وتمكينهم من التفرغ للدراسة والبحث والإبداع من جديد، لنتمكن من اللحاق بركب الحضارة من جديد. فإذا كنا مستوردين في عصر المايكرو والإنترنت وتقنية الأبعاد الثلاثية، فلعلنا نكون مصنعين ومبدعين في عصر النانو.

٢/٥. المكتبات الوقفية التقليدية والمستقبل:

من المؤكد أن العالم العربي لازال في حاجة لاستخدام المكتبات التقليدية لعقود قادمة، وذلك لحين تَمكُّن المجتمعات من التكيف مع الواقع الجديد لعصر المعلوماتية. فلازال طلاب الجامعات يعتمدون على الأساليب التقليدية في الحصول على المعلومات عن طريق استعارة الكتب والتصوير والقراءة المباشرة لإنجاز أبحاثهم واستكمال دراستهم، ذلك أن استخدام أجهزة التصفح الالكتروني الحديثة مثل الآيباد والكتب الالكترونية يفوق قدراتهم المادية. فضلا عن قلة المزودين باللغة العربية لضعف البنية الأساسية لصناعة المعلومات في الدول العربية، والحال كذلك يسري على المكتبات المدرسية والمكتبات العامة. وهنا يأتي دور الواقفين في الدعم للمساعدة في تأمين الوسائط الحديثة التي تساعد في التحول من النمط التقليدي إلى الرقمي.

٣/٥. الوقف على المكتبات وإنشاء بيئة رقمية في المستقبل:

إن الأمل في المستقبل للدول العربية يبدأ من العناية والاهتمام بإنشاء وتوفير قواعد للمعلومات تكون تحت تصرف أبناء المجتمع، وذلك بالعمل على إنشاء بيئة رقمية، من خلال إقامة مكتبات رقمية في كل مدينة وقرية، والعمل سريعا على إنشاء القاعدة السليمة لذلك والتي تعتمد أساسا على ركائز ثلاثة: الإنتاج والمعالجة والاسترجاع، "بالنسبة لمفهوم تكنولوجيا المعلومات (Information Technology) فهو يشير إلى مدى واسع من المواد والقدرات التي تستخدم لإنتاج وخزن وبث واسترجاع المعلومات. أما مكوناتها الأساسية الثلاث فهي: الحواسيب (Computers) وشبكات الاتصالات (Communication Networks) والمعرفة الفنية اللازمة (Know how)"(١١).

وبما أن العالم تحكمه المادة أصبح من الصعب الحصول على المعلومات القَيِّمَة ذات القِيمة البحثية دون مقابل، وهو النهج الجديد المتبع في تسويق المعلومات والمتوقع أن يكون السمة الغالبة في الحصول على المعلومات مستقبلا، وذلك منذ بدأته المكتبات الأمريكية، يقول ربحي عليان: "يمكن القول إن أول من استخدم أسلوب تسويق خدمات المكتبات والمعلومات هي المكتبات الأمريكية، التي استفادت كثيرا من نظريات وعلوم التسويق وخصوصا تلك المستخدمة أو الموجهة نحو المؤسسات العامة التي لا تهدف إلى الربح، مثل المؤسسات الاجتماعية والتي تعد المكتبات واحدة منها"(١٢).

يقول هشام عباس: "وعلى الرغم من أن خدمات المكتبات المختلفة كانت تقدم مجانا للمستفيدين، وهو الأمر الذي لا تزال تقوم به المكتبات في الدول النامية، فقد استطاعت المكتبات الأمريكية من خلال البرامج والأنشطة التسويقية المبرمجة وخاصة في خلال فترة عجز ميزانياتها، الحصول على تأييد معنوي من المستفيدين ثم على تأييدهم ودعمهم المادي، مما مكنها من تعويض النقص في ميزانياتها. علما بأن تقاضي أجرا مقابل الخدمات التي تقدمها المكتبات ومراكز المعلومات كان أمرا يرفضه العاملون في المكتبات وجمهور المستفيدين"(١٣).

فإذا كانت المكتبات ومراكز المعلومات في الدول المتقدمة مثل الولايات المتحدة تعاني من العجز في الميزانيات فما بالك بالدول النامية، والعالم العربي يمثل جزءا منه. لذا كان من الأهمية بمكان السعي لإحياء مفهوم الوقف، وحث مختلف فئات المجتمع على المشاركة فيه، وتعزيز الأنشطة العلمية ودعم المكتبات بأنواعها ومراكز المعلومات المختلفة.

وبالنظر إلى الماضي نجد أن بعض المكتبات الوقفية قد اندثر ولم يعد له وجود، كمكتبات الأربطة والخنقاهات والزوايا، وبعضها لا زال قائما مثل مكتبات المساجد والمدارس، ويمكن استحداث أنواع مكتبات وقفية جديدة تخدم فئات المجتمع المختلفة، مثل المكتبات الرقمية الوقفية، بأن يتبنى شخص أو جهة اعتبارية إنشاء مكتبة رقمية وقفية متخصصة في الطب أو الهندسة أو غير ذلك. ويمكن تقسيم المكتبات المستحقة لدعم الواقفين لها حالياً ومستقبلاً، إلى الأنواع التالية:

٥/٣/١. المكتبات الوقفية العامة:

كانت المكتبات الوقفية العامة عبر القرون تملأ المدن في الأقاليم الإسلامية بأنواعها المختلفة، وكانت تهدى إليها وتوقف بها مكتبات كبار العلماء والفقهاء والأدباء، في صورة جميلة من صور حرية تداول العلم والمعلومات. واليوم إن وجدت فهي في مبنى مهجور لا يعلم عنه جيرانه شيئا، باستثناء عدد قليل من المكتبات العامة التي استطاعت أن تكسر هذا المفهوم، مثل مكتبة الملك عبد العزيز العامة بالرياض ومكتبة الإسكندرية بمصر. بينما يتسابق العالم في الإبداع بإنشاء مكتبات ذكية، وأخرى صديقة للبيئة، ولا تكاد تخلو مدينة في

الغرب أو في الشرق المتطور مثل سنغافورة واليابان من مكتبات عامة تمتلئ بالرواد من مختلف الفئات على مدار اليوم. وعليه فالحاجة ماسّة لإنشاء مكتبات وقفية عامة على النمط الحديث لخدمة مختلف فئات المجتمع.

٢/٣/٥. الوقف على المكتبات الجامعية:

يفترض أن تكون هدفا مباشرا وفوريا للمانحين والواقفين، فمنذ تخلي المسجد عن دوره التعليمي في الحضارة الإسلامية، انتقل العلماء وطلابهم إلى مقارّ الجامعات والكليات التي أصبحت مساحة مخصصة للدراسة والبحث والتحصيل. وتعاني الكليات في الجامعات الكثير من العجز، ولا تلبي طلبات البحث العلمي بسبب كلفته العالية وقلة الموارد، وهنا تأتي الفرصة الذهبية في دعم العملية العلمية عبر إنشاء المكتبات الجامعية الوقفية أو دعم القائم منها، وكذلك مكتبات الكليات بأنواعها، وتزويدها بالمصادر المتجددة دوما، وكفالة برامج البحث العلمي بالجامعات.

في كتابه **(الوقف وأثره في تنمية موارد الجامعات)** يقول سليمان أبا الخيل: "إن الجامعات من أهم الروافد التي تغذي الحركة العلمية، ويتلقى فيها المتعلمون ضروب العلم المتنوعة، ومن أهمها العلوم الشرعية. فأهمية الجامعات تنطلق من أهمية العلم، والحديث عن الوقف عليها حديث عن الوقف على العلم والتعليم ... ولهذا قال بعض أهل العلم: إن تعلم الصناعات والطب والهندسة والجيولوجيا وما أشبه ذلك من فروض الكفايات، لا لأنها من العلوم الشرعية، ولكن لأنها لا تتم مصالح الأمة إلا بها، وهذه العلوم إذا قصد بها الإنسان القيام بمصالح العباد صارت مما يقرب إلى الله لا لذاتها وإنما لما قصد فيها"(١٤).

والوقف على الجامعات وأنشطتها عموما ومكتباتها سواء كانت تقليدية أو رقمية يحقق للواقف وللمكتبة التالي :

أ. المكتبة توفر للعلماء والمتعلمين مادة العلم والمصادر التي يحتاجونها فينال الواقف الأجر والمثوبة على ذلك جراء نفقته التي بذلها لتحقيق ذلك، يقول أبا الخيل: "وعليه فكل ما يُعين على تحصيل العلم من المؤسسات التعليمية وما تتطلبه من أجهزة إدارية وفنية وغيرها، وكذلك الوسائل التعليمية والمقررات وغيرها هي من وسائل نشر العلم وتيسيره وتقريبه فيكون داخلا في قول النبي صلى الله عليه وسلم: "ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة". فالطريق يشمل الحسي والمعنوي، فيدخل فيه كل ما يعين على تحصيل العلم، ويدخل كذلك في الصدقة الجارية. وإذا تقرر ذلك فإن عملية التعليم وما يتبعها من وسائل وآليات تتم بها تتطلب دعما ماديا كغيرها من المؤسسات؛ لأن تمويلها عامل مهم في نجاحها واستمرارها في أداء رسالتها"(١٥).

ب . المكتبات الوقفية بأنواعها المختلفة استمرت في أداء دورها عبر قرون متتالية بالرغم من تغير وتبدل الدول بسبب اعتمادها على دخل الوقف وليس ميزانيات الدول، والذي ضمن لها الاستمرار في أداء دورها. فاستفاد وتخرج منها علماء كثر أثروا الحياة العلمية، وأفادوا المجتمع الإنساني. والجامعات في العصر الحاضر ينطبق عليها نفس الأمر وخاصة في عالمنا العربي، فهي في أمس الحاجة لمصادر تمويل إضافية وثابة تعينها على إنجاز مهامها العلمية والبحثية وتطوير قدراتها لتتمكن من إخراج جيل من العلماء والباحثين المتمكنين في تخصصاتهم، والذين قد يصلون إلى اختراعات واكتشافات تحقق موارد للأمة بدلا من الاعتماد الدائم على

إنجازات الآخرين. تقول سحر صديقي: "كما كفل الوقف للدعاة والعلماء في مختلف العصور الإسلامية فرص العيش الكريم، الذي يضمن لهم الاستقرار حتى يمكنهم أن يؤدوا رسالتهم على أكمل وجه، ويكونوا أحرارا في اختيار الدراسات، والبحوث، والكتب التي تستخدم في العملية التعليمية ... فنجد الكثير من العلماء أمثال الخوارزمي وغيره، ممن لم يكن ليصلوا إلى ما أحرزوه من معادلات جبرية ورياضية وهندسية إلا نتيجة لما خصص لهم من أموال أنفقت عليهم من الوقوف التي أوقفت على المدارس التي دَرَسوا ودَرَّسوا فيها، أو على ما أرصدوا من أموال على المراصد الفلكية، وعلى المكتبات التي استخدموها"(١٦).

٣/٣/٥. الوقف على مكتبات المدارس:

في الحضارة الإسلامية كانت المكتبة أحد أهم المكونات التي يعيش الطلبة فيها يوميا، ولذلك تخرج منها كبار العلماء، واليوم تقلص دور المكتبة إلى حصة في الأسبوع، وقد تزار المكتبة أحيانا، هذا إذا افترضنا أن هناك مكتبة في المدرسة أصلا، لذا ينبغي إحياء دور المكتبة في المدارس. وخاصة في عصر تقنية المعلومات حيث أصبحت المكتبة الرقمية أكثر تشويقا للطلاب، ولجذبهم للقراءة الجادة والتعرف على طرق البحث العلمي والتأقلم معها مبكرا، وحث أولياء الأمور والمحسنين للمساهمة في إثراء مكوناتها، وتأمين المستلزمات اللازمة لها للقيام بدورها.

٤/٣/٥. الوقف على مكتبات الأطفال:

وهي امتداد لمكتبات الكتاتيب التي نشأت منذ فجر الحضارة الإسلامية بالمدينة المنورة، والأطفال هم رجال المستقبل، وهذه المرحلة هي مرحلة بناء الشخصية للمستقبل، فمتى تم الاهتمام بهم في هذه المرحلة وتعويدهم على المكتبة، كان تجهيزهم للمستقبل في المراحل التالية أسهل. وللأسف أنه تم إهمال هذه الفئة العمرية في كثير من الأقطار العربية.

٥/٣/٥ . المكتبات الرقمية الوقفية:

وهو نوع بدأ في الظهور منذ سنوات، والمثال الواقعي له ما سيتم عرضه خلال هذا الفصل من نماذج المكتبات الرقمية الوقفية بالمدينة المنورة، ومثاله النموذجي المكتبة الالكترونية بالمسجد النبوي الشريف، والتي تستخدم التقنيات الحديثة وتزود جمهور المستفيدين بمختلف احتياجاتهم من مصادر المعلومات المتوافرة لديها، وتتيح لهم الاطلاع على المخطوطات والكتب والدوريات، والاستماع لتسجيلات الدروس والمحاضرات والتلاوات وتحميلها بطرق متعددة.

وهي نموذج عملي للمكتبات الرقمية الوقفية في المستقبل، والتي ستفيد الدارسين والباحثين في مختلف أنحاء الوطن العربي لو تم تعميم مفهومها. وبدون شك توجد مكتبات رقمية أخرى في العالم العربي في الجامعات وبعض المكتبات العامة والوطنية وهي على مستوى عال من التجهيز والإعداد ولكنها غير وقفية، وهي ليست متاحة مجاناً كما يفترضه مفهوم شرط الواقف بإتاحة المنفعة للمستحقين مجانا، بينما نجد في المسجد النبوي طوابير من المستفيدين يحملون المواد على أشكال رقمية وبدون مقابل ومن دون تحديد لجنسية، فهذا حاجٌ من

المغرب وذاك معتمر من مصر وآخر زائر من ماليزيا، والكل سواء في حقهم في الحصول على العلم والمعرفة. إضافة لتحميل الكثير من المواد عبر الإنترنت مجانا.

وقد ظلت الأمة العربية بمنأى عن صناعة المعلوماتية خلال العقود الماضية، وكانت من جملة المستهلكين فقط، بينما عالم صناعة المعلومات يتطور بسرعة مذهلة، حتى وصل إلى جيل الحوسبة السحابية ونحن لا زلنا ضمن قائمة المشاهدين، الأمر الذي يمثل مشكلة كبرى للعالم العربي ليس في مجال صناعة المعلومات فقط، بل في المحافظة على ما هو ملك لها أساساً. يقول سعد الزهري في مقال له بمجلة (اعلم): "وتقوم عملية الحوسبة في المكتبات ومراكز المعلومات (مرافق المعلومات) باعتماد أنظمة لإدارة المكتبات سواء كانت تلك النظم / الحزم تابعة لشركات متخصصة (Packages) أو كانت قد بنيت على قواعد معلومات مفتوحة المصدر، وتعتمد الحوسبة على نظام وعلى عتاد تمتلكه المكتبات أو المؤسسات التابعة لها ... وتطورت المفاهيم في هذا الإطار من التنظيم الهرمي أو التسلسلي التنظيمي (Grid) إلى المفهوم الافتراضي الرقمي للمكتبات. لكن اليوم نحن على مفترق طرق - حيث تنحو الشركات الغربية التي تسيطر على إنتاج تقنيات المعلومات إلى إنتاج ((مفهوم)) الحوسبة السحابية (Cloud Computing) في التعاطي مع إنتاج المعلومات وما يتعلق بها من برمجيات ومنتجات - والتي تفضي في النهاية إلى أن تكون ممتلكات المكتبات المعلوماتية على خوادم في مكان ((ما)) في الفضاء الإلكتروني - وحيث إننا غير منتجين للتقنية بل مستخدمون لها فقط، فإننا سنكون مسيرين في هذا الجانب. كما كان الحال عندما تحولنا لشراء قواعد المعلومات على مواقع الناشرين على النت (تأجير) بدلاً من تلك القواعد التي كنا نشترك فيها ونستلمها على أقراص الليزر فيما يعرف بالامتلاك. ولذا فما أشبه الليلة بالبارحة، ليس لنا إلا أن ننظر في الكيفية المثلى للتفاوض وللبحث والتمعن في طرق يمكن أن نحافظ على ما يمكن في وقت يرتاب الكثيرون في أن تتحول ممتلكاتنا المعلوماتية بيد الغير"(١٧).

٤/٥. المكتبات الرقمية الوقفية بالمدينة المنورة:

ونتناول فيما يلي نشأة المكتبات الرقمية الوقفية بالمدينة المنورة خلال السنوات الأخيرة، وهي التي تستخدم تقنية الحاسبات الآلية، وكان السبق في هذا المجال لمكتبة الملك عبد العزيز بما تحويه من مجموعة المكتبات الوقفية المختلفة المودعة والمدمجة فيها. ثم تلتها مكتبة المسجد النبوي الشريف كنموذج رائد لمكتبات المساجد. وبعد ذلك مكتبة السيد حبيب محمود الوقفية كامتداد للمكتبات الوقفية الخاصة التي طالما عمرت بها مدينة النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم، والتي أنشئت مؤخرا بالمدينة النبوية. ونستعرض فيما يلي المكتبات الرقمية الوقفية بالمدينة بدءاً بالمسجد النبوي الشريف، ثم مكتبة الملك عبد العزيز، وأخيرا مكتبة السيد حبيب محمود.

١/٤/٥. المكتبة الرقمية بالمسجد النبوي الشريف ومكوناتها:

كانت البداية باستخدام تقنية الميكروفيلم التي سعى القسم لامتلاكها بغرض أرشفة المخطوطات وحفظها وتسهيل إمكانية تصويرها وتحويلها إلى أوراق بالأبيض والأسود خدمة للباحثين. وفي هذا الإطار وبتنسيق مع

إدارة المكتبة ومنذ ما يربو على عقد من الزمن قام القسم بالاتفاق مع قسم المخطوطات بمكتبة الجامعة الإسلامية بتصوير مخطوطات مكتبة المسجد النبوي على أفلام (ميكروفيلم)، وقد تم تصوير جميع مخطوطات القسم على أفلام ميكروفيلمية عرض (٣٥) ملم، مع سعي القسم لاقتناء عدد من أجهزة العرض الميكروفيلمية لعرض وتصوير هذه الأفلام.

وتطورت المكتبة فيما بعد وذلك بالنقلة النوعية باستخدام الحاسب الآلي، فدخلت مكتبة المسجد النبوي الشريف في عصر تقنية المعلومات، ويذكر الأستاذ علي العجلان: "أن مميزات المكتبة الرقمية بالمسجد النبوي الشريف أنها تملك جميع مكونات النظام الخاصة بها، وتم شراء البرامج المشغلة على أعلى مستوى، كما تم تدريب الموظفين على مختلف نواحي العمل بها ووضع معايير مميزة لتقديم الخدمات للمستفيدين، والتي تمكنهم من الحصول على المعلومات عبر عدة طرق مثل تحميل المواد المطلوبة على أقراص مدمجة أو فلاشات، كما يمكن للباحثين استخدام كمبيوتراتهم المحمولة داخل المكتبة والدخول على شبكة الإنترانت والدخول على الفهرس الإلكتروني والوصول إلى المواد المطلوبة سواء كانت مخطوطات أو كتبا أو تسجيلات صوتية، وتحميل المواد المطلوبة مباشرة"(١٨). ولما تمثله المكتبة الرقمية من ارتباط بالمكتبة العامة، ولما تحويه من كتب رقمية ذات صلة بعمل الباحثين، تم تحويلها إلى جوار قاعة المطالعة لتكون بالقرب من الباحثين وفي متناولهم في تاريخ ١٤٣٠/١/١٤هـ ولا زالت في نفس المكان إلى حينه.

٥/٤/١/أ ـ الحاسب الآلي:

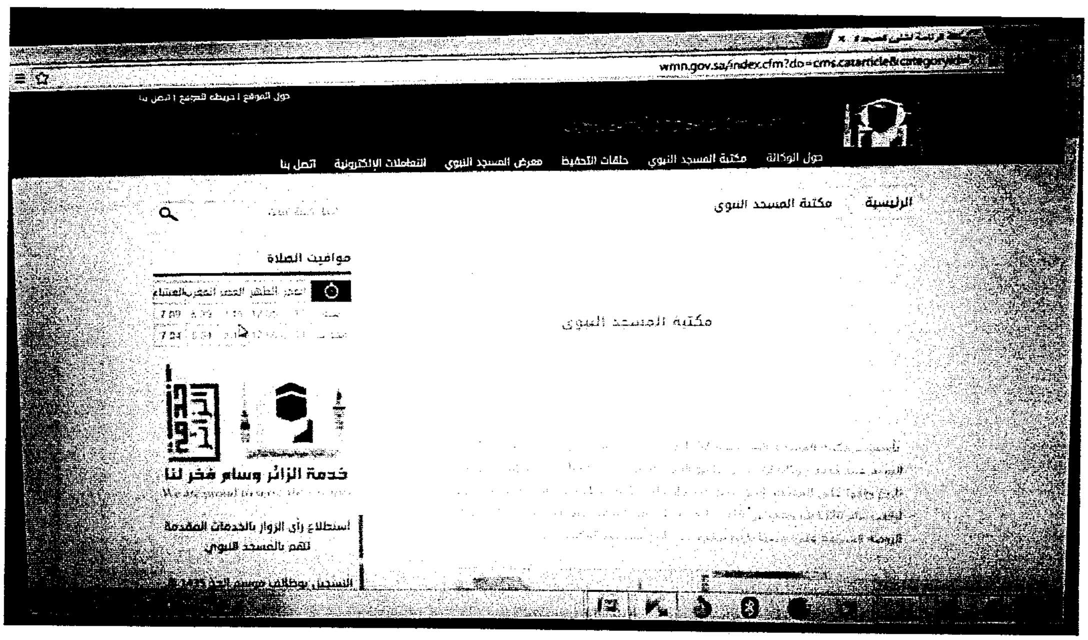
وتتكون المكتبة الرقمية بالمسجد النبوي الشريف من عدة مكونات، مثل قسم الحاسب الآلي، والمكتبة الصوتية التي تم تحويل تسجيلاتها إلى النمط الرقمي، كما تقدم خدمات الإنترانت، وخدمة الانترنت. وتملك المكتبة الرقمية بالمسجد النبوي الشريف قاعدة بيانات أنشأتها الرئاسة على مدى السنوات الماضية، وقد أنفقت عليها الملايين ولا زالت تواصل الإنفاق عليها بشكل دائم لدعم مكوناتها وزيادة الخدمات التي تقدمها لجمهور المستفيدين. وتضم محتوياتها المخطوطات والكتب المودعة بالمكتبة، وإضافة إلى الصوتيات بدأ العمل في الحفظ الرقمي للدوريات المودعة في المكتبة. وأصبحت تقدم العديد من الخدمات سواء للمكتبة والعاملين فيها، أو للرواد بمختلف فئاتهم، وصار بالإمكان الاستفادة منها عبر طرق متعددة، تشمل الخدمة الفورية عند استخدام الأجهزة في المكتبة، أو استخدام شبكة الانترانت الداخلية، كما يمكن الوصول إليها عبر الإنترنت من أي مكان بالدخول على بوابة (مكتبة المسجد النبوي).

ونظراً لأهمية الحاسب الآلي في عصرنا الحالي عملت إدارة المكتبة على الاستفادة من هذه الأجهزة ، لما توفره من جهد على الباحثين والموظفين، "ففي عام ١٤٢١هـ قامت الإدارة بتوفير خمس حاسبات، ووضعت خطة للاستفادة منها عن طريق استحداث برنامج يتم بواسطته إدخال ونسخ كتب معينة داخل الجهاز ليتسنى لرواد المكتبة الوصول للمعلومة بأسرع وقت ممكن، ومن ثم يمكن تسجيل تلك المعلومة على أسطوانة تمكن الباحث من استعراضها في أي وقت شاء أو طباعتها. وهذا البرنامج فتح المجال للتفكير في إنشاء مكتبة خاصة

بالحاسب الآلي تقدم خدمة أكبر للباحثين. وفي عام ١٤٢٥هـ تم افتتاح قاعة في باب (١٢) وكل ما تحويه كانت أجهزة الحاسب الآلي وسميت بـ (المكتبة الرقمية) وكان عدد الأجهزة عند افتتاحها (٢٧) جهازاً"(١٩).

ويقوم هذا القسم بالعديد من المهام ويوفر الكثير من الخدمات، يقول عبد الرحمن زباني في بحث له عن مكتبة المسجد النبوي: "قسم الحاسب الآلي: يقوم القسم بإدخال بيانات الكتب والفهارس بعدما تم إنجاز برامج لفهرسة الكتب والمخطوطات والدوريات، كما يتم تحويل المصورات الورقة والمكيروفيلمية عبر الماسح الضوئي إلى الحاسب الآلي، وإدخال وحفظ التسجيلات الصوتية والمرئية بالحاسب الآلي"(٢٠).

شكل رقم (٢) بوابة الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي على الانترنت



ومواكبة للتطور الهائل الذي حدث في غضون الأعوام المنصرمة في مجال تقنية ونقل المعلومات ممثلا بالحاسب الآلي، عمد القسم إلى الاستفادة القصوى من هذه التقنية بل كان سباقاً إلى الأخذ بهذه الوسائل الناجحة والمتطورة وما توفره من إمكانيات عالية في الحفظ والأرشفة وإنشاء قواعد البيانات، الأمر الذي تقلص معه الاعتماد على الوسائل الأخرى. لذا يعتبر الحاسب الآلي من الأقسام الحديثة في المكتبة والذي تمت الاستفادة من تقنياته وإمكانياته العالية، وتم الربط بينه وبين تقنيات التصوير الميكروفيلمي للمخطوطات، لخدمات الحفظ والاسترجاع والفهرسة والطبع والنشر.

وبالنسبة للمكونات المادية لقسم الحاسب الآلي والأعمال التي أنجزها يذكر المهندس شريف مراد أن: الحاسب الآلي الرئيسي هو من نوع (SQL) من تصنيع شركة (HP) ولغة البرمجة المستخدمة هي (PHP) والسيرفر متعدد الأغراض وقابل للتوسعة مستقبلا، ويضيف أنه قد بدأ التحول إلى النظام الرقمي منذ عام ١٤٢١هـ، وذلك بتحويل الأشرطة الصوتية إلى ديجتال، وقد تم إنجاز تسجيل (٤٠) ألف ساعة صوت رقمية

للمسجد النبوي الشريف، كما تم أيضا إنجاز (٨٠) ألف ساعة صوت رقمية للمسجد الحرام بمكة المكرمة في المكتبة الرقمية بالمسجد النبوي وذلك لتوفر الأجهزة والفنيين المتخصصين، ويضيف: أن أنواع التسجيلات في المكتبة تشمل القراءات وصلوات التراويح والتهجد في شهر رمضان المبارك، وصلوات العيدين والصلوات اليومية، كما تشمل خطب الجمعة والعيدين، إضافة إلى تحميل جميع الدروس التي يتم إلقاؤها في المسجد الحرام بمكة والمسجد النبوي بالمدينة، والتي يبلغ معدلها اثني عشر درسا يوميا في المسجد النبوي. وفي المواسم يضاف إليها دروس بلغات أخرى مثل الأوردو والفارسي والإندونيسي...الخ، وتتم إتاحتها عبر موقع المكتبة الإلكترونية(٢١).

وبالنسبة لمحتويات قاعدة بيانات المكتبة الالكترونية يقول المهندس شريف مراد: أنه تم تحميل (٢٠) مليون صفحة خلال السنوات الثمانية الماضية، مما يجعلها أكبر مكتبة رقمية في العالم العربي والإسلامي، وذلك بما تحويه من مكونات رقمية للمخطوطات والكتب والصوتيات، ولازال العمل مستمرا في تحميل المزيد. والمكتبة تحتوي على حوالي (٥٢،٠٠٠) مخطوط، ألفين منها توجد أصولها بمكتبة المسجد النبوي الشريف، والباقي إهداء من جهات مختلفة، وهي متاحة للباحثين بشكل (PDF). كما تم بجهود الفنيين بالمكتبة التمكن من تحميل حوالي (١٥٠،٠٠٠) كتاب إلى الآن على شكل رقمي ولا زال العمل جاريا على استكمال الباقي، ذلك أن المكتبة تستقبل بشكل يكاد يكون يوميا إهداء الموقفين عليها من داخل وخارج المملكة، إضافة إلى العمل على تحويل الدوريات إلى شكل رقمي مستقبلا(٢٢).

وبالنسبة للمسح الضوئي للكتب فيتم بعد وصول الكتب من قاعة المطالعة لتجري عليها الخطوات العملية التالية:

١- تستلم من قبل موظفي القسم ويتأكد من عدم إدخالها سابقاً .
٢- فك الكتب من قبل الفنيين.
٣- فرز الكتب ورقة ورقة لتسهيل وسرعة سحبها عن طريق جهاز الاسكنر ويتم الفرز عن طريق قسم الترميم.
٤- تسحب الكتب عن طريق جهاز الاسكنر وبعد مسحها يتم تصديرها لقسم الحاسب الآلي .
٥- تعاد الكتب للتجليد.
٦- يتم طباعة الباركود ويرسل لموظف متخصص بفرز الباركود لوضعه داخل الكتب.
٧- ترسل الكتب التي تم فرز الباركود لها للموظفين المتخصصين بلصق الباركود.
٨- تعاد الكتب للمكتبة بعد إنهاء جميع الإجراءات عليها.

وبالنسبة للأعمال المنجزة سنويا يورد إحصائية لعام ١٤٣٣هـ نقتبس منها المهام الخاصة بعمليات المسح الضوئي وكذلك الاستعلام والأوراق المصدرة، والموضحة في الجدول التالي(٢٣):

جدول رقم (٨) بيانات إحصائية عن الأعمال المنجزة في الحاسب الآلي لعام ١٤٣٣هـ

الشهر	الأوراق المدخلة	الاستعلام	الأوراق المصدرة
محرم	٢٧٤٠٠٣	٧٩٤	٢٧٤٠٠٣
صفر	٢٩٨١١٦	٨٧٥	٢٩٨١١٦
ربيع أول	٤٩٨٩١٩	١٣٧٠	٤٩٨٩١٩
ربيع ثاني	٥٤٠٠٠٨	١٤٥٩	٥٤٠٠٠٨
جمادى الأولى	٢١٩٠٤٥	٩٠٨	٢١٩٠٤٥
جمادى الثانية	٤٥٦٦٤٩	١٢٣٥	٤٥٦٦٤٩
رجب	٥٣٤٨٧٦	١٣٥٧	٥٣٤٨٧٦
شعبان	١٣١٩٥٩	٦٧٤	١٣١٩٥٩
رمضان	١٩١٨١٩	١٥٠٣	١٩١٨١٩
شوال	٣٧٦٠٣٤	١٠١٤	٣٧٦٠٣٤
ذو القعدة	٤٢٣٠٤٤	١٣٩٣	٤٢٣٠٤٤
ذو الحجة	٢٣٠١٨٤	٢٨٥٩	٢٣٠١٨٤
المجموع	٤١٧٤٦٥٦	١٥٤٥٩	٤١٧٤٦٥٦

٥/٤/١/ ب ـ شبكة الانترانت :

وهي شبكة داخلية توفرها النظم الآلية للمكتبة، وتخدم بالدرجة الأولى العاملين في المكتبة في إدارات التزويد والفهرسة، إضافة لخدمة القطاعات الإدارية. كما تؤمن لرواد المكتبة خدمات البحث والتصفح في جميع ما تحويه المكتبة من المخطوطات، وتحتوي على ما يقرب من ٩٠% من الكتب، والتسجيلات الصوتية سواء كانت للدروس أو الخطب أو التلاوات القرآنية. والسبب وراء ذلك أن عمليات التزويد والإهداء والتسجيل اليومي لا تزال تحت عملية المعالجة الفنية لحين أتاحتها للمستفيدين، كما تم إيضاحه سابقا في عملية المسح الضوئي للكتب. ويمكن لرواد المكتبة الحصول على الخدمات التي توفرها الانترانت عبر التالي:

- استخدام الفهرس الآلي للاطلاع على قوائم المخطوطات.
- استخدام الفهرس الآلي للبحث عن الكتب سواء بالعنوان أو اسم المؤلف أو الموضوع.
- الوصول للمخطوطات واستعراض صفحاتها .
- الوصول للكتب والبحث فيها وتحميل الكثير منها عبر طرق مختلفة.
- الاستماع آلياً للتلاوات القرآنية لمختلف الأئمة قديماً وحديثاً.
- الاستماع آليا للخطب والدروس القديمة والحديثة.
- إمكانية نسخ أي من المواد المطبوعة أو المسجلة على الأشرطة أو الأقراص المدمجة. إضافة إلى العديد من الخدمات التي توفرها الشبكة للعاملين بالمكتبة.

ويستطيع الباحث الوصول إلى أي مادة متوافرة في قاعدة معلومات المكتبة الالكترونية (الرقمية) بسهولة كما توضحه الأشكال التالية :

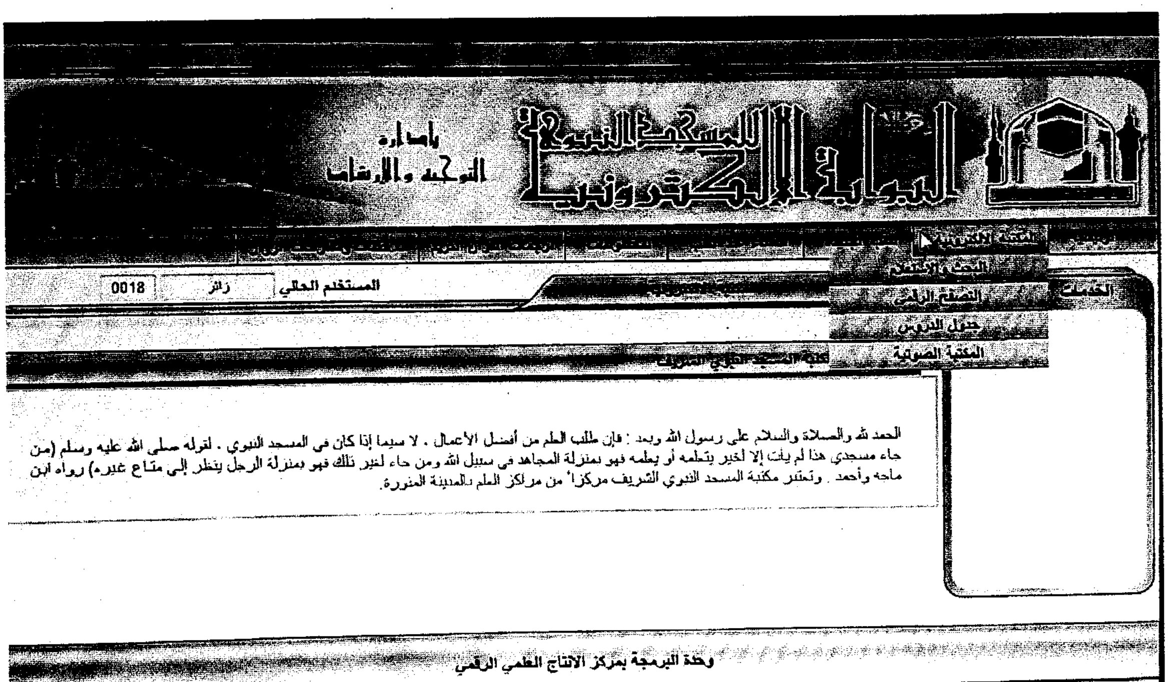
- شكل رقم (٣) الصفحة الرئيسية لبوابة المكتبة الالكترونية (الرقمية)

- شكل رقم (٤) الدخول على الفهرس واختيار الموضوع.

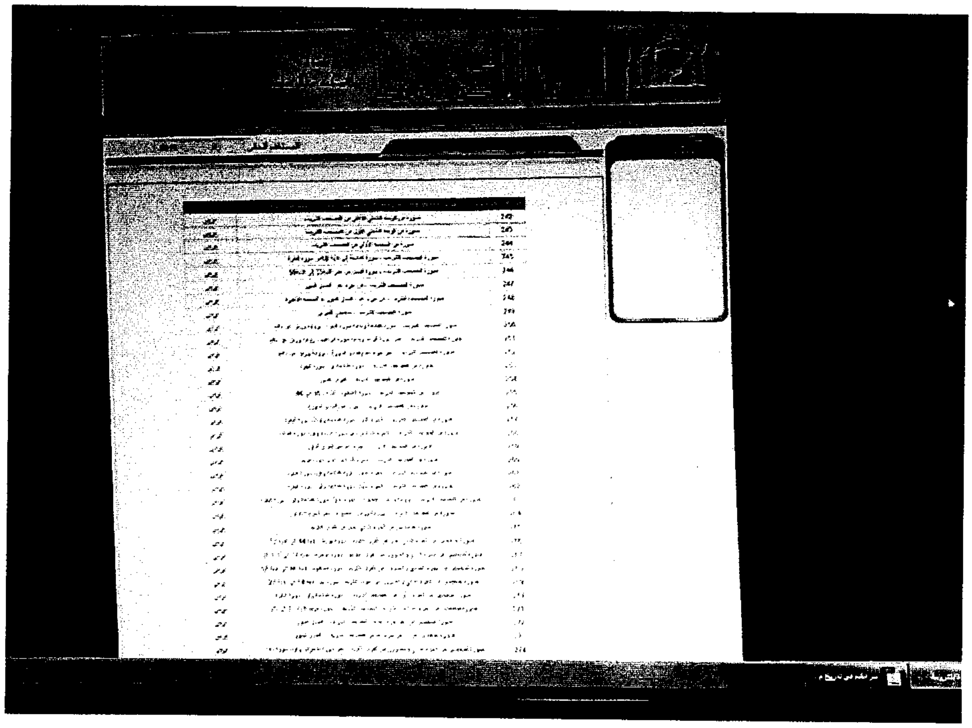
- شكل رقم (٥) استعراض فهرس المادة المطلوبة.

- شكل رقم (٦) استرجاع مخطوطة قرآنية على الشاشة.

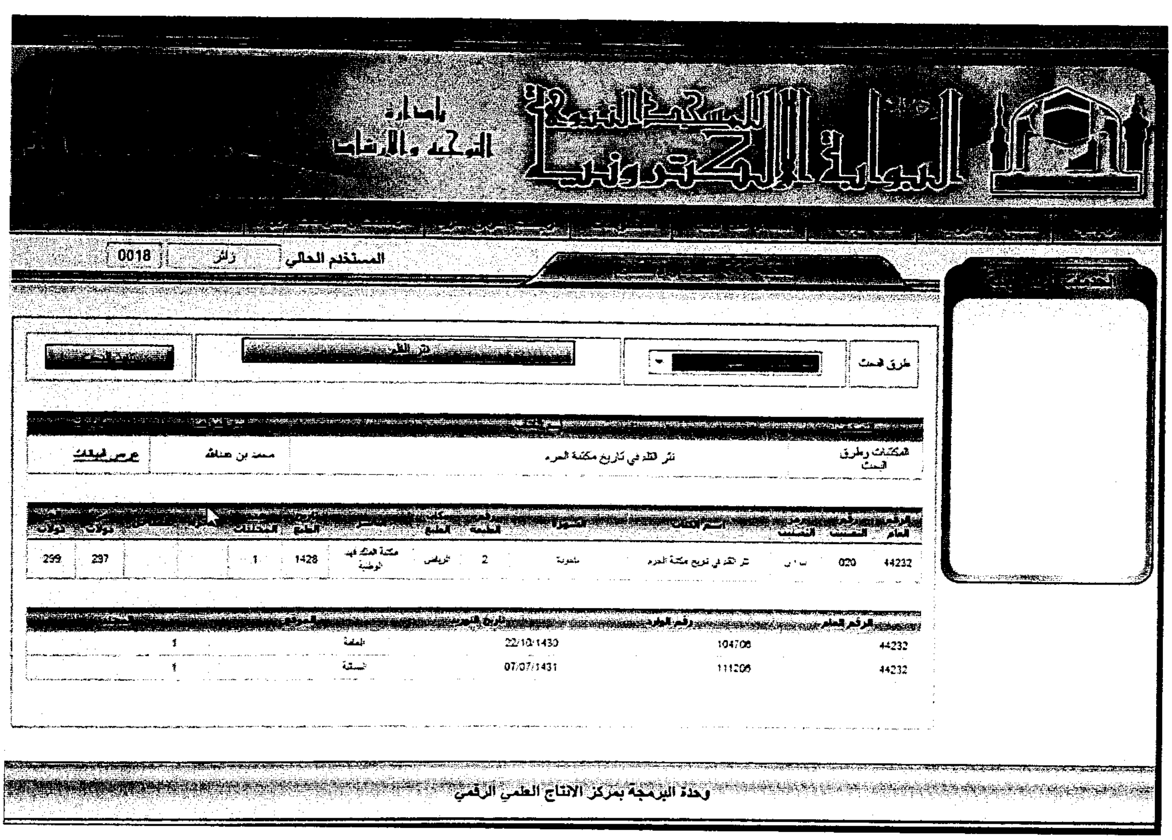
شكل رقم (٣) الصفحة الرئيسية لبوابة المكتبة الالكترونية (الرقمية)



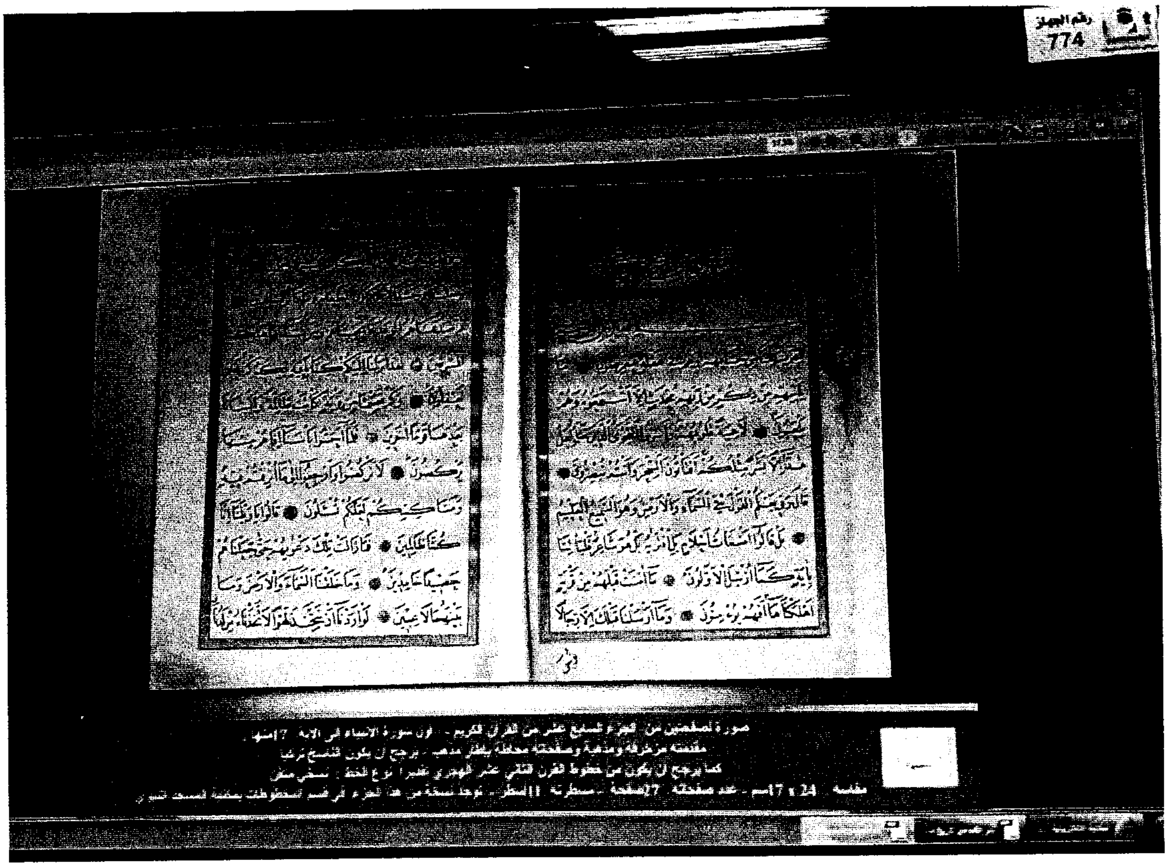
شكل رقم (٤) صفحة الدخول على فهرس المكتبة واختيار الموضوع.



شكل رقم (٥) استعراض فهرس الكتاب المطلوب



شكل رقم (٦) استرجاع مخطوطة قرآنية على شاشة الانترنت



٥/٤/١/ ج - الاتصال بشبكة الانترنت:

يوجد لمكتبة المسجد النبوي الشريف موقع على شبكة الويب يمكن الوصول إليه، بالدخول على موقع (/www.mktaba.org) ويتيح الموقع للرواد إمكانية البحث في فهرس المكتبة والاطلاع على محتوياتها، كما يتيح أيضا إمكانية تحميل التسجيلات الصوتية، وذلك بعد تسجيل العضوية والحصول على اسم المستخدم والرقم السري للدخول على الموقع. وتحتوي المكتبة الرقمية للمسجد النبوي على الانترنت على العناصر التالية:

- **التلاوات:** وتشمل تسجيلات القرآن الكريم من المسجد الحرام، والمسجد النبوي الشريف، وتلاوات أخرى منوعة.

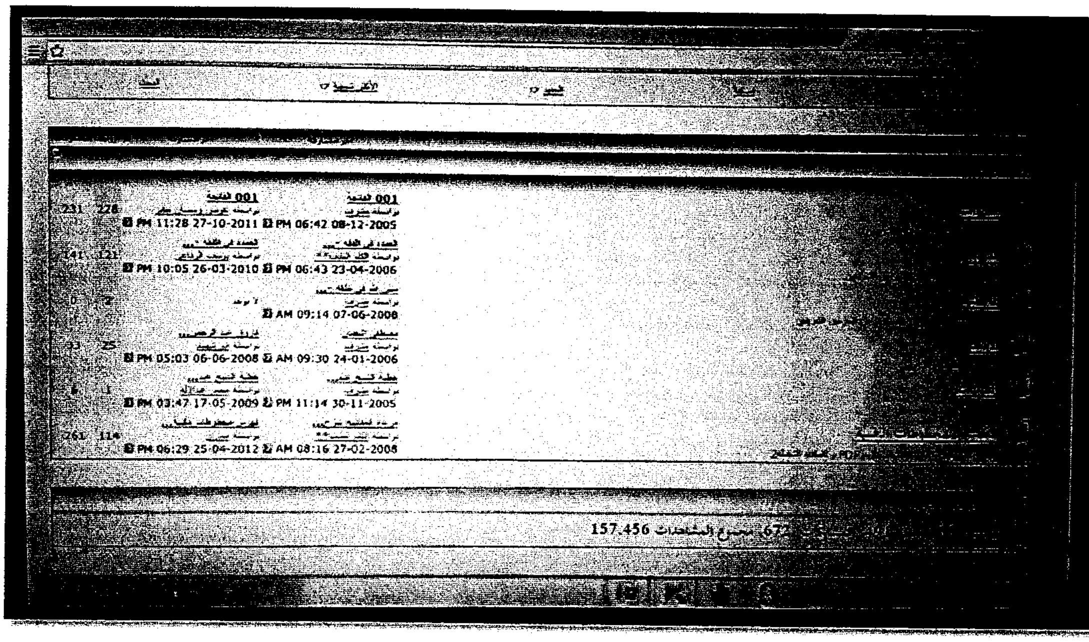
- **الدروس:** وتشمل الدروس الملقاة في الحرمين الشريفين منذ عقود، ويصل عدد الدروس في المسجد النبوي الشريف إلى عشرة دروس يوميا، ويزداد عددها في المواسم، وتشمل لغات أخرى غير العربية. ويوضح الجدول رقم (١٠) الدروس العلمية المسجلة والتي يسمح بتسجيلها مجانا.

الخطب: وتشمل تسجيلات خطب الأئمة قديما وحديثا من المسجد الحرام، والمسجد النبوي، سواء كانت خطب الجمعة أو العيدين أو الاستسقاء أو الكسوف، إضافة إلى خطب نادرة وقديمة.

الآذان: ويشمل كذلك الآذان في الحرمين الشريفين قديما وحديثا.

المرئيات: وتشمل لقطات مرئية من الحرمين الشريفين.

شكل رقم (٧) عناوين المداخل الرئيسية للمكتبة على الانترنت



الكتب والمخطوطات الرقمية: وهي تحتوي على الكتب والمخطوطات التي تم تحميلها في قاعدة بيانات المكتبة، ويمكن استرجاعها على ملفات نمط PDF وذلك لفائدة المستفيدين.

٥/٤/١/د - المكتبة الصوتية:

بدأت المكتبة الصوتية بقيام إدارة التوجيه والإرشاد بتسجيل الدروس المقامة في المسجد النبوي الشريف وصلاة التراويح والتهجد وخطب الجمع والعيدين وغيرها. وكانت الأشرطة تحفظ في قسم الصوت ويرسل بعضها إلى مدير المكتبة، وكان يحفظها في المكتبة بباب عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكان يحفظ بعضها في مجلس الإشراف على التدريس بالمسجد النبوي بعد إنشائه حيث يتولى الإشراف على تسجيل الدروس التي تلقى في المسجد النبوي الشريف.

"وتحفظ تلك الأشرطة في المجلس بعد مراجعتها من قبل المشايخ المتخصصين، وكان التسجيل يومياً لجميع الدروس ثم نقلت مسئولية التسجيل إلى إدارة التوجيه والإرشاد لبعض العوائق، وجعل الإشراف المباشر من قبل إدارة التدريس التابعة لإدارة التوجيه والإرشاد. وتحفظ الأشرطة في المكتبة. ثم نشأت فكرة فهرسة الأشرطة وإنشاء قسم المكتبة الصوتية وتم ذلك في عام ١٤٠٨هـ.

وكان موقعها في أول الأمر في باب عمر رضي الله عنه، ثم انتقلت إلى باب عثمان رضي الله عنه في الدور الثاني، ثم انتقلت إلى باب رقم ١٧ في الجهة الشمالية الغربية من المسجد النبوي.

ثم انتقلت إلى باب رقم ١٢ من الجهة الغربية من المسجد النبوي. ثم عادت إلى باب رقم (١٢) من الجهة الشمالية الغربية وبقيت حتى تاريخه"(٢٤). والهدف الأساس من إنشاء المكتبة الصوتية هو تسجيل وحفظ جميع ما يلقى في المسجد النبوي من دروس وخطب وتلاوات من الصلوات والتراويح والقيام.

وتتلخص أبرز مهامها في الآتي:

١- تسجيل الدروس التي تلقى داخل المسجد النبوي.
٢- تسجيل خطب الجمعة والأعياد والاستسقاء والكسوف والخسوف.
٣- تسجيل قراءة التراويح والصلوات وتجهيزها وفهرسة الدروس والخطب.
٤- تجهيز الدروس التي تعرض داخل المسجد النبوي.
٥- استقبال طلبات الزوار للدروس والخطب والتلاوات.
٦- نسخ الدروس والخطب والتلاوات للزوار سواءً على أشرطة أو أقراص أو وسائط متعددة بعد إحضار الفارغ من الزائر .
٧- تسليم الزوار طلباتهم المنسوخة والجاهزة.
٨- توزيع بعض الأشرطة أو الأقراص مجاناً على الزوار والحجاج.

وباستعراض التقارير من المكتبة الصوتية من عام (١٤٠٨هـ - ١٤٣٣هـ) يكون ما تم نسخه من أشرطة كالآتي(٢٥):

١- في عام ١٤٠٩هـ تم نسخ ما يزيد على (١٠،٠٠٠) شريط لرواد المكتبة.
٢- وفي عام ١٤١٠هـ تم نسخ ما يزيد على (١٠،٠٠٠) شريط لرواد المكتبة.
٣- وفي عام ١٤١١هـ تم نسخ ما مجموعة (٥٠،٠٠٠) شريط.
٤- وفي عام ١٤١٢هـ بلغ عدد الأشرطة التي تم نسخها (٥٠،٠٠٠) شريط.
٥- وفي عام ١٤١٣هـ بلغ عدد الأشرطة الموردة للمكتبة ما يربو على (١٣،٠٠٠)شريط وتم نسخ ما يزيد على (٢٥،٠٠٠) شريط لمن يطلبه.
٦- وفي عام ١٤١٤هـ بلغ عدد الأشرطة الموردة للمكتبة (١٤،٧٥٣) شريط وتم نسخ (٢٨،٥٥٠) شريطاً.
٧- وفي عام ١٤١٥هـ تم توريد (٢،٥٧٢) شريط،ونسخ (٣٢،٠٠٠) شريط لرواد المكتبة الراغبين في التسجيل.
٨- وفي عام ١٤١٦هـ تم توريد ما يزيد على (١،٩٠٠) شريط للمكتبة الصوتية ليصبح مجموع الأشرطة الموجودة بالمكتبة (١٩،٢٣٧) شريطا كما تم نسخ ما يزيد على (٤٥،٣٥٤) شريط.
٩- وفي عام ١٤١٧هـ بلغ عدد الأشرطة الموردة المسجل عليها (٢٧٥) شريطا وبلغ مجموع ما نسخ لرواد المكتبة الصوتية (٧٥،٩٣٢) .
١٠- وفي عام ١٤١٨هـ بلغ مجموع ما تم نسخه أكثر من (٢٨،٠٥٥) شريط.

١١- وفي عام ١٤١٩هـ بلغ عدد ما تحتويه المكتبة من المواد المسجلة على الأشرطة ما يزيد على (٢٦،٠٠٠) مادة .

١٢- كما تم اختصار أغلب الدروس والقراءات وهذا تخفيف على من يريد نسخ مواد كثيرة، ولسهولة حمله إلى أي بلد بيسر وسهولة كما يجنبه التكرار الممل وبهذا ينشط طالب العلم إلى الاستماع والمتابعة مع الشيخ سواء كان ذلك قراءة للقرآن الكريم، أو استماعاً للخطب أو الدروس العلمية الأخرى.

١٣- وفي عام ١٤٢١هـ بلغ مجموعة ما تحويه المكتبة الصوتية من المواد العلمية أكثر من (٢٨،٠٠٠) مادة مسجلة على أشرطة كاسيت.

١٤- وفي عام ١٤٢٢هـ بلغ مجموع ما تم نسخه (١٣٠،٠١٨٥)شريطاً.

١٥- وفي عام ١٤٢٣هـ بلغ مجموع ما تم نسخه (١٣٩،٧٨٣) شريطاً.

١٦- وفي عام ١٤٢٤هـ (١٤٠،٧٦٦) شريطاً .

١٧- وفي عام ١٤٢٥هـ (١٢٦،٦٦٤) شريطاً، وفي هذه السنة بدأ نسخ الأقراص.

١٨- وفي عام ١٤٢٦هـ تم نسخ (٧٩،٠٣٢) شريطاً و (١٦٣،٩٦٨) قرصاً.

١٩- وفي عام (١٤٢٧هـ) تم نسخ (٦٥،٧٦٨) شريطاً و (١٥٤،٨٦٦) قرصاً.

٢٠- وفي عام ١٤٢٨هـ تم نسخ (٥٣،٩٧٠) شريطاً و (١٥٣،٠١٣)قرصاً، (١٤٨) فلاش وهارد،وفي هذا العام بدأ نسخ الفلاش والهارد.

٢١- وفي عام ١٤٢٩هـ تم نسخ (٤١،٠٨٦) شريطاً (١٢٧،٣٨١) قرصاً و (٤١٥) فلاش وهارد.

٢٢- وفي عام ١٤٣٠هـ تم نسخ (٢٤،٤٩٤) شريطاً و (٨٣،٠٠٠) قرصاً، و (١٢٥٠) فلاش وهارد.

٢٣- وفي عام ١٤٣١هـ تم نسخ (٢٥،٢٩٢) شريطاً و (٦٠،١٩١) قرصاً و (١،٤٨٠) فلاش وهارد.

٢٤- وفي عام ١٤٣٢هـ تم نسخ (١٢،٦٦٧) شريطاً و (٥٢،٣٤٧) قرصاً و (٢،٦٥٣) فلاش وهارد.

٢٥- وفي عام ١٤٣٣هـ تم نسخ (١٢،٣٠١) قرصاً و (٤٧،٦٦٧) قرصاً و (٢،٦٥٣) فلاش وهارد.

٢٦- كما تم تحويل الأشرطة الكاسيت إلى اسطوانات الليزر وقد تم تحويل كامل الخطب وبعض الدروس بالاتفاق مع إحدى الشركات الوطنية لإنتاج العمل وتوزيعه وجعله وقفاً لله تعالى لمن أراد نسخه وتوزيعه.

ويحمل القرص الواحد أكثر من ستمائة ساعة من المواد المسجلة بالمكتبة.

٢٧- كما تم طباعة معظم فهارس الأشرطة بأسماء الموضوعات طبقاً لورودها في الكتاب المشروح.

٢٨- يتم تسجيل الصلوات المقامة بالمسجد النبوي الشريف على مدار السنة، وتقوم المكتبة الصوتية بإخراج القراءة لتلك الصلوات .

٢٩- تقوم المكتبة الصوتية بإخراج مصحف كامل كل سنة لقراءة صلاة التراويح بعد إصلاح الأخطاء الواردة في القراءة من المصاحف الموجودة بالمكتبة الصوتية.

٣٠- تم إخراج قراءة الأئمة في صلاة التهجد من القراءات الموجودة في المكتبة.

ويوضح الجدول رقم (٩) عدد الساعات المتاحة لمختلف التسجيلات في المكتبة الصوتية بالمسجد النبوي الشريف.

جدول رقم (٩) عدد الأشرطة المطلوبة لتسجيل المواد عليها مجاناً

[illegible]

الخطب والتلاوات من المسجد الحرام والمسجد النبوي

خطب

اسم الشيخ	عدد الأشرطة
[illegible]	18
[illegible]	24
[illegible]	13
حسين آل الشيخ	26
عبد المحسن القاسم	18
صلاح البدير	15
عبد الرحمن السديس	14
سعود الشريم	10
صالح بن حميد	16
خطب مختارة	**عدد الأشرطة**
[illegible]	2
[illegible]	2
[illegible]	2
[illegible]	2
[illegible]	2
[illegible]	6
مصاحف كاملة	**عدد الأشرطة**
[illegible]	10
[illegible]	20
[illegible]	13
[illegible]	12
[illegible]	14
[illegible]	14
[illegible]	13
[illegible]	14

مصاحف كاملة

أسماء المشايخ	عدد الأشرطة
تراويح 1415هـ (1) الحذيفي - الأخضر - أيوب - الثبيتي	14
تراويح 1415هـ (2) الحذيفي - الأخضر - أيوب - الثبيتي - علي السديس	16
تراويح 1417هـ الحذيفي - الثبيتي	13
تراويح 1418هـ الحذيفي - الثبيتي - آل الشيخ - القاسم	14
تراويح 1419هـ الثبيتي - القاسم - الجهني - البدير	14
تراويح 1420هـ الثبيتي - القاسم - البدير - الجهني	14
تراويح 1421هـ الحذيفي - الثبيتي - القاسم - البدير	14
تراويح 1422هـ الحذيفي - الثبيتي - القاسم - البدير	16
تراويح 1423هـ الثبيتي - القاسم - الحذيفي - البدير - آل الشيخ	16

للاستفادة من القائمة إحضار أشرطة فارغة مدتها 60د و نحن نقوم بتسجيلها لك مجاناً

للاستزادة زيارة موقع بوابة الحرمين

[illegible]

موقع المكتبة

[illegible]

التلاوات

أسماء المشايخ	عدد الأشرطة
تهجد 1415هـ الحذيفي - الثبيتي - علي السديس	6
تهجد 1416هـ الحذيفي - أيوب - علي السديس	8
تهجد 1417هـ الحذيفي - أيوب - علي السديس	7
تهجد 1418هـ الحذيفي - القاسم	7
تهجد 1419هـ الثبيتي - الجهني - القاسم - البدير	6
تهجد 1420هـ الثبيتي - الجهني - القاسم - البدير	5
تهجد 1423هـ الثبيتي - البدير - القاسم - الحذيفي	6
صلاة التهجد من مصحف كامل محمد أيوب - عبد الله عواد الجهني	5
أسماء المشايخ (مكة)	**عدد الأشرطة**
تراويح مكة 1407هـ السديس - علي جابر	4
تراويح مكة 1419هـ السديس - الشريم	13
تراويح مكة 1421هـ السديس - الشريم	13
تراويح مكة 1423هـ السديس - الشريم	13

الإصدارات

أسماء المشايخ	عدد الأشرطة [illegible]	عدد الأشرطة [illegible]
[illegible]	2	3
علي الحذيفي	3	3
إبراهيم الأخضر		3
محمد أيوب	5	5
عبد الباري الثبيتي	4	8
حسين آل الشيخ		7
عبد المحسن القاسم	4	6
عبد الله عواد الجهني	3	1
صلاح البدير	6	10
ماهر المعيقلي		5
علي السديس	1	
[illegible]	1	?
الحذيفي [illegible]	1	1
علي جابر [illegible]		2
عبد الرحمن السديس	1	1
السديس و الشريم		1
سعود الشريم	2	
أسامة خياط	1	
صالح آل طالب	1	
[illegible]	2	1
[illegible]		20

Scanned by CamScanner

جدول رقم (١٠) الدروس العلمية المتاح تسجيلها مجاناً

إدارة التوعية والإرشاد ، المكتبة الصوتية بالمسجد النبوي الشريف ☎ : 8237044-8234400 التحويلة 4062

مجموعة دروس العلماء التي ألقيت بالمسجد النبوي

اسم الشيخ	الكتب	عدد الأشرطة	م
أبو بكر الجزائري	أيسر التفاسير – منهاج المسلم	213-567	
	[illegible]	45-62-79	
	صحيح البخاري	750	[illegible]
	[illegible]	375-9-410	
	[illegible]	211-4-16	
إبراهيم الرحيلي	[illegible]	11-11-4-51	
	الإيمان [illegible] البخاري – دروس عامة	8-66-13	[illegible]
حسين آل الشيخ	[illegible]	80-30-16	[illegible]
	عمدة الأحكام [illegible]	7-6-16	
	الأربعين النووية [illegible]	11-7	[illegible]
	[illegible]	9-5-12	
	دروس عامة – بلوغ المرام	140-262	[illegible]
سليمان الرحيلي	القواعد الفقهية [illegible]	6-15-17-9	
	[illegible]	10-8-65	
سعد الشثري	دروس عامة	1	
صالح السحيمي	[illegible]	5-15	
	كشف الشبهات – [illegible]	3-7-6	
	[illegible]	33-43-177	[illegible]
	[illegible]	108-57	[illegible]
	[illegible]	25-110	[illegible]
	[illegible]	2-5	
	[illegible]	2-6-69	
	[illegible]	92-1	[illegible]
صالح العبود	تيسير العزيز الحميد (1 – 2)	250-143	
	[illegible] (1 – 2)	30-83-80	
	كشف الشبهات (1 – 2) – الحموية	26-30-6	
	التدمرية (1-2) – فتح المجيد	156-36-20	
	الأصول الثلاثة – [illegible]	3-64-11	
	مجموع [illegible] شرح السنة	49-200	[illegible]
	حاشية الأصول الثلاثة (1 – 2)	16-40	
	[illegible]	35	[illegible]
	[illegible]	750-590	[illegible]
[illegible]	الأصول الثلاثة – كتاب التوحيد [illegible]	3-9-3	[illegible]

اسم الشيخ	الكتب	عدد الأشرطة	م
[illegible]	دروس عامة [illegible]	5	
عبد الرزاق البدر	[illegible]	113-6-15-49	[illegible]
	[illegible]	2-23-78-9-10	
	[illegible]	11-8-17-40-11	
[illegible]	دروس عامة	3	
[illegible]	[illegible]	126-456	[illegible]
عبد الله [illegible]	فتح المجيد – الأصول الثلاثة	6-100	
	[illegible] الأصول الثلاثة – سنن أبي داود	55-5-23	[illegible]
	[illegible]	6-19	[illegible]
	كتاب الصلاة لابن القيم – الأذكار للنووي	9-11	[illegible]
	كتاب التوحيد – [illegible]	6-14-105	[illegible]
[illegible]	دروس علم (القرآن [illegible])	1	
[illegible]	[illegible]	2	
عبد المحسن العباد	صحيح البخاري – اللؤلؤ والمرجان [illegible]	7-137	[illegible]
	سنن النسائي – [illegible]	14-414	
	سنن الترمذي – سنن أبي داود	373-436	
	[illegible]	5-23	
	[illegible]	9-4	
	صحيح البخاري [illegible] صحيح مسلم [illegible]	6-11	
	شرح الصدور – [illegible] السيوطي	57-3	
	سنن ابن ماجه – عمدة الأحكام	18-242	[illegible]
عطية سالم	[illegible]	351-102	
	[illegible]	46-10-13	
	[illegible]	6-9-34	
	[illegible]	7-4-6	
	دروس عامة – إجابات عامة	58-17	
	الهجرة النبوية – الإسراء والمعراج	5-6	
[illegible]	[illegible] سبل السلام	204-101	[illegible]
	فتح المجيد – الرحيق المختوم	10-31	[illegible]
[illegible]	زاد المستقنع [illegible]	17-165	[illegible]
[illegible]	[illegible] فتح المجيد	65-53	
	تفسير السعدي – القول المفيد – [illegible]	25-90-70-125	[illegible]
	[illegible] كشف الشبهات	23-45-110	

اسم الشيخ	الكتب	عدد الأشرطة	م
عمر حسن فلاته	[illegible] – الرحبية	20-140-100	
	[illegible]	281-220-92	
	[illegible]	45-220	
	[illegible]	196	
	[illegible]	141-102-920	[illegible]
عمر محمد فلاته (رحمه الله)	صحيح مسلم – [illegible]	15-7-315	[illegible]
	تفسير ابن كثير – [illegible]	28-611	[illegible]
	السيرة للذهبي – فضائل الصحابة	63-129	[illegible]
	شمائل الرسول – سنن أبي داود	434-25	[illegible]
محمد الجامي (رحمه الله)	قرة عيون الموحدين – الطحاوية – النونية	4-48-30	[illegible]
	[illegible] الأصول الثلاثة	5-20-14	
	نيل الأوطار [illegible] الحموية	31-5-6-26	[illegible]
	[illegible] – عمدة الأحكام – التدمرية	23-6-5	[illegible]
محمد الأمين [illegible]	كتاب أضواء البيان – دروس عامة	4-67	[illegible]
[illegible]	الكافي لابن قدامة	636	[illegible]
	[illegible]	313-10-9	
[illegible]	دروس وفتاوى – الآجرومية – الواسطية	32-16-89	
	[illegible]	9-16	
محمد المختار الشنقيطي	عمدة الأحكام – [illegible]	119-174	
	زاد المستقنع (الحج – البيوع – الأطعمة)	8-11-11	
	أحكام الصيام [illegible] – دروس في الحج	5-5	
	فقه الأسرة – أحاديث مختارة في الحج	10-4	
	الموطأ – عمدة الأحكام	3-35	
[illegible]	[illegible] – زاد المستقنع	197-92	
	صحيح مسلم – مسند الإمام أحمد [illegible]	19-7-24	[illegible]
	مسائل شيخ الإسلام – عمدة الأحكام [illegible]	6-5-13	[illegible]
	مختصر زاد المعاد – كتاب التوحيد	185-157	[illegible]
	[illegible]	164-192-230	[illegible]
[illegible]	[illegible]	28-39-2	[illegible]
[illegible]	[illegible]	222	[illegible]
[illegible]	الملخص المفيد في علم التجويد	141	
عدة مشايخ	إصدارات عامة من الدروس	(37)	

للاستفادة من [illegible] إحضار أشرطة فارغة [illegible] ونحن نقوم بتسجيلها لك مجاناً .

٥/٤/١/هـ ـ المكتبة الشاملة:

وهي متاحة مجانا لكل المستفيدين، ويمكن تحميلها والنسخ منها، وكتبها غير محظورة حيث يمكن تحميلها بطرق مختلفة عن طريق شبكة الانترانت وكذلك موقع الانترنت، كما يمكن الحصول على (CD) مجان من المكتبة لآخر إصدار، وهي تحتوي على إمكانات توفر لطالب العلم الكثير من الجهد، إذ يمكنه تحميل النصوص مباشرة والتعامل معها بسهولة من حيت النسخ واللصق؛ إضافة إلى إمكانية مقارنة النص الذي تم تحميله مع النص الأساسي الموجود في الكتاب وعلى نفس الشاشة. وقد تجاوز عدد الكتب المتاحة على المكتبة الشاملة أكثر من (٦٠٠٠) ستة آلاف كتاب تقريبا، وهي متاحة في شكلها الأساسي على موقع مكتبة المسجد النبوي الشريف.

شكل رقم (٨) المكتبة الشاملة ضمن موقع مكتبة المسجد النبوي الشريف الرقمية



٥/٤/٢ ـ المكتبة الرقمية في مكتبة الملك عبد العزيز:

بالرغم من توقف خدمات مكتبة الملك عبد العزيز بالمدينة المنورة حالياً التقليدي منها والرقمي عن العمل نظرا للتوسعة الكبرى للمسجد النبوي الشريف التي يجري العمل فيها، والتي تستدعي نقل المكتبة إلى مكان آخر، إلا إنه من المهم استعراض ما قامت المكتبة بإنجازه في المجال الرقمي، وذلك باعتبار أنها من أوائل المكتبات الوقفية في هذا المجال حيث باشرت العمل فيه منذ عقدين من الزمن. وسعت إلى الدخول في هذا المجال مبكرا، وقد تم تقسيم العمل آنذاك إلى مرحلتين :

المرحلة الأولى : المرحلة التحضيرية، وفيها أنهت المكتبة متطلباتها من إعداد شبكة داخلية وحاسبات خاصة بتطوير نظام المكتبة الببليوجرافي، تربط جميع أقسام المكتبة، وقد روعي فيها أن تكون من أحدث ما توصلت إليه صناعة الحاسبات الآلية في ذلك الوقت من حيث السرعة وسعة التخزين واشتملت على المميزات التالية(٢٦):

١- جهاز حاسب آلي موديل دل ذاكرة مؤقتة ١٦ ميجابايت، عدد واحد (يقوم بدور الخادم للشبكة المحلية).
٢- جهاز حاسب آلي موديل دل ذاكرة ١٦ ميجابايت، عدد ستة (تعمل كمحطات عمل لخدمات المكتبة).
٣- جهاز حاسب آلي موديل دل ذاكرة مؤقتة ٨ ميجابايت، عدد أربعة (تعمل كمحطات عمل للشؤون الداخلية في المكتبة).
٤- طابعة ايبسون موديل عدد اثنتان.
٥- طابعة ليزر موديل ، العدد واحدة.
٦- نظام تشغيل الشبكة المحلية نتوير لعدد ٢٥ مستخدم.
٧- كارت شبكة نوع Ethernet 16 bit 3 comutp .
٨- كابلات التوصيل نوع UTP مع توصيل RG45.
٩- لاصقات الترمز العمودي ، عدد ٢٠,٠٠٠ ملصق.

وتعمل تلك المحطات في المرحلة الأولى كوحدات إدخال وفهرسة لمحتويات المكتبة ثم يستفاد منها للبحث والاطلاع، ويتوقع أن يباشر العمل في إدخال بيانات محتويات المكتبة حال تركيب النظام الخاص بالفهرسة والتصنيف.

المرحلة الثانية: وهي مرحلة جرى التخطيط لها والتركيز في الجزء الأول منها على ما يلي(٢٧):

١- تأسيس نظام إدارة الفهارس المبني على تقنيات استرجاع النص بالكامل والبحث الحر عن النصوص في جميع أوعية المعلومات المتاحة بغض النظر عن هيكلها الداخلي، لتشمل أوعية المخطوطات والكتب والدوريات والرسائل الجامعية وغيرها.
٢- أدوات برامجية لإدخال بيانات الفهرسة والتصنيف ومراجعتها، وأدوات مرجعية لبناء وصيانة المكانز الإلكترونية في المواضيع والأماكن والشخصيات.
٣- كوادر بشرية مدربة للقيام بأعمال الفهرسة والتصنيف والإدخال والمراجعة، وصيانة قوائم رؤوس الموضوعات الإلكترونية والضبط البيليوجرافي للكتب والدوريات.

أما الجزء الثاني فيخص نظام حفظ الوثائق لمسح وتخزين واسترجاع صور المخطوطات والكتب النادرة وربطه بنظام الفهارس. ويعتمد هذا النظام على تقنيات الليزر في حفظ الصور، مما يتطلب عدداً من محطات المسح الضوئي وما يلزمها من كروت معالجة الصور والمونتاج، وأجهزة مسح الصور ضوئياً، وخادم سواقات

الأسطوانات المليزرة وربطه بخادم الشبكة، علاوة على محطات الاسترجاع وشاشات العرض والتوصيلات اللازمة فضلاً عن التدريب.

أما الجزء الثالث، فيخص تطوير الأنظمة الإدارية لخدمات المكتبة لتشمل التزويد والإعارة وإعداد التقارير لاستخراج جميع الإحصاءات المتعلقة بنشاط المكتبة، ومتابعة مستوى الخدمات المقدمة لروادها ، وكذلك تطوير أنظمة المالية والإدارية وأنظمة متابعة عقود الصيانة لمرافق المكتبة.

أما الجزء الرابع ، فسوف يتم التركيز فيه فيما بعد على ربط المكتبة مع قواعد المعلومات المحلية والعالمية إلكترونيا، لإتاحة الفرصة أمام رواد المكتبة للبحث والاستطلاع في قواعد معلومات المكتبات المرتبطة بالشبكة باستخدام أساليب التخاطب بين المكتبات المسماة (Z39.50) وكذلك إتاحة فهارس المكتبة لرواد الشبكة العالمية للبحث والاستطلاع في مقتنيات المكتبة والتخاطب عبر البريد الإلكتروني لتسليم الوثائق.

التعاون مع مكتبة الملك فهد الوطنية:

نظراً لما وصلت إليه مكتبة الملك فهد الوطنية من تقدم وتطور في مجال الفهرسة والتصنيف والتدريب والاستشارات المكتبية بجميع أنواعها، فقد ارتأت مكتبة الملك عبد العزيز بالمدينة المنورة الارتباط المباشر معها على هيئة تعاون مفتوح. وانطلاقاً من مبدأ التعاون المشار إليه فقد جمعت بمكتبة الملك فهد أكثر من أربعة آلاف عنوان من هيئات وشخصيات علمية، وفهرست وصنفت آلياً وأرسلت إلى مكتبة الملك عبد العزيز لتكون بمثابة نواة لتحديث آلية المكتبة. وفي منتصف عامي ١٤١٥هـ و ١٤١٦هـ تم إرسال أربعة من موظفي المكتبة إلى مكتبة الملك فهد الوطنية لتلقي التدريب على أعمال الفهرسة والتصنيف والتكشيف. وتم الربط بين المكتبتين بوحدة طرفية مباشرة لتسهيل إجراءات العمل بالنسبة للفهرسة والتصنيف، إضافة إلى تقديم الخدمات البحثية لمن يريد الاستعلام عن مجموعات الكتب في مكتبة الملك فهد الوطنية.

وحاليا توقف العمل في المكتبة بسب نقلها من مكانها لصالح توسعة المسجد النبوي الشريف، وكذلك النظم الآلية التابعة لها وذلك لحين الاستقرار في المكان الجديد واستئناف العمل مجدداً.

٥/٤/٣- المكتبة الرقمية في مكتبة السيد حبيب محمود

تم استعراض نشأة مكتبة السيد حبيب محمود في الفصل السابق، باعتبار أنها أحدث المكتبات الوقفية التي أنشأها الأفراد في المدينة المنورة. وفي الواقع المكتبة لازالت في بدايات النشاط الرقمي، ولكن يوجد موقع لها على شبكة الإنترنت بعنوان (www.shpl-mm.com) ويوفر الموقع عددا من الخدمات تتلخص في التالي(٢٨):

- التعريف بالمكتبة من حيث التأسيس والنشأة.
- التعريف بمؤسس المكتبة السيد حبيب محمود.

ـ تتوفر البوابة على فهرس للمخطوطات الموجودة بالمكتبة في (٣١) فنّ. ويمكن عبر الموقع استعراض محتويات كل علم على حدة، وذلك فيما تم الانتهاء من فهرسته.

ـ الإعلان عن الندوات والمحاضرات التي تقيمها المكتبة، أو غيرها من الجهات العلمية مثل الجامعات وخلافها.

ـ إمكانية حجز القاعات مجاناً للندوات والمحاضرات عبر الانترنت.

ـ في داخل المكتبة تتوافر خدمة البحث الالكتروني في فهرس ومحتويات المكتبة.

وعموما تظل مكتبة السيد حبيب محمود الوقفية بالمدينة المنورة، نموذجا حيا لاستمرار حرص المجتمع والقطاع الخاص على المساهمة الفعالة في خدمة العلم والعلماء، وأن ذلك التاريخ المجيد للأمة في هذا المجال لازال مستمرا في عطائه.

٥/٥. المستقبل المأمول لمكتبات المدينة المنورة الوقفية:

إن المبادرات التي قامت بها المكتبات الوقفية في المدينة المنورة ممثلة في المسجد النبوي الشريف ومكتبة الملك عبد العزيز ومكتبة السيد حبيب محمود، في السعي لإنشاء مكتبات رقمية، هي مبادرات جيدة في الطريق الصحيح للدخول في عالم صناعة المعلومات، وهي جهود يمكن تثمينها بالرغم من أنها لازالت في المراحل الأولى من عملية إنشاء مكتبات وقفية رقمية فعلية، ولازال أمامها شوط كبير للوصول إلى أن تكون مكتبة وقفية رقمية. ونتناول فيما يلي أهم العناصر اللازم مراعاتها عند إنشاء المكتبات الوقفية الرقمية. ونتناول بداية أهمية اتجاه المكتبات الوقفية إلى الشكل الرقمي، ثم مزايا استخدام المكتبات الوقفية للانترنت باعتبار أنه البوابة الرئيسية للتواصل مع مزودي الخدمة والمستفيدين.

١/٥/٥. أهمية إنشاء المكتبات الوقفية الرقمية مستقبلا:

إن الحاجة جدُّ ماسة لإنشاء مكتبات وقفية رقمية في العالم العربي، وذلك لعظم الدور الذي ستقوم به في تزويد الباحثين والدارسين بالمعلومات التي هم في حاجة إليها في مختلف التخصصات ، وكذلك الوصول إليهم في مختلف البقاع، خاصة في عصر الإنترنت الذي يتجاوز الحدود في لحظة، ويصل إلى المستفيدين في كل مكان وعلى مدار الساعة. والميزة الأهم في هذا الموضوع مجانية الخدمة للجميع. تقول فاتن بامفلح: "لم تعد خدمات المعلومات محصورة بين جدران مباني مؤسسات المعلومات؛ فقد تجاوزتها في العصر الحاضر لتمتد عبر شبكة الإنترنت، متخطية بذلك الحواجز المكانية والزمانية، فقد أصبح من السهل على الفرد تلبية احتياجاته من المعلومات المختلفة والمنتشرة من خلال المؤسسات الأكاديمية أو الحكومية أو التجارية أو المهنية أو حتى الأفراد، بل أصبح من الممكن للفرد أن يستفيد من خبرات أخصائيي المعلومات العاملين في مختلف المؤسسات عبر العالم؛ فقد يستفيد الباحث في المملكة العربية السعودية من رد أخصائي المراجع في مكتبة الكونجرس على استفساره الموجه إليه من خلال خدمة ((اسأل المكتبي Ask A Librarin)) ... وبظهور الجيل الثاني من الويب أصبحت خدمات المعلومات تقدم صورة تفاعلية تسمح للمستفيدين بالمشاركة والتفاعل مع مقدمي خدمات

المعلومات عبر التطبيقات المختلفة التي جاء بها الجيل الثاني من الشبكة ومن أبرزها المدونات، والتأليف الحر، والشبكات الاجتماعية"(٢٩).

ومن المؤكد أن الاعتماد على المكتبات الرقمية الوقفية له فوائد كثيرة من أهمها:

١. تحتوي المكتبات الوقفية غالبا على المصاحف النادرة والمخطوطات، ومعلوم أن كثرة تناولها من قبل الرواد يؤدي بها إلى التلف، ونقلها إلى وسيط إلكتروني يساعد على حفظها وصيانتها من التلف.

٢. تحويل المصاحف والمخطوطات والكتب النادرة، كما هو متوافر في مكتبات المدينة المنورة الوقفية إلى شكل رقمي يساعد في استرجاعها بسرعة وأقل جهد ممكن.

٣. استخدام الأسلوب الرقمي في استرجاع محتويات المكتبات الوقفية بالمدينة المنورة، يتيح الفرصة للعديد من الباحثين في الدخول وفي آن واحد لاستخدام مصدر المعلومات ذاته.

٤. يوفر الاعتماد على المكتبات الرقمية الكثير من الأموال التي يمكن الاستفادة منها في مجالات أخرى كتطوير البرامج والنظم، أو استحداث خدمات جديدة.

٥. توفر المكتبات الرقمية سهولة الوصول إلى المواقع الأخرى والتعاون معها في برامج معلوماتية تفيد الباحثين والدارسين.

٦. تتيح الاستفادة من استرجاع المعلومات عبر موقع المكتبة على مدار الساعة غالبا، كما أنها تكون وسيطا للتعريف بمواقع أخرى والوصول إليها.

ولابد للمكتبات الوقفية عند عزمها التوجه إلى النمط الرقمي من الاستعانة بالخبراء والفنيين المتخصصين في هذا المجال، وذلك أن كلفة التحول إلى هذا النمط باهظة وذلك حتى لا تذهب الاستثمارات سدى، وذلك بوجود نواقص في النظم الآلية تنعكس على قصور المكتبة في خدماتها والدور المطلوب منها. تقول أمل حمدي: "على أنه أياً كان النظام الآلي المتكامل التي تتبناه المكتبة أو مركز المعلومات، فلابد أن تتحقق من مدى ملاءمته لطبيعة المصادر الإلكترونية للمعلومات؛ حيث لا بد أن يكون لها صدى وانعكاس على النظم الفرعية، مثل النظام الفرعي للتزويد أو النظام الفرعي للفهرسة، أو النظام الفرعي للإعارة، إضافة إلى مجموعة من العناصر الواجب توفرها في النظام مثل استخدامه لغات برمجة: HTML XML Java، ودعمه لكل من MARC 21، Unicode ومعيار Z39.50 والتي تمكن في مجملها المكتبات من إنشاء والاتصال بقواعد البيانات والنظم الآلية الأخرى، كذلك اشتماله على نظام MetaFinder الذي يتيح إمكان البحث عن الميتاداتا للمصادر الإلكترونية للمعلومات المشتركة فيها المكتبة، وأخيراً توافر إمكان تقديم خدمات مثل: الاستعارة الذاتية Self-checkout والإعارة المتبادلة بين المكتبات بشكل إلكتروني"(٣٠). ومن المؤكد أن تنفيذ مثل هذه البرامج

مكلف جداً ولكن العائد من وراء التحول في المكتبات الوقفية إلى الشكل الرقمي له فوائد كثيرة تتجاوز ما قد ينفق عليه من جهد ومال. وعموما هو نموذج المستقبل والكل متجه إليه.

٢/٥/٥. مزايا استخدام الإنترنت في المكتبات الوقفية:

لقد أدى ظهور الإنترنت إلى ربط العالم في شبكة اتصال واحدة ولم يعد الاستغناء عنها ممكنا، وذلك لما توفره من مزايا غاية في الأهمية، ومن أهمها الاتصال الفوري بالمصدر وسرعة الاستجابة، إضافة إلى استقلالية التخصص في كل مجال على حدة. وإمكانية الحصول على عنوان مستقل خاص بالقطاع. وتعتبر الإنترنت "في الوقت الحاضر شبكة الشبكات network of network حيث تربط آلاف الشبكات من أنحاء العالم، وهي شبكة عالمية مفتوحة تتيح الوصول إلى الآلاف من خدمات المعلومات المتنوعة ومصادرها"(٣١).

وفي مجال المكتبات والمعلومات توفر خدمات أساسية، تقول فاتن بامفلح: "وتعمل مؤسسات المعلومات على تخصيص مواقع لها على الشبكة العنكبوتية وتقدم من خلالها خدمات مختلفة كالإعارة، والخدمة المرجعية، والإحاطة الجارية، فضلاً عن استرجاع المعلومات من قواعد البيانات المختلفة التي تشترك فيها تلك المكتبات، وما سوى ذلك من خدمات. ولم يقتصر الأمر على ذلك بل أتاحت شبكة الإنترنت للمكتبات التعاون على نطاق واسع وتبادل الخبرات بين المتخصصين سواء على المستوى المحلي، أم الإقليمي، أم العالمي، بل إنها فتحت المجال للتواصل بين أخصائي المعلومات والمستفيدين عبر وسائل للاتصال المختلفة والمتنوعة التي تتيحها الشبكة، وحققت التفاعلية في تقديم خدمات المعلومات"(٣٢).

وما أشارت إليه الباحثة هو ما تحتاج إليه المكتبات الوقفية الرقمية، وذلك لتقديم خدماتها لجمهور المستفيدين، وكذلك لإنجاز بعض الأعمال والمهام المطلوبة للمكتبة وخاصة في مجال خدمات الاسترجاع. وكذلك عمليات التواصل مع الآخرين عبر البرامج الخدمية التي توفرها "من خلال عدة خدمات تقدمها شبكة الإنترنت للمستخدم، وتتمثل في الآتي:

١. البريد الالكتروني e-mail.
٢. الجماعات الإخبارية Newsgroups.
٣. الوصول إلى الملفات عن بعد FTP.
٤. الدخول إلى حاسبات أخرى على الشبكة telenet.
٥. البحث في قواعد البيانات بشكل مباشر (آركي ARCIE ، جوفر Gopher ، وايز WAIS).
٦. مناقشة الآخرين باستخدام الدردشة IRC.
٧. الوصول إلى نظم المعلومات من خلال الشبكة العنكبوتية World Wide Web"(٣٣).

وفي الواقع أن ما تتيحه الإنترنت من إمكانات في التواصل والبحث والاسترجاع تحتاج إليه كل المكتبات عموما، والوقفية خصوصاً للقيام بدورها الريادي المأمول أن تقوم به في المستقبل.

٦/٥- خلاصة:

إن العالم من حولنا يتغير بسرعة مذهلة، فما كنا ندرسه بالأمس على انه واقع نفاجأ بأنه أصبح من الماضي، فعصر الصناعة وعصر الإلكترونيات كنا فيه كأمة من ضمن جمهور المشاهدين، ولم يتجاوز دورنا دور المستهلكين. ولكي نلحق بركب صُنَّاع التكنولوجيا وصِناعة المعرفة وتقنية المعلومات علينا أن نستغل القوة الكامنة في العلم المدعوم بالوقف وما يوفره من موارد دائمة تخدم مسيرة العلم والعلماء، والاستعانة به في تطوير الدراسات والبحث العلمي للحاق بركب صُنّاع الحضارة المعلوماتية. وقد بدأت المكتبات الوقفية الرقمية تضع أول خطواتها على طريق المكتبات الرقمية، كما هو ملاحظ في الدور الذي تقوم به مكتبة المسجد النبوي الالكترونية وغيرها، وهي خطوات في اتجاه الطريق الصحيح لدعم مسيرة العلم المدعوم بقوة الوقف المادية.وإن ملامح عصر جديد بدأت تلوح في الأفق، إنه عصر تقنية النانو، الذي تنفق عليه الأمم المتقدمة بسخاء لتكون في الصدارة منه في المستقبل، فهل سيكون لنا دور فيه لنكون من المنافسين والمستفيدين ؟.

هوامش الفصل الخامس

١. عبد الهادي، محمد فتحي. **المعلومات وتكنولوجيا المعلومات على أعتاب قرن جديد**.- ط١.- القاهرة: مكتبة الدار العربية للكتاب، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ص٢٧.

٢. المرجع السابق، ص٢٧.

٣. بروفي، بيتر. **المكتبة في القرن الحادي والعشرين**. ترجمة محمد فتحي علي.- ط١.- القاهرة: مجموعة النيل العربية، ٢٠٠٩م، ص٢٢.

٤. عبد الهادي، ... **المعلومات وتكنولوجيا المعلومات**، ص٢٥.

٥. المرجع السابق، ص٢٣.

٦. المرجع السابق، ص٢٧.

٧. بروفي...، **المكتبة في القرن الحادي والعشرين**، ص٢٣.

٨. آرمز، ويليم. **المكتبات الرقمية**.- ترجمة أ. جبريل حسن العريش، ب. هاشم فرحات.- الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤٢٧هـ، ص٢٠.

٩. السريحي، حسن عواد وشاهين،شريف كامل. **مقدمة في علم المعلومات**.- ط٢.- جدة: دار الخلود للنشر والتوزيع، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ص٢٠.

١٠. المرجع السابق، ص٢١.

١١. عليان، ربحي مصطفى والسامرائي، إيمان فاضل. **تسويق المعلومات**.- ط١.- السلط: دارصفا، ٢٠٠٤م/١٤٢٥هـ ، ص٢١.

١٢. المرجع السابق، ص٨١.

١٣. المرجع السابق، ص٨١.

١٤. أبا الخيل، سليمان عبد الله. **الوقف أثره في تنمية موارد الجامعات**.- الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ص٢٩.

١٥. المرجع السابق، ص٢٩.٣٠.

١٦. الصديقي، سحر عبد الرحمن. **أثر الوقف الإسلامي في الحياة العلمية بالمدينة المنورة**.- ط١.- المدينة المنورة: مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، ١٤٢٤هـ /٢٠٠٣م، ص ١٩.

١٧- الزهري، سعد. "الحوسبة السحابية .. الثورة التقنية" **مجلة (اعلم)** ، مجلة الاتحاد العربي للمكتبات والمعلومات، ع١١،(ذو القعدة ١٤٣٣هـ ، اكتوبر ٢٠١٢م). ص ٩.

١٨- العجلان علي. مشرف الخدمات الفنية بمكتبة المسجد النبوي، مقابلة شخصية، في شعبان١٤٣٥هـ .١٣:٣٠ .

١٩- الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي. **مكتبة المسجد النبوي النشأة والأثر**.- إعداد وكالة الرئاسة العامة لشؤون المسجد النبوي، بيروت: بوك برودكشن، ١٤٣٤هـ، ص٢٤٦.

٢٠. زياني، عبد الرحمن علي. **مكتبة المسجد النبوي الشريف (دراسة حالة)** .- أعمال مؤتمر الاتحاد العربي للمكتبات والمعلومات الرابع والعشرون.- المدينة المنورة: جامعة طيبة، ١٤٣٥هـ/٢٠١٣م، ص١٥٢١.

٢١. شريف مراد. المهندس المشرف على المكتبة الرقمية، مقابلة في شهر شعبان، ١٤٣٥هـ .

٢٢. السابق، مقابلة في شهر شعبان، ١٤٣٥هـ.

٢٣. زباني...، **مكتبة المسجد النبوي الشريف**، ص١٥٢١.

٢٤. الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي. **مكتبة المسجد النبوي النشأة والأثر**. ص٢١٣.٢١٤.

٢٥. المرجع السابق، ص٢١٥.٢٢٠.

٢٦- المزيني، عبد الرحمن سليمان. **مكتبة الملك عبد العزيز بين الماضي والحاضر**.- ط١.- الرياض: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م، ص٢٠٣ـ٢٠٤.

٢٧. المرجع السابق، ص٢٠٦.٢٠٧.

٢٨. مكتبة السيد حبيب محمود العامة، **نشرة تعريفية بالمكتبة**.- المدينة المنورة، (د،ت).

٢٩. بامفلح، فاتن سعيد. **خدمات المعلومات في ظل البيئة الالكترونية** .- ط١ .- القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ٢٠٠٩م، ص٥.

٣٠. حمدي، أمل وجيه. **المصادر الإلكترونية للمعلومات**.- ط٢.- القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، ص ١٩٨.

٣١. السريحي...، **مقدمة في علم المعلومات**، ص ٣٠٥.

٣٢. بامفلح...، **خدمات المعلومات في ظل البيئة الالكترونية**، ص ٨٣.

٣٣. المرجع السابق، ص٨٦ـ٨٧.

٦/٠. الخاتمـــة:

٦/١. النتائج:

١. توصلت الدراسة إلى وجود أنواع من المكتبات الوقفية في الحضارة العربية الإسلامية، كان أولها ظهوراً مكتبات المساجد، ووجدت في مرافق التعليم في الكتاتيب والمدارس والمراصد، ومرافق الخدمات الاجتماعية في الأربطة والخلوات والزوايا والخانقاهات والتكايا والمشافي والترب، إضافة إلى المكتبات الوقفية الخاصة والعامة. وأول المكتبات الوقفية نشأة كانت مكتبات المساجد ممثلة في مكتبة المسجد النبوي الشريف، وأول كتاب أودع فيها نسخة من القرآن الكريم الذي خطه الصحابة الكرام في زمن الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنهم أجمعين، والمعروف بـ (المصحف الإمام).

٢. حفلت المدينة المنورة بمعظم أنواع المكتبات الوقفية التي ظهرت في التاريخ الإسلامي، وتجاوز عددها الثمانين مكتبة، ولا زالت توجد بالمدينة المنورة حوالي أربعين مكتبة وقفية حاليا، حفظت آلاف النسخ القرآنية والمخطوطات النادرة التي يتجاوز عددها (٢٢،٠٠٠) اثنان وعشرون ألفاً، فضلا عن الكتب النادرة والمقتنيات الأثرية الأخرى.

٣. امتازت الحضارة الإسلامية بوضع تشريعات وقوانين تحفظ الكتب والمكتبات الوقفية حسب شروط الواقفين، وتصونها من العبث بها أو الاعتداء عليها، وتتم الاستعانة بالقضاء لتوثيق ذلك، وبالحُكَّام لحمايتها والحفاظ عليها.

٤. تميزت الحضارة الإسلامية بإتاحة الحصول الحر على العلم والمعلومات للجميع، وغالباً مجاناً، حتى لغير المسلمين سواء كانوا من المقيمين في الأقاليم، أو الوافدين كالأوروبيين الذين كانوا يتلقون العلوم في جوامع قرطبة وطليطلة وغيرها.

٥. المكتبات الوقفية بالمدينة المنورة أخذت زمام المبادرة للتحول إلى (مكتبات رقمية) ممثلة في مكتبة المسجد النبوي، ومكتبة الملك عبد العزيز، ومكتبة السيد حبيب، لِتُكوِّن نواة نموذج للمكتبات الوقفية الرقمية المستقبلية.

٦. بالرغم من كل ما تعرضت له المكتبات الوقفية من كوارث طبيعية وأخطاء بشرية، فإنها لازالت قائمة في معظم المدن العربية والإسلامية تحفظ للأمة نوادر المخطوطات والمقتنيات الأثرية.

٧. ظهور الحاسبات الآلية وشبكة الإنترنت يعتبر عاملا حاسما ومساعدا في العمل على إنشاء المكتبات الرقمية الوقفية، وكذلك في التعاون فيما بينها، والتواصل مع مزودي الخدمة، وفئات المستفيدين عن بعد.

٦/٢. التوصيات:

١- ضرورة إجراء المزيد من الدراسات الفقهية فيما يخص الكتب والمكتبات الوقفية، خاصة مع ظهور حقوق التأليف، وبراءات الاختراع، وعولمة وسحابية المعلومات، لتأطيرها وحماية حقوق الأمة من اعتداء الآخرين على موروثاتها، ووضع التشريعات التي تكفل استفادة الطلبة والعلماء من المراجع والمصادر المختلفة بالطرق المشروعة والسليمة.

٢- العمل على إحياء الشعور بأهمية الوقف لدى مختلف فئات المجتمع، والاستفادة من مساهمة مختلف فئاته لتكون رافدا مستمرا للنهوض بالحركة العلمية في المجتمعات العربية، وليلتقي ذلك الدعم مع جهود الحكومات للمشاركة في صناعة عصر المعلومات الذي نعيش فيه حاليا، بأسرع وقت ممكن، ولتحتل الأمة مكانتها اللائقة بين الأمم الأخرى.

٣- من المهم جدا أن تعمل الحكومات والجمعيات الخيرية في المجتمعات العربية على إنشاء المكتبات الوقفية الرقمية في مختلف الأقاليم، وكذلك العناية والرعاية المميزة لما هو قائم فعلا منها وتطويرها، باعتبارها إرثاً أصيلاً للأمة خلفه الأجداد لفائدة الأحفاد، ولما تحويه من كنوز هي ملك للأمة جميعا.

٤- ضرورة العمل بالطرق القانونية على استرجاع الموروث الثقافي للأمة العربية والإسلامية، من المخطوطات والمقتنيات التي تم الاستيلاء عليها بغير وجه حق، ونقلت إلى خارج العالم العربي والإسلامي، وخاصة تلك التي ثبت نهبها أو سرقتها تاريخيا، باعتبارها إرثا علميا وحضاريا أنجزه علماء هذه الأمة.

٥- السعي لاستعادة مكونات مكتبات المسجد النبوي الشريف، وخاصة مكتبة المصحف الكريم، والمكتبة المحمودية، التي كان من شروط موقفيها أن يتم حفظها في المسجد النبوي الشريف، على أن يتم وضع خطة شاملة لاستعادة ما سُلب من المسجد النبوي من كتب ومقتنيات، وفي مقدمتها (المصحف الإمام) الذي نقل إلى اسطنبول القرن الماضي، مع مجموعة من المخطوطات، وكذلك المخطوطات التي نقلت إلى بعض المكتبات العالمية وعليها شواهد لوقفها على المسجد النبوي الشريف.

٦- إجراء دراسة متكاملة لاختيار موقع مناسب بجوار المسجد النبوي الشريف يتم فيه استيعاب جميع المكتبات الوقفية المدمجة في مكتبة الملك عبد العزيز، وأن يطلق عليه اسم **(مجمع الملك عبد العزيز للمكتبات الوقفية بالمدينة المنورة)** وذلك للحفاظ لكل مكتبة على اسمها وشخصيتها ومحتوياتها في المجمع، وإزالة اللبس الحاصل بين مكتبتي الملك عبد العزيز التي بالرياض، وهذه التي بالمدينة المنورة.

٧- فتح قنوات التعاون بين مختلف المكتبات الوقفية التقليدية والرقمية، مع مراكز البحوث في العالم العربي، لتتعاون في سبيل اللحاق بعصر صناعة المعلومات، وذلك لتفادي بعثرة الجهود وخسارة الأموال في تكرار نماذج

متشابهة، فيكون التركيز على سد الفراغ في النواقص والشواغر الملحة، لتوفير مصادر المعلومات والمعرفة للباحثين والدارسين في مختلف التخصصات.

٨- وضع خطة شاملة للتعاون بين المكتبات الوقفية بالمدينة المنورة، وخاصة في مجال نظم المعلومات بفتح قنوات التواصل فيما بينها لتسهيل دخول المستفيدين إلى قواعد معلوماتها والاستفادة من محتوياتها. وجعلها أساسا للتعاون بين المكتبات الوقفية التقليدية والرقمية في العالم العربي.

قائمة المصادر

أولا: المصادر العربية:

١. أبا الخيل، سليمان عبد الله. **الوقف وأثره في تنمية موارد الجامعات**.- ط١.- الرياض: جامعة الإمام محمد ابن سعود(الإدارة العامة للثقافة والنشر)، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

٢. إبراهيم، عبد اللطيف. **دراسات في تاريخ الكتب والمكتبات الإسلامية**.- القاهرة: مطابع دار الشعب،١٩٦٢م.

٣. ابن دهيش، عبد اللطيف عبد الله، **المكتبات في مكة المكرمة نشأتها وتطورها عبر العصور**.- مكة المكرمة: جامعة أم القرى، ١٤٢٣هـ.

٤. أبو سليمان، عبد الوهاب ابن إبراهيم. **باب السلام في المسجد الحرام، ودور مكتباته في النهضة العلمية والأدبية الحديثة**.- ط١.- بيروت: مكتبة النهضة الحديثة، ١٤٢٧هـ ـ٢٠٠٦م.

٥. آرمز، ويليم. **المكتبات الرقمية**.- ترجمة أ. جبريل حسن العريش، ب. هاشم فرحات.- الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية.

٦. أمين، محمد محمد. **الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر**.- ٦٤٨-٩٢٣هـ ١٢٥٠-١٥١٧م دراسة تاريخية وثائقية، القاهرة: دار النهضة العربية، ١٩٨٠م.

٧- باجودة، محمد عبد الله. **نثر القلم في تاريخ الحرم**.- ط٢.- الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

٨- بامفلح، فاتن سعيد. **خدمات المعلومات في ظل البيئة الالكترونية** .- ط١ .- القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ٢٠٠٩م.

٩. بدر، عبد الباسط. **التاريخ الشامل للمدينة المنورة**.- ط١.- المدينة المنورة، ج٣، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

١٠- بنعلة، مصطفى. **تاريخ الأوقاف الإسلامية بالمغرب في عصر السعديين، من خلال حوالات تارودانت وفاس**.- ط١.- منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المملكة المغربية، ج٢، الرباط: دار أبي رقراق للطباعة والنشر، ٢٠٠٧.

١١- بنين، أحمد شوقي. **تاريخ خزائن المغرب**.- ترجمة مصطفى طوبي، مراكش: المطبعة والوراقة الوطنية، ١٤٢٤/٢٠٠٣م.

١٢- التونسي، حمادي علي محمد . **المكتبات العامة بالمدينة المنورة، ماضيها وحاضرها**. (رسالة ماجستير) إشراف عباس صالح طاشكندي، كلية الآداب، قسم المكتبات والمعلومات، جامعة الملك عبد العزيز، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

١٣. الجابري، خالد محسن. **الحياة العلمية في الحجاز خلال العصر المملوكي**.- مكة المكرمة: مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

١٤- جنيد، يحيى محمود ساعاتي. **الوقف وبنية المكتبة العربية** .- الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م.

١٥. الجهني، علي محمد. **المكتبات الإسلامية وأثرها في التعليم**.- ط١.- المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية، ١٤٢٥هـ.

١٦. حافظ، علي. **فصول من تاريخ المدينة المنورة**.- ط٣.- جدة: شركة المدينة للطباعة والنشر، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

١٧ـ الحلوجي، عبد الستار. **لمحات من تاريخ الكتب والمكتبات**.- ط٢.- القاهرة: دار الثقافة العربية للطباعة والنشر والتوزيع،١٩٧٩م.

١٨. حمادة، محمد ماهر. **المكتبات في الإسلام: نشأتها وتطورها ومصائرها**.- ط٧.- بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

١٩ـ حمدي، أمل وجيه. **المصادر الإلكترونية للمعلومات**.- ط٢.- القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.

٢٠. الخياري، ياسين احمد ياسين. **صور من الحياة الاجتماعية بالمدينة المنورة**.- ط١.- جدة: مطابع مؤسسة المدينة للصحافة، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

٢١. الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي. **مكتبة المسجد النبوي بين النشأة والتطوير**.- ط١.- بيروت: بوك برودكشن،١٤٣٤هـ/٢٠١٣م.

٢٢. رشاد، حسن/ **المكتبات ورسالتها**.- ط٣.-، القاهرة: دار الفكر العربي (د.ت).

٢٣. السباعي، مكي نسيب. **مكتبات المساجد دراسة تاريخية**.- ترجمة هاشم فرحات السيد، محمد جلال غندور. ط١.- الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٢٧/٢٠٠٦م.

٢٤ـ السخاوي، شمس الدين محمد. **التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة**.- القاهرة: مطبعة دار نشر الثقافة، الناشر السيد أسعد طرابزوني الحسيني، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.

٢٥. السريحي، حسن عواد وشاهين،شريف كامل. **مقدمة في علم المعلومات**.- ط٢.- جدة: دار الخلود للنشر والتوزيع، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

٢٦ـ السمهودي، نور الدين علي بن أحمد. **وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى**.- ط٣.- مج١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

٢٧. الشهري، محمد هزاع. **المسجد النبوي الشريف في العصر العثماني (٩٢٣ـ ١٣٤٤هـ) "دراسة معمارية حضارية"**.- ط١.- القاهرة: دار القاهرة للكتاب، ٢٠٠٣م.

٢٨ـ الصديقي، سحر عبد الرحمن . **أثر الوقف الإسلامي في الحياة العلمية بالمدينة المنورة** . - المدينة المنورة: مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، ١٤٢٤هـ /٢٠٠٣م .

٢٩ـ عبد الهادي، محمد فتحي. **المعلومات وتكنولوجيا المعلومات على أعتاب قرن جديد**.- ط١.- القاهرة: مكتبة الدار العربية للكتاب، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

٣٠. عبد الهادي، محمد فتحي. **علم المكتبات والمعلومات دراسات في المؤسسات والإعلام والإنتاج الفكري**.- ط١، القاهرة: مكتبة الدار العربية للكتاب، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

٣١ـ عليان، ربحي مصطفى والسامرائي، إيمان فاضل. **تسويق المعلومات**.- ط١.- السلط: دارصفا، ٢٠٠٤م/١٤٢٥هـ.

٣٢ـ عليان، ربحي. **المكتبات في الحضارة العربية الإسلامية**.- ط١.-، عمان: دار صفاء للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

٣٣ـ كعكي، عبد العزيز. **معالم المدينة المنورة بين العمارة والتاريخ**.- ط١.- جدة: مطبعة السروات، ١٤٣٣هـ/٢٠١٢م.

٣٤- مخدوم، ياسين بن كرامة الله . **أحكام الكتب في الفقه الإسلامي** .- ط١.- الرياض: دار كنوز إشبيليا، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.

٣٥. المزيني، عبد الرحمن سليمان . **مكتبة الملك عبد العزيز بين الماضي والحاضر**.- ط١.- الرياض: وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ١٤٢٠هـ ، ١٩٩٩م.

٣٦. المغربي، محمد الفاتح، **تمويل الوقف واستثماراته** .-أم درمان: الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوريدات، ٢٠١١م.

٣٧. موسى، الأفندي علي. **رسالة في وصف المدينة المنورة**.- القاهرة: دار الكتب المصرية، مخطوطة برقم: ١٦٤٤/٣١٦٩٠

ثانيا. المراجع الأجنبية:

1- Sibaim, Mohamed Makki. Mosque Libraris: An Historial Study. London: Manseel Publishing Limited, 1987.

2-Jamal.**The Islamic Law of Personal Status**).- London: Graham&Trotman.2006.

3-Tashkandy, Abbas Saleh. **A Descriptive Catalogue of the Historical Collection of. the Scientific Manuscripts at the Library of 'Arif Hikmat in Medina, Saudi Arabia.**

الملاحق

ملحق رقم (١) صور المخطوطات و أختام الوقفية وفهارس المكتبات.

ملحق رقم (٢) صور مكتبة المصحف.

ملحق رقم (٣) صور مكتبة المسجد النبوي الشريف.

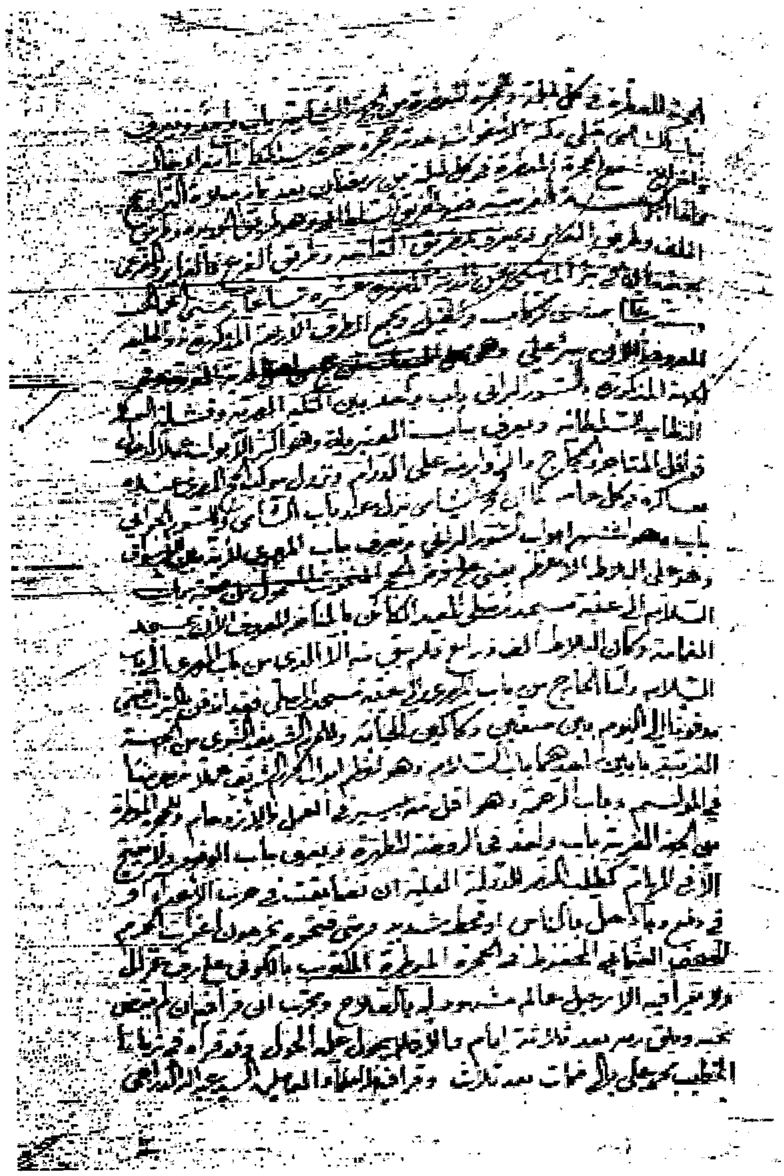
ملحق رقم (٤) صور المكتبات الوقفية العامة.

ملحق رقم (٥) صور مكتبات المدارس الوقفية.

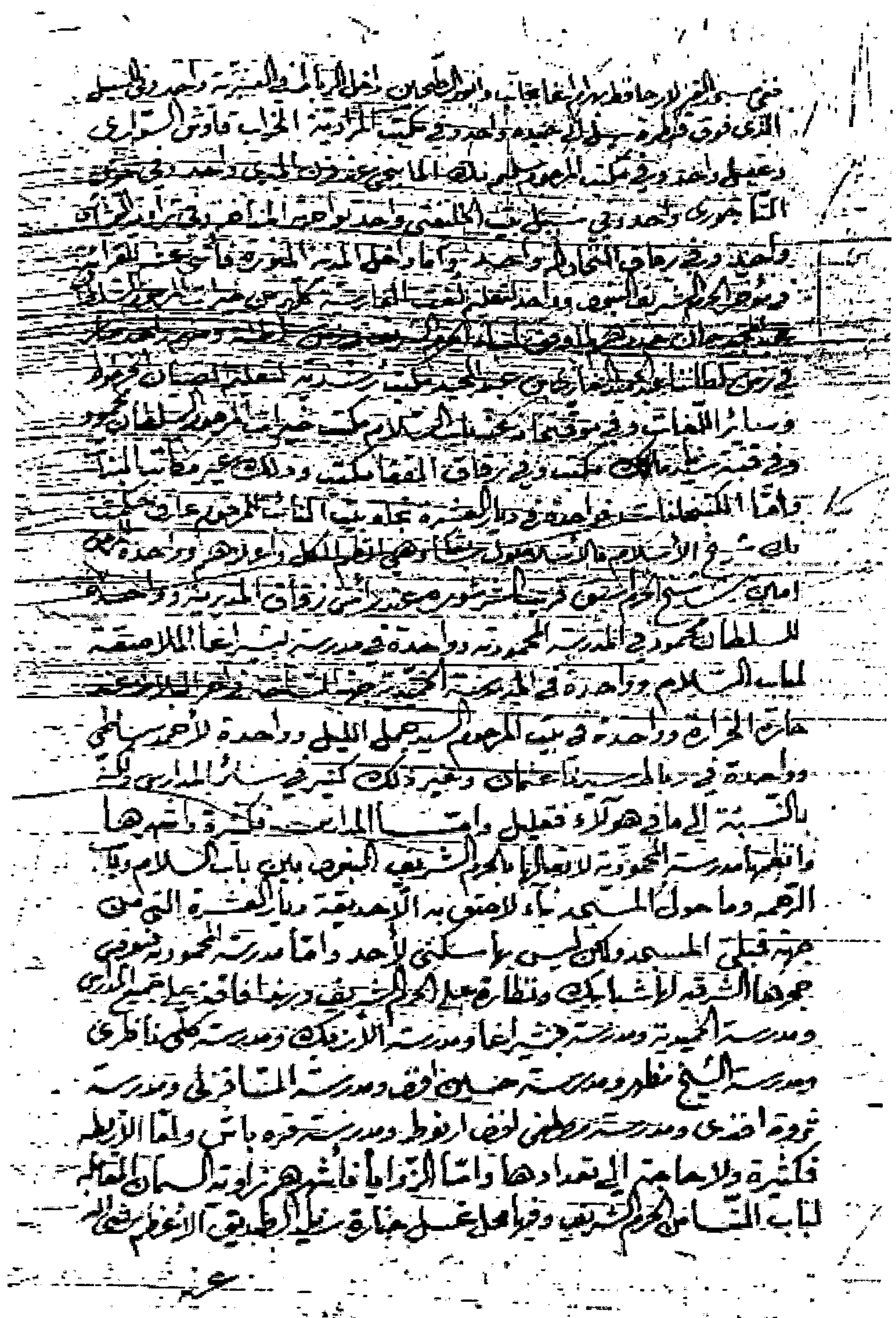
ملحق رقم (٦) صور مكتبات الأربطة.

ملحق رقم (٧) صور المكتبات الوقفية الخاصة.

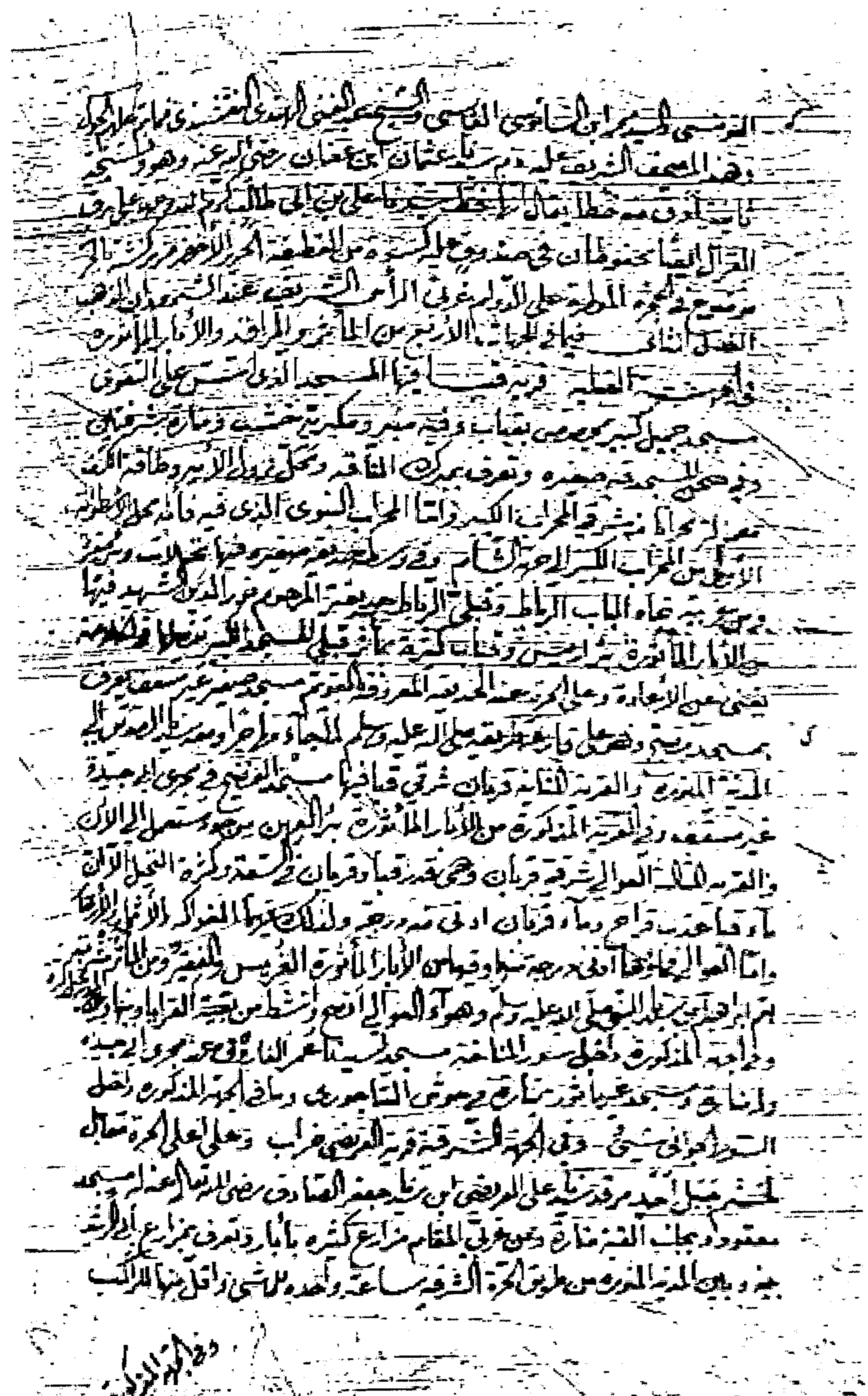
ملحق رقم (١)



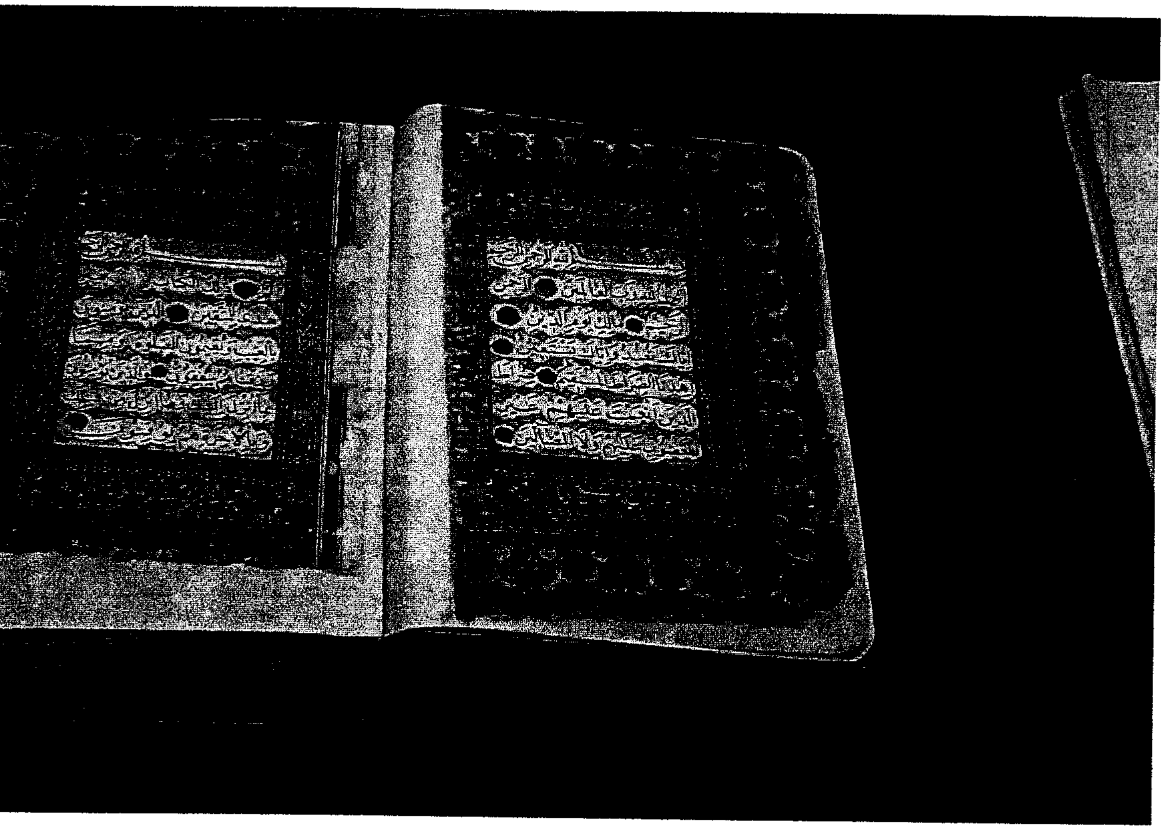
(٩) صورة من مخطوطة علي موسى يؤكد وجود المصحف (العثماني) في الحجرة المباركة



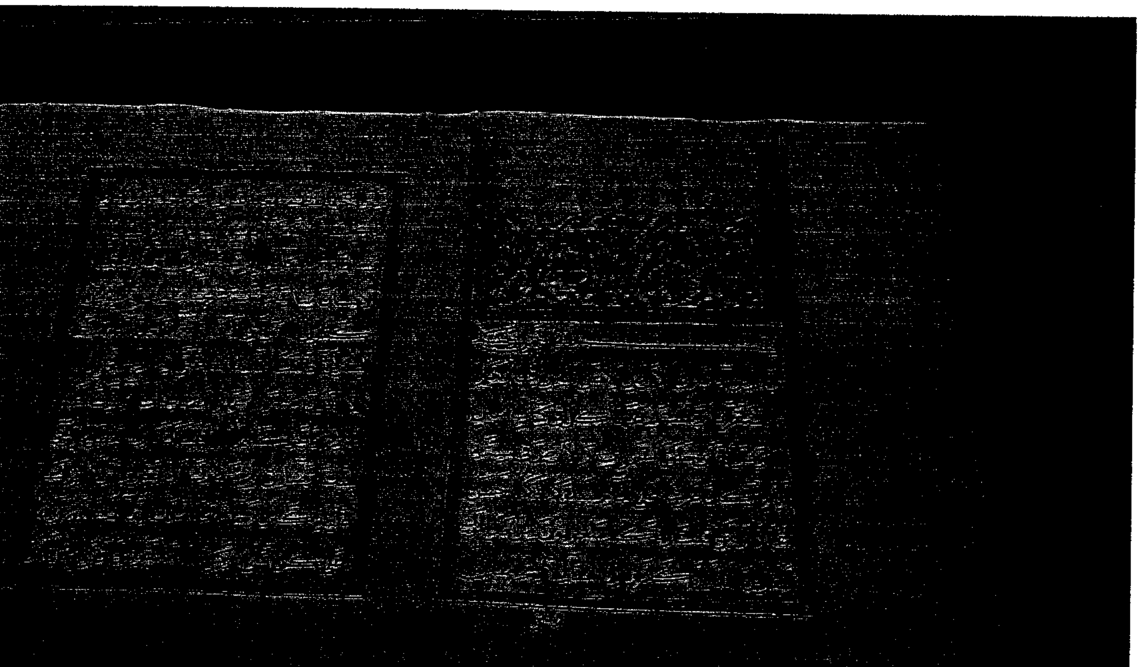
(١٠) صورة من مخطوطة علي موسى تؤكد وجود مصحف الإمام علي بن أبي طالب بالحجرة



(١١) صورة من مخطوطة علي موسى ترصد المكتبات الوقفية بالمدينة المنورة عام ١٣٠٣هـ



(١٢) نسختان من مخطوطات القران الكريم بالمسجد النبوي الش



(١٣) الفهرس الوصفي لمخطوطات مكتبة المسجد النبوي الشريف



(١٤)فهرس مخطوطات التفسير والتجويد والقراءات وعلوم القران

وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد
وكالة الوزارة لشؤون الأوقاف
مكتبة الملك عبدالعزيز
المدينة المنورة

فهرس مخطوطات التفسير
والتجويد والقراءات وعلوم القرآن
في مكتبة الملك عبدالعزيز

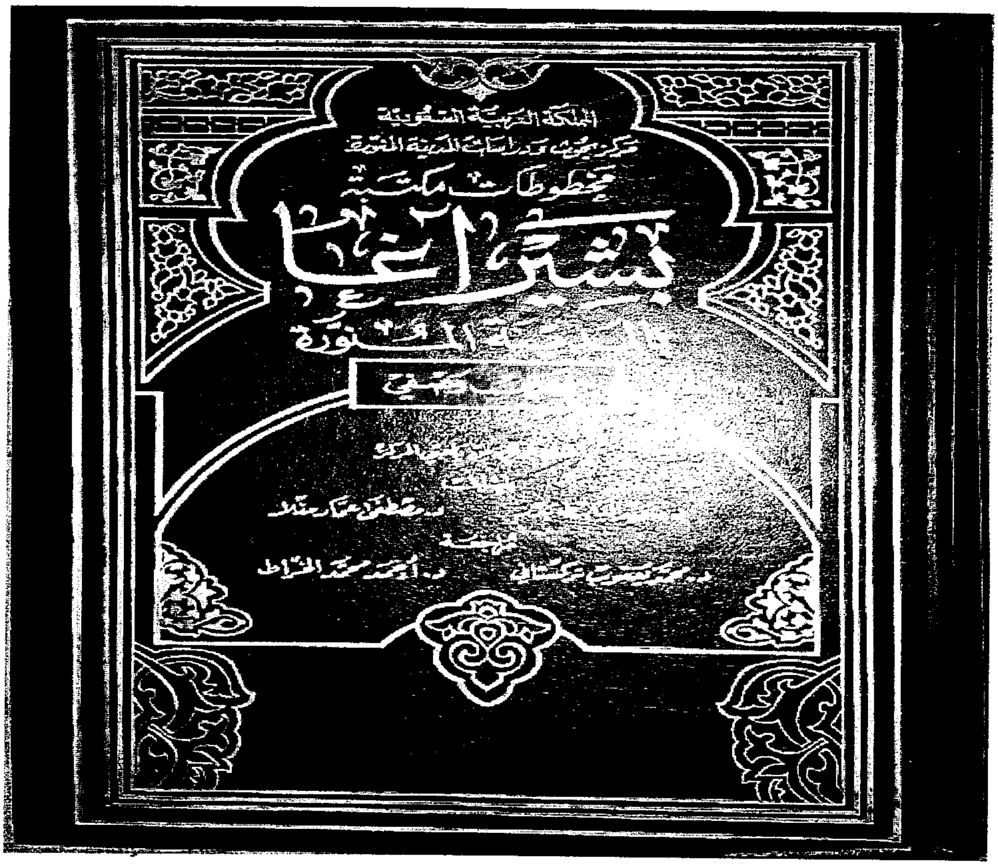
إعداد
مجموعة من الباحثين

ترتيب وتصنيف
عمار بن سعيد تمالت

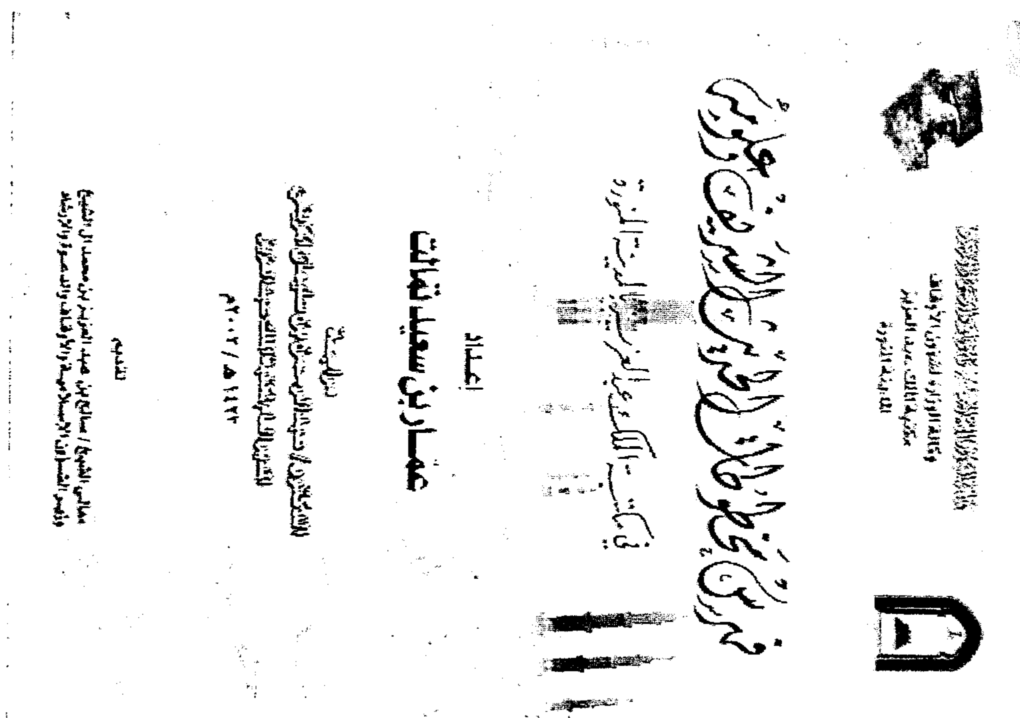
إشراف ومراجعة
الدكتور/ عبدالرحمن بن سليمان المزيني
المدير العام لمكتبة الملك عبدالعزيز
١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

تقديم
معالي الشيخ/ صالح بن عبدالعزيز بن محمد آل الشيخ
وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد

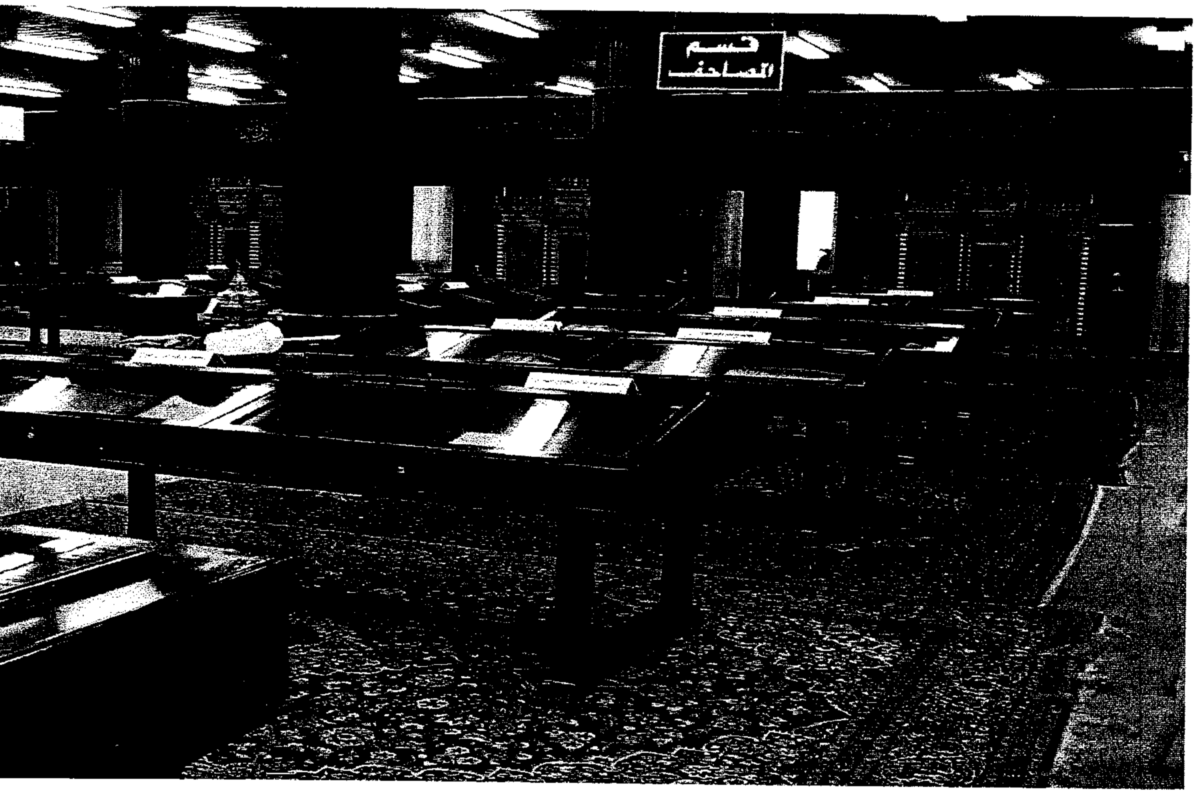
(١٥) مخطوطات مكتبة بشير أغا بالمدينة المنورة



(١٦) فهرس مخطوطات الحديث الشريف وعلومه



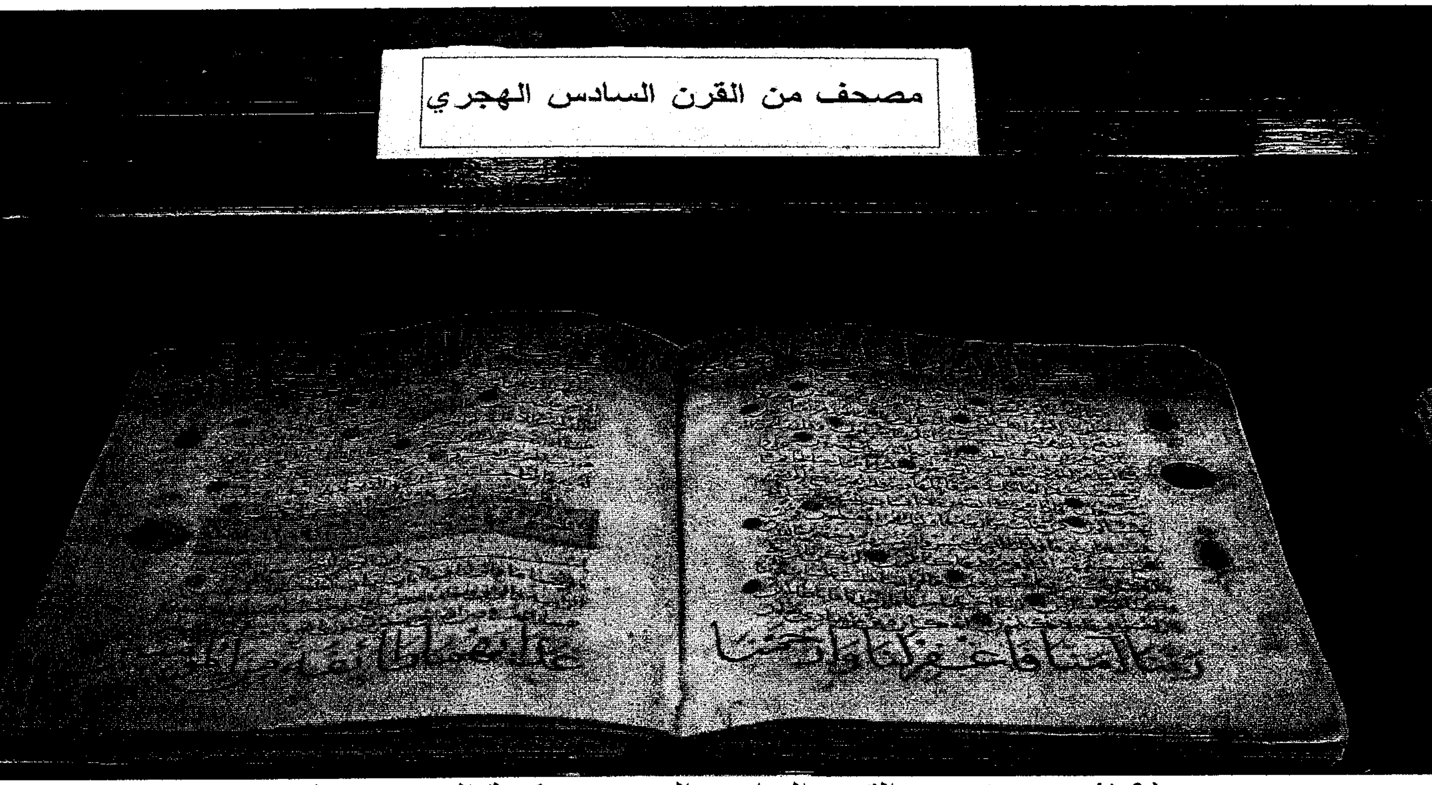
ملحق رقم (٢)



(١٧) جانب من مكتبة المصحف الشريف



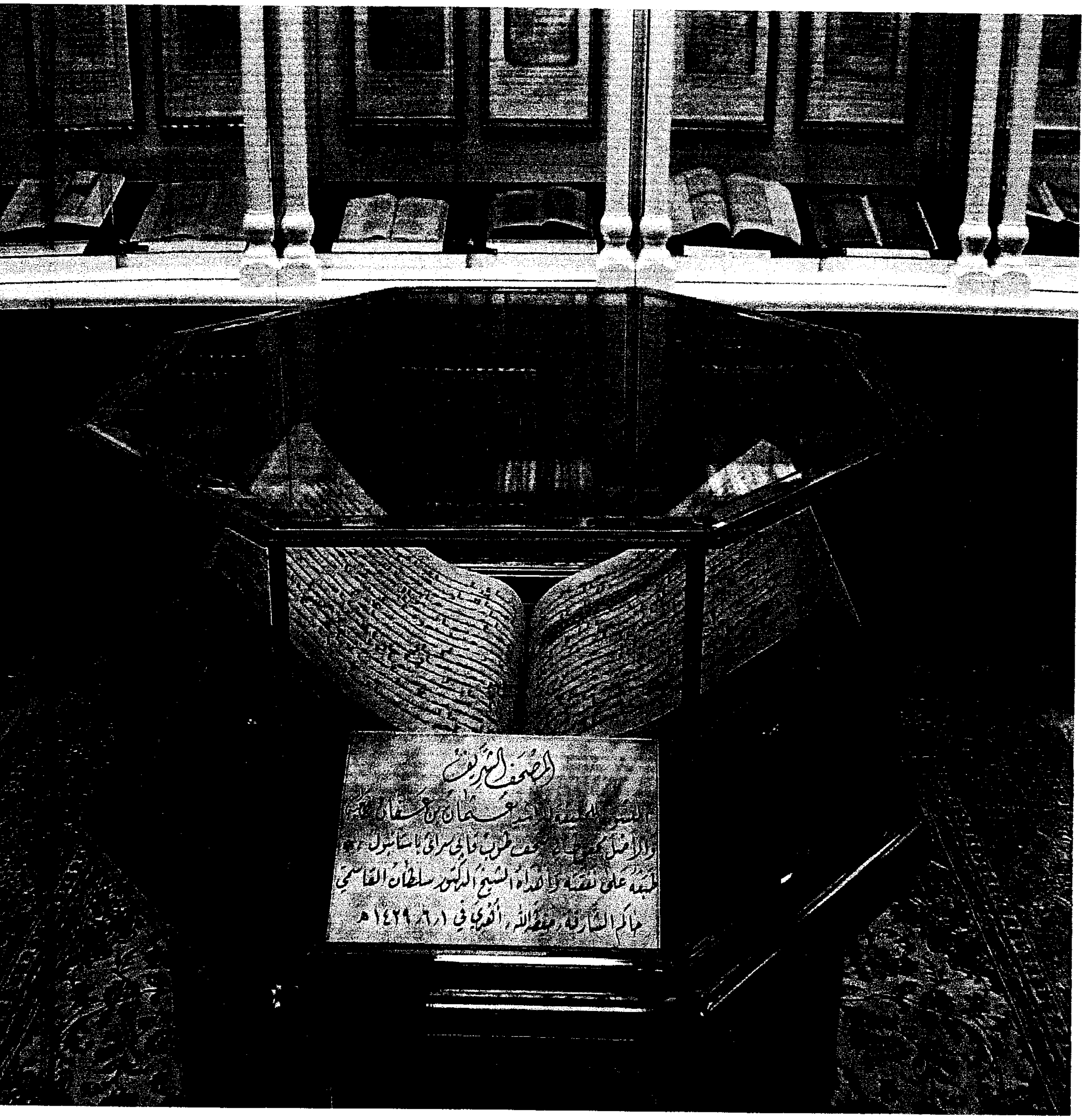
(١٨) مصحف من القرن الخامس الهجري بمكتبة المصحف الشر



(١٩) مصحف من القرن السادس الهجري بمكتبة المصحف الشريف



(٢٠) مصحف كتبه (غلام محي الدين) سنة ١٢٤٠هـ من اكبر المصاحف المخطوطة

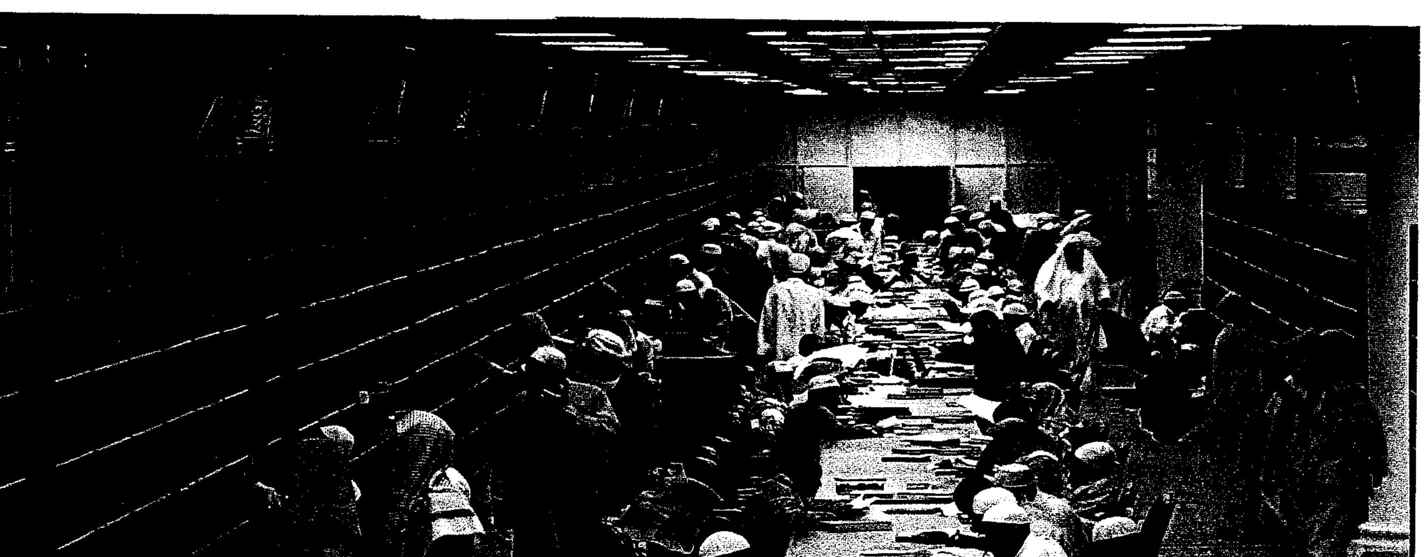


(٢١) نسخة مصورة من المصحف العثماني بقسم المخطوطات بمكتبة المسجد النبوي الشريف إهداء من الشيخ الدكتور سلطان القاسمي حاكم الشارقة

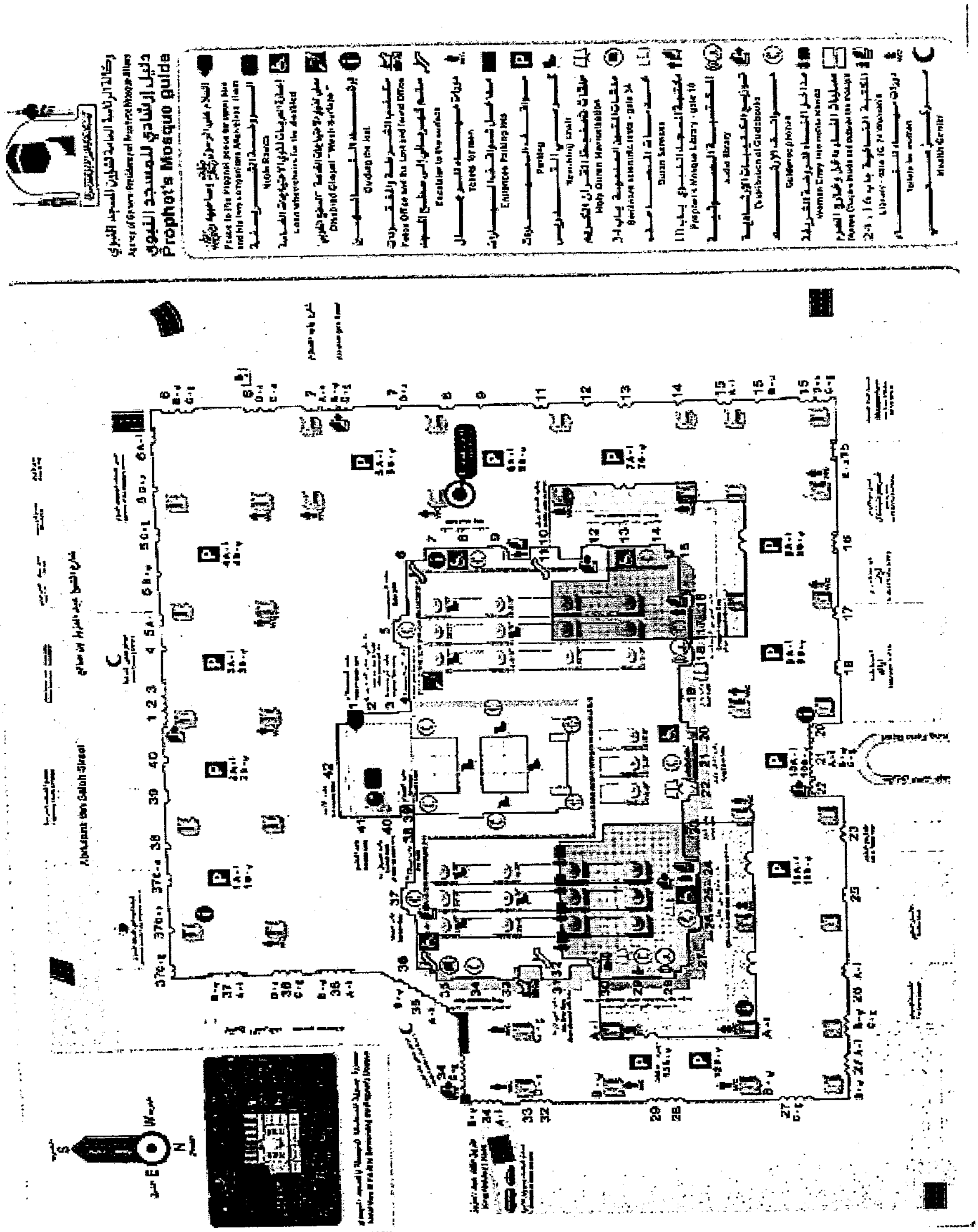
ملحق رقم (٣)



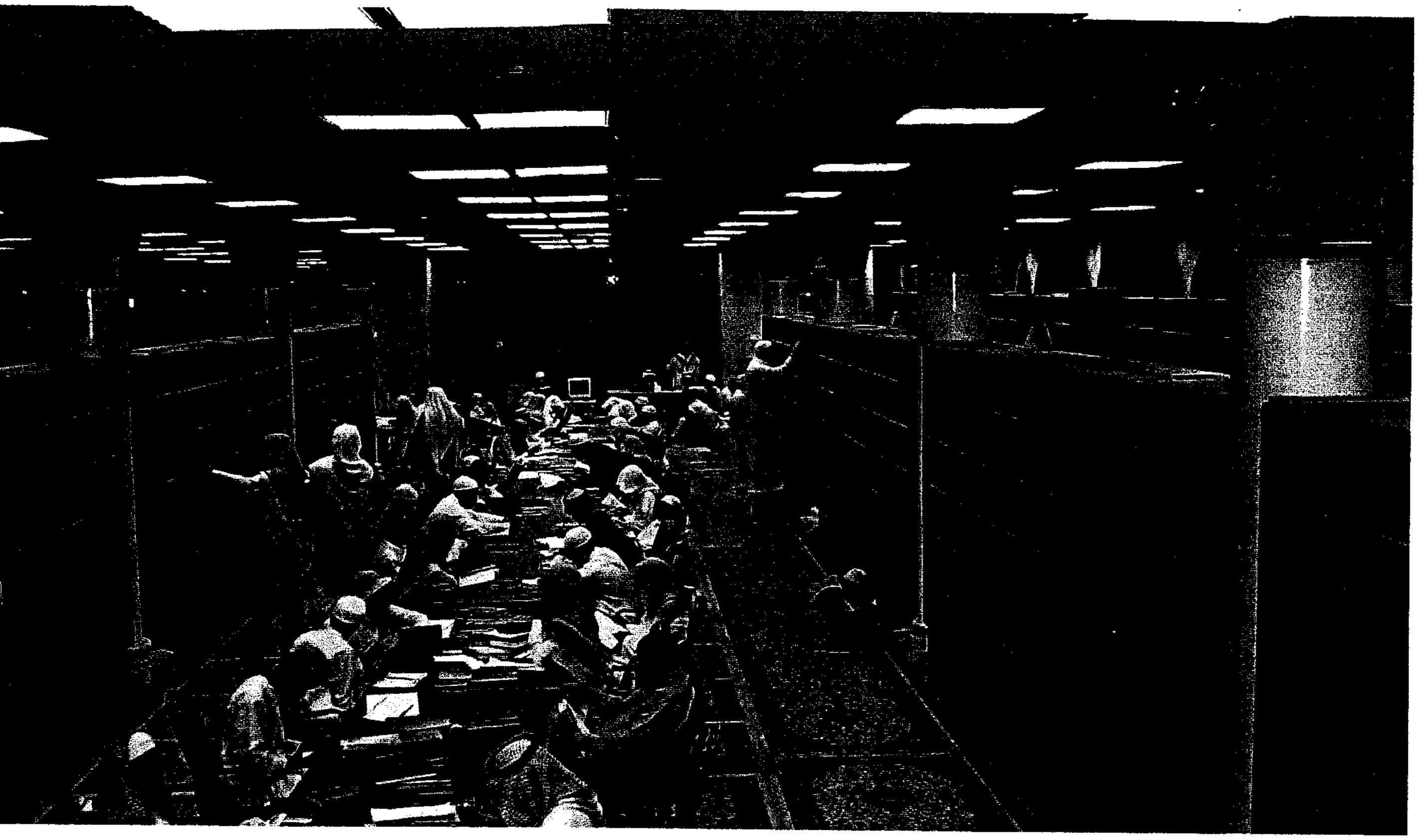
(٢٢) صورة لمدخل مكتبة المسجد النبوي



(٢٣) قاعة المطالعة الرئيسية



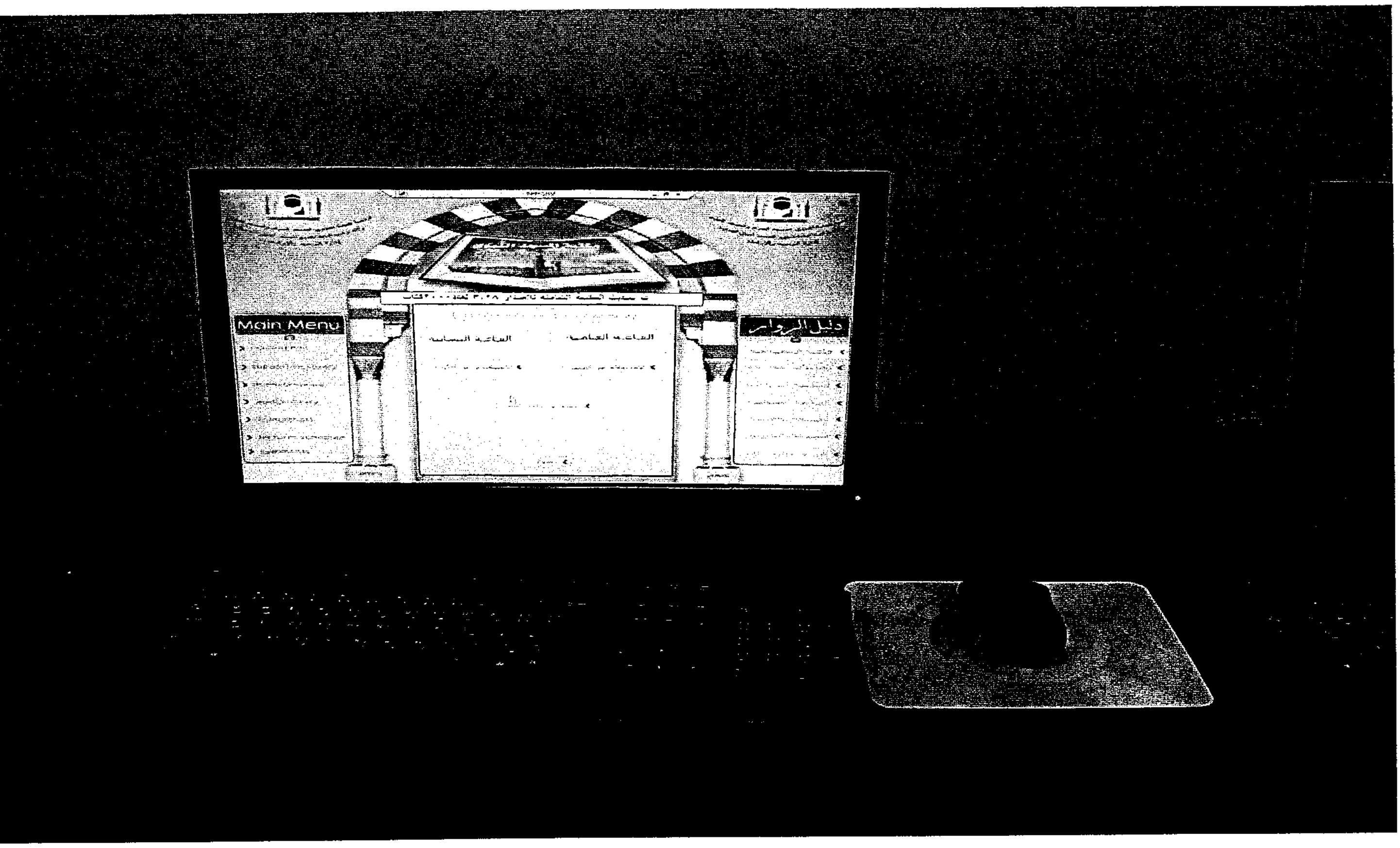
(٢٤) مخطط المسجد النبوي الشريف موضح به مداخل المكتبة الرجالية والنسائية



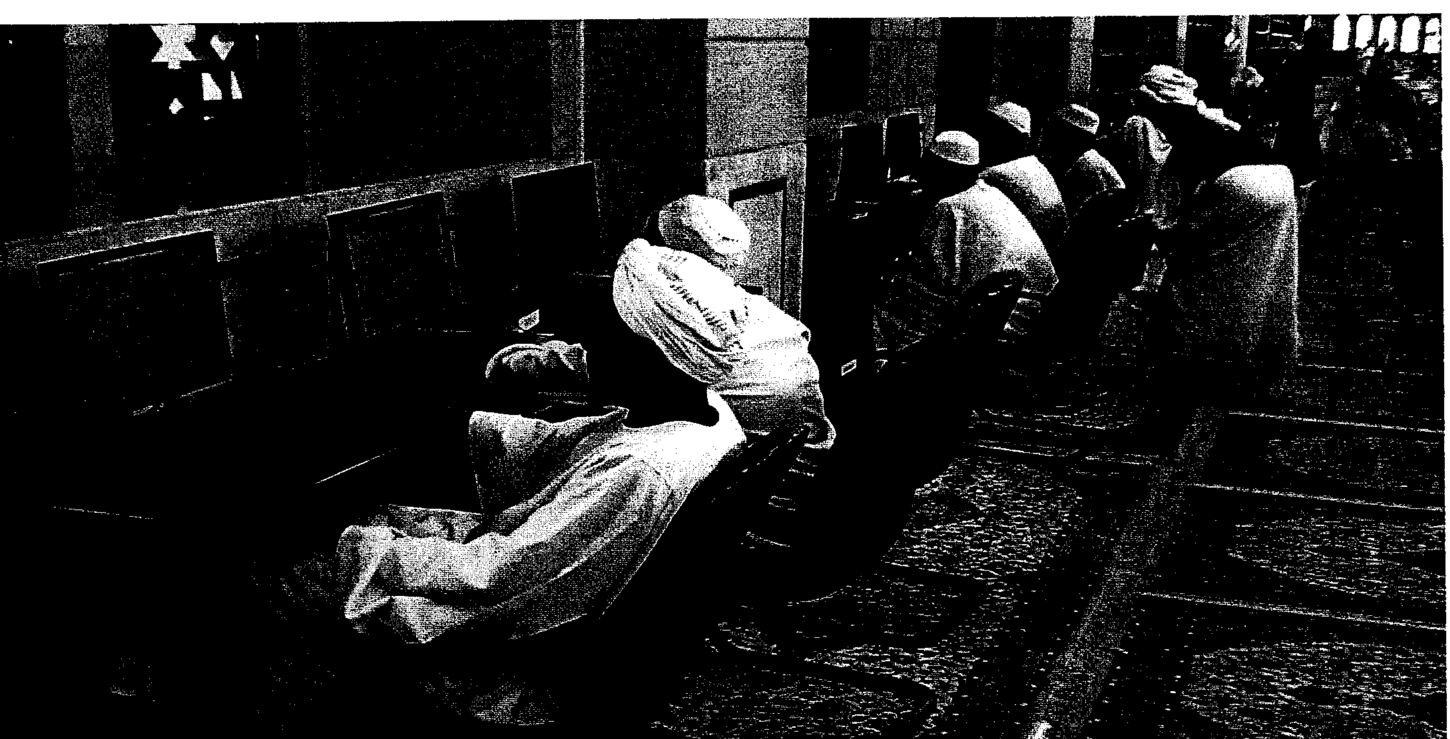
(٢٥) جانب آخر من المكتبة الرئيسية بالمسجد النبوي الشريف



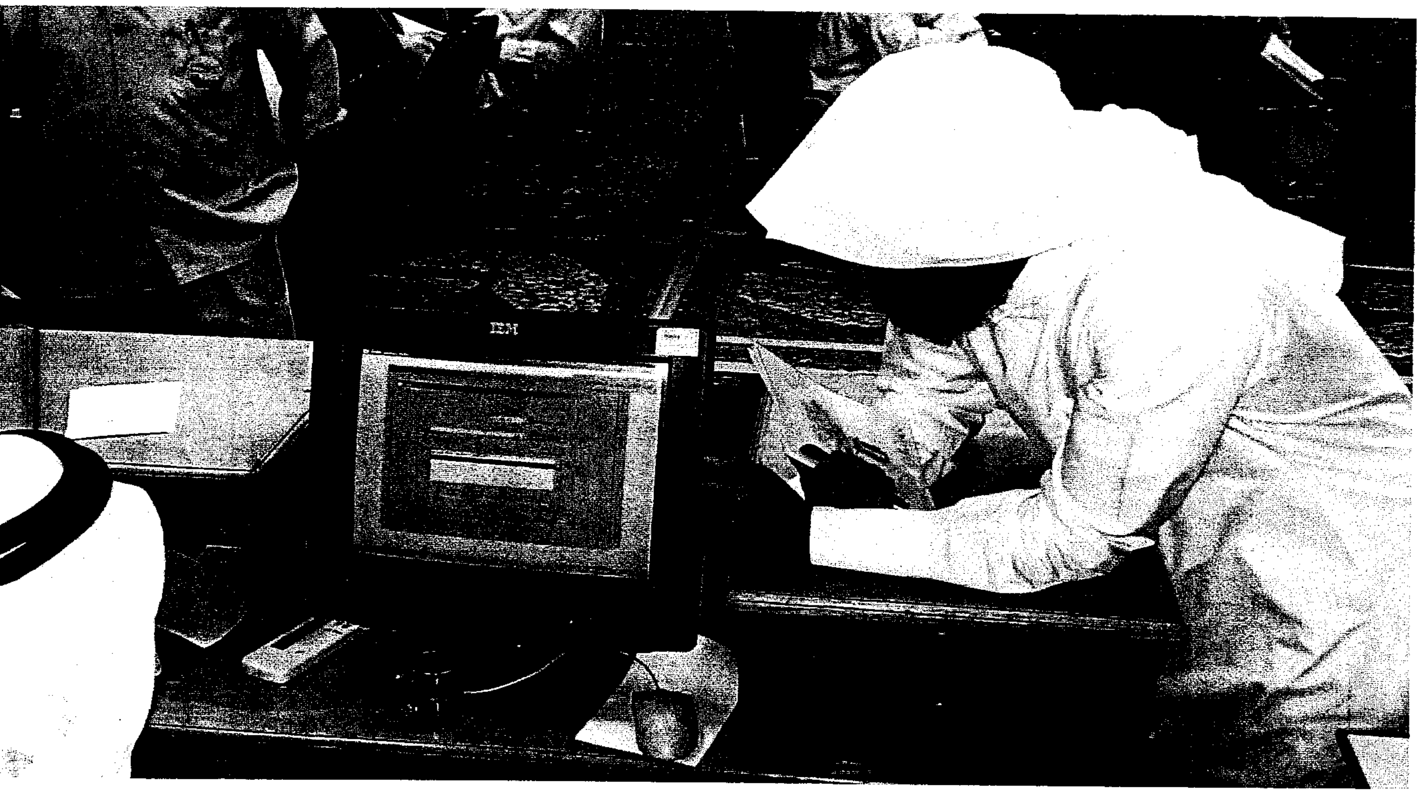
(٢٦) شاشات البحث بالمكتبة الرقمية بالمسجد النبوي الشريف



(٢٧) شاشة توضح البوابة الرئيسية لمدخل المكتبة الرقمية



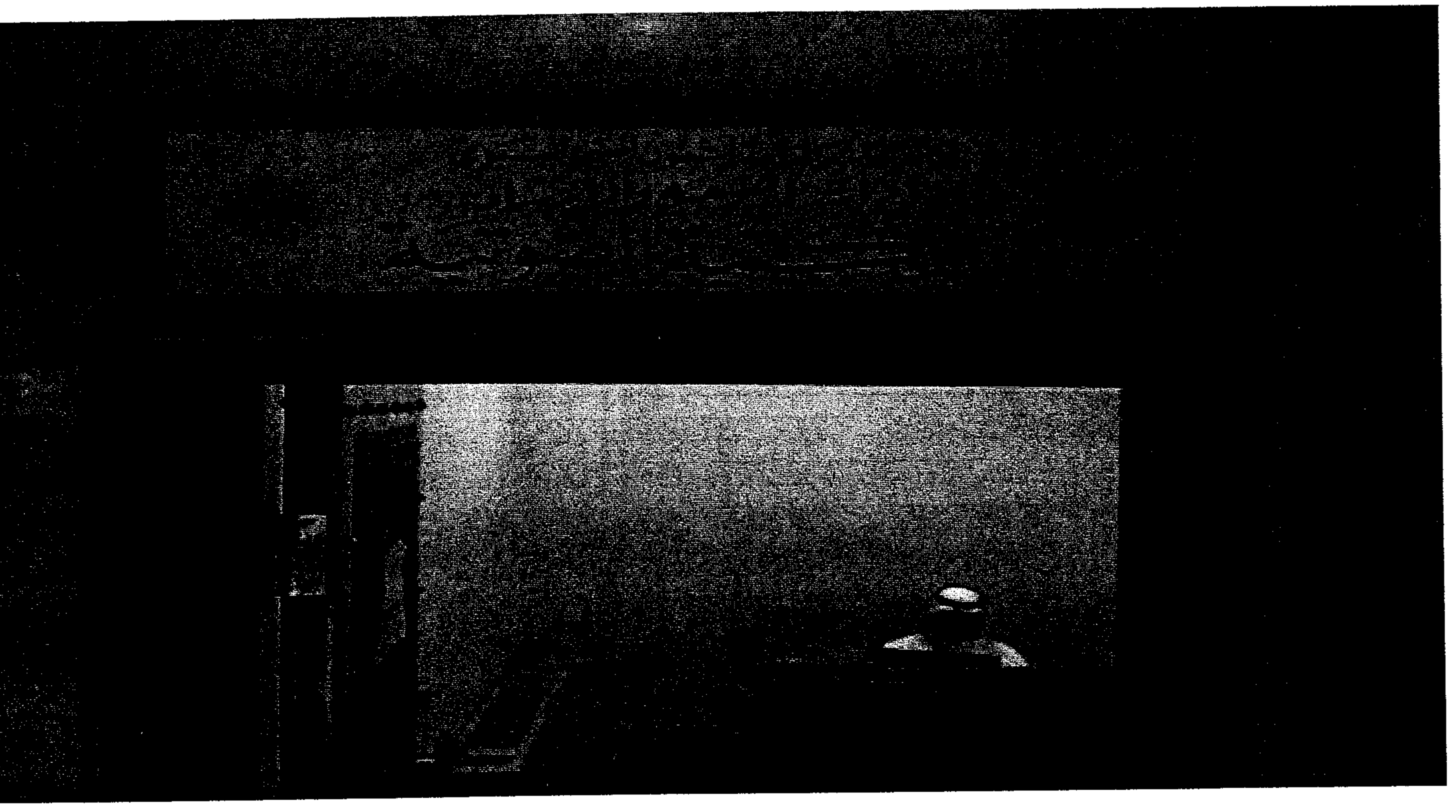
(٢٨) مجموعة من الرواد يستخدمون أجهزة المكتبة الرقمية



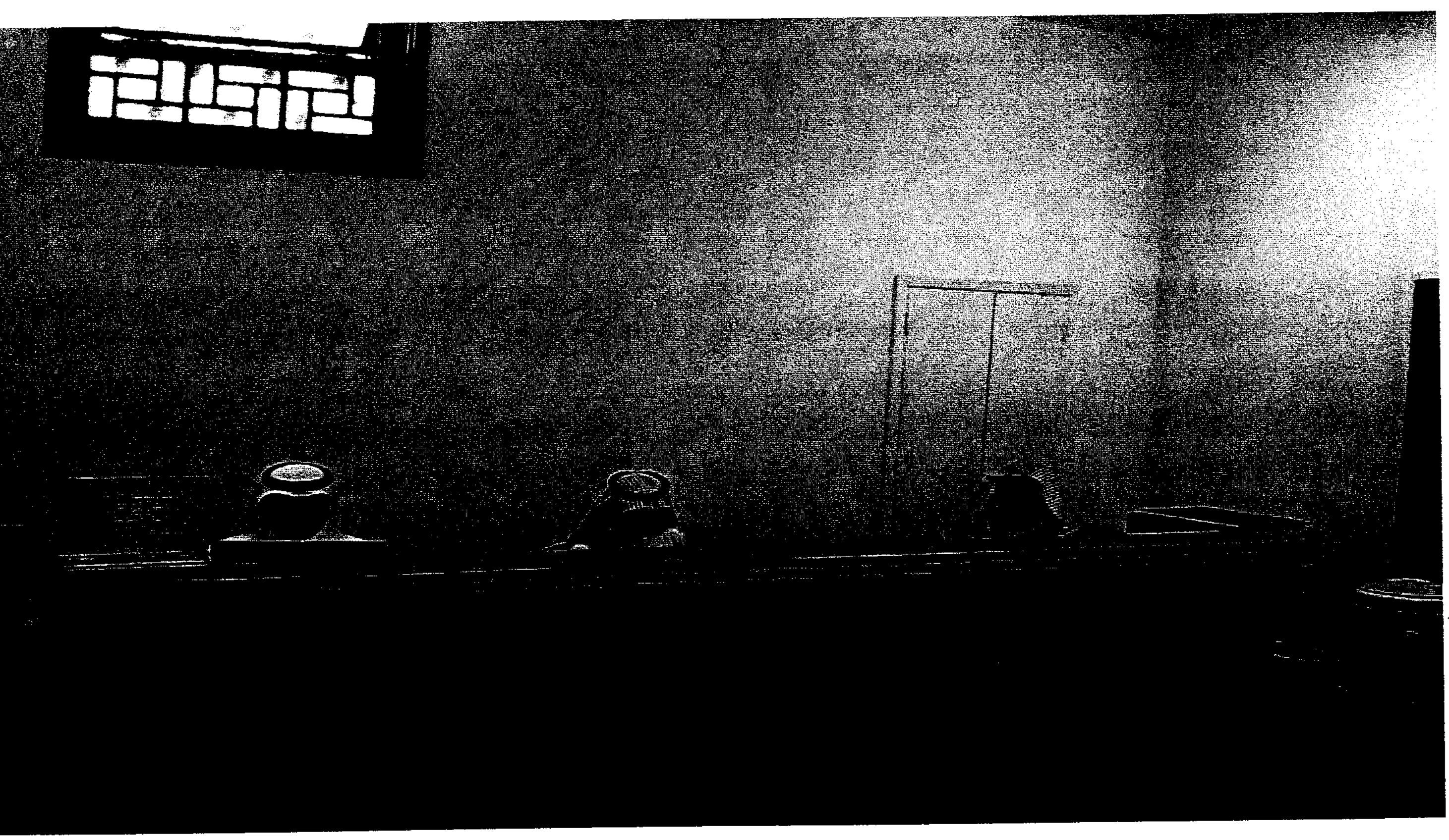
(٢٩) أحد مكاتب الإرشاد بالمكتبة



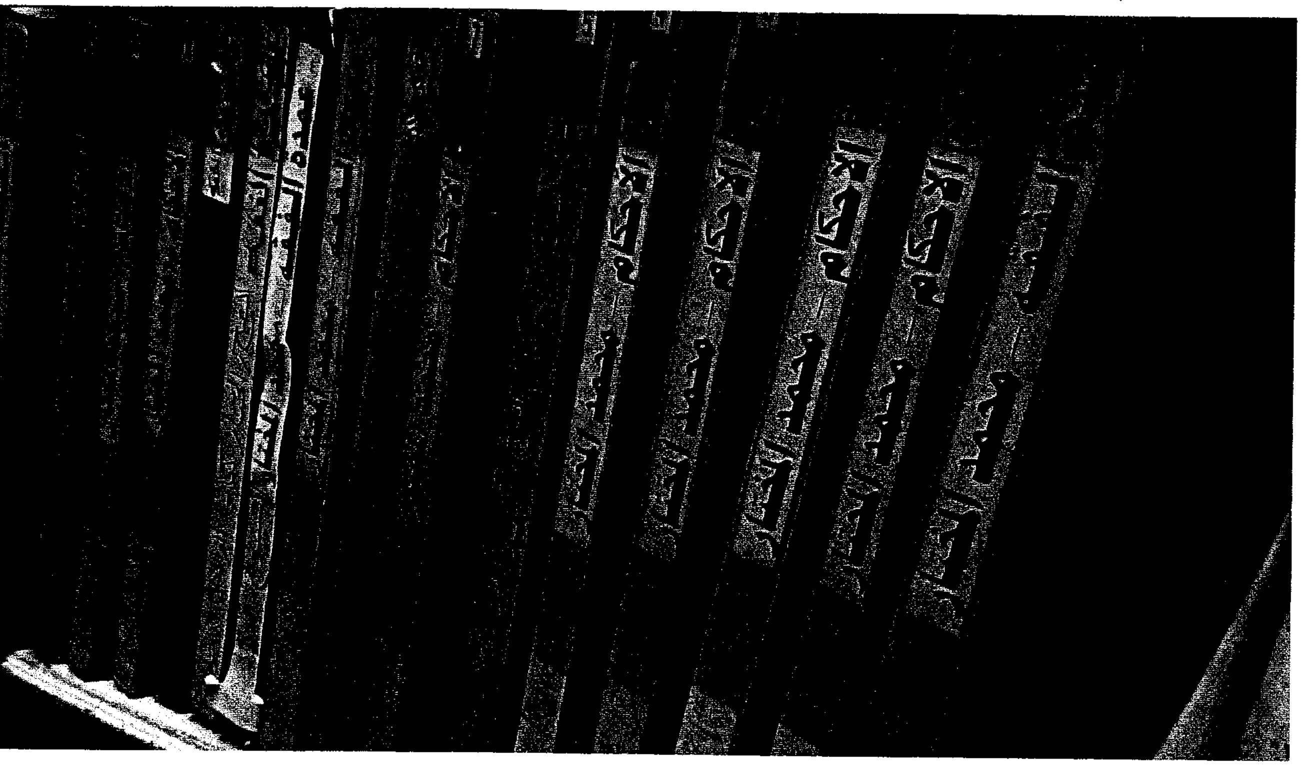
(٣٠) المكتبة في وقت من أوقات ذروة الاستخدام



(٣١) مدخل المكتبة الصوتية



(٣٢) مكتب الاستقبال الرئيسي بالمكتبة الصوتية



(٣٣) فهارس المكتبة الصوتية الحديثة المطبوعة

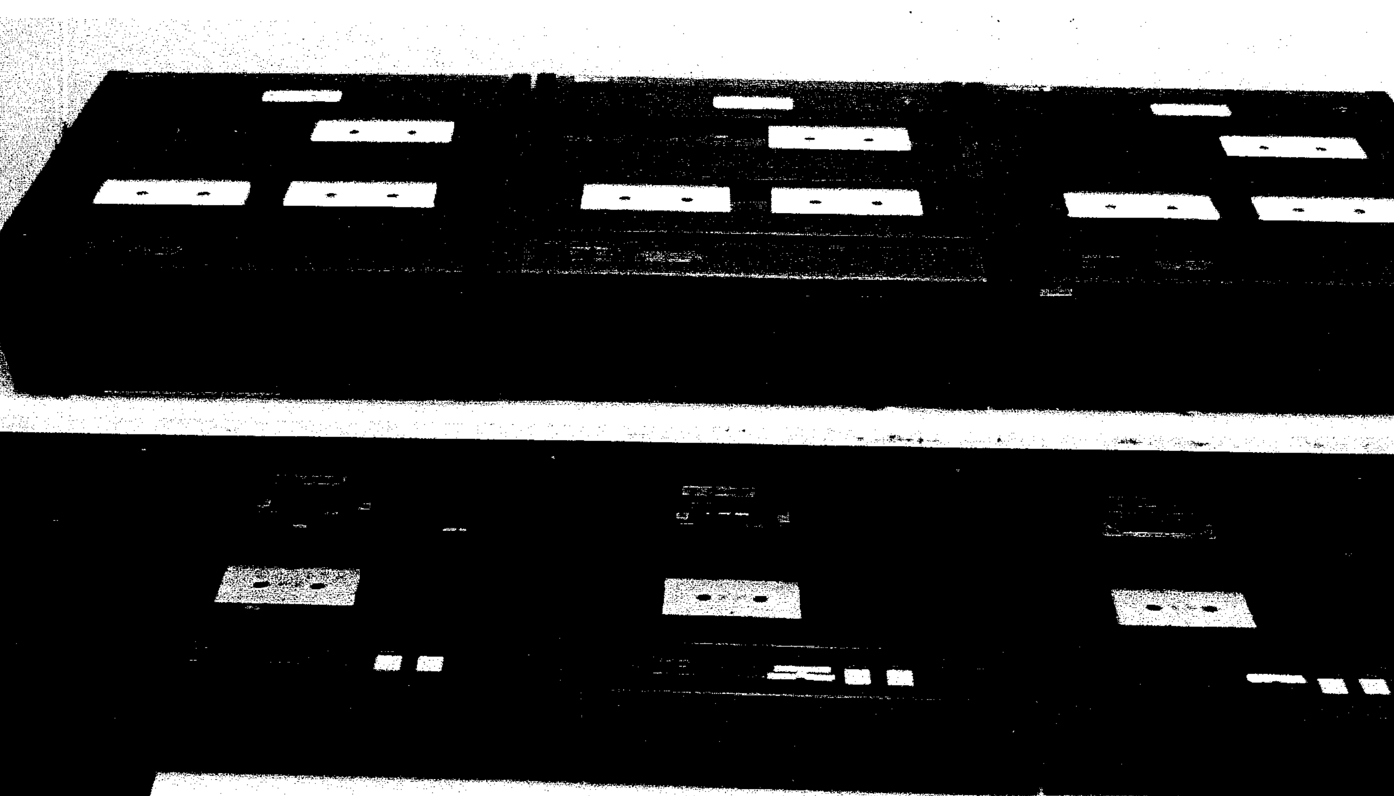




(٣٤) فهارس المكتبة الصوتية القديمة المطبوعة



(٣٥) أجهزة تسجيل الكاسيت للقراءات والمحاضرات والدروس



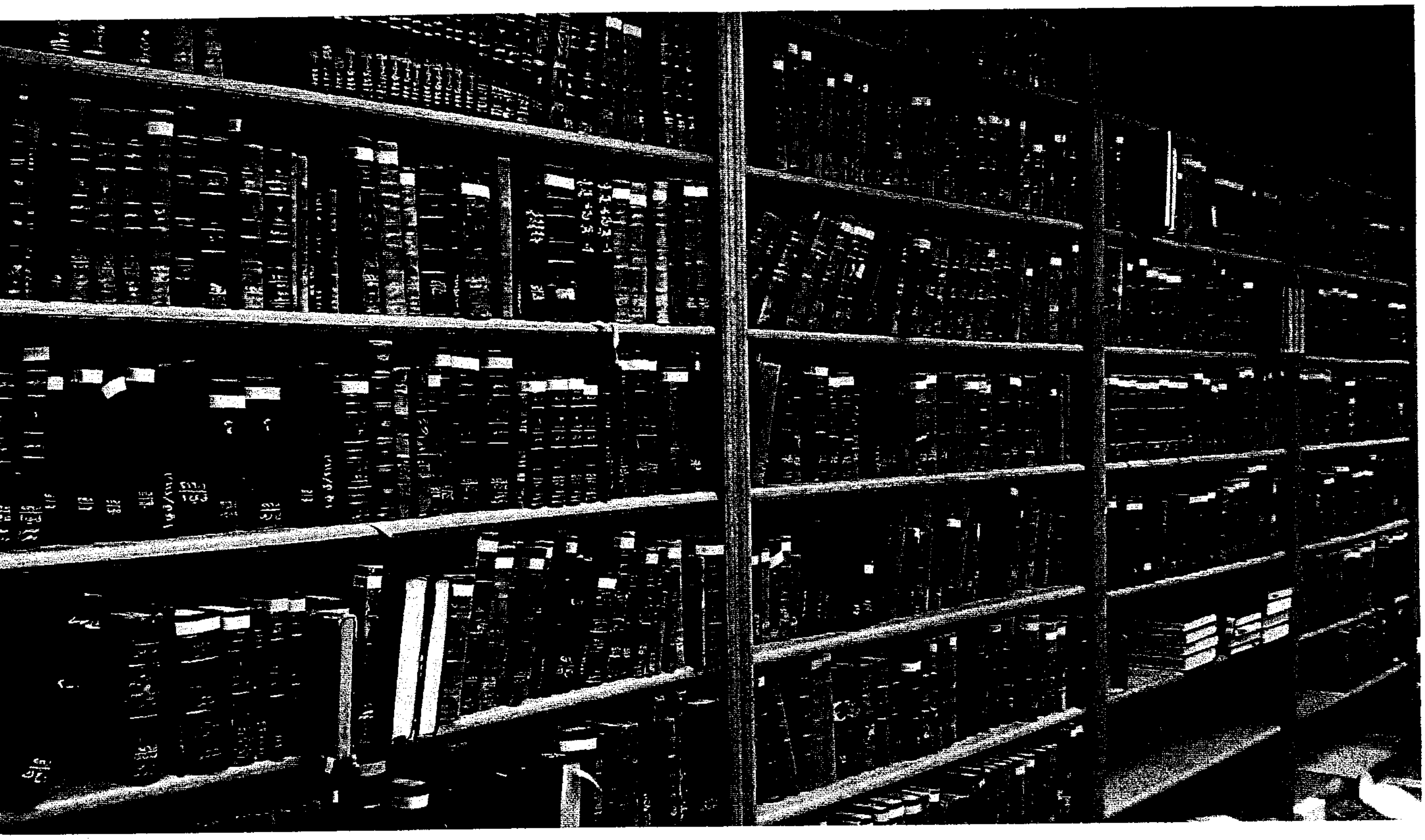


(٣٦) أجهزة التسجيل الرقمي للقراءات والمحاضرات والدروس

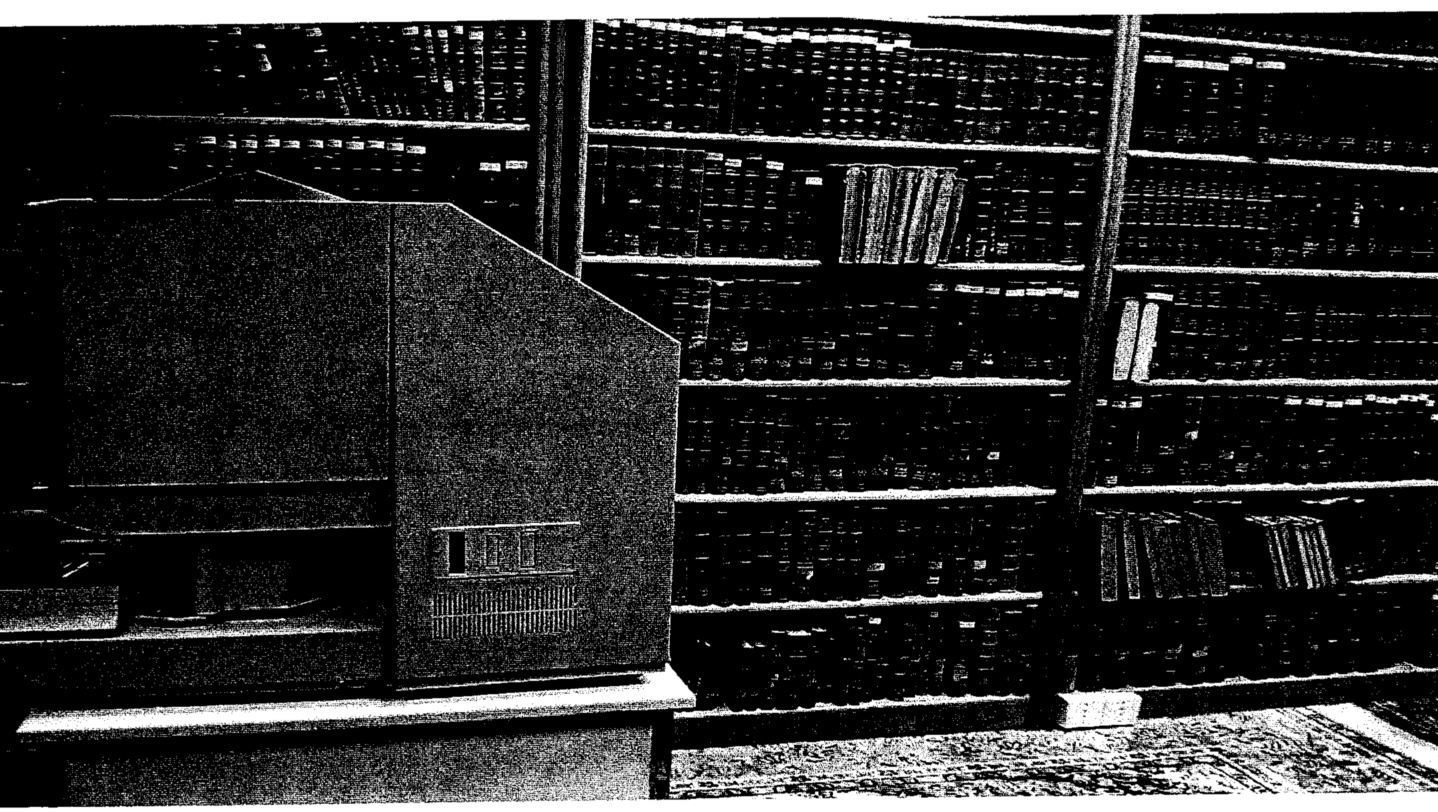




(٣٧) جانب من متحف المخطوطات بمكتبة المسجد النبوي الشريف

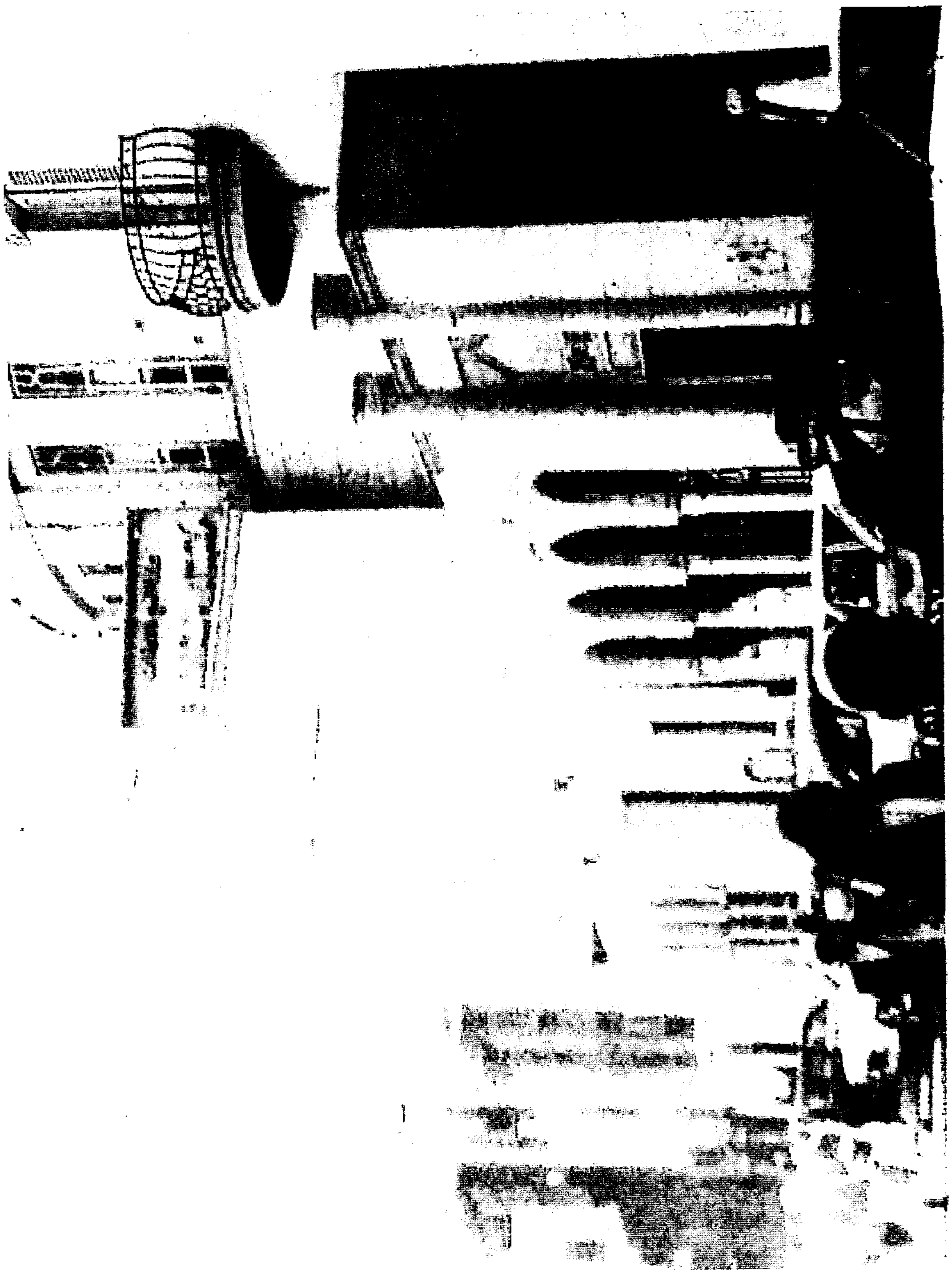


(٣٨) قسم المجموعات الخاصة والنادرة



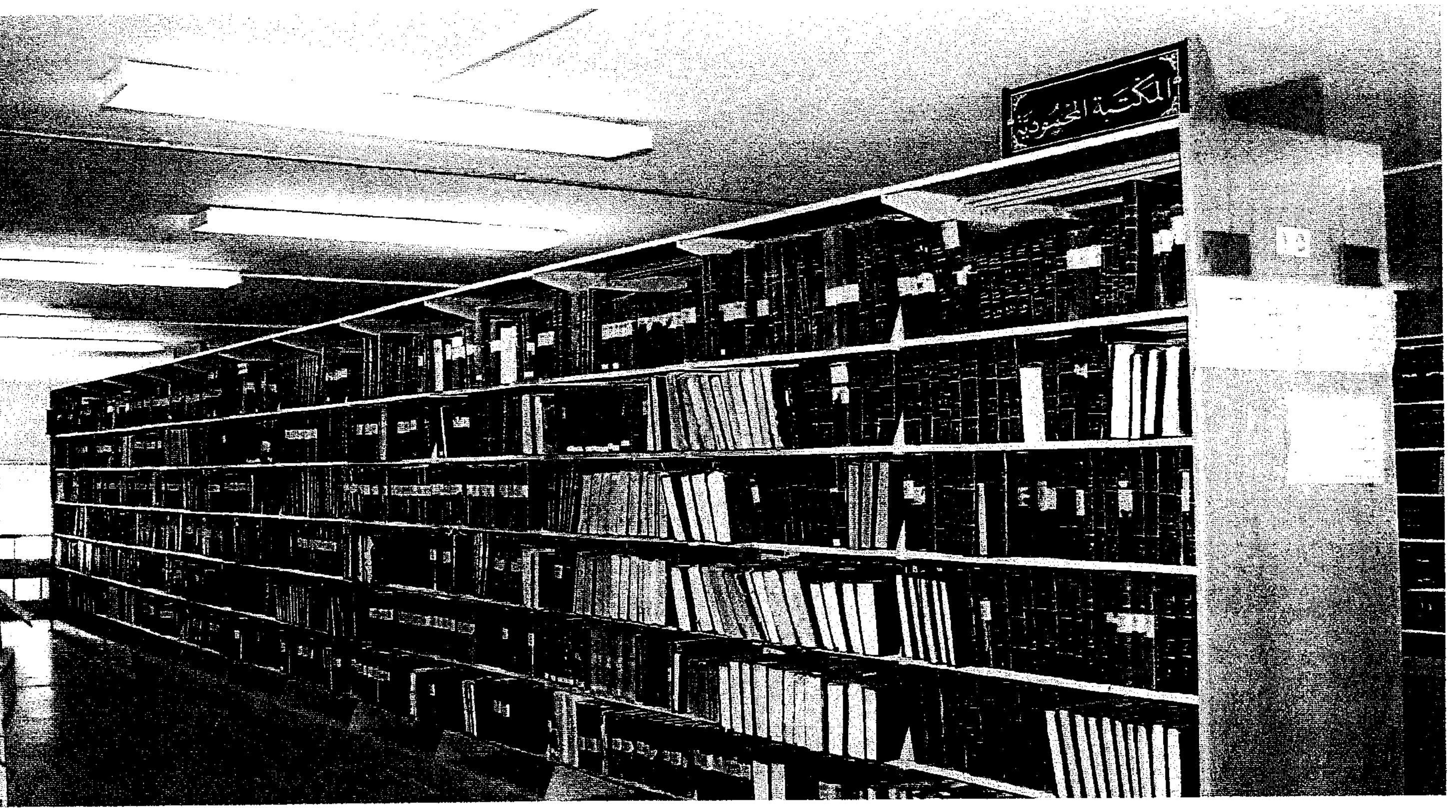


(٣٩) جانب آخر من المتحف يضم أدوات كتابة المصاحف والمخطوطات

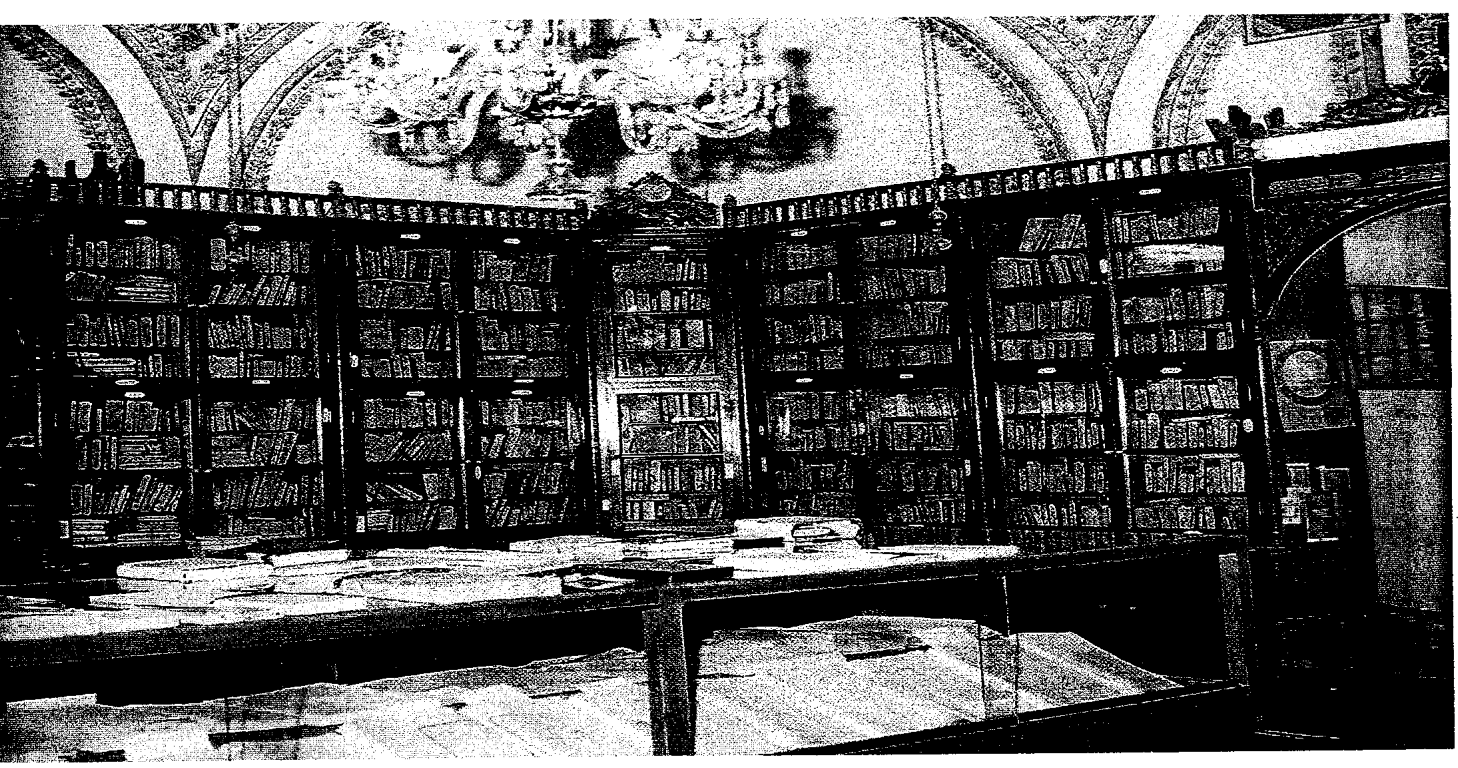


(٤٠) مكتبة المدينة المنورة العامة

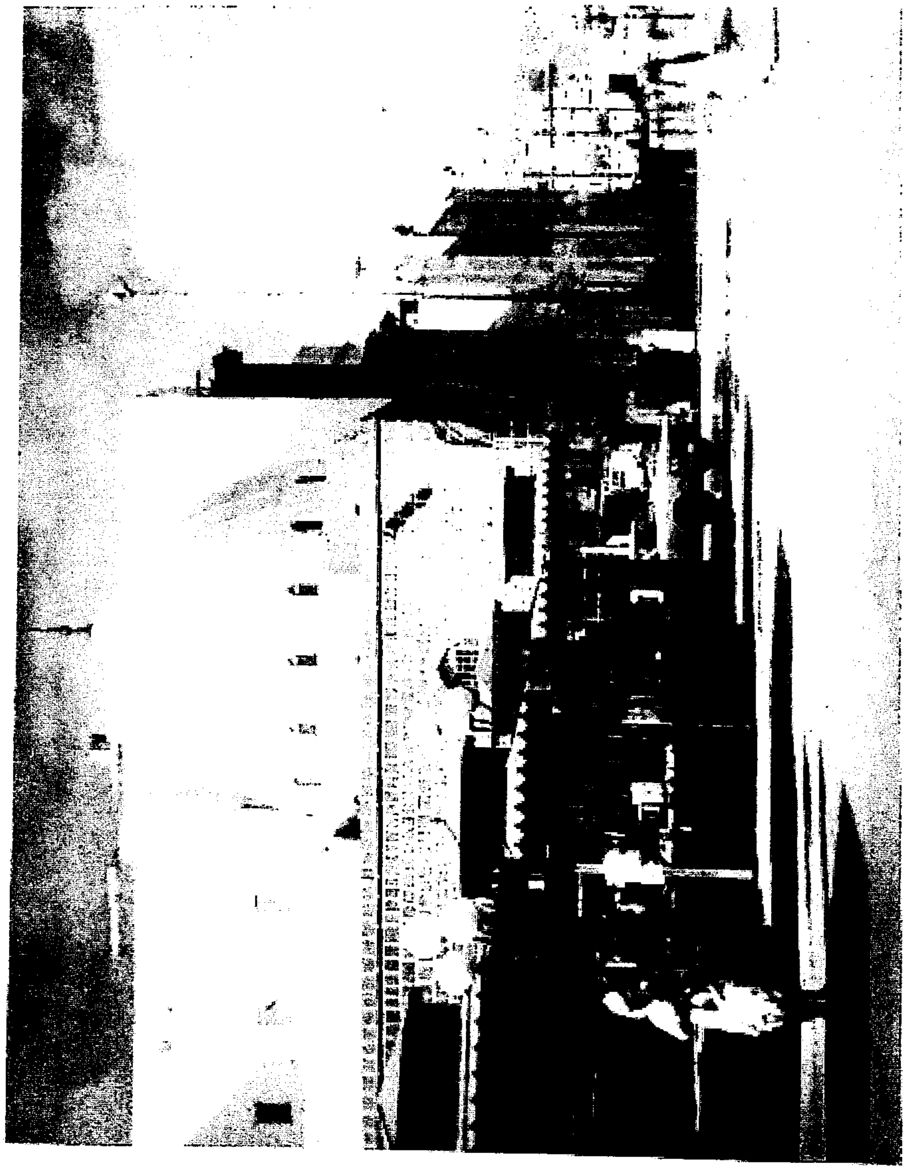
ملحق رقم (٤)



(٤١) مجموعة كتب المكتبة المحمودية

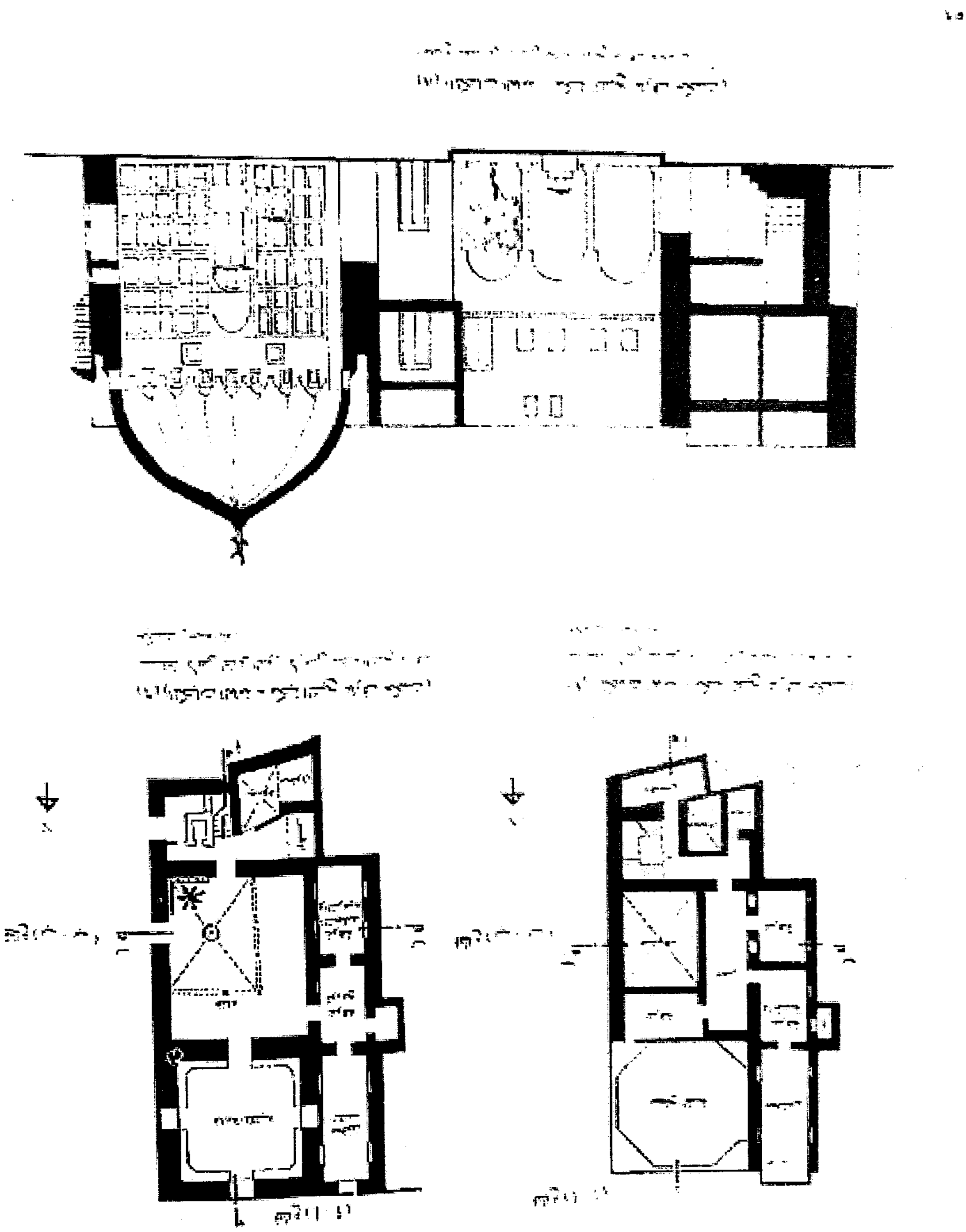


(٤٢) القاعة الرئيسية بمكتبة الشيخ عارف حكمت في مبناها القديم

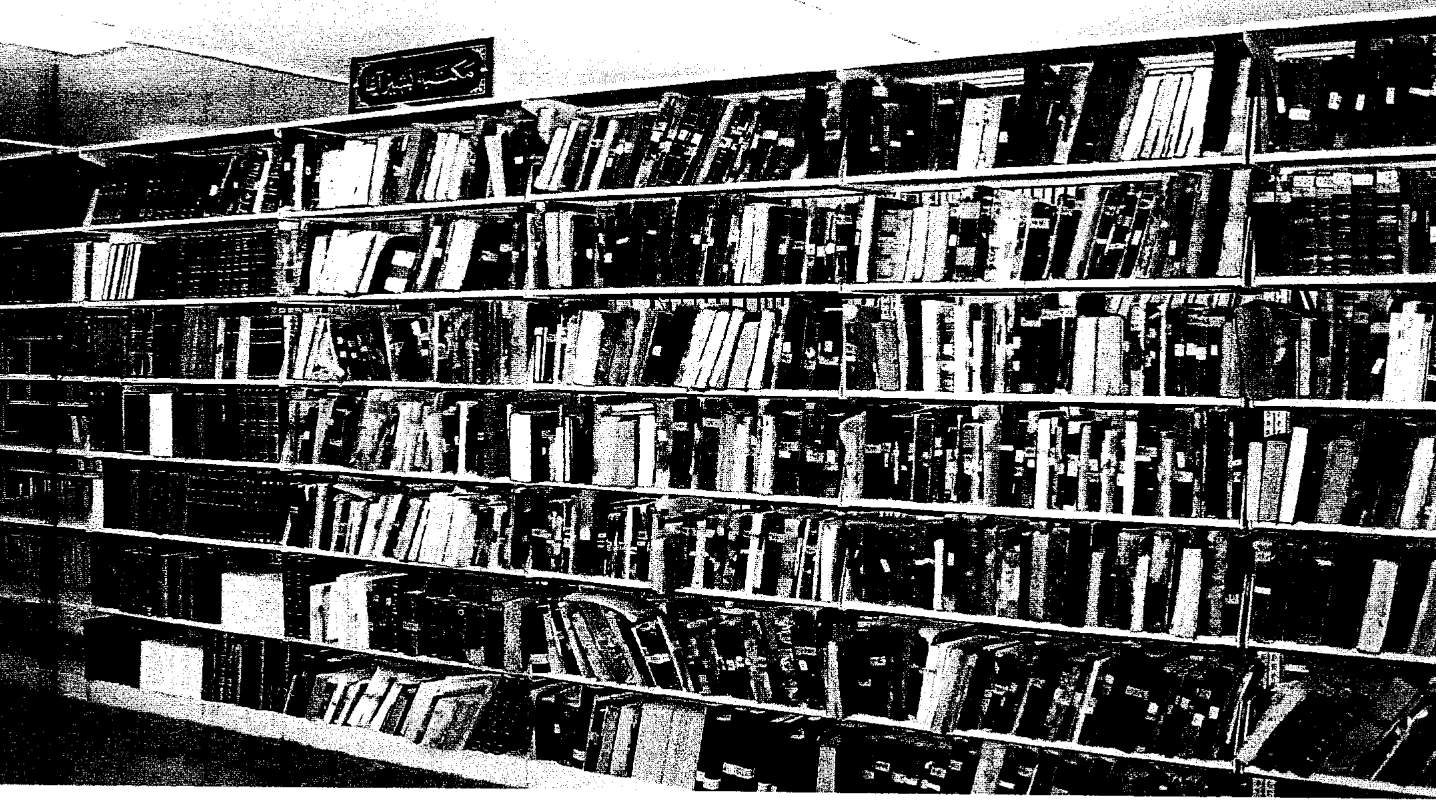


(٢٩) (المكتبات العامة – مكتبة الشيخ عارف حكمت)
صورة لمكتبة الشيخ عارف حكمت من الجهة الشرقية وتظهر قبة المكتبة وحولها الرشيق حيث أحيطت بمجموعة من النوافذ المستطيلة المدببة من أعلى والتي تساهم في إنارة المكتبة من الداخل.

(٤٣) مكتبة الشيخ عارف حكمت الحسيني من الخارج

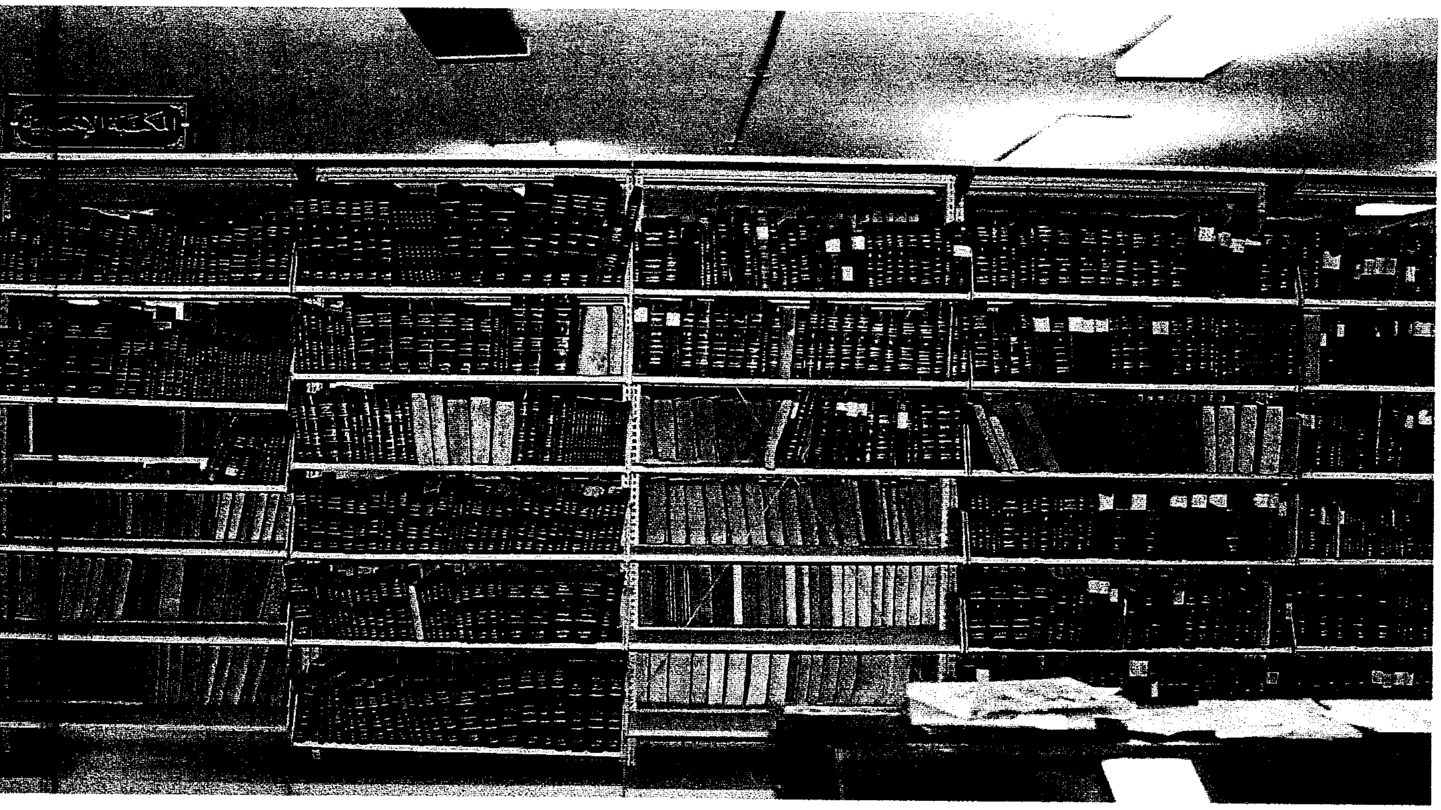


(٤٤) مخطط هندسي لتصميم مكتبة عارف حكمت

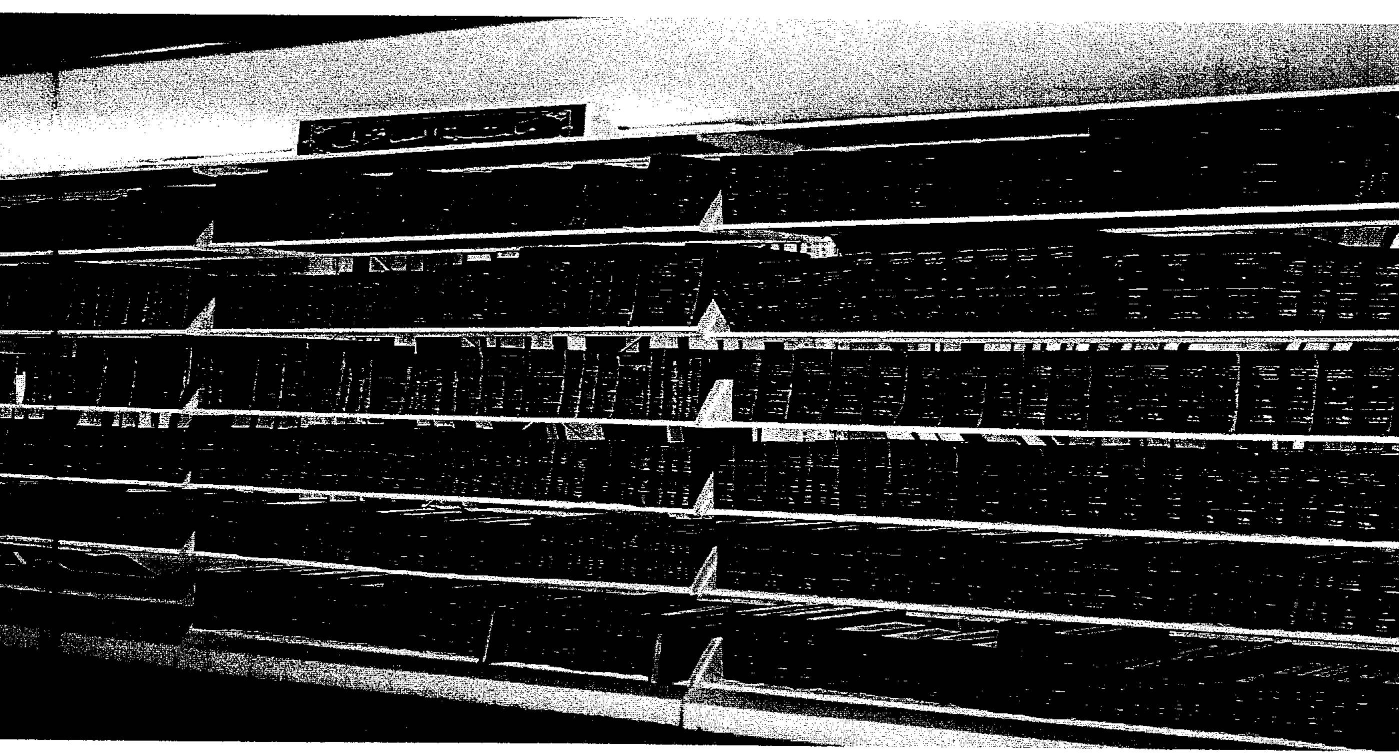


(٤٥) مجموعة كتب مكتبة بشير أغا

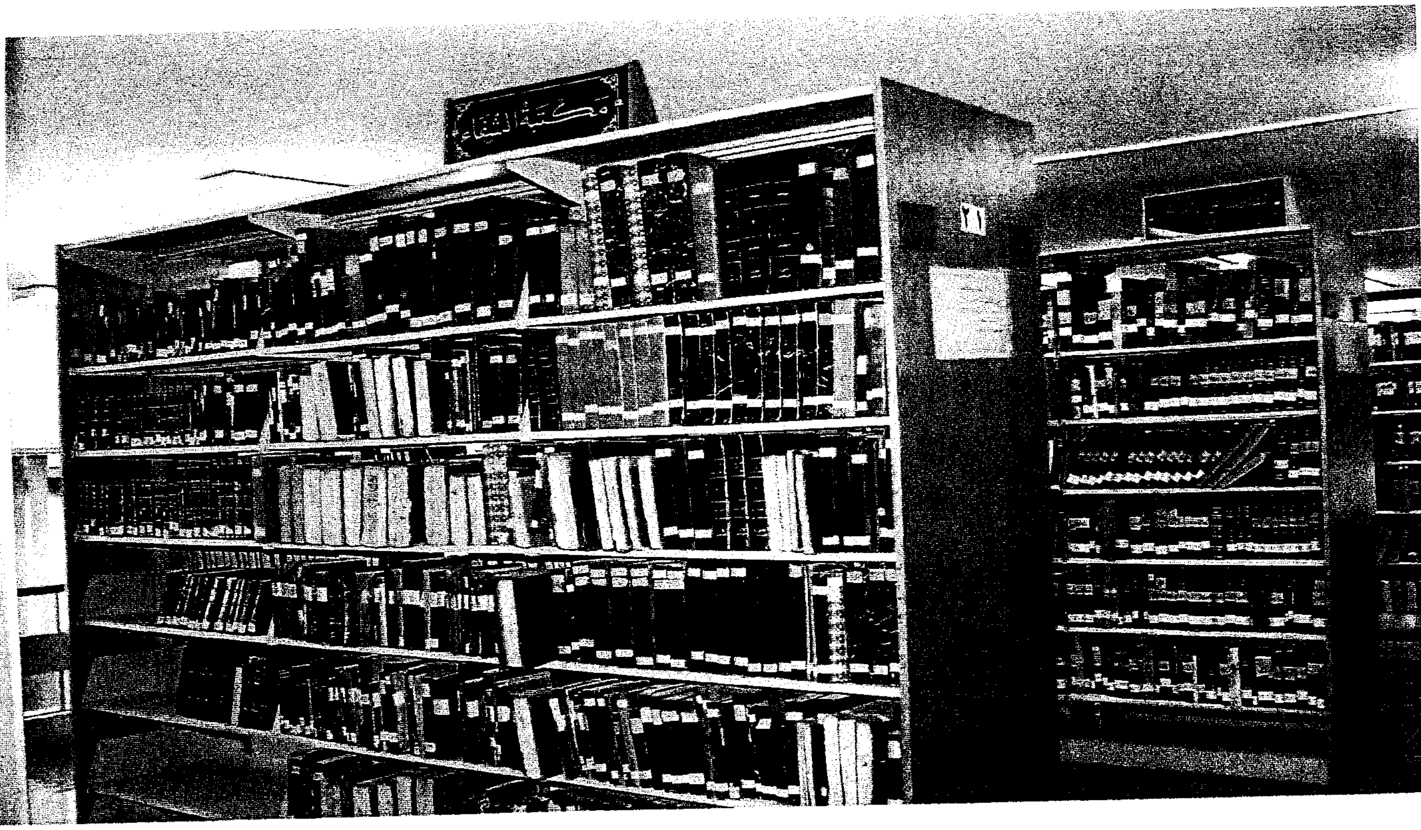
ملحق رقم (٥)



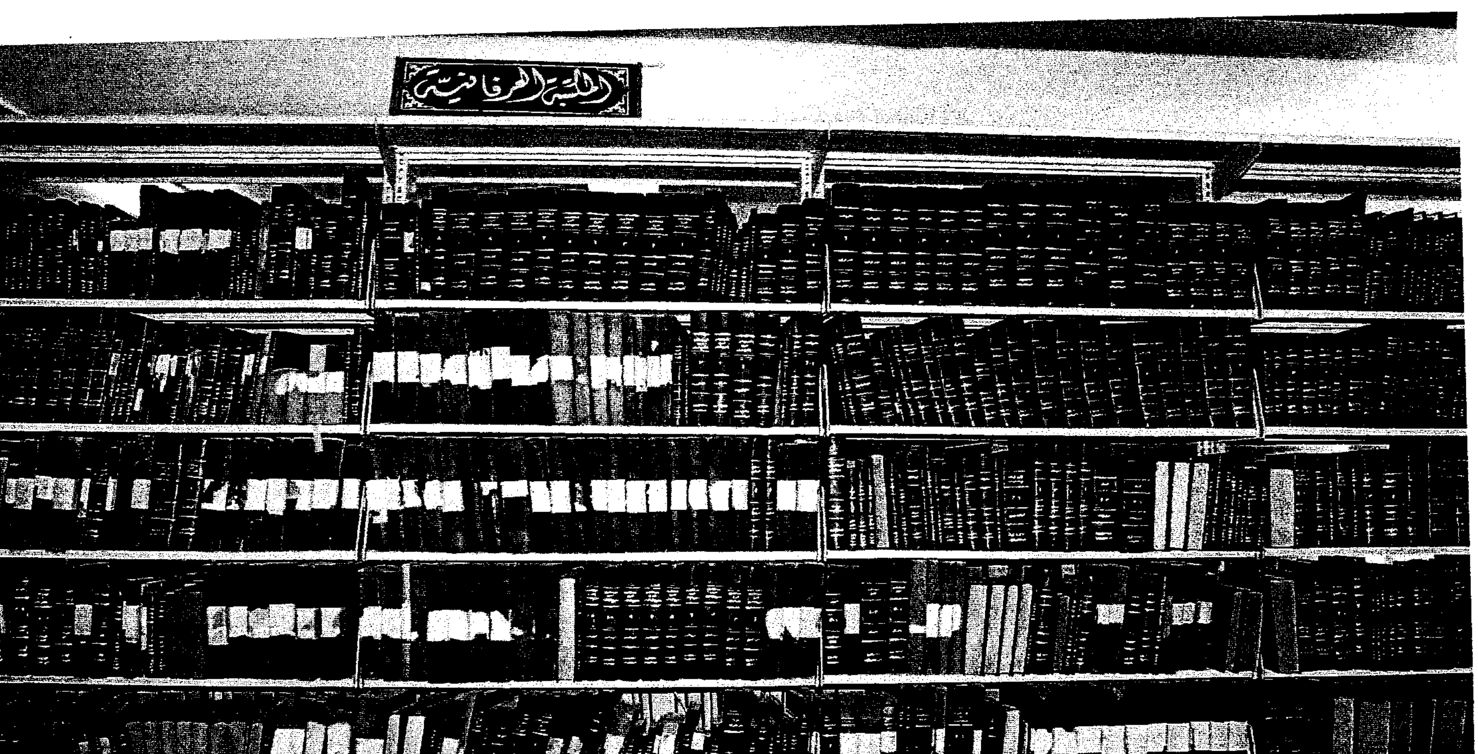
(٤٦) مجموعة كتب المكتبة الاحسانية



(٤٧) مجموعة كتب مكتبة الساقزلي



(٤٨) مجموعة كتب مكتبة الشفاء

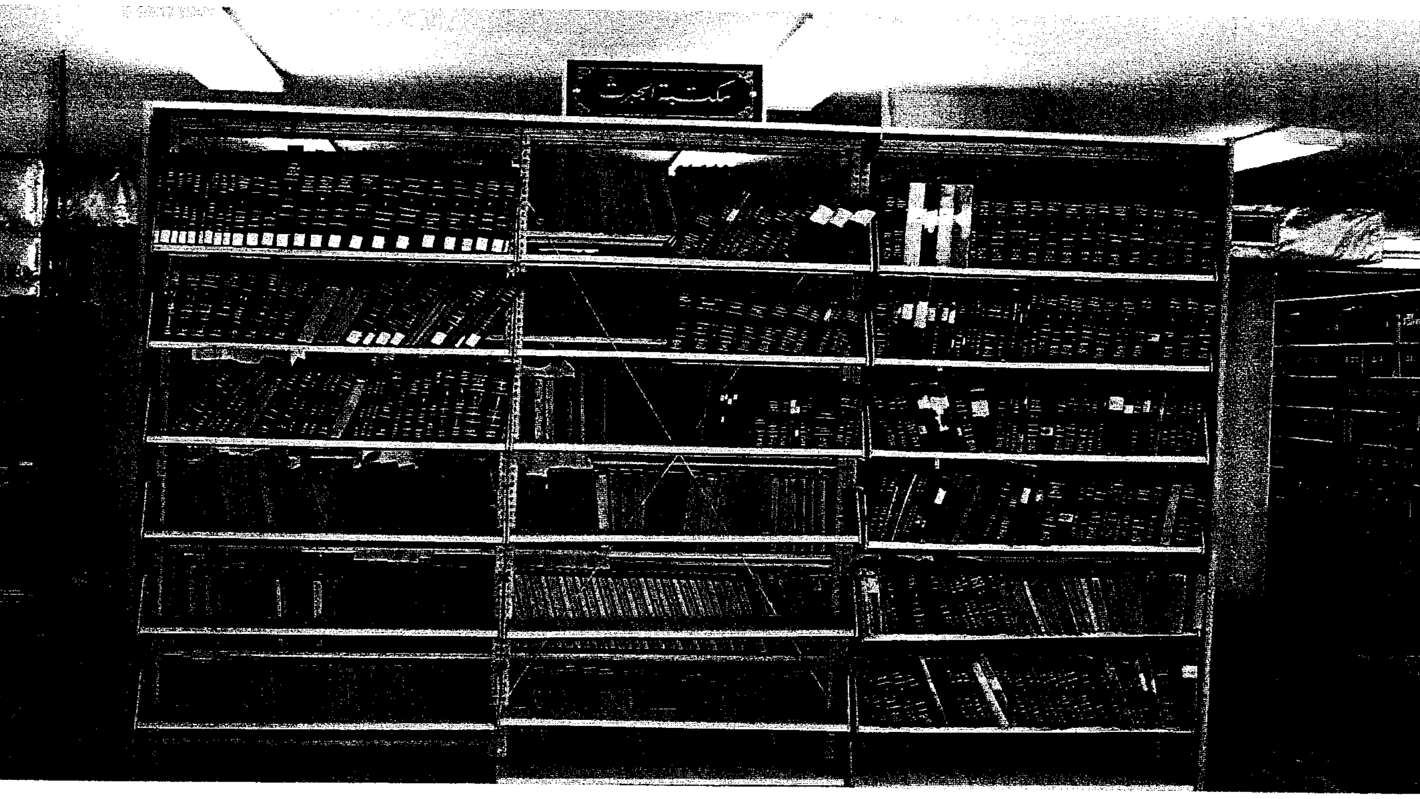


(٤٩) مجموعة كتب المكتبة العرفانية

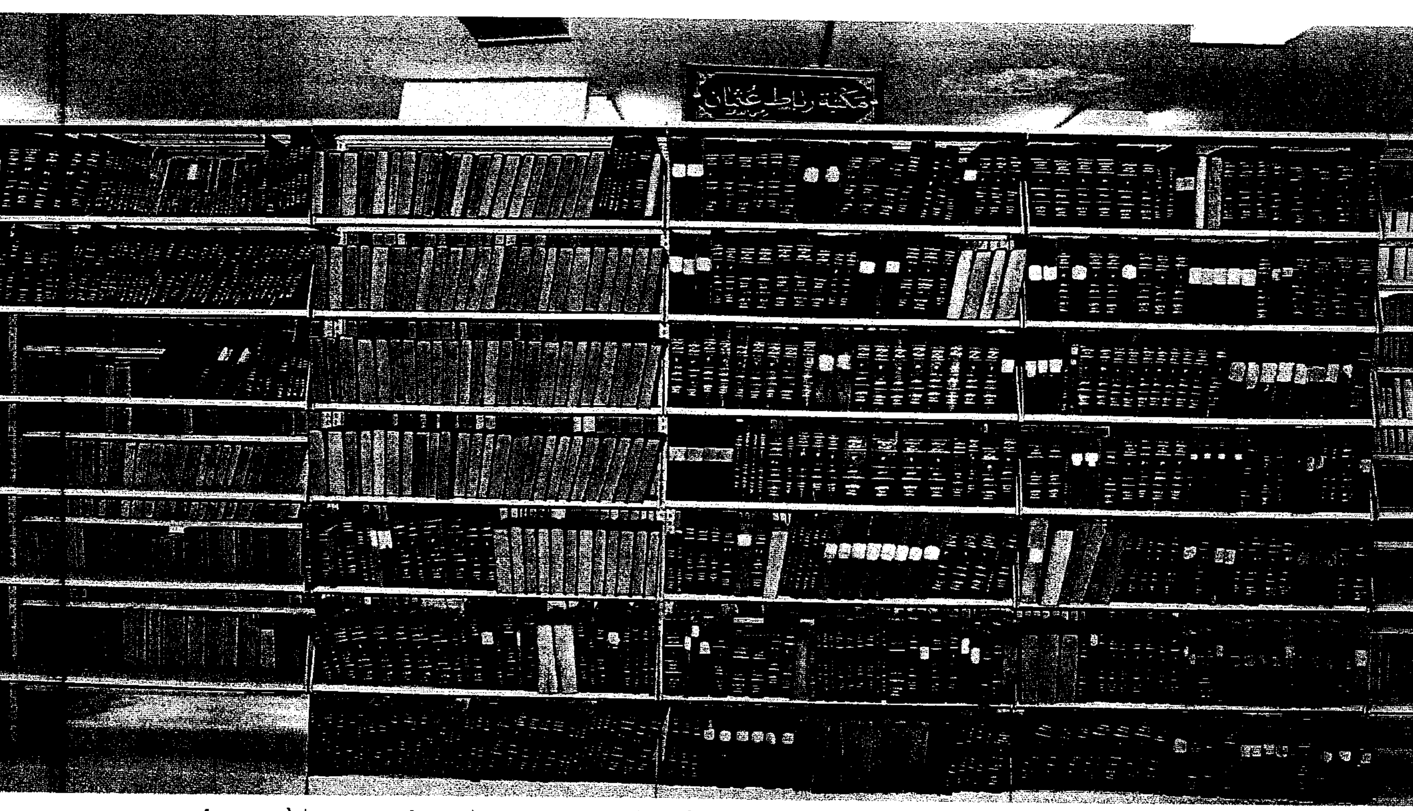


(٥٠) مجموعة كتب المكتبة القازانية

ملحق رقم (٦)



(٥١) مجموعة كتب مكتبة رباط الجبرت

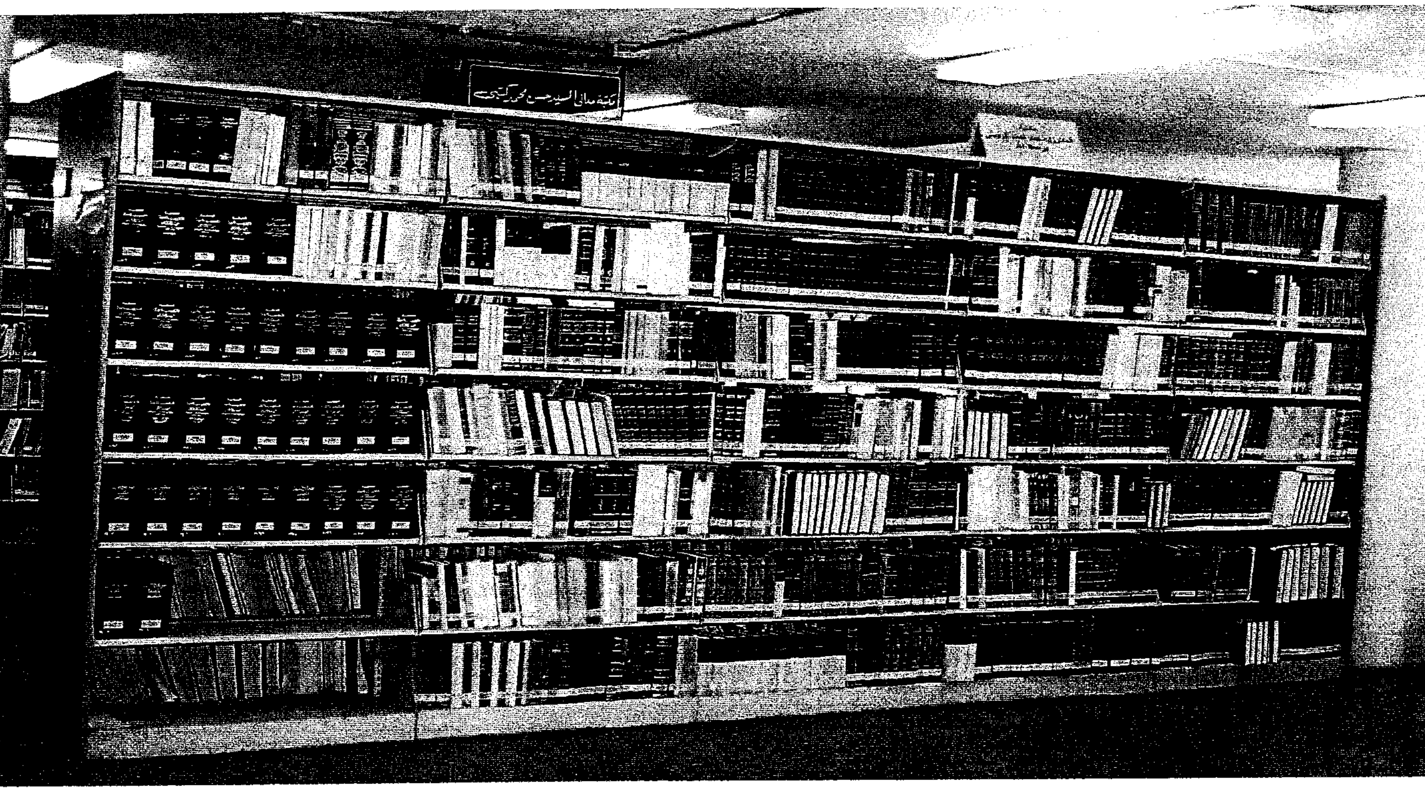


(٥٢) مجموعة كتب مكتبة رباط عثمان ابن عفان (رضي الله عنه)

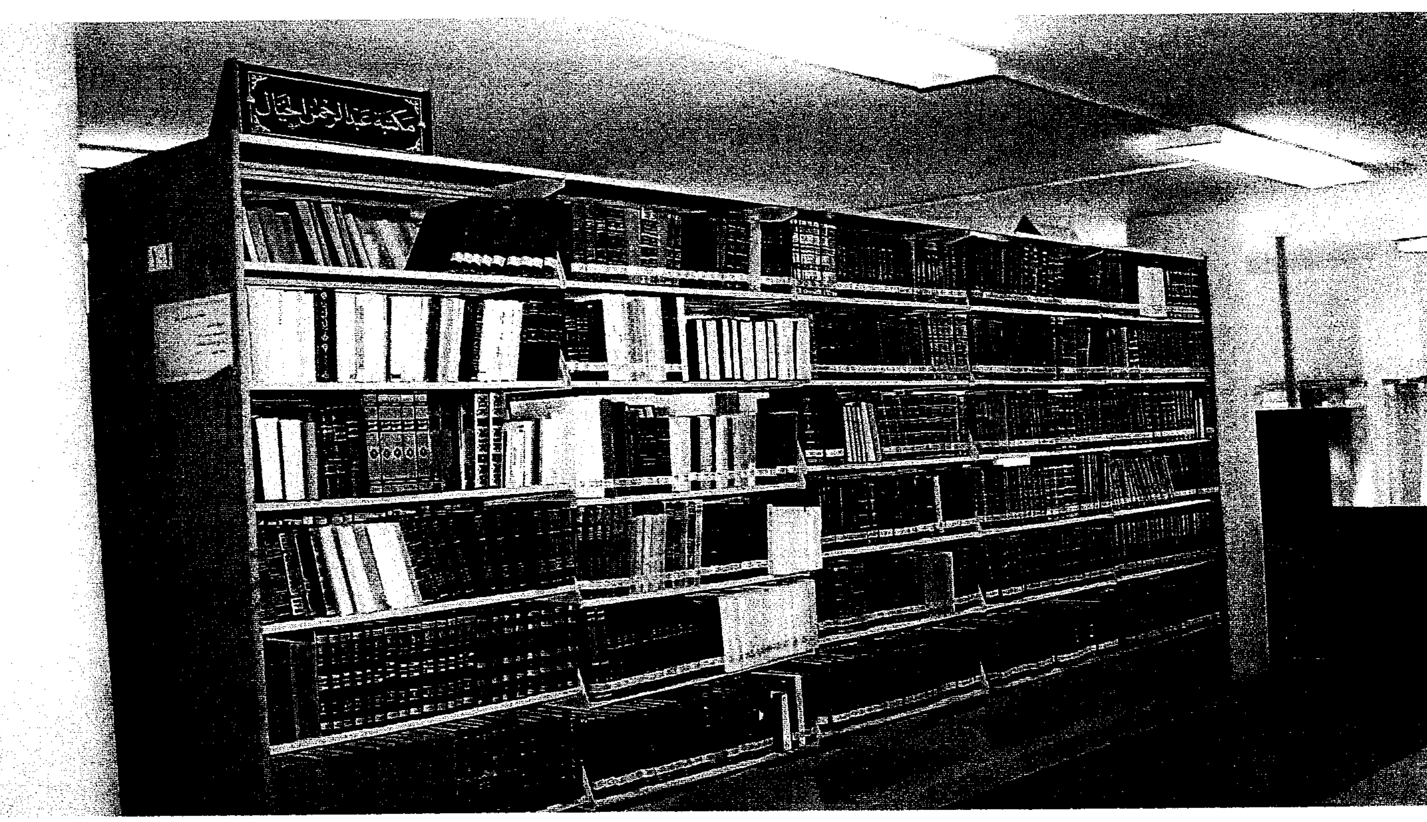


(٥٣) مجموعة كتب مكتبة رباط قراء باش ومكتبة الشيخ محمد نور كتبي

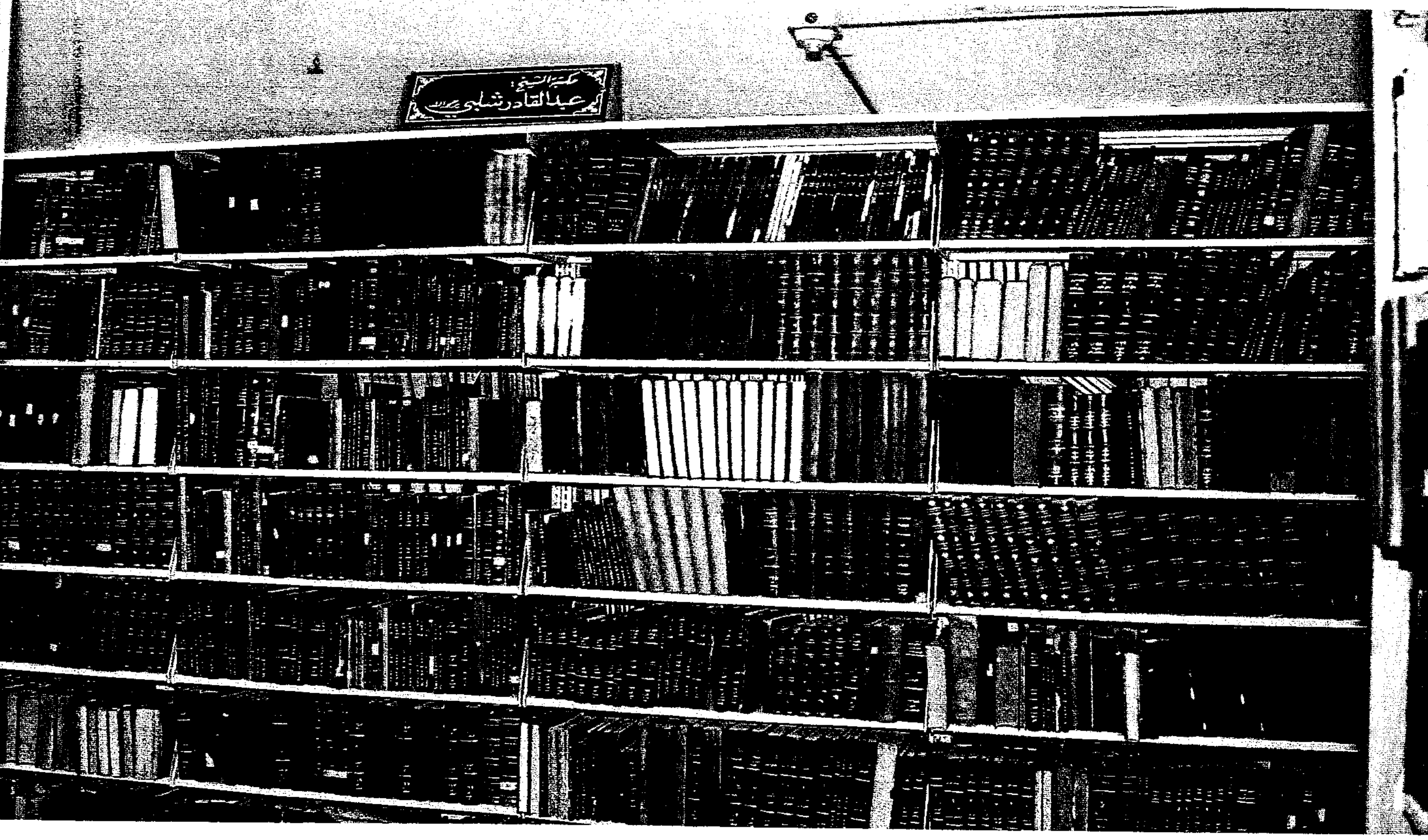
ملحق رقم (٧)



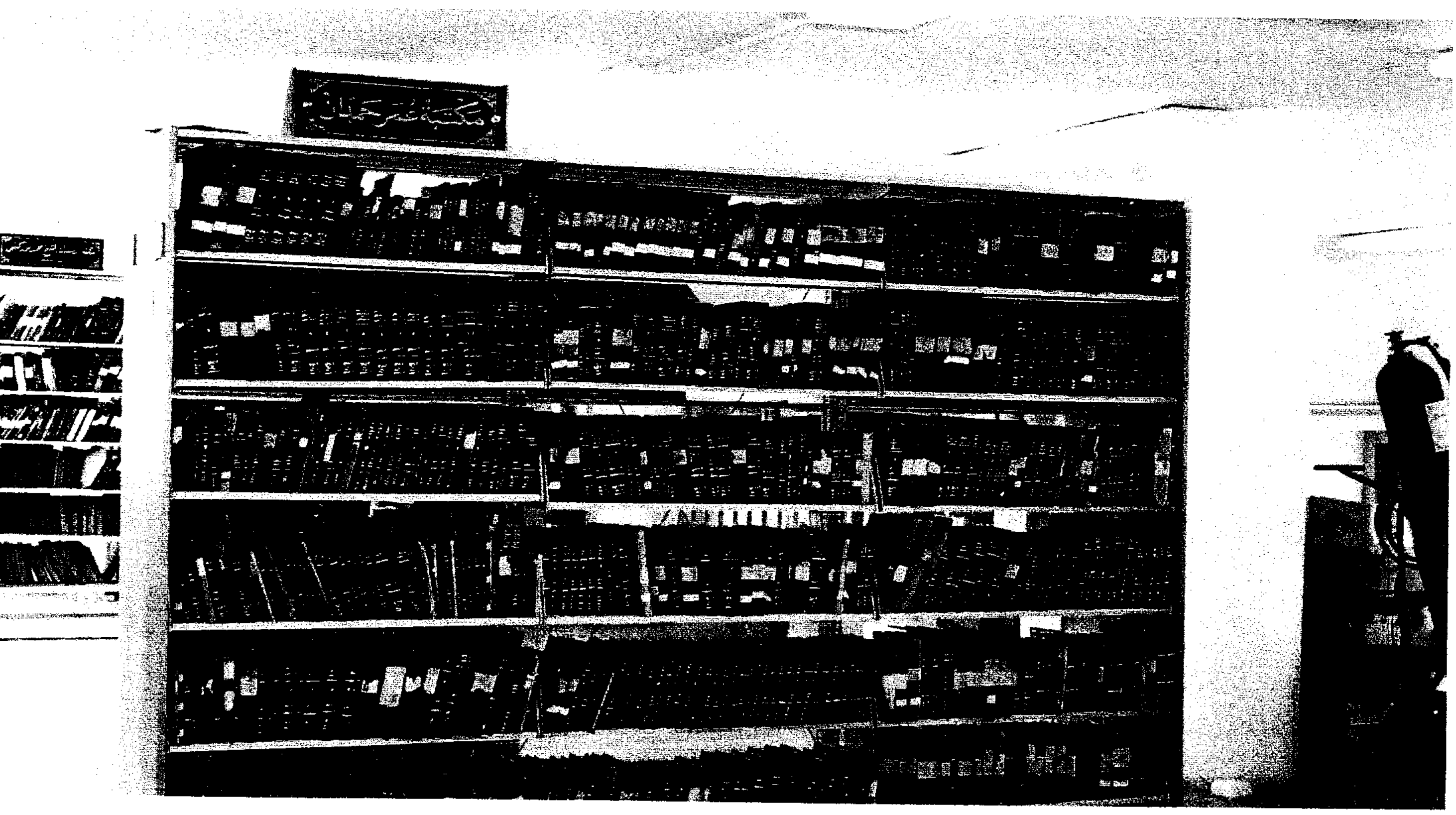
(٥٤) مجموعة كتب مكتبة السيد حسن محمد كتبي



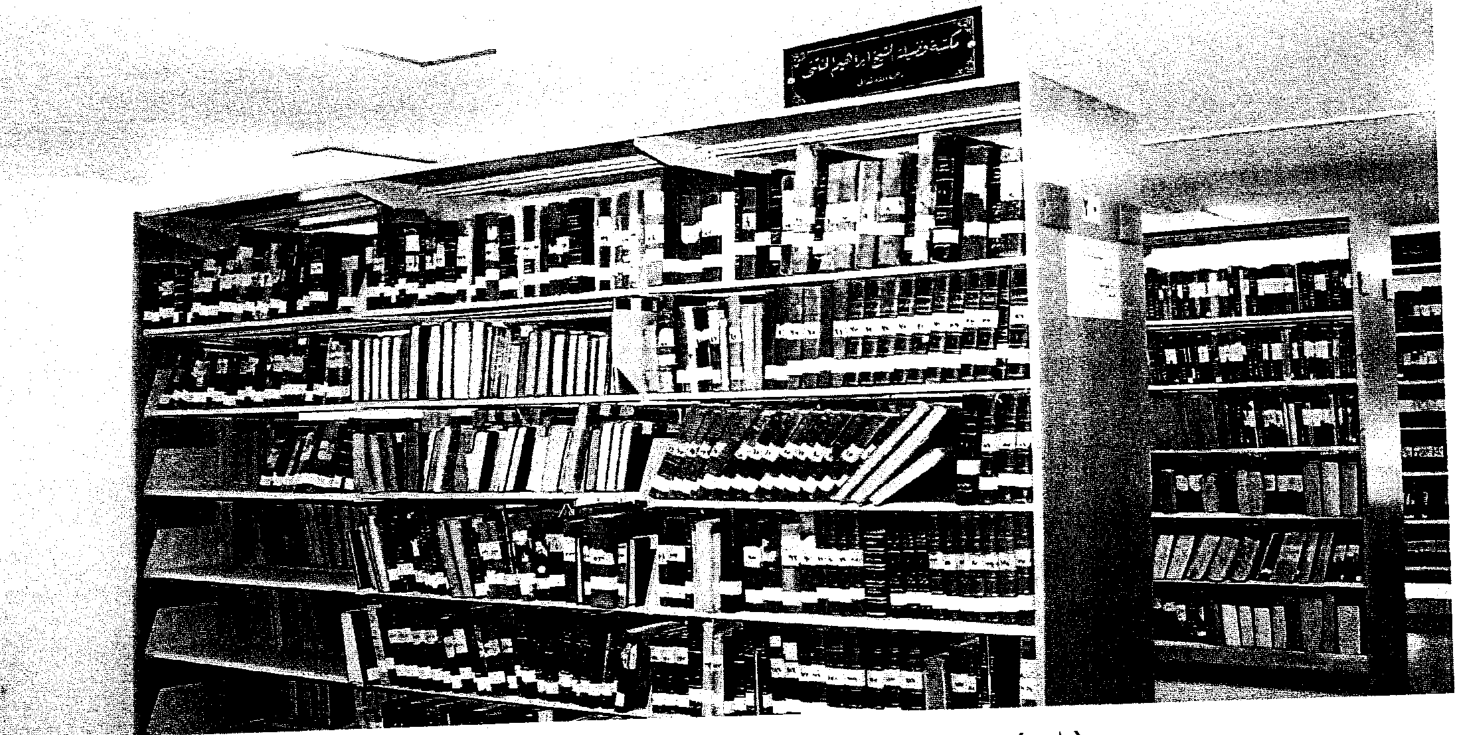
(٥٥) مجموعة كتب مكتبة عبد الرحمن الخيال



(٥٦) مجموعة كتب مكتبة الشيخ عبد القادر شلبي



(٥٧) مجموعة كتب مكتبة الشيخ عمر حمدان



(٥٨) مجموعة كتب مكتبة الشيخ محمد إبراهيم الختني



(٥٩) مجموعة كتب مكتبة الشيخ محمد الخضر الشنقيطي وابنه (محمد الأمين)

مستخلص الرسالة:

تنوعت المكتبات الوقفية في الحضارة الإسلامية، فشملت المساجد والكتاتيب والمدارس، وانتشرت في الأربطة والمشافي والمراصد والزوايا والخانقاهات والمقابر. وسعيا للتعريف بدورها في الحضارة الإسلامية جاءت فكرة هذه الدراسة للتعريف بالمكتبات الوقفية، وبعض الأحكام الفقهية المتعلقة بها، واستعراض شيء من تاريخها، ومعرفة أنواعها. مع دراسة نموذج لهذه المكتبات وذلك بحصر المكتبات الوقفية بالمدينة المنورة.

واعتمد البحث على **المنهج التاريخي** لدراسة ماضي المكتبات الوقفية، وأنواعها. كما اعتمد **المنهج الوصفي المسحي** للتعرف على واقع المكتبات الوقفية بالمدينة المنورة في الوقت الحاضر. وبالنسبة للأدوات المستخدمة في البحث فهي: مراجعة مصادر المعلومات والدراسات المعنية بموضوع البحث، وإجراء عدد من المقابلات الشخصية للحصول على المعلومات اللازمة للدراسة، والقيام بزيارات ميدانية للوقوف على واقع المكتبات الوقفية الحالي بالمدينة المنورة.

الكلمات الدالة:

- المكتبات الوقفية
- تعريف المكتبات الوقفية
- أنواع المكتبات الوقفية
- تاريخ المكتبات الوقفية
- مكتبة المصحف بالمدينة المنورة
- مكتبة المسجد النبوي الشريف
- تاريخ المكتبات الوقفية بالمدينة المنورة
- المكتبات الوقفية الرقمية
- أنواع المكتبات الوقفية بالمدينة المنورة